رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠

الفصل الاول

الرحيل من دار الاقامة ـ كيفية السفر ـ وصف جماعتنا ـ الزوابع ـ كفرى ـ الخرائب الساسانية ـ ضيافة رئيس عشيرة البيات ـ منابع النفط فى (طوزخورماتو)

بغداد ١٦ نيسان ١٨٢٠

تخلصا من حر صيف من اصياف بغداد الشديد، عزمت هذا العام على زيارة جبال كردستان، اذ قيل لنا بأننا سنلاقى فيها مناخا يختلف اختلافا كليا عما هو فى بغداد*. ولما كانت كردستان بلادا غير معروفة فى اوربا الا قليلا، وكان لى هناك الكثيرون من المعارف من مواطنيها الذين وصلتنى منهم الكثير من الدعوات الملحة لزيارتهم، فقد سرنى ان تتاح لى فرصة اخرى لارواء غليلى الذى لا تنطفىء ناره، لمشاهدتى بلادا جديدة.

وانى لاشعر فى هذه المرة، ان من واجبى ان اسوح بصفتى الرسمية.

(*) انه لمن الصعب ان اتصور أن الحر الذى يعم بغداد لمدة خمسة اشهر على وجه التقريب، يضاهيه اى حر آخر فى اى جزء من العالم، وقد ندرك ذلك بعض الادراك اذا ذكرنا بأن الاهلين فى الاشهر من نيسان الى تشرين الاول يضطرون الى الالتجاء خلال حر النهار، الى السراديب، والى النوم ليلا فوق سطوح بيوتهم، اما غرف البيوت فى تلك المدة، فلا يمكن سكناها. وترتفع درجة الحرارة عادة فى شرفة مفيأة الى ١١٥ درجة، وقد شاهدت ارتفاعها حتى ١٢٠ درجة فى وسط النهار، والى ١١٠ درجات فى العاشرة ليلا، وقد ازعجتنا كثيرا رياح السموم الحارة المحرقة، واما رائحتها فكبريتية قوية ـ الناشرة.

وهذا مما جعل قرينتي السيدة (ريج) تتجشم متاعب السفرة المنهكة في محمل مستور او الـ «تختروان» * ترعاها الخادمات وحاشية الحرم. ** ولتخفيف المتاعب عنها على قدر المستطاع ارتأيت ان يرسل معها جواد تمتطيه عندما لا تتعرض الى الانظار. واضطررت شخصيا بحكم واجبي ومركزي الى استصحاب الكثير من موظفي دار الاقامة وخدمها، واستصحاب من طلب السماح له برفقتنا، كي نؤلف جماعة كثيرة العدد. وتخلصا من النفقات الواجب صرفها على الجنود المحليين الذين يرافقوننا لحمايتنا في الطريق، استصحبت حرسا مؤلفا من خمسة وعشرين سباهيا وضابط صفهم (سوبيدار)، وهم الذين خصصتهم حكومة (بومباي) كحرس خاص لدار الاقامة. ولهؤلاء الحراس حرمتهم، وهم رهط من الرجال البواسل، وكانوا جذلين برحلتهم هذه، على ما لاح لي.

وكان الباشا ذا لطف عميم في بذل كل ما في وسعه لتسهيل سفرتنا، وتزويدنا بالفرامين والاوامر والرسائل الى ذوي الشأن ضمن منطقته، وبتوصيات حارة الى باشا كردستان ورؤسائها.

اخترت قرية (الدوخلة) الخربة الواقعة على بعد واحد وعشرين ميلا شمالي بغداد، كمثابة او محل ملاقاة عام للحرم والامتعة والحرس وغيرهم من الجماعة الذين لم يرافقوني شخصيا اليها.

رحلت من بغداد في ساعة متأخرة من اليوم، بالنظر الى زيارة الكثيرين لي من المودعين راجين لي سفرة ميمونة. ولم يكن لهذا التأخير من اثر يذكر،

(*) أهذا ما يعني كلمة צב (صب) في العبرية، التي اضحت عندنا في التوراة Litter اي هودج، كما جاء في الفقرة ٢٠ من الاصحاح ٦٦، اشعيا. وقد جاء في النسخة السبعينية (Septuagint) «هودج بغل». تلقت الناشرة هذه النبذة من صديق لها. (وقد جاء وصفه في رحلة ابن جبير في رحلته من بغداد الى الموصل كما يلي :— «.... في هودج موضوع على خشبتين معترضتين بين مطيتين الواحدة امام الاخرى ....» — المترجم)

(**) تعني كلمة «الحرم» القسم النسائي من عائلة تركية، وتستعمل هذه الكلمة المنفردة عندما يتجنب المسلم ذكر اهل بيته من نسوته او بناته. والكلمة تعني ايضا ذلك القسم من الدار الذي تسكنه الاناث. والاتراك حذرون جدا في التكلم شخصيا عن اقاربهم من النساء بدرجة انهم يضطرون احيانا الى الاشارة اليهن بقولهم «ان بيتي مريض» او «ان بيتي يرسل تحياته الى بيتك».

اذ كانت المرحلة الاولى لا تتجاوز الخمسة اميال فى مداها، وهى بستان صديقى القديم المضياف الحاج عبدالله بك، الذى رجانى ان اجعل من داره هذه المراح الاول.

امتطيت صهوة جوادى بعد الخامسة بعد الظهر توا ووصلت البستان بين السادسة والسابعة، فاستقبلنى البك بالغ الحفاوة ووجدت انه قد اعد لى وليمة تركية فخمة جدا، كما واستقبلت صالحة خاتون السيدة ريج* صديقتها استقبالا مضاهيا، وهى احدى ارامل سليمان باشا الذى حكم بغداد مدة تنوف على العشرين عاما، وتوفى فى عام ١٨٠٤. ومع ان سليمان باشا كان مملوكا كرجيا لسلفه، فقد كان من ذوى الكفاءات المحمودة، فبقوته وسرعة قراره وحكمته اخضع العشائر العديدة ضمن منطقته، وخشيه الآخرون خارجها، فتحسنت الزراعة والتجارة، وازدهرت (بغداد) ازدهارا عظيما ابان عهده الابوى الرشيد. وقد خلف ثلاثة اولاد كانت لهم مكانة ودية فى قلوب اهل المدينة اكراما لوالدهم، كما كان لهم مكانة عز لدى من خلف والدهم فى الباشوية. وعاش الاخوان الآخران كل مع امه عيشة مترفة، بقدر ما يسمح رغد العيش لامثالهما من ذوى الشأن وهم فى مكان تراقبهم فيه اعين الحساد من الحكومة، سيما حين اصبح الاخ الثالث وهو الاكبر ذا منزلة يخشى منها كثيرا، وقد نجح اخيرا فى الحصول على الباشوية بالغش والخداع، ونعم بعز مركزه اعواما قليلة الى ان تغلب عليه قاتله صهره داود، الذى تسلم بعد ذاك فرمانا من الباب العالى يؤيده فى الحكم. (١)

١٧ نيسان.

استأذنت الحاج عبدالله بك ورحلت من داره الريفية فى السابعة والربع صباحا وكان الطريق يمر بأرض لا تروق للمرء مطلقا، فوصلت الى مخيمنا فى الواحدة الا ربعا، فوجدته قائما فى (الدوخلة). اما قرينتى فقد وصلت اليه بعد ساعة. وطفت بعد الظهر فى المخيم للتأكد من تجمع الجماعة وراحة افرادها. ان اسكان هذا العدد من الناس فى القرى الواقعة على الطريق لم

(*) راجع فى الملحق «شذرات من مذكرات السيدة ريج».

يكن امرا ميسورا، ولهذا اضطررت الى استصحاب الخيم والى استصحاب رهط من العرب لنصبها وتقويضها مساء وصباحا. وكانت الخيم اربع عشرة او خمس عشرة خيمة وهي اقل ما نكتفي به لايواء جماعة يتراوح عددها بين الخمسين والستين. * اما الضجيج والارتباك فلم يفارقا المخيم طيلة النها حتى استقر كل من الجماعة في مكانه وحتى استقرت الامور كما يجب. وامطرت السماء في الليل مدرارا فتعرض لها البغالون والخامون المساكين، والحيوانات، ذلك اذ لم يفكر احد قط بحاجة هؤلاء الى الخيام.

١٨ نيسان.

ركبت والمستر (به‌لی‌نو) ** في السادسة والربع وبرفقتنا عدد من الخيالة الخفيفة من حاشيتنا، قبل ان يتهيأ الآخرون للرحيل من المخيم. شعرت بأرتياح كلي لتخلصي من الارتباك ومن ضوضاء عدة لغات متباينة. فالضوضاء، وصهيل الخيل، ودقات اجراس البغال ونباح الكلاب كلها من متممات المخيمات الشرقية عادة.

(*) كان (آغا ميناس) الضابط الرئيس الاهلي لدار الاقامة قائد هذه الجماعة المؤلفة من مسيحيين ويهود واتراك وارمن وفرس وهنود وهو من عائلة ارمنية لها مكانتها خدمت الحكومة البريطانية مدة طويلة. ان المنصب الذي يشغله وكفاءته الشخصية جعلاه ان يكون مدير ادارة المستر ريج البيتية في بغداد وقد استمر خلال هذه الجولة على القيام بالواجب ذاته، وكان امين المال والمرافق، وقام بخدمة اضيافنا العديدين في طريقنا، وادار شؤون المخيم، وزبدة القول انه كان الرجل الاوحد الذي ينتظر الكل صدور الاوامر وطلب المعونة منه، ومع ذلك لم يستطع ارضاء أحد لانه لم يستطع الاتيان بالمستحيلات. وكان يتحلى بالصبر الجميل، وروح الدعابة، اللذين يقتضيهما المنصب الذي يشغله. وما كان يتعب في مسعاه لاراحة الكل، بل كان متحمسا لاداء واجبه كل التحمس — الناشرة.

(**) المستر (به‌لی‌نو) الماني من (توبن‌غەن Tubingen) من مقاطعة (سوآبيا Suabia) وقد تعرف عليه المستر ريج في (فينا) حيث كان في الكلية. ان شغفه بالادب الشرقي، ورغبته في زيارة الشرق مما جعلاه يقترح على المستر ريج بوساطة (فون هامەر) مؤرخ تركيا، وهو صديق معروف، ان يستصحبه معه في عودته الى بغداد. وقد سر ريج لتمكنه من اسعاف رغبته بمنحه منصب السكرتير الخاص له. لقد كان شابا محبوبا، مثقفا ثقافة عالية، يميزه الحماس الذي عرف به مواطنوه، ومواظبتهم، واستقامتهم. وكان ذا قسط وافر من العلم، مولعا بدراسة الاجرومية واللغة، متحمسا لتتبعاته، ومكرسا وقته لها بروح المانية حقة.

وتبعتنا رفيقتي من بعد، بتختروانها مع حاشيتها النسوية، وهن في الكجاوات (نوع من المحامل تحمل على جانبي البغل) ومع بعض الخيالة للحراسة.

تقضي علينا العادات، او المراسيم التركية ان نفترق بجماعتينا تمام الافتراق. تركت الخيار للقوم ليتبعوا عاداتهم، وينظمونا وفق تقديرهم للمراتب والعادات. فأنني عودت النفس على الدوام على اتباع التقاليد المحلية على قدر ما يرتاح له ضميري ويقتضيه شرف بلادي. فالاتراك متمسكون بالمراسيم، وهم قوم يحرصون كل الحرص على المظاهر والابهة ويؤمنون بضرورتها، وينظرون الى كل من يتهاون في امرها كما لو كان وضيعا وجاهلا، وغير معتاد على آداب المجتمع الراقي. وفوق كل ذلك فأنهم يستنكرون تعرض النسوة للانظار، والاسماع. وانني لاميل الى الاعتقاد بان التركي الذي يتغلب على اشمئزازه من مثل هذه الامور لابد وان يكون ممن اضاع البعض من خصاله الطيبة. ومهما كان الامر لقد ثبت ذلك لي فيمن تعرفت عليهم. واني لمتأكد التأكد كله باننا لم نحظ بالحرمة التي لاقيناها واللطف الذي شملنا من المسلمين الا لاحترامنا عاداتهم في هذه النواحي وعدم مسنا احاسيسهم بانكارنا عليهم معتقدات لا تضر، ولا ينتظر منا ان نقلعهم عنها على كل حال.

اصابنا التعب الشديد في مسيرة يومنا هذا من جراء الاوحال. وبين الثامنة والتاسعة ترجلنا لتناول كوب من القهوة في مكان اسمه (محسن باك)* وهو ضريح امام صغير كائن على قناة متشعبة من الخالص** وقد وصلنا الى موقفنا في الثانية عشرة الا ربعا، وكان في قاع قنال مندثر.

(*) جاءت تهجئة مثل هذه الكلمات في الاصل بطريقة غريبة عن التهجئة المتبعة في الانكليزية في الوقت الراهن. ويشعر الانسان عند تلفظها بعجمة محسوسة، ففي (Mukhsen Pauk) (مخسن بوك) (الخاء) kh (حاء) h ، و(الواو) au (الف).

المترجم.

(**) الخالص، قنال يتشعب من ديالى ويصب في دجلة.

١٩ نيسان .

هبت بعد ظهر البارحة العواصف من الشرق والشمال الشرقى، وفى السابعة والنصف هطلت امطار شديدة، وابرقت السماء وارعدت . ثم خفت العاصفة ليلا، وتبددت الغيوم بعض التبدد، الا انها اعادت الكرة علينا بعد منتصف الليل بعاصفة اقوى شدة، وبمطر غزير وبرق ورعد دام حتى الصباح، فثقلت الخيام حتى امسى من المحال تقريبا تقويضها ولفها وتحميلها، كما غمرت مياه الامطار وجه الارض فجعلتنا نقلع عن فكرة استئناف السفر فى هذا اليوم . وكانت الارض التى ضربنا بها خيمنا فى القنال المندثر ملأى بالعقارب . فان بيطرنا عندما كان يمهد مكانا منزويا فى ضفة القنال، حسبه ملائما لنومه فيه عثر على اربع عقارب كما عثرت الجماعة على عدد وفير منها حول الخيم . وهذا امر مألوف فى جميع الطنوف والاركام فى هذه البلاد، فهناك طنف بالقرب من (شهربان) يعج بالعقارب . وهبت فى الرابعة بعد الظهر ريح غربية تغلبت على الريح الجنوبية الشرقية .

درجة الحرارة : ٦٦ د فى السابعة ق . ظ و٧٦ د فى الثالثة ب . ظ و٦٦ د فى العاشرة ب . ظ .

٢٠ نيسان .

استمر هطول الامطار الشديدة طوال الليل مما ادى الى ازعاج جماعتنا المساكين ازعاجا شديدا، وامسى الرحيل فى هذا اليوم ايضا من الامور المتعذرة . وبدأ الرعد والمطر عند الظهر ولكنه لم يدم كثيرا، الا ان الرعد دام من الاتجاه الشمالى الغربى من الواحدة حتى الثالثة . وهبت اغلب العواصف من شمال مخيمنا . ثم تشتتت الغيوم وانجلت السماء مع هبوب ريح خفيفة من شمال الشمال الشرقى . واننى لا اتذكر مطلقا موسما عجيبا كهذا، اما تأثيره فينا نحن المسافرين فكان مزعجا . وكانت درجة الحرارة اثناء العاصفة ٦٦ د .

٢١ نيسان .

عم البرق الافق طوال الليل، والرعد بعيد عنا، الامر الذى اقلقنا كثيرا

وكانت الريح عند الصباح شرقية وجنوبية شرقية.

استأنفنا المسير في السادسة والنصف تحت رذاذ من المطر، اتت به ريح جنوبية شرقية. ورافقتنا غيوم المطر ردحا من الزمن، ولم تبخل علينا بتفريغات بين آونة واخرى. وكان معنا فى رحلتنا اليوم عشرة او خمسة عشر قرويا لترميم الجسور او تمهيد الطرق الرديئة للتختروان. وكان مسيرنا صعبا، خضنا فيه المياه والاوحال فى اغلب اقسام الطريق حتى وصلنا الى (جوبوق) فى العاشرة قبل الظهر، فنزلنا بارض مضربنا القديم * وقد وجدناها جافة. وسبقنا التختروان فى المسير بنصف ساعة، لكنه وصل بعدنا بعشر دقائق. ومن محاذير السفر مع جماعة كبيرة هو ان القرويين يخفون كل ذخيرة جيدة نسبة قد تكون فى حوزتهم حذر سلبها منهم، وعلى الاخص اذا علموا ان بين الجماعة من هم من موظفى الحكومة.

عادت السماء فتلبدت بالغيوم مساء، وبدأ البرق بعد الغروب فى الشمال والشمال الغربى، وسرعان ما هب نسيم عليل من ذينك الاتجاهين ولكنه ما ان هب الا وتغلبت عليه ريح قوية من الجنوب الشرقى، ثم غدا الافق اسود يحاكى جناح الغراب فى لونه وعاد البرق يومض فى جميع الآفاق وميضا متتابعا لا اذكر له مثيلا. ولكن الرعد لم يزل بعيدا عنا، اما الافق فى الغرب فكان حالكا، وانعدام الضوء كان يضاهي ما تخيله اللورد (بايرون) فى حلمه الرهيب عن انطفاء نور الشمس. ما كنا نشعر برهبة ذلك الظلام الا عند الفترات القصيرة بين ومضات البرق، حيث كان يظهر لنا ساطعا بنوره فى ذياك المكان الحالك، وكنا نرى اسهم النور تصيب الارض بين آونة واخرى. وكان وهج البرق كلما انار الاصقاع، اظهر لنا حارسا هنديا متكئا على بندقيته، وخيمة احتمت بها جماعة من البغالين، او رهطا من المسافرين المتعبين يشقون طريقهم عبر الصحراء الموحشة. لقد كان المنظر من المناظر التى يعتز بها الشعراء الاعتزاز كله. الا انه جعلنا فى حال مؤلمة من ترقب ما سنلاقيه

(*) يشير المستر (ريج) بذلك الى سفرة قام بها سابقا الى جنوب كردستان ليبحث في خرائب (قصر شيرين) و (حوش كەرەك)، وفى الملحق نجد مذكراته فيها.

من العواصف او السيول التى لن تقو على مقاومتها خيامنا الرقيقة الممزقة بعض التمزيق. واخيرا لاح ان العاصفة انطلقت نحو الجنوب الغربى منا بعد ان ناوءتها تيارات معاكسة عليا صفعتها من كل الجهات، ولم يصبنا منها الا جزء من زخة مطر شديدة استمرت ثلاث ساعات (من التاسعة حتى الثانية عشرة) ثم اعقبتها هبات ريح جنوبية شرقية قوية. اما البراغيث والبعوض، وذكراى لمتاعبى فى بغداد فقد حرمتنى لذة النوم حتى الصباح تقريبا حيث استسلمت اليه آنذاك.

٢٢ نيسان.

عندما نهضت فى الخامسة والنصف من صباح اليوم وجدت السماء قد ارتدت رداء رصاصيا غامقا، ينذر بيوم ممطر على وجه التأكيد فتخليت عن فكرة استئناف السفر. وقد بدأ المطر يتساقط فى جو بارد منذ السادسة والنصف تقريبا فاستمر طيلة النهار مما خيب آمالنا الخيبة كلها. ثم صحت السماء عند الغروب وهبت ريح جنوبية شرقية.

درجة الحرارة ٦٣ د فى السابعة ق. ظ، و٦٧ د فى الثالثة ب. ظ، و٦٢ د فى العاشرة ب. ظ.

٢٣ نيسان.

ليلة صافية بديعة، ونسيم عليل من الجنوب الشرقى. هبت عند الصباح ريح شمالية غربية، ولكن ما كادت تهب الا وتغلبت عليها ريح جنوبية شرقية اقوى.

امتطينا صهوات الجياد فى السادسة والربع، فشاهدنا تلال خرائب بالقرب من (جوبوق)، الا ان المجال لم يكن فسيحا لنا للتلبث ومعاينتها. واضطررنا الى العدول عن طريقنا والى التوجه نحو (ديالى) تجنبا من البرك التى كونتها مياه الامطار يوم امس. وكانت سلسلة جبال (زاغروس) الممتدة الى (طاووق) تؤلف الحدود النهائية لمجال رؤيتنا حالما تركنا قرية (جوبوق) الكائنة فى ارض منخفضة بعض الانخفاض.

وصلنا فى التاسعة الى (دەلى‌عباس) فوجدنا ان الخراب قد حل بالمنزل – الخان – (Post - House) تماما فهجر، فنصبنا خيمنا بين المنزل وبين

قنال (الخالص) حيث كان يوصل ضفتيه جسر ذو قوسين وقوس اضافى عند كل من رأسيه احتياطا لطوارىء الفيضان، وكان اتجاه مسيرنا العام شمالا. اما التختروان والامتعة فقد سارت فى السادسة والنصف فوصلتنا فى العاشرة. لقد اخبرنا القرويون بان الامطار هطلت عندهم مدة ثمانية ايام متوالية فغمرت الارض بتمامها. وفى ليلة الثلاثاء شوهد من هذه القرية سقوط ثلاث صواعق، او شهب تخر بسرعة متناهية من الغرب نحو تلول حمرين. وفى الحقيقة ان كثرة التفريغات الكهربائية كانت هائلة. ولم يسبق لى ان شاهدت برقا متواصلا، ساطعا طوال الايام منذ ان ساءت الاحوال الجوية. وما كدنا نصل مضربنا الا وهبت الرياح الشديدة من الجنوب ثم تبدلت الى الغرب الجنوبى عند المغيب. ودام البرق على شدته طوال الليل من الشمال الغربى الى الجنوب الغربى دون رعد. وكان الليل هادئا، والغيوم خفيفة.

الحرارة ٦٠ د فى السادسة ق. ظ، و٧٤ د فى الثالثة ب. ظ و٦٤ د فى العاشرة ب. ظ.

٢٤ نيسان.

لم نتمكن من طرق الممر المباشر فى تلال حمرين، اذ كانت جميع السبل بين التلول و (ده لى عباس) مغمورة بالمياه فى الغالب، وكان مستنقع (البو فرج) الملىء بالمياه عن يسارنا يمتد حتى (دلتاوه)، فانتهجنا ممرنا القديم الذى سرنا به فى رحلتنا السابقة. ركبنا فى الخامسة والنصف فخضنا البرك العديدة والاوحال الكثيرة نحو الممر فوصلناه فى السادسة والنصف، وهذا الخانق (القطع فى الجبل) الذى ذكرناه فيما مضى، فتحه جد فيض الله آغا (صديق لى فى بغداد) فى عهد عمر باشا، واسمه (صاقال طوتان) ومعناه القابض على اللحية. وفى السابعة والنصف اجتزنا الطريق الى (بارادان) وهنا يتفرع الى اليمين حيث يوصلنا الى القرية التى نقصدها، الا اننا علمنا انه امسى من الصعب جدا خوض (نارين) لارتفاع مياهه من جراء الامطار الهاطلة اخيرا. وفى الثامنة والربع اجتزنا الجبال فتركناها على يسارنا حتى وصلنا جسر (نارين) فى العاشرة والثلث. فرأينا ان مياه هذا النهر كانت قد ارتفعت الى ما

يقارب العشرة اقدام، ولكنها انخفضت ثانية انخفاضا كليا تقريبا. فشربنا القهوة هنا ثم استأنفنا السير فى الحادية عشرة، بمحاذاة النهر لا على الطريق المباشر تجنبا من اوحال عميقة لتربة نطرونية - نايتروس آزوتيه - تركناها عن يميننا.

وفى الواحدة الا ثلثا وصلنا الى (قەرەتەبە). اما التختروان فتحرك فى السادسة والتحق بنا فى الثانية والنصف. وسبب تأخره سيره من (نارين) باتجاه مستقيم موحل عوضا عن استدارته متجنبا الاوحال كما تجنبناها.

ففى الناحية الجنوبية من القرية وعلى اتصال بها، وبالقرب من مخيمنا، طنف مرتفع تعلوه مقبرة صغيرة، يسميه الاهلون (نماز قيلان تەبە) او تل المصلى، وهو المصلى الذى يأمونه للصلاة فى العيدين. صعدت الطنف لتسجيل بعض الاتجاهات بالقنباص (البوصلة) فلاحظت من فورى بان الطنف اصطناعى، الامر الذى جعل (آغا سيد)* ينقب فيه، وما شرع بالتنقيب الا وعثر على فخارة رميم وفيها بعض العظام وهى كالفخارات المعثور عليها فى (بابل) و (سلوقية - Seleucia) (٢) وعلى اثر استمرارنا فى التنقيب عثرنا على عدد آخر منها، الا انها كانت هشة لا يمكن اخراجها من الارض الا مهشمة. وكانت فتات الفخارات متناثرة على وجه الاديم، وسطح الطنف مليئا بها وانى اعتقد والحالة هذه بان هذا الطنف ما كان الادخمة (Dakhma) (٣) او مرقدا يلقى الفرس عبدة النار موتاهم عليه، ثم اصبح مدفنا، ومصلى للمسلمين. واخبرنى الاهلون بأنهم كانوا يعثرون فى هذا الطنف احيانا على بعض الحلى الفضة الصغيرة ولكن لم يكن لديهم نماذج منها. ويقع هذا الطنف فى اقصى القرية من الجنوب ويتراوح ارتفاع اعلى قمة منه بين ١٥ و ٢٠ قدما عن سطح الارض.

درجة الحرارة - ٦٠ د فى السادسة ق. ظ، و٧٤ د فى الثالثة ب. ظ و٦٤ د فى العاشرة ب. ظ.

(*) السكرتير الايرانى للمستر (ريچ).

٢٥ نيسان.

سرنا في الخامسة والنصف فوق تلول حصوية، تقع (قه‌ره ته‌به) على منحدرها الغربي وكان المنحدر وهو ضلع من التلول ذاتها بسيط الميل جداً، ينتهي عند واد صغير. ومن هذا الضلع يبدأ النزول بمنحدر طويل الى جسر (جمن) الذي وصلناه في السابعة والربع. وبعد اجتيازنا مسيلا عريضا في التاسعة والدقيقة العاشرة صباحا ترجلنا لشرب القهوة بعيد ارتقائنا مرتفعا بسيط الميل ايضا. وفي العاشرة والثلث استأنفنا المسير فوصلنا (كفري) في الحادية عشرة

وفي (كفري) لم نجد الضابط - رئيس القرية - وقد خرج لاستقبالي مع خمسة عشر خيالا عند المسيل، الا اننا اضعنا بعضنا البعض في شعاب منحدرات التلول، اما التختروان فسار في السادسة، والتحق بنا في الثانية عشرة. وكان عبور (كورده‌ره) او واديها صعبا شاقا. واستغربت الاستغراب كله من وجود جالية يهودية صغيرة وكنيس لها في (كفري). والناس هنا يأكلون بصلات نبات يجمعونها بكثرة من جميع الانحاء، وحجمها كحجم بصيلات الـ (Shallot) تسمى بالـ(جه‌زه‌دوم - Chezedum) وهي تؤكل بعد شيها قليلا وطعمها طعم الكستناء. *

درجة الحرارة ٨٢ د في الثالثة ب. ظ، و٦٤ د في العاشرة ب. ظ.

٢٦ نيسان.

خلال مسيرتي مساء البارحة، الى الجرف الواقع وراء (كفري)، سمعت صدفة بخرائب تدعى (قه‌ره اوغلان) فاتجهت اليها من فوري لمشاهدتها. وفي صباح اليوم رجعنا اليها ومعنا جماعة من القرويين يحملون المعاول والمجارف فمكثوا عندها مدة اربع ساعات يحفرون وينقبون حولنا، وفيما يلي وصف مختصر لتلك الخرائب :-

على بعد نصف ميل الى الجنوب الشرقي من (كفري) وفي قاع المسيل، معالم جدران واطئة او اسس جدران كشفت عنها الامطار التي هطلت اخيرا. وجدت في احد الجدران قطعة من الخافقي (معجون المرمر المطلي)

(*) تسمى في هذه الانحاء في يومنا هذا، بـ(جه‌ده‌نه). - المترجم

المنقوش. وكنت حريصا لاحفر كثيرا في هذه الخرائب لأقف على حقيقة الأثر وتاريخه. وبنتيجة الحفر كشفنا عن غرفة صغيرة، او بالاحرى عن بقاياها وهي جدار ارتفاعه اربعة اقدام تقريبا ومدخل. فالغرفة صغيرة لا تتجاوز سعتها الاثنى عشر قدما مربعا، والجدار مبنى من احجار جبسية غير منحوته - كاحجار قصر شيرين - مملوطة بالجبس، وقد نقش الملاط بمجاميع. واستخرجنا بعض القطع من الجبس وعليها نقوش ورود او نقوش عربية الطراز، وكان لون النقوش احمر براقا اما لون خطوطها الاساسية فأسود، ولون سطحها لون الجبس نفسه. وكانت هذه الالوان جميعها كأنها حديثة العهد نضرة. ولما كانت الجوانب خالية من اى اثر من النقوش، يخال الى بان تلك القطع انما هى من شظايا السقف. وعثرنا على بعض القطع من الفحم النباتى ايضا. وكشفنا عن هذه الغرفة وعن قسم من غرفة اخرى. ويظهر ان هذه تؤلف قسما من سلسة من حجرات تمتد قليلا الى غرب الجنوب الغربى والى شرق الشمال الشرقى، وقد ظهر ان هنالك اثرا لخمس او ست حجر منها وانها فى صف منفرد، وان الجانب الشمالى منها قد اسند بدعائم صغيرة مدورة.

والى شرقى ذلك، تحت التلول الكائنة على حافة المسيل (وقد تأكل الوجه الغربى منه) رابية مرتفعة وسيعة جدا، بهيئة مربعة استخرج العمال منها عددا من الفخارات وجاؤوا الى بقطع منها. وكانت من خزف خشن طلى داخلها بطلاء اسود تشبه ما عثر عليه فى (سلوقية) و (بابل) تمام الشبه. ولدى سراج خزفى صغير عثر عليه هنالك، وهو يشبه الاسرجة التى يستعملها القرويون فى هذه الايام.

وكثيرا ما يعثر على المسكوكات الذهب والفضة هنا، والقرويون يميعونها من فورهم. وانى لاشعر باسف شديد لعدم تمكنى من مشاهدة اية قطعة منها، ولو شاهدت واحدة منها لكونت فكرة افضل واعم عن ازمنة تلك الخرائب. هذا وان الجرار وفخارات الرميم تغرينى على ان انسبها الى عهد الساسانيين.

ويوجد على قمة هذه الرابية آثار ابنية، ومن قمة الرابية على طوار سفوحها حتى حضيضها ومن ثم حتى قبالة (كفرى) توجد آثار ابنية قديمة

ايضاً الكثير منها يحتوي على سهـاء ـ طوابق ارضيـة ـ (Basement) مربعة ـ كسهاء خرائب (قصر شيرين) و (حوش كەرەك) ـ وان لم تكن مرتفعة عن سطح الارض كثيراً. وسعة الخرائب هذه تقارب الميل طولا وربع الميل عرضاً. قمنـا بالحفر في امـاكن عديدة مـن هـذا المحل ولم نعثر على شيء. وهنالك ايضا آثار جدار عند الضفة الغربية من المسيل، وكذلك اذا عبرنا المسيل عبورا مائلا نحو (كفري)وجدنا انقاض ابنية صلبة ضخمة قوضتها السيول. ويظن القرويون انها بقايا سد انشيء عبر المسيل، الا انني اعتقد شخصيا انها انقاض سور المدينة. اما طرازه فيضاهي طراز الاقسام الاخرى من الخرائب شيد من حجر غير منحوت وبني بناء قويا بالنورة. فبقاياه الموجودة في وسط المسيل تظهر لنا بوضوح ان المسيل ما كان في مجراه الحالي عندما كانت المدينة قائمة. ويحتمل حقا ان السيول قد استغلت للزراعة حينذاك.

وينسب الاهلون تلك الآثار الى الـ (كاوور) (٤) او الكفار. ان اطلاعنا الناقص عن الامبراطورية الساسانية لا يمكننا في الحقيقة من ان نقول عن هذا المحل شيئاً. واني لا شك في ان تكون له اية صلة بحروب الرومانيين مع تلك الامبراطورية، تلك الحملة التي بها وحدها نتمكن من الوقوف على بعض الامور المتعلقة بهذا المحل.

وفي شمال الشمال الغربي من اعالي المسيل يوجد بعض آثار تنقيب في صخرة تسمى (بيوت الكفار). فذهب المستر (بەل‌لی‌نو) لرؤية البعض من تلك الآثار في التلول وهي على بعد ١٠ دقائق للراكب من اقصى الجنوب من الخرائب، فوجد بعض غرف مدافن كشف عنها ولها ابواب منخفضة جداً، وفي داخلها ثلاثة اماكن للجثث، ذات سعة صغيرة طولها خمسة اقدام تقريباً. ان اسس هذه الحفريات تشبه اسس مدافن الاخمنيين (Achæmenian) في (نقش رستم)، ولكن لا اثر عليها لاي كتابة او نقش. وتوجد الى مسافة ثلاثة اميال تقريبا مـن الخرائب وعـلى قمـة تل، آثـار بناء ينعته الاهـلون بـ (قيز قلعه سي) او حصن الفتاة، وجد فيه بعض الفخارات والعظام. وقد شاهد المستر (بەل لی نو) احدى الفخارات ايضاً. وليس في هذا المكان عدا

ذلك ما يستحق الذكر، وهو يقع تقريبا قبالة (اون ايكى امام) الائمة الاثنا عشر.

عند رجوعنا الى مضربنا، وجدنا رسولا من محمود باشا * بانتظارنا. وقد جاءنا مساء الامس مراسل منه يستفسر عن وصولنا، وليقف على الطريق التى نزمع سلوكها. وقد سافر كلاهما صباح اليوم قاصدين السليمانية، حيث سيرسل منها الباشا رائدا «مهماندار»، يستقبلنا فى (قه‌ره حسن)، وطريق (قه‌ره حسن) هو الذى استقر رأينا على سلوكه اخيرا لسهولة سير التختروان عليه.

وفى كفرى بعض النخيل، يقال ان التمر لا ينضج فيها بخلاف (طوز خورماتو). وخلال مكوثنا فى كفرى اهارت المياه جوانب عظيمة من الجروف.

درجة الحرارة – ٨٢ د فى الثالثة ب.ظ. والريح شمالية غربية.

٢٧ نيسان.

ركبنا صباح اليوم لمشاهدة خرائب (اسكى كفرى) الواقعة فى الجنوب الغربى من (كفرى)، وعلى مسافة ساعتين فى السهل. كنت اظن على الدوام ان خرائب (اسكى كفرى) هى فى الحقيقة المحل الذى كانت مدينة (كفرى) قائمة فيه فيما مضى، ولكننى وجدت الآن ان (كفرى) كانت ولا تزال فى مكانها الراهن، وان هذه الخرائب انما هى تراث ازمنة الكاوور. ومررنا ونحن فى طريقنا نحو هذه الخرائب بالكثير من الطواحين وهى كابراج صغيرة فى وسط جنائن كفرى، تديرها سواق اصطناعية صغيرة.

وتقوم على مقربة من (اسكى كفرى) رابية اصطناعية جسيمة، كرابية (مجيليبه)، ** وهى ذات سفوح شاقولية تقريبا الا حيث التآكلات العميقة او الاخاديد التى احدثتها الامطار. واكتشف اخيرا فى احد هذه الاخاديد

(*) باشا السليمانية.

(**) احدى خرائب (بابل) راجع الصفحة ٢٨ من «مذكرات فى خرائب بابل» بقلم كلوديوس بجيمس ريچ.

قبو صغير مشيد بالطابوق الخشن الشواء فيه فخارات رميم عديدة عثروا فى بعضها على مسكوكات ذهب لم اوفق فى الحصول على واحدة منها. وقد انطمر القبو تقريبا بانهيار الاتربة او الاركام التى تتألف منها الرابية. وطول هذه الرابية من الشمال الى الجنوب تسعمائة وستون قدما، اما عرضها من الشرق الى الغرب فأقل من ذلك بقليل، وارتفاعها سبعة وخمسون قدما. وهذه الابعاد وان كانت تقريبية، فباستطاعتنا اعتبارها مقاربة للحقيقة، وقد قاسها النجار وساعده فى ذلك آغا سيد. واننى ذهبت فى خلال المسح للاستراحة فى ظل اخدود احدثته الامطار، اذ كانت الريح جنوبية شرقية والجو شديد الحرارة. وقد نلت قسطا من الراحة، فنسيت اتعابى واستعدت قواى. وفى الواقع ان هذا الاخدود كان احسن الاماكن التى يمكن البحث فيها عن الآثار القديمة، كونه ما زال اخدودا حديثا فتحته الامطار أخيرا. فحفرنا عنده وعثرنا على الكثير من العظام البشرية الصغيرة وعلى قطع من فخارات الرميم وكلها مطلية من الداخل بطلاء اسود. ولكن الخزف كان يختلف عما سبق لنا وصفه، فالبعض منه خشن لا نقوش عليه، والبعض الآخر من نوع دقيق جميل، والاجمل من كل هذه اخزاف عليها رسوم غزلان وابقار فى مجاميع دائرية صغيرة، وحملنا معنا كل ما عثرنا عليه منها. وقد بذلنا ما فى طاقتنا لاستخراج فخارة صحيحة لكننا لم نفلح، وان كان ذلك ما يعثر عليه فى الاغلب وعلى الاخص عندما تجرف مياه الامطار الشديدة التراب من عليها. امرت الجماعة ان تستمر على الحفر فى جميع الانحاء ولكنهم لم يعوضوا عن اتعابهم الا بما عثروا عليه من بعض الشظايا المعدنية المصدأة، وبعض قطع نحاس وزجاج وخرزة بلورية صغيرة. هذا وقد اتخذت التدابير للحصول على فخارة رميم سالمة.

وكلما تعمقنا فى حفر هذا الاخدود كشفنا عن تربة سوداء عفنة جدا، وانقاض اكواز وشظايا عظام صغيرة. وفى وسط الرابية مقبرة عربية صغيرة. وهكذا نرى الان ان رميم المسلم يختلط برميم الفارسى عابد النار. هذا ولا ارى الا ان هذه الرابية كانت رابية ساسانية خصصت لالقاء جثث الموتى عليها، ولا شك لى فى ذلك من حيث مظهرها وطبيعتها، وشكل الشظايا التى عثرنا عليهافيها.

تمتد الى الشمال والى الغرب من هذه الرابية، اركام خرائب صغيرة، تظهر ان المكان هذا كان واسعا رحبا. وتوجد فى الغرب ربوة اكبر من الروابى الاخرى تدعى (آش طوقان). وعند رجوعنا الى مضربنا، وبعد مسير ربع ساعة للراكب، وصلنا الى بعض بقايا سور صغير ربما كان سور المدينة نفسها، وان كان القرويون يعتقدون بأنه بقايا سد اقيم لدرء الفيضان من مسيل (كفرى)، ولم يبق منه الا قسم لا يتجاوز ارتفاعه بضع اقدام، وطوله ثلثمائة يردة، وهو مشيد من احجار كروية ذات تجاويف صغيرة فى القسم الخارجى منها. والارض من الطرف الداخلى من الجدار باتجاه الخرائب اعلى مما هى عليه فى الشمال او فى الطرف الخارجى منه وهى تشبه دكة او مصطبة ادعمت بهذا الحائط. ولا اشك فى ان الحائط ذاته يعود تاريخه الى عهد آثار (قصر شيرين) و (حوش كه‌ره‌ك). والى مسافة ابعد نحو الشمال وباتجاه (كفرى) الى ما وراء الحائط، لا نجد اثرا للخرائب. لقد بارحنا (اسكى كفرى) فى الساعة العاشرة والربع، ووصلنا (كفرى) قبل الثانية عشرة بعشر دقائق.

كنت قد اوعزت بجلب اية قطعة من المسكوكات او العاديات الاخرى التى يعثر عليها عند القرويين. وقد جاءنى (روبين) فى هذا اليوم بثلاث قطع من المسكوكات وبقطعة حجر منحوت حصل عليها من اصدقائه اليهود، الا انها كانت بعيدة كل البعد عن ان تلقى ضوءا على تاريخ الخرائب المجاورة وكأنها صنعت خصيصا لتحير الانسان وتزيد غموضه فى الامر، وكانت احدى المسكوكات ارساسية (Arsacian) والثانية ساسانية والثالثة كوفية. اما الحجر المنحوت فكان نوطا يمثل ظفرا رومانيا. وهكذا اتيح لى اخيرا الحصول على عادية ساسانية لطيفة جدا، عليها بعض الكتابة. وفى مكان اسمه (اون ايكى امام) الائمة الاثنا عشر والذى يبعد عن كفرى اربعة عشر ميلا تقريبا ربوة اخرى من الروابى العديدة فى هذه الربوع، والظاهر ان عهدها يرجع الى عهد الخرائب الساسانية، المبعثرة فى تلك الاماكن تبعثرا واسعا. وقبالة اون ايكى امام، فى سلسلة التلول الجبسية، نجد منابع النفط. وقد اكتشف منبع صغير قبل عام فى تلك التلول على مسيرة بضعة دقائق غربى

(كفرى). اما القروى الذى اكتشفه فقد اعتقلته الحكومة التركية وجلدته جلدا مبرحا لحمله على الاعتراف فيما اذا باع نفطا من المنبع قبل الاعلان عن اكتشافه. وبنتيجة التعذيب الذى لاقاه من جراء اكتشافه المشؤوم هذا اضطر على الهجرة وبيته الى ايران، حيث استوطن مرتاحا كما يدعى. ومن الصدف انه كان فى كفرى وانا فيها، لقضاء اعمال له وقد قص على القصة بذاته فقال «ان الله لم يهنيء الاتراك بالنفط لظلمهم، اذ ان المنبع الذى كان فياضا جدا عند اكتشافى له، نشف عندما جلدت، اما الان فلا تنبع منه الا بضع قطرات لا شأن لها».

درجة الحرارة ٨١ د فى الثالثة ب. ظ، و٦٦ د فى العاشرة ب. ظ رياح خفيفة متقلبة، ومطر قليل من الغرب ليلا، وبرق فى الشرق.

٢٨ نيسان.

ركبنا جيادنا صباحا فى السادسة الا ثلث، وقد حضر الضابط معنا واصر على مرافقتى الى مسافة من الطريق. وطريقنا على سلسلة تلول حصوية تتشعب من تلال (كفرى) وتتصل بالتلال التى اجتزناها قبل بضعة ايام، ولا يقاطع طريقنا الا مسيل (كفرى) ذلك المسيل الذى شق لنفسه طريقا فى وادى (جمن) الذى مررنا به بطريقنا الى (اسكى كفرى) * وفى السابعة اجتزنا التلول، فوطأنا سهل البيات وهو سهل ينحدر انحدارا تدريجيا من تلال (كفرى) الى (جمن)، وكان سهلا كثير الزرع فى هذه النواحى. وفى السابعة والربع مررنا بشعب يسيل فيه جدول صغير من مياه الامطار. وفى الثامنة والثلث وصلنا الى (قورو جاى) وهو مسيل واسع لم يبق فيه الا القليل من مياه الامطار، ولكنها قد ملأته قبل بضعة ايام حتى انها طغت على السهل، كما لاحظنا من الآثار التى تركها الفيضان. وكان هنا مضرب للتركمان البيات، فجاء رئيس العشيرة حسن او كما ينعت احيانا بـ «قەره قوش بك»، يدعونى لتناول الطعام معه، وكان رجلا نضر المحيا، وسيم الطلعة ذا لحية لطيفة

(*) وعلى الطريقة ذاتها، تتفرغ تلال حصوية فرعية من جبل حمرين فوق (قەره ته په) ومن سلسلة (زەنك آباد).

بيضاء، وذا ذكاء مفرط، وطلاقة لسان، وسلوك حسن كأنه وليد حياة قضاها كلها فى بلاط شرقى. وقد اخبرنى بأن البيات انما حازوا على المنطقة عطية من السلطان ولم يدفعوا مالا عنها الى الحكومة العثمانية، الا انهم لقاء ذلك مكلفون بالخدمة العسكرية فى الوقت الحاضر الى باشا بغداد عندما يقوم بحركات يقودها شخصيا فى الميدان. واخبرنى ايضا بأن نادر شاه عندما غزا واحتل المنطقة ارجع البياتيين الى احضان عشيرة البيات الكبرى فى (خراسان)، وان معظم ما تبقى منهم الآن هم من عائلة الرئيس ذاته. غير انه اضاف قائلا وبالرغم من ذلك فاذا مست الضرورة فبوسعهم جمع الف فارس. ويوجد فى حمى البيات البعض من العرب، والعشائر الكسيحة، اما خيولهم فكريمة. وكان رئيس العشيرة على علم تام بوجود عشيرة البيات الكبرى فى خراسان ولكنه لم يتمكن من اعلامى بتاريخ نزوح افخاذ العشيرة الى هذه البلاد للمرة الاولى. وفى الحقيقة ان العرب احسن المؤرخين، واحسن رواة الانساب فى الشرق.

استأذنت البك وانا مسرور جدا من مقابلته ومحادثته، وامتطينا جيادنا ثانية فى التاسعة فمررنا بمزارع كثيرة اغلبها حقول شعير، وقد نضج البعض منه، والفلاحون منهمكون بحصده. وجاءنى الحصادون ببعض السنابل فالقوها على الطريق امام جوادى وهم يصرخون «سحقا لاعدائكم هكذا..» متوقعين بضع دريهمات لقاء ذلك، وفى الشرق ينتهز كل حادث لاستدرار العطايا او الهدايا.

وفى التاسعة والنصف وصلنا الى (قيزيل خرابة) ـ الخرابة الحمراء ـ وهى على الطريق. وكانت الروابى او الطنوف ظاهرة، منتشرة انتشارا يمتد باتجاه حمرين وهو عن يسارنا، حيث شاهدنا هناك ربوة كبيرة جدا كربوة (اسكى كفرى)، وقد قيل لنا انها من آثار الكاوور، ومن المحتمل جدا انها ساسانية، الا اننى لا الزم نفسى بهذا الادعاء واؤكده كما كان الامر فى اسكى كفرى.

وبعد برهة قليلة مررنا بخرابة اخرى، والظاهر انها متصلة بالمدينة التى تؤلف (قيزيل خرابة) قسما منها. وفى الحادية عشرة الا ربعا مررنا بقرية

بباتية كبيرة هجرها اهلوها الان، اذ انهم يضربون فى هذا الموسم المضارب فى السهل تخلصا من البراغيث، وسهرا على الغلال؛ وقد شاهدنا الكثير من هذه المضارب فى جميع الانحاء.

وفى الحادية عشرة والدقيقة العاشرة مررنا بقرية اخرى كبيرة، وقد غابت الان عن انظارنا جبال حمرين التى كانت عن يسارنا طيلة مسير النهار لانعطافها نحو الغرب اكثر فاكثر. وبانت لنا (طوزخورماتو) واتجاهها ٢٠ د الى الشمال الغربى. وقبل وصولنا اليها بربع ساعة اجتزنا مسيلا عريضا جدا، وارتفاع المياه الجارية فيه الان يصل الى الركاب وعرضها بضع ياردات فقط، اما فى الخريف فيقل عن ذلك. وقد فاض المسيل من جراء الامطار الغزيرة وهو يسمى بـ (آق صو) وينحدر من (ابراهيم خانجى).

ورأينا عن يسارنا وعلى مسافة ساعتين قرية (يه‌نى‌جه)، وهى تقع على طريق البريد الحالى من بغداد الى (طاووق).

وفى الثانية والنصف، بعد ان عبرنا المسيل نصبت شمسيتى * لأستظل بها وارسلت عريفا الى المدينة ليهىء لى (السراى)** وليعلن قدومى. وبعد مدة وجيزة جاءنى الحاكم ووكيل عمر بك وهو المتصرف بالمدينة تصرفا تيماريا × ورثه عن ابيه، فامتطينا جيادنا ومررنا ببساتين النخيل والبرتقال والليمون والتين والمشمش والرمان والزيتون وهى تكتنف المدينة بكاملها،

(*) الشمسية. الواقية من الشمس، خيمة صغيرة خفيفة يمكن نصبها وتقويضها بسرعة. ويحملها الاتراك عادة سواء فى خروجهم الى الصيد او فى تجولاتهم كلما بعدوا عن بيوتهم، فكلما ارادوا الوقوف والراحة ــ وذلك ما يعملونه عادة فى اوسط النهار لشرب القهوة ــ نصبوا الشمسية.

ملحوظة : فى هذه الحاشية التباس. كانت الشمسية واستعمالها مألوفين فى الغرب والشرق. وقد اطلق تعبير (الشمسية) عليها فى الشرق سواء وقتنا من الشمس او المطر. وارى ان الشمسية الوارد وصفها فى النص هى ما تشبه المظلة التى تنصب فى الجنائن وعلى سواحل البحار فى ايامنا هذه ــ المترجم.

(**) او القصر. كانت طوز خورماتو ملك عمر بك، وهو بغدادى. وقد ابدى الرغبة لتهيئة داره لضيافة الميستر ريج وعائلته فيها.

(×) التيمار : هى الاراضى الاميرية التى تمنح الى البعض ليستغلوا عشر غلتها لقاء ما يجندونه من الجنود المعين عددهم وسوقهم الى الحروب عند الطلب. المترجم.

ثم اسكنونا دار عمر بك المريحة، وكانت دارا فخمة بالنسبة الى مسكن ريفي في بغداد؛ اما سائر المدينة فكان كلها من الطوف، وسكانها اتراك اغلبهم من الاسماعيلية او «جراغ سونديره‌ن»* امطرت السماء بردا في (طوزخورماتو) ليلة السبت، فالحقت خسائر فادحة بالبساتين، وقد وصفوا البرد وصفا قالوا فيه ان حجم الواحدة منه كان كبيرا جدا. ويظهر لي ان ليلة سقوط البرد هي الليلة التي ازعجتنا في (جوبوق). وتقع (طوزخورماتو) بالقرب من تلول (كفري)، وهي الى غرب الممر الذي يشق تلك التلول تماما والذي يسيل منه (آق‌صو) الى السهل. ففي هذا الممر يوجد بئر نفط ومملحة، والى مسافة اخرى جنوبا في التلال، يوجد منبع نفط اخر، ولا مملحة.

التحق بنا التختروان بعد نصف ساعة من وصولنا، وكانت ساعة حركته السادسة. وكانت مسيرتنا هذا اليوم اطول مما يجب ان تكون بكثير لو اننا اتبعنا الطريق المستقيم المار بمحاذاة التلول، الا ان الـ (اودا باشي) ـ مدير المخيم ـ اراد ان ينهي مرحلتنا عند البيات، وان يجعل من الطريق مرحلتين سهلتين، غير انني عند وصولي الى البيات خطر لي ان من الافضل الاسراع للاستفادة من جودة النهار.

٢٩ نيسان.

نهضت صباح اليوم مندفعا لمشاهدة تحف الضواحي، فالحفرة النفطية تقع في ممر التلال، وهي الى الجنوب الشرقي من المدينة بمسافة ميل واحد تقريبا، ولوقوعها في وسط المسيل تطغى مياهه عليها احيانا فتتعطل زمنا كما حدث في الصيف الماضي. وعمق الحفرة ١٥ قدما تقريبا، وفيها عشرة اقدام

(*) «جراغ سونديره‌ن» اي مطفئو الاسرجة. هؤلاء اناس منتشرون في اصقاع تركيا وعلى ما اعتقد في اصقاع ايران ايضا. ومراسيمهم الدينية او معتقداتهم معلومة قليلا او بالاحرى مجهولة: وكل الذي نعلمه عنهم انهم غير مسلمين، الا انهم قد اخذوا منهم اسماء مختلفة على اختلاف الاماكن. وهم خجلون جدا، سكوت، وذلك عن خوف. وقد يكون خوفهم هذا ناشئا من حذرهم من ايقاظ روح الاضطهاد الفعلي في اسيادهم ـ الناشرة. (هذا ما جاء في الحاشية نثبته دون تعليق ـ المترجم).

من الماء يطفو على سطحه مائع النفط الاسود تعلوه فقاقيع صغيرة على الدوام، والناس يدلون منه المائع من قعره فيقشطون النفط من اعلاه ويسكبون ماءه في ساقية تصبه في مجموعة احواض صغيرة مستطيلة حفرت بين الحصى، ويتركونه هنالك الى ان يتبلور الى ملح جيد ذي حبات ناعمة بيضاء لامعة لا مرارة فيها. وتصدر كميات وفيرة من هذا الملح الى كردستان، ويقدر وارده السنوي بعشرين الف قرش توزع على افراد عائلة المرحوم الدفتردار*. اما النفط فملك القرية، ويصرف قسم منه على المنزل ـ الخان ـ او يباع لاعالة المنزل بوارده ويخصص قسم اخر منه للمعاهد الدينية وغيرها. ومقدار الاستخراج اليومي من النفط من هذه الحفرة جرتان تقريبا سعة كل منها ست حقات** او «بطمان» بغدادي واحد. واما منبع النفط فهو في قعر الحفرة او البئر حيث يشترك القرويون باجمعهم في تنظيفه مرة في السنة، فتوزع الاطعمة على الفقراء وتذبح القرابين، وتدق الطبول وينفخ في المزامير، وكل ذلك لضمان طفوح المنبع بوفرة. ومن الجائز جدا ان هذه مراسيم انتقلت اليهم من الازمنة الغابرة. ومنابع النفط الرئيسية هي في التلال، الى جنوبي هذه الحفرة بمسافة بعيدة باتجاه (كفري)، ويتراوح عددها بين الخمسة او الستة منابع، وهي اغزر انتاجا من هذه البئر، ولم يعثر على الملح هناك. ومن المحتمل ان يعثر على النفط في معظم انحاء هذه السلسلة تقريبا. ويوجد بالقرب من حفرة النفط في التلال، الشب او الزاغ وكذلك الطباشير، وكل هذه من الانواع ذات الذرات البيضاء الدقيقة والمتماسكة؛ الا ان الاهلين لا يستفيدون من هذه الموارد الطبيعية. وقد عثروا على تربة صاروا يستغلونها لتحميض بعض الصنوف من طعامهم، ولا شك انها حامضة زاجية. ويوجد الكبريت ايضا. والقرويون يستعملونه لمداواة الجرب او الحكة التي تصيبهم او تصيب انعامهم.

ولانتقل الان الى وصف الممر ذاته. فهو يمتد الى الشرق والغرب

(*) مأمور خزينة الباب العالي، وهو والد عمر بك.

(**) الحقة تساوي الباينتين ونصف الباينت من المكاييل الانكليزية (اي ٥٦٨، من الليتر الواحد).

ويشبه ممر (كفرى) فى هيئته ومظهره، وان كان بمقياس اوسع. والى الجانب الغربى من التل الذى يقابل السهـل نجد الطبقـات الارضية افقية متوازية، اما فى الجانب الشمالى من الممر فانها مائلة نحو الاسفل بزاوية ٤٥ درجة، وهي مقوسة او محدبة نوعا ما. والتلال فى الطرف الجنوبى ترابية اكثر، وقد خددتها الامطار وفتتها تاركة فى قسم منها بعض الاعمدة منعزلة. ويمكن لنا القول فى الحقيقة بان حفرة البئر واقعة فى هذه الردم على حافة قاع المسيل، والجبس ظاهر فى كل ناحية، والتلال فى الطرف الشمالى متكونة من حجر رملى، وتحت كل هذه الاتربة والاحجار الرملية ــ كما شاهدت ذلك فى طاق او مقلع فى اسفل الجرف ــ الواح من الصلصال (Clay Slate) او صلصال متحجر ازرق. اما المياه فتنصب جميعها فى الاتجاه الشمالى مــن الممر حيث شقت التـلول فجعلت منهـا وهدة او جرفا. ويوجد على اعلى الجرف انقاض سور حصن قديم يصعب معرفة تاريخـه، وقـد يكون ساسانيا. وفى حضيض الجرف غور صغير فى صخرة يحوى نفطا، وقد عقد على الغور طاق بكتل احجار جبسية مربعة كبيرة، والظاهر ان هذا البناء قديم العهد جـدا. وفاتنى ان اذكر وجود جـذع خشب فوق سطح الماء فى بئر النفط الكبير، وقد ثبت من طرفيه بجانبى البئر، ويقال ان هذا الجذع قديم، كقدم عهد الكاوور، وانما دام بفضل النفط وكرامته. وينسب الناس ايضا الحصن الى الكاوور. * وفى الارض فوق حضيض تل الحصن بالقرب من حفرة النفط الصغيرة شاهدت الكثير من البقع الصفراء اللامعة، تنتشر منها رائحة كبريت قوية. والاهلون يعتقدون بأن الجرف هذا هو حامى مدينة (طوز خورماتو) العتيد، وهميدعون بانه يدرء السيول عن المدينة. وعلى قمة التلال فى الجانب الشمالى من الممر مقام صغير، يطل على السهل، اشارة الى قصة خرافية وقعت هناك، وتنسب الى الامام على. فانهم يقولون ان مصباحا يضىء من تلقاء نفسه فى عشية كل جمعة فى ذلك المرقد. وقد تكون هذه مثل ظاهرة

(*) ان اصل كلمة (كاوور) «كهبر»، او عابد النار. وهى الان مترادفة الى كلمة (كافر) وتطلق على الذين سبقوا المسلمين فى العهد وعلى الاوربيين كذلك.

(بابا كور كور)* الطبيعة. وبعد انتهائنا من مشاهدتنا حفر النفط تجولنا حول المدينة عن طريق الناحية الغربية من المسيل لمشاهدة بعض الخرائب، الا اننا لم نجد ما يستحق الملاحظة الا قليلا. ومررنا بلفيف من القرويين المنشغلين فى كرخ القنال، وهم يشتغلون على دق الطبل واصوات المزمار والنقارة، والحصادين يحصدون بعض المزارع. ورأينا غربى المدينة بعض روابى الردم التى لا تميزها ميزة عن غيرها وقد تكون قديمة بسبب وجود بعض العاديات فيها على ما يقال، غير اننى لم اتمكن من العثور على اى واحدة منها حتى الآن. وقد رأينا على دكة بناء مربعة صغيرة دعامة من البناء قائمة ـ مبنية بناء خشنا ـ والظاهر انها لم تكن قديمة جدا. والى الشمال قليلا منها، رأينا ست دعامات اخرى، وكلها تؤلف قسما من بناء مستطيل، وهو باتجاه شرقى غربى. ويظهر ان البناء كان مؤلفا من عمارة وجناحين او شرفتين. وتقع باب العمارة الى الغرب، يقابلها فى شرقى العمارة مخرج او فتحة كلا جانبيها يسند بمسند او ركيزة نصف دائرية، وكلها معقودة، اما طرز البناء فخشن جدا. واظن ان هذه العمارة كانت كنيسة وهى تشبه خرائب الكنائس الكلدانية او السريانية التى شاهدتها شبها عظيما. والروابى مبعثرة على الارض الى مسافة بعيدة الامر الذى يدل على ان هذا الموقع كان فى الازمنة القديمة موقعا له اهميته. ومن الرابية الرئيسة كانت جبال حمرين تظهر للعيان فى الافق الغربى، ويقال ان بعدها تسع ساعات تقريبا. ومن هنا يمكن لنا ان نرى بوضوح حيدان سلسلة (قەرە تەبە)، او (زەنك آباد) من جبال حمرين بأتجاه شرقى اكثر.

ويقال ان الحصن الخرب او السور على التل فى المضيق كان يمتد عابرا المضيق نفسه، حيث حصر النهر فى مجرى ملائم شيد فوقه جسر. والظاهر ان هذا محتمل، اذ ان كلا من السور والجرف ينتهى فجأة فى مكان واحد،

(*) (بابا كوركور) كلمة تطلق على محل يبعد عن كركوك ثلاثة اميال، تتعالى منه لهب نفطية بيضاء من اماكن عديدة فى بقعة صغيرة مستديرة. ويكاد ان يكون من المحقق ما ذهب اليه (دانفيل) بان هذا المحل هو كوركورا بطليموس. راجع كتاب (دانفيل) المعنون «الفرات ودجلة» الصفحة ١٠٨ من الطبعة الرابعة.

كانهما يمتدان الى مسافة ابعد الى جانب المسيل. ويقال ان رجلا مات اخيرا عن عمر ١٢٠ سنة قال انه يتذكر بان الجرف والجدار كانا يمتدان الى مسافة ابعد مما هما عليه الآن عبر المسيل، وان المسيل كان محصورا فى قنال اضيق، وقال انه سمع هذه الرواية من شيوخ طاعنين فى السن. ومن المحتمل ان يكون ذلك حاجزا - دربند - لوقاية البلاد من غارات الاكراد الذين لا بد وانهم كانوا فى جميع العهود جيرانا مقلقين. وهذا هو احد الممرات التى تؤدى الى كردستان، ويتفرع منه طريق يصل الى (ابراهيم خانجى) وهو وعر، اذ يمر طوال الوقت على سلاسل تلال صغيرة. ان المسافة بين (طوز خورماتو) و (ابراهيم خانجى) تسع ساعات، ومن (كفرى) الى (ابراهيم خانجى) تسع ساعات ايضا، والطريق مستو وجيد.

وعقب وصولنا بقليل جاءنا محمد آغا، وهو «ايشيق آغاسى» محمود باشا اى رئيس التشريفات وقد عينه لمرافقتنا فى ضيافته رائدا (مهماندار) وكان يحمل الى رسائل ظريفة من محمود باشا تفيض رقة.

ويوجد فى (طوز خورماتو) منزل - دار استراحة - يحتوى على ثمانين جوادا.

درجة الحرارة ٦٤ د فى السادسة ق. ظ. و ٧٠ د فى الثانية عشرة و ٦٦ د فى الثالثة ب. ظ.

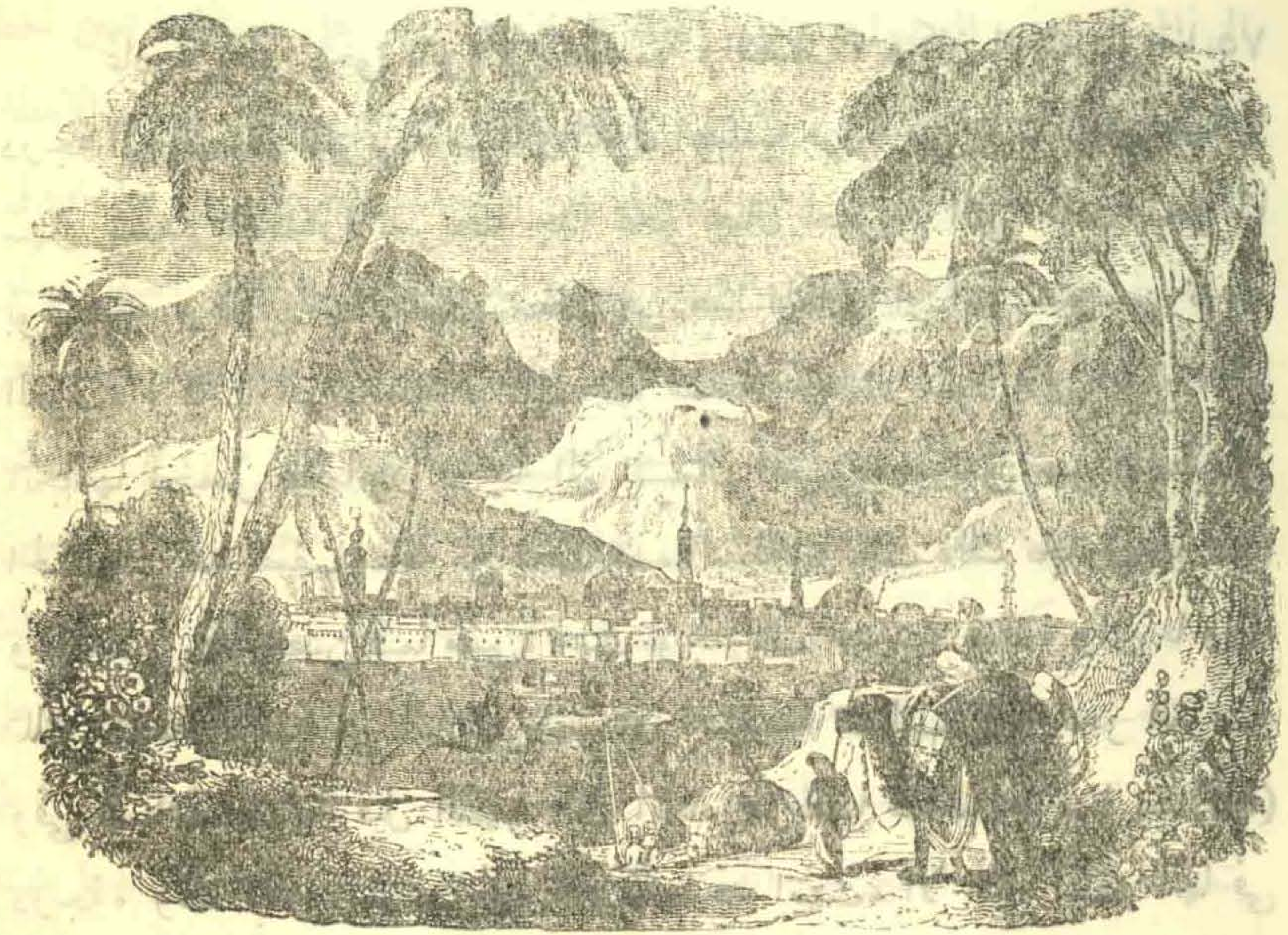
الريح جنوبية شرقية، وهبوبها شديد، رافقتها الأمطار بعد الظهر.

٣٠ نيسان.

شعرت بتوعك كثير اقعدنى عن التجوال. ولكننى جمعت المعلومات التالية :- ان نهر (آق صو) او (خورماتو) ينبع في (على ده للو)فى (قره داغ) من (كردستان)، مارا بـ (ابراهيم خانجى) موافيا (طوزخورماتو). ولكل من الطواحين فى هذه البلاد برج صغير مشيد من الطوف يؤلف جزءا منها، كى يقيم فيها حارس لمراقبة اللصوص، لان كل الاماكن فى الحدود الكردية عرضة لغارات شقاة ذلك القوم. وتقدر نفوس (طوز خورماتو) بخمسة الاف تقريبا.

درجة الحرارة — ٦٢ د فى السابعة ق• ظ، و ٧١ د فى الثالثة ب• ظ• و٦٦ د فى العاشرة ب• ظ• الريح شمالية فى الصباح، وفى الثانية ب• ظ هبت عاصفة خفيفة من الغرب مع مطر قليل• برق ساطع ليلا، بدأ من الغرب وانتقل الى الجنوب•

لم يمر علينا يوم دون برق منذ ان تركنا بغداد•



مدينة كفرى المسورة

تحت سفوح سلسلة من التلال

اضاف المترجم هذه الصورة الى الكتاب نقلا عن المجلد الثانى من كتاب «رحلات فى ما بين النهرين» لمؤلفه الرحالة جهى، أس، بوكينكهام المطبوع عام ١٨٢٧ فى لندن•

«الفصل الثانى»

مغادرة طوز خورماتو ـ وادى ليلان ـ مخيم يوسف آغا ـ ضيافته ـ الدخول الى كردستان ـ الزرع ومظهر البلاد ـ هدايا مؤن من باشا السليمانية ـ الوصول الى مضربنا قبل السليمانية ـ زيارة الباشا ـ امجاد الاكراد.

* * *

١ ايار.

غادرنا (طوز خورماتو) فى الخامسة والنصف. وكان اتجاه طريقنا ٧٥ درجة الى الشمال الغربى. سرنا والتلول الجبسية قريبة من يميننا، وعن يسارنا سهل ينحدر انحدارا تدريجيا جدا نحو جبال حمرين التى كانت تبدو لنا بوضوح. ويظهر انها كانت تنعطف فى هذا المكان، او انها تدنو من ناحية الغرب، وكانت اقرب النقاط الينا منها مسننة كجدار سور ذى ابراج، اما اتجاهها فخمس وثمانون درجة الى الشمال الغربى. ويشق نهر (العظيم)* الجبال على بعد نصف ساعة من تحت هذه النقطة، وتحت ذلك نجد (دهميرقبو) وهو مضيق قد حصن فيما مضى، حيث توجد باب حديدية هناك. والى ما وراء تلك النقطة المسننة فى التلال يظهر ان السلسلة تنعطف ثانية نحو الغرب. وفى الساعة السابعة قبل الظهر كان اتجاه طريقنا شماليا غربيا بـ (٤٥) درجة. وهنا تبدو التلول الجبسية وكأنها قد انتهت، الا اننى اعتقد انها فى الحقيقة لم تنته، بل الاحرى اصبحت سلسلة تلال حصوية منخفضة تميل نحو الغرب، تظهر فيها الاحجار الرملية هنا وهناك. واصبح طريقنا بمحاذاة التلال الحصوية وهى عن يميننا. وفى الثامنة الا ثلثا لاحت مآذن (طاووق) لابصارنا. ذهبت الى تل صغير ـ وهو احد تلال السلسلة الفرعية الحصوية ـ على يمين الطريق مباشرة ومن هنا اتيحت لى فرصة جيدة لرؤية (طاووق) و (طوز خورماتو) فى آن واحد، فى النهايتين الشمالية والجنوبية من الافق. وكانت (طاووق) على ١٥ درجة شمالية غربية و (طوز خورماتو) على ١٥

(*) العظيم هو الجدول الرئيسى الذى تنصب فيه مياه (كركوك) و (طاووق) و (طوز خورماتو).

درجة جنوبية شرقية. ومن هنا ايضا ظهر لى ان السلسلة الجبسية تنتهى حالا فى اقصاها الشمالى اذ يتشعب من حافتها الغربية خط التلال الحصوية الذى كنا نسير بمحاذاته ساعة كاملة، والخط يتجه نحو الشرق. اما الساحة الوسطى فتؤلف حوضا مليئا بالردم، او التلول الحصوية وقد خددتها او جزأتها الى تلال صغيرة، مجارى مياه الامطار او سيولها التى تجمعت بدورها فكونت المسيلات. وعلى بعد بضعة ياردات يوجد كهريز وهو أول ما شاهدناه فى هذا الطريق. والكهريز قناة تحت الارض لاسالة مياه منبع فى التلال الى المزارع فى السهول، وتمر القناة بآبار او حفر على مسافات تعين خط القنال. وعلى مسيرة عشر دقائق اخرى مسيل عريض امتلأ بمياه الامطار التى هطلت بغتة بغزارة، وهذا المسيل فى منتصف الطريق بين (طاووق) و (طوز خورماتو). وعلى مسافة غير بعيدة منه نجد مسيلا آخر اصغر مملوء بالمياه الصافية. ولقد اصبح طريقنا الان متموجا تموجا خفيفا. ووصلنا فى العاشرة الى (طاووق جاى) العظيم الجريان، الذى ينبع من كردستان، ويستحيل هذا النهر عنه مزوره على يمين طريقنا المقرر مجتازا (قهره حسن) الى جداول كثيرة فيروى مزارع قرى عديدة، كلما اقتضت الحاجة. وتستهلك اكثر مياهه فى الصيف للزراعة. وفى الخريف لا يزيد هنا عمق الماء على القدم، او القدم ونصف القدم. ولا يقتصر ماؤه على ارواء هذه القرية بل يتعداها الى ارواء الكثير من القرى الواقعة فى غربها وشمالها. وعندما يشتد هطول الامطار فى موسمى الشتاء والربيع يصبح جدولا هائلا جدا، فيمتلىء مجراه الذى يقارب نصف الميل فى عرضه فيسيل سيلا مخيفا مكتسحا الصخور الكبيرة، وحافرا فى قاعه الحفر والفجوات التى تجعل عبوره او خوضه محفوفا بالاخطار دوما، او غير ممكن اطلاقا. وقد ترتفع مياهه ارتفاعا فجائيا. وعلمنا بان مياهه كثيرا ما فاجأت الناس وهم فى وسط مجراه اثناء عبورهم، فغرقوا او انهم انتشلوا بصعوبة. وقد ارتفعت مياه (طاووق جاى) فى الايام الاخيرة ارتفاعا عظيما جدا، على اثر سقوط مطر شديد، وقد شوهد عدد من الغرقى واشلاء الحيوانات طافية على سطحه؟ وهذا ما حدث ايضا فى ايام الامطار الغزيرة الخارقة للعادة، والتى هطلت فى الصيف الماضى.

اما الآن فقد وجدناه سهل العبور جداً. وقد استقبلنا الضابط وبصحبته خمسون رجلا تقريبا (بطبولهم ومزاميرهم ونقاراتهم)، لمساعدتنا فى عبورنا وعبور امتعتنا. وعند العبور وجدنا فى وسط المجرى ساقيتين كان عمق الاولى منهما قدمين ونصف القدم وعرضها عشر ياردات او اثنا عشرة ياردة، اما الثانية فعمقها ثلاثة اقدام ونصف القدم تقريبا وعرضها يتراوح بين العشرين والثلاثين ياردة، وكلتاهما سريعة الجريان، اما قاعاهما فكانا مفروشين بالجلاميد الكبيرة. ولقد كان العبور اكثر صعوبة أمس، الا ان المياه انخفضت خلال الليل، وبالرغم من ذلك فقد القت الرعب غير القليل فى قلوب البعض من البغداديين من حاشيتي.

استغرق عبورنا لمجرى النهر كله عشرين دقيقة، ثم تركنا الضابط وجماعته لابداء المساعدة الى التختروان. وبعد ان نعمنا بأحتساء القهوة تحت الشمسية (المظلة) امتطينا الجياد نحو القرية وكانت المسافة بيننا وبينها ميلين قطعناهما بنصف ساعة * ومررنا بمنارة جميلة قديمة على يسارنا مشيدة بالطابوق، يظنّ انها من بقايا عهد الخلفاء، كما مررنا ببعض المزارات او المقامات التى يحج اليها الامر الذى يدل على ان المكان كان فيما مضى مكانا واسعا، ولكن القرية الحالية حقيرة جدا وهى تشمل على منزل فيه ستون جوادا. وقبيل الوصول الى الـ (جاى) او المسيل رأينا على مسافة ميلين عن يسارنا قرية (على سراى) وعن يميننا وعلى مسافة ميل واحد وعلى الضفة اليمنى من المسيل مقام (زين العابدين)، يلجاء اليه كثير ممن يشكون آلام العيون واوجاعها.

(*) كان معدل سفر المستر (ريج) يتراوح بين الثلاثة اميال وربع الميل وبين الاربعة اميال فى الساعة. وفى المسيرات القصيرة او فى اواخر المسيرات، كانت الجياد تقطع اربعة اميال ونصف الميل. اما ساعة القوافل «كراوين» التى يعول عليها الاهلون فثلاثة اميال، واما ساعة الحيال فثلاثة اميال ونصف الميل.

وفيما يلي مقتبس من مذكرات المستر ريج :ـ ان سرعة التنقل على «جابقوون» رهوان جيد ـ موقت بسرعة بسيره تمام التوقيت ـ تقدر بخمسين خطوة فى عشرين ثانية اى ١٥٠ خطوة فى الدقيقة، او ٩٠٠٠ خطوة فى الساعة. وبعد اسقاط ما يمكن ان يقع من فروق الخطوات والياردات نستطيع ان نعتبر المعدل اربعة اميال فى الساعة. وقد تأكد لدى ان خطوات الجابقوون او الرهوان هى خير الخطوات اتساقا وانتظاما.

لقد قلقت كثيرا عند التأهب للمرحلة الاخيرة التى ما كنت اتوقع بلوغ منتهاها الا بمشقة، اذ قيل لنا انها تستغرق سبع ساعات. وفى الواقع فقد قطعناها بخمس ساعات ونصف الساعة. وعند وصولنا كان فى استقبالنا وفد مؤلف من شيوخ القرية يتقدمهم «الملالى»، وكان من بينهم رجال طوال القامة وسيمو الطلعة.

وكان الرائد «مهماندار» محمد آغا يصر على مسك ركابى عندما امتطى جوادى، بالرغم من رجائى المتكرر له بالا يفعل ذلك. قال لى بأنه يقوم بهذه الخدمة من اجل محمود باشا، وانه يرغب فى اعتبارى كمحمود باشا. وكان الاغا ممن قاد مفرزة احتلت هذه القرية ونهبتها فى العام الماضى، وذلك عندما اتفق محمود باشا مع نجل شاه ايران، شهزادة كرمنشاه ضد الاتراك. ويظهر لى ان القرويين يحرصون على خطب وده، درءا لزيارة اخرى منه فى المستقبل لقريتهم كزيارته الاولى، وقد تقدم الكثيرون ولثموا يده، ولكن ما ان ولاهم ظهره حتى قالو : «لا اراه الله خيرا، انه هو الذى نهب قريتنا فى العام الماضى».

درجة الحرارة ٦١ درجة فى الصباح، و ٧٢ درجة فى الثالثة ب. ظ. و ٦٦ درجة فى العاشرة بعد الظهر. الريح شرقية صباحا، نهار رائق، وفى الثالثة تلبدت السماء بالغيوم، الا ان الجو بقى هادئا.

٢ ايار.

على اثر علمنا بوجود خرائب بجوار القرية تستحق المشاهدة، عولنا على زيارتها صباح اليوم وقد الفيناها تشتمل على المنارة التى رأيناها امس، وعلى بقايا جدار من طين، قلعت واجهته المبنية من الطابوق. ورأينا مدخلا صغيرا، هو اثر معمارى جميل جدا، على طراز التكية، والمستنصرية، وخير آثار عهد الخلفاء ببغداد * . لقد شاهد (لوليفر) هذه الخرائب، ولكنه نقل اخبارها الينا

(*) المستنصرية، جامع فى بغداد من آثار عهد الخلفاء. والتكية، زاوية الدراويش البكتاشية، وهى على ضفاف دجلة الى الجانب الغربى من المدينة، وهى انموذج جميل للهندسة المعمارية الاسلامية القديمة — الناشرة. (٥)

فنسبها الى (طوز خورماتو)، دون ان يكون لذلك اى داع. وهذا ما يدعونا الى الظن بأن مذكراته، او ان القسم المتعلق بهذه الخرائب على الاقل انما كتب استنادا على الذاكرة. وهو يعترف فعلا بانه لا يصف بقايا العاديات. غير انه يجب عليه ان يتذكر اماكنها على الاقل اذا اراد ان ينوه عنها. هذا واظهارا للحق، على ان اقول بأن هذا خطأ من الاخطاء القليلة جدا التى وقفت عليها حتى الآن فى مذكراته التى يصف بها البلاد وصفا صحيحا يحمد عليه. وعند منتهى القرية، مررنا بطريقنا بامام * او بمرقد صغير تعلوه قبة مخروطية الشكل، كقبة السيدة زبيدة فى بغداد ** ولكنها لاتضاهيها فى طرازها واتقان بنائها باى حال من الاحوال. وقد اخبرنا القرويون عن وجود انقاض كنيسة. وهذا يحتمل جدا اذ ان هذا المكان، كان مقرا لكرسى الاسقفية الكلدانية، وجاء ذكر اساقفته فى الازمنة الممعنة فى القدم.

وقد شاهدنا الخرابة التى اشار اليها الاهلون بأنها كنيسة، على بعد ميل ونصف الميل او الميلين عن يمين طريقنا. نظرت اليها بالناظور ولاقتناعى بانها لم تكن ذات خطورة، لم اضع الوقت فى الذهاب اليها لمشاهدتها.

وسرنا اخيرا، فى السادسة والربع وكانت الارض مكسوة كيوم امس بالشيبة ــ الافسنتين ــ (ويسمى بالتركية : ياوشان) وبالسعتر وبنباتات اخرى كثيرة، الا اننى لم اتعرفها لجهلى امرها. وكان الافسنتين يعبق برائحة منعشة، تشرح الصدر، كما رأينا الكثير من حقول الشعير وهى لا تزال خضراء، وكان القرويون يتهيأون لحصد بعضها.

كان طريقنا شماليا (تاركا طريق كركوك الى يسارنا) باتجاه سفوح التلال، واخذت تترآى لنا جبال حمرين عن يسارنا. وفى السابعة والثلث بلغنا قرية (جميلة) الصغيرة المشيدة من الطين، ويعنى الاسم بالعربية (الحسناء الصغيرة) وان كان الاسم لا ينطبق على المسمى، اذ انها ليست سوى بؤرة تعسة. والآن بدأنا فى صعود سلسلة التلال المتجهة الى الشمال الغربى من

(*) مرقد رجل صالح مسلم.

(**) زوجة هارون الرشيد. (٦)

قرية (مطارا)، التى اقتبست تلك التلال اسمها منهـا والتى تمر بـ (تازه خورماتو)، ثم تتلاشى تدريجا بعد ذلك على ما يقال.

انني لمسرور جدا لاختيارى هذا الطريق، وان كان اطول من طريق (ابراهيم خانجى) بثلاثة او اربعة ايام، اذ تعلمت كثيرا من الامور التى جعلتنى فى موقف احيط به الاحاطة الكاملة بمعالم هذه البلاد الرئيسية. وقد تملكنى العجب، اذ وجدت «مهماندارى» ذا اطلاع جم بمواضع الاماكن والاتجاهات، واتصالات سلاسل التلال بعضها ببعض. وقد اختبرته فى بعض الامور التى اعرفها من قبل، فكانت اجوبته مقنعة لى اقناعا استحقت الاعتماد على معلوماته العامة.

أما الشعبة الاخرى، او بالاحرى الشعبة الشرقية القصوى من تلال كفرى (وهى فى الحقيقة الضلع او الشريان الاصلى منها) فتمر بـ (كركوك) و (التون كوبرى) ومن هناك تمر من جنوب (اربيل) حتى دجلة، وتسمى عنـدئذ بـ (قهره جوق داغ). وهذه الشعبة الشرقية تحتوى على الجبس والنفط. اما الشعبة الغربية او تلال (مطارا) فهى من الحجارة الرملية والحصى، وتشبه سلسلة حمرين الشبه التام من جميع الوجوه، وفيها الكثير مما يستحق الملاحظة. وعند ولوجنا اياها عند مضيق (جميلة) مررنا بسلسلة، او سلسلتين ساقوليتى الطبقات كانهما اقسرا على اتخاذ وضعهما الراهن، ثم تليها طبقات افقية من الحجارة الرملية الصرفة الجرداء، وقد انفصلت عنها كتل ضخمة تدهورت متبعثرة هنا وهناك، وما تبقى منها كانه بناية مهدمة. وفى الحقيقة ان السلسلة بكاملها تبدو وكأنها جبل منهار. ثم بلغنا طبقات مائلة، الغريب فى امرها ان ميلانها كميلان طبقات حمرين. وهذه التلال تنحدر الى الشرق بـ (٦٠) درجة من الخط الشاقولى، او (٣٠) درجة تحت خط الافق. وجميع الطبقات فى السلسلة بكاملها متوازية، ولها اتجاه واحد تماما كأنها صفت على خط يتجه شمالا غربيا بـ (٤٥) درجة. اما صعودها فتدريجى جدا وباتجاه شرقى، الا انه يتعرج او يتلوى داخل شقوق ضيقة كونتها الامطار فى الحجارة الرملية.

وفى الثامنة الا ثلثا وصلنا نجدا كثيباء او بالاحرى ساحة واسعة تعلوها اكوام من اركام حصوية، واخاديد موحشة. وكان طريقنا يمر منها باتجاه خمسين درجة الى الشمال الشرقى. وفى الثامنة وصلنا الى سلسلة قمم اخرى ذات طبقات مائلة تتصف بنفس الاوصاف التى مر ذكرها، الا ان التربة الحصوية التى تكسوها كانت تزداد كثافة كلما تقدمنا، وشاهدنا هنا وهنالك بعض مزارع الشعير الصغيرة. وصادفنا قافلة كردية صغيرة تحمل الـ «مورت» الآس (Myrtle) باكياس تنتشر منها راحة ذكية، والمعتقد انه يستعمل فى المصابغ.

فالتربة والحصى فى هذه المنطقة ظاهرة كما فى السفوح الشرقية من (حمرين). وفى التاسعة الا ربع وصلنا مكانا يشرف على سهل (ليلان)، حيث تنحدر التلال تدريجا انحدارا خفيفا.

دخلنا الآ ن سهل (ليلان)، وهو مكتظ بمزارع الشعير التى كانت على ما يظهر تبشر بخير عميم؛ وكان الزرالیسير منها على وشك النضوج. وفى التاسعة والنصف وقفنا لنحتسى القهوة، ولتمكين ضابط الاعاشة ليتخذ ما يجب اتخاذه من الترتيبات.

وفى العاشرة والربع ركبنا ثانية، فوصلنا (ليلان) فى الحادية عشرة الا ربعا. و (ليلان) قرية صغيرة تعود الان الى عبدالله افندى وهو المتولى السابق للامام الاعظم * ومن معارفى القدماء. اغار الايرانيون والاكراد فى العام الماضى على القرية فسلبوا ما سلبوا وحرقوا مالم يستطيعوا حمله معهم، وذلك للكيد بممتاوى الجيش التركى ـ اى لمنعهم من التزود بالعلف للحيوانات. واننى اعتقد ان القرويين فى جميع انحاء المملكة التركية يدفنون حبوبهم دائما فى حفر أو آبار قريبة من قراهم، اذا سترت وسويت الارض من فوقها لا يمكن العثور عليها على الاغلب حتى من قبل الجيوش المحلية، الا اذا دلهم عليها احد.

(*) ابو حنيفة، احد اعلام المذاهب الاسلامية، وقد سمى بالاعظم. وهو مدفون فى القصبة المسماة باسمه والتى تقوم على بعد ميلين من شمالى بغداد.

ومن شرفة الدار التى نزلنا بها، اسعفنى الحظ لمشاهدتى (كركوك)، وللتأكد من ذلك وجهت مرارا وبأعتناء، مرقب بوصلة المسح نحوها. والنقطة التى اتخذتها لرصدى كانت تل القلعة حيث يظهر قسم من المدينة تحته فى المرقب بوضوح. وكان اتجاه قلعة (كركوك) ٢٤ درجة الى الشمال الغربى. كنت احرص على التأكد من المسافة على قدر ما يمكنني استنباطه مما يعلمنى به الاهلون المحليون. اما تخمينى لها بالرؤية المجردة فكان اثنى عشر ميلا بخط مستقيم، واما عبدالله افندى الذى ذهب مرارا الى (كركوك) من (ليلان) مراقبا الوقت بساعته فيقول ان المسافة لقافلة بغال ثلاث ساعات ونصف الساعة، وللخيال الاعتيادى ثلاث ساعات، وللجواد فى سير مكد ساعتان ونصف الساعة. وعليه يجب ان تكون المسافة عشرة اميال جغرافية. وبنتيجة الرصد الجيد ليلا، تأكدت من موقع (كركوك) الصحيح. فمن تقاريرى السابقة ومن تقارير السير (آر كير بورتر R. Ker Porter) اقتنعت بان موقع كركوك قد رسم فى خرائطنا نحو الغرب ابعد مما هو عليه فى الواقع. وقد وجدت نفسى على صواب فى الاتجاه الذى عينته لها.

والارض بين (ليلان) و (كركوك)، سهلة تماما، وقد تبعثرت عليها بعض الطنوف الاصطناعية. ويرى المرء فى بعض القرى قليلا من النخيل، ولكنه لا يرى الا القليل من البساتين. وتحد السهل من الغرب تلال (مطارا) ومن الشرق السلسلة التى سنعبرها غدا.

و (تازة خورماتو) على بعد ثلاث ساعات.

ان ضمان قرية (ليلان) يساوى خمسة وعشرين الف قرش سنويا، بالعملة البغدادية. وهى ككل القرى الواقعة على الحدود الكردية قلقة، لا راحة لها، اذ اصبحت هدفا للغارات والتخريب التام بنتيجة الغزوات الكردية عليها. ورجانى (الكهيا) رئيس القرية ان اتوسط لدى محمود باشا، لارجاع ثلاثمائة رأس من الاغنام سلبها منه الاكراد، والتى علم بانها لا تزال غير موزعة. والقرويون باجمعهم يتضرعون لان تكون زيارتى لكردستان سببا للحيلولة دون شن الغارات الكردية، الى ان يتم الحصاد وجمع الغلة على الاقل.

وساكنو هـذه القريـة، والقرى المجـاورة كلهم اتراك، وهم مـن طـائفة (جراغ سونديرهن)، * او على اللهية.

درجة الحرارة ٦٨ د فى السادسة ق. ظ. و ٨١ د فى الثالثة ب. ظ. و ٦٧ د فى العاشرة ب. ظ. والريح جنوبية شرقية.

٣ ايار.

تركنا (ليلان) فى الخامسة والنصف، وسرنا بأتجـاه شمـالى شرقى بمحاذاة جدول (ليلان) وهو عن يسارنا. وتعين مجراه من التلال سلسلة طواحين قائمة على ضفتيه، يتصل بكل منها برج حجرى مدور صغير. وكان احد الطحانين فى احداها يصرخ قائلا «وير، الله» اى اعطنى، يا الله. وعلمت ان ذلك ما ينادى به الطحانون باستمرار، عندما تتوقف الطواحين عن العمل، فيهب من لديه حب ويتقدم به للطحن.

وبعد نصف ساعة وصلنا التلال، حيث ترتفع هنا فجأة من السهل، فتكون نجدا يمتد من تلال (كفرى)، ويحاذى الشعبة الشرقية منها. وتشقق النجد مجارى وجدوال عديدة كونتها مياه الامطار فجعلت منها وديانا ضيقة وروابى صغيرة، واهم هذه الجداول، جدول او نهر (ليلان) الذى يبرز لنا بسرعة جريانه درجة انحدار الارض التى يسيل فيها. ومنبع هذا الجدول فى التلال المار ذكرها اعلاه، وتنصب فيه روافد صغيرة عديدة على امتداد مجراه.

وتشمل جميع هذه الوديان، وعلى الأخص وادى (ليلان) على عدة قرى صغيرة، تحيط بها بساتين الفواكه والازهار. وهى فى الواقع أبان هذا الموسم تحيلها الى جنات صغيرة بكل ما فى الكلمة من معنى. وتتكون قاعدة التلال او النجد من الاحجار الرملية الماثلة للعيان هنا وهنالك بطبقات مائلة بنفس الاتجاه والدرجة اللذين عليهما طبقات شعبة تلال (مطارا)، ويعلو هذه طبقة جلاميد متكتلة اندثرت فكونت تربة حصوية.

تسمى هذه البقعة بلواء او منطقة (قەره حسن) وهى مرتبطة مباشرة

(*) راجع حاشية الصفحة ٢٠ .

بباشا بغداد، ولا سلطة لحاكم (كركوك) عليها مطلقا، ويساوى ضمانها سنويا قرابة (٨٥) الف قرش، وهى تمتد طولا الى مسافة ست ساعات. ان الحرب الماضية، وغارات الاكراد المستمرة قد اخفضتا كثيرا من نفوس المنطقة وحطمتا قابليتها للزراعة. ورأينا بعض مزارع الشعير ولكن اكثر الارض التى مررنا بها كانت معشوشبة ويختلط بالعشب الكثير من القطانى البرى (جاودار) والشوفان واوراد برية لا يحصى عددها ونوعها، هذا عدى السعتر والنعناع والبطنج. واعالى التلال وقممها صالحة كل الصلاح كمراعى للاغنام، اما الوديان فمراع غنية للقطعان والاسراب. وعند صعودنا النجد الذى لم يكن ارتفاعه عن سطح السهل كثيرا - وقد لا يتجاوز الثلثمأة قدم - جوبهنا فورا بفارق بين فى مظاهر البلاد، وفى مشاعرنا ايضا. ويمكننا القول باننا الآن نجونا من منطقة (كەرمەسیر)* الموحشة. وقد شعرت بانبعاث حيوية جديدة فى كيانى، وزال عنى قلقى الممض، وقنوطى الممل رويدا رويدا، كما تزول غيوم الليلة العاصفة فانتعشت فى آمال عذاب، وتجدد فى النشاط، ولم اكن الوحيد الذى انبعث فيه كل هذا الاحساس بل ان قرينتى التى كانت قد انحرفت صحتها كثيرا، دب فيها النشاط واستعادت قوتها ايضا عندما انتهت من سفرتها هذا اليوم، وصار الكثيرون من الناقهين من حاشيتى يشعرون بزوال اعراض المرض عنهم بعد مسيرهم ساعة او ساعتين بين التلال. وفى السابعة والنصف انحدرنا الى واد يسيل فيه جدول صغير متدفقا بين الروابى لينصب بمياه (ليلان)، وعندها طالعنا منظر هتف القوم له سرورا واغتباطا. وكان ثمة ساقية تدير طاحونة صغيرة، يقوم على مقربة منها عدد من الاكواخ تحتضنها جميعا غابة من اشجار الحور والصفصاف والتين والاجاص وعليقات الورد، واغصانها مثقلة به. وكانت الغابة تعج بالبلابل وهى تمزج اصواتها بخرير مياه الساقية؟ وعلى كل ليس فى الكون احد مهما كان قليل الاحساس او عديمه، الا ويتأثر بمحاسن الطبيعة. وارى ان السبب الاساسى فى تخلى الاكراد عن رؤسائهم وهم فى شقوتهم هو خوفهم، ونفورهم الشديدين من الهجرة من بلادهم الى بادية بغداد الفظيعة. اما الاتراك الذين كانوا بمعيتى، فقد كرهوا ان يغادروا الوادى

(*) او المنطقة الحارة، والكلمة اطلقت على المنطقة الواقعة بين دجلة وجبل زغروس

دون ان ينعشوا الانفس بكأس من القهوة يتناولونه فى هذه البقعة الجميلة، فلم ار ما يمنعنى من النزول عند رغبتهم. وهكذا قضينا نصف ساعة ممتعة فى هذا المكان المسمى بـ (حسين اسلام)، ثم اتجهنا نحو مضرب يوسف آغا وهو على مسافة نصف ساعة اخرى فى وادى (ليلان) فوصلناه فى الثامنة والنصف. لقد قطعنا مرحلتنا اليوم بساعتين ونصف ساعة، عدا نصف الساعة التى اختلسناها للراحة. ويوسف آغا الحاكم الحالى لمنطقة (قەره حسن)، كرجى من اصدقائى القدماء وهو الشخص ذاته الذى كان يجيئنى الى مضربى بفرامين ورسائل داود باشا اثناء الثورة التى انتهت بقتل سعيد باشا ونصب صهره داود باشا خلفا له(١). انه قام باستعدادات ممتازة لاستقبالى وضيافتى فى مضربه الصغير فاستضافنا ضيافة كريمة. نصبنا خيامنا فوق مرتفع مشرف على وادى نهر (ليلان) وقد زين ضفتاه حرش، او جنينة صغيرة كما هو الحال فى (حسين اسلام). وكان المكان لطيفا حقا، وقد عثرنا فى الوادى على ورود سياجية كالتى نراها فى انكلترا؛ وقد فاق شذى هذه الورود البرية فى بعث السرور الى نفوسنا وانعاشها عطور الشرق كلها.

وبعد وصولى بمدة وجيزة، اعلمونى بمجىء عريف رسولا من موسى آغا حاكم (كركوك) التى كانت تبعد عنا مسافة اربع ساعات او ما يعادل اثنى عشر ميلا، وكان يحمل كتاب دعوة رقيق من سيده يسألنى فيه ان انزل ضيفا عليه لبضعة ايام. وعلمت انه قد تهيأ لاستقبالى تهيؤا عظيما، ولكننى مضطر الى عدم اجابة دعوته. وعلى كل فمحتمل جدا ان نرجع بطريق (كركوك).

٤ أيار.

نهضت صباح اليوم فى الرابعة والنصف وانا اشعر بصداع شديد فى الصدغين كالذى يطراء على الانسان عندما يجرع فجأة جرعة مثلجة من عصير الليمون، وكلما زاد دفء النهار كلما اخذ الصداع يزول عنى.

امتطينا الخيل فى الخامسة والنصف صباحا وكان طريقنا شماليا طوار وادى نهر (ليلان) وقد اضطررنا الى الترجل فيه بين آونة واخرى لعبور هذا الجدول الصغير. وكان الوادى ضيقا متمعجا وكان يزداد جمالا على

جمال كلما توغلنا فيه. وكثيرا ما اجتزنا الادغال المعرشة والممرات المكتظة باشجار التوت والرمان وغيرها من اشجار الفواكه وقد تخللتها عليقات الورود. واننا اذا رغبنا في الحكم استنادا على عرض مجرى نهر (ليلان) الحصوي، الذي يشغل الوادي برمته تقريبا نرى ان النهر الذي لم يكن في هذ الوقت الا ساقية صغيرة لا بد وان يصبح مسيلا عظيما عندما يمتلىء بمياه الامطار. وكلما تقدمنا كلما شاهدنا انصباب سواق فرعية عديدة فيه. وكانت مغارس الاشجار تمتد على ضفتيه الى مسافة ثلاثة اميال، وشاهدنا بعض الكروم على جوانب التلال. اما الارض فكانت مكسوة بالسعتر والآس والقصعين المورد، وغير ذلك من انواع النباتات الاخرى بين الاعشاب. وقد اخذ مستوى الارض يرتفع ارتفاعا محسوسا كلما سرنا صعداً.

وقبل الثامنة قبل الظهر كان اتجاهنا شماليا شرقيا بـ ٧٥ درجة. لقد ابتعدنا الآن من (ليلان) بالقرب من منبعه، واجتزنا سلسلة التلال باتجاه شمالي غربي، ومن قمم هذه التلال تنحدر الجداول الى كردستان، وهنا تنتهي سلطة، (قه‌ره حسن)، وتبدأ سلطة (السليمانية) فيها وفي التاسعة تقريبا بداءنا ننحدر بطريق مستقيم جدا، غير صعب، وفي مدة عشرين دقيقة وصلنا الى المحط الاول اذا اجاز لي ان اعبر عنه بهذا التعبير. وكانت ثمة على مرتفع عن يميننا بناية صغيرة، وهي مزار يدعى (مقام خضر الياس) * له مكانة مبجلة بين الاكراد، وهم يعتقدون ان من الالحاد الاصطياد بجواره. ومن هنا ايضا انحدرنا بمنحدر خفيف جدا باتجاه شمالي شرقي نحو (جمجمال). و(جمجمال)

(*) او مرقد النبي الياس. يعتقد المسلمون ان «ايليا» ــ الياس ــ لم يمت، وانه مازال على الارض، وسيبقى عليها حتى ظهور السيد المسيح. وانهم ينعتون الياس بالـ (خضر) اي الدائم الخضرة، وذلك للحياة الدائمة، او الخالدة التي يتمتع بها، وقد جعل بها في حالة ازدهار على الدوام في فردوس يقولون عنه قد يكون الجنة ذاتها. واستنادا على هذا الاعتقاد قال احد الشعراء الاتراك معناه :

«اياك والاعتقاد بأن هذه الدنيا هي موطنك،

«ان موطنك الجنة وحدها، فتمسك اذا بعرى الفضيلة لتصل الى ذلك الموطن الذي يحيا فيه الياس، حيث هيء لك مكان فيه».

والقصة الطريفة التالية، التي اقتبست من كتاب (المكتبة الشرقية ــ

طنف اصطناعى مرتفع، وهو اما ان اخذ اسمه من المنطقة التى تحيط به، او انها اخذته منه. ومررنا بسيرنا نحو هذا الطنف بحقول شعير واسعة تبدو بحالة جيدة ولكنها لم تكن ناضجة لتحصدها المناجل. ومررنا ايضا بمزارع عدس واسعة، ومراع مترامية الاطراف.

وصلنا مضربنا فى العاشرة قبل الظهر، وقد نصبت الخيام على طنف (جمجمال) المدور تقريبا، وكان المجال فيه يتسع لمضرب اوسع بكثير من مضربنا. ولما كان السهل ذا انحدار مستمر نحو الشرق بدى الطنف اكثر ارتفاعا فى الجانب الشرقى منه فى جوانبه الاخرى، وهو يرتفع ارتفاعا شاقوليا تقريبا الى اكثر من مائة قدم. واننا لا نستطيع ان نقدر له عمرا او نرجعه الى عهد. لقد التقطنا بعض شظايا اكواز جيدة النوع، ذات لون احمر غامق،

(Biblioteque Orientale) لمؤلفه (ديربيلو – D'herbelot) لا بد وان يقرأها كل مسيحى بمتعة واهتمام :—

«عندما استولى العرب على مدينة (حلوان) فى السنة السادسة عشر من الهجرة ورجع ٣٠٠ خيال منهم من هذه الحملة بقيادة (فضيلة) وعسكروا عند المساء بين جبلين فى سورية، اخبر (فضيلة) بحلول صلاة المغرب، فأخذ يردد بصوت جهورى كلمات «الله اكبر» الخ من نص الاذان، وقد اخذ يسمع صدى كلماته يتردد، ولم ينفك ذلك الصدى عن الترديد حتى نهاية الاذان. وبعد أن فرغ (فضيلة) من صلاته صرخ قائلا «انت يامن كنت تتكلم، ان كنت من الملائكة ليكن الله فى عونك، وان كنت من الارواح الاخرى فلا بأس عليك، اما اذا كنت انسانا مثلى، فاظهر لى علنى انتفع من ارشاداتك. ولم ينته من كلماته هذه، الا وظهر له شيخ اصلع الرأس وبيده عصا كأنه درويش من الدراويش. وبعد ان تبادلا التحية سأل (فضيلة) الشيخ عن من يكون هو ؟ فأجابه الشيخ قائلا «اننى هنا بأمر من السيد المسيح الذى تركنى فى هذه الحياة الدنيا حتى رجوعه اليها ثانية واننى اذن انتظر ظهور السيد المسيح الذى هو ينبوع كل سعادة. ونزولا عند اوامره فأننى أحيا فى الجانب الآخر من هذا الجبل». وبعد ان سمع (فضيلة) هذه الكلمات منه سأله عن وقت ظهور المسيح، ولما اجابه الشيخ «انه سيظهر فى آخر الزمن عند اقتراب يوم الحساب» ازداد الفضول عنده فاستفاض بالتساؤل وطلب منه ان يخبره عن علامات الآخرة. فأجابه خضر الياس بنبرة نبوية قائلا : «ذلك هو عند ما يتناسى كل من الرجال والنساء مركزه ومقامه، وعند ما لا تنقص كثرة الغلال اثمانها، وعند ما تراق دماء الابرياء ظلما، ويسأل السائل الصدقة ولا من مجيب، وتنطفىء انوار الحب، وتستحيل آيات الكتب المقدسة الى اغان تملىء المساجد المقامة لعبادة الله الحق بالاصنام.. وعند ذاك يكون قد اقتربت الساعة» ولم يتم الشيخ كلماته هذه حتى اختفى — من كتاب المكتبة الشرقية الصفحة ٧٤٢ — الناشرة.

وحجرا ضخما ايضا، ولم نعثر على ما يميز لنا الطنف. وهو لا بد ان يكون ساسانيا على الاقل، وربما كان اقدم عهدا من الساسانيين. فمن اعلى قمته حيث اكتب هذه الكلمات، نشرف على منظر حسن لجبال كردستان، من (كوى سنجاق) فى الشمال الى (سه كرمه) فى الجنوب الشرقى.

ويستمر السهل فى انحداره الى مسافة قليلة من حضيض الطنف، حيث يجرى (جاى) او جدول (جمجمال)، ومن بعده يرتفع ثانية تدريجيا ثم يتموج السهل فى وديان وتلال حتى سلسلة (بازيان) حيث نجد فيها مضيقى (سه كرمه) و (ده‌ربه‌ند). والمضيق الاخير قبالتنا تماما، ويرتفع من ورائه جبل (بير عمر غود رون) الذى يؤلف قسما من سلسلة اعلى، وهى صخرية جرداء

اقتبست هذه المعتقدات الاسلامية من اليهود، فانهم وضعوا المسيح موضع الياس، الذى سيظهر بعد القرن التاسع من اختفائه. . وقد يكون التنبؤ بان الياس سيظهر «قبل يوم الرب المخوف» هو السبب فى الاعتقاد بانه ما زال لم يتم رسالته فى الارض ان اعقل الحاخامين قالوا بان (الياس) يجلس تحت شجرة الحياة فى الجنة، وانه يسجل لليهود اعمالهم الحسنة وعلى الاخص احترامهم قدسية السبت. وهم يعتقدون بان مزاولة الاعمال الروحية مزاولة طيبة قد تستجلب ظهوره او حضوره، فهم يتركون الابواب مفتحة ليدخلها، وان تراتيلهم فى اواخر ايام السبت مشحونة بذكره، وبالتضرع اليه ليسدى عليهم بركاته، وهم يعتبرون ان ساعة ختن طفل من الامور التى لها اهميتها الخاصة عنده. وفى مثل هذه الساعات ينشدون حضوره ويتركون له مقعدا من المقاعد خاليا لا يشكون فى انه لا بد وان يشغله فيما اذا سار كل شىء على ما يرام. ومن الشائع بينهم ان الحاخام (يهودا) بينما كان حاضرا فى حفلة ختان ما فى (رابتسبون) ادرك ببصيرته الروحانية خلو مقعد الياس منه، فتنبأ بان الطفل سيمسى مع الايام طالحا، وقد تنصر الطفل فعلا فيما بعد. وهم يعتقدون ان الحضور فى مثل هذه المراسيم، امر منذور به الى الياس، وذلك لحرصه الشديد على ضرورة الختان، الامر الذى دعاه ان يشكو بقوله: «... لان بنى اسرائيل قد تركوا عهدك ...» (الملوك الاول ص ١٩ : ١٤) ويعنى بالعهد فى هذا المقام عهد الختان. وللاسباب ذاتها يعتقدون ايضا بان الياس يسمى ملاك العهد.

ومما يجدر بالملاحظة، اننا اذا ما قسنا تفهم اليهود الى ظهور الياس «قبل يوم الرب» بالرواية الاسلامية المار ذكرها، نرى انها تعنى ان ظهوره انما هو تمهيد لظهور السيد المسيح، وتعنى كذلك انها ارادة الهية تشير ان ان تلك الحقبة التمهيدية انما هى لاتمام رسالته، ولذلك فهم يدعون فى مغرب كل يوم سبت الى ظهوره فى يوم السبت المقبل ليعلن علائم ظهور المسيح ـ راجع الصفحتان ٨٠ و ٢٥٥ من Synagoga Judica لمؤلفه Buxtorf ـ طبعة باسل ١٦٤١ . ـ تلقت الناشرة ذلك من صديق لها.

على ما يلوح. و (غودرون) هو اعلى جبل فى هذه الاصقاع، ويقال ان فيه (ثلاجة) تموں کردستان بكاملها بالجليد، او بالاحرى بالثلج، ومخزن هذا الثلج لا ينضب ولا يذوب. وقد شاهدنا الثلوج بين بعض شعابه.

ولاحاول الان اعطاء فكرة عامة عن هذا القسم من سلاسل جبال كردستان كما تترأى لى من طنف (جمجمال). فالخط الذى نراه مباشرة امامنا، والممتد من الشمال الى الجنوب الشرقى هو سلسلة ضيقة جرداء شديدة الانحدار اسمها جبال (بازيان). والى شمال مضيق (دەربەندی بازیان) الذى سبق لى ان قلت انه ماثل امامنا، تنعطف الجبال فجأة الى الغرب فتؤلف جبال (خال خالان) التى تتاخم باشوية كوى سنجاق من الجنوب. والى جنوب مضيق (دەربەندی بازیان) تمتد الجبال امتدادا مستقيما الى الجنوب والى الشرق قليلا، وفى هذا القسم من الجبال مضيق اخر اسمه (دەربەندی باسەرە)، تستمر الجبال من بعده في الاتجاه ذاته وتأخذ اسم (قەرە داغ)، وتصبح جبالا مكتظة بالاشجار. وهذا هو الطريق الثالث الذى يتجه الى كردستان من سهول (آثوريا) ويسمى بطريق (سه كيرمه) او المدرج؛ ولمروره مباشرة بقمة الجبل يعتبر من الطرق الصعبة ان لم نقل المستحيلة العبور على الجيوش.

كان قد حصن عبدالرحمن باشا حاكم السليمانية السابق جميع هذه المضايق، عندما كان يسعى للظفر باستقلال كردستان، ولكن على اثر تغلب سليمان الصغير باشا بغداد عليه هدمت استحكاماته. ويحد جبل (قەرەداغ) (ديالى)، والى جنوب مضيق (باسەرە) مباشرة تتشعب جبال (زەن كەنە) من (قەرە داغ) الى الغرب بارتفاع قليل نسبة في بادىء الامر، الا انها عند انعطافها الى الجنوب كانها تحاول ان تكون سلسلة متوازية مع جبل (قەرە داغ)، ترتفع فتصبح فى مستوى يكاد يتساوى معه. والى ما وراء هذا القسم مباشرة اى الى شرقه، تبدو لنا قمة اعلى لا اعلم الى اية سلسلة تعود، وهى قسم من منطقة (دەلو). وقبل القسم الاعلى مباشرة او غربه الذى يظهر انه يؤلف منتهى سلسلة (زەن كەنە)* ترى بعض التلال الصغيرة التى لا تكاد

(*) رأيت وانا انظر الى هذه التلال نظرة جانبية، ان طبقات اجزاء هذه السلسلة كلها تميل الى الشرق عين الميل، وعين الدرجة التى تميل فيها طبقات جبال حمرين.

تظهر للعيان، حيث (ابراهيم خانجى) و (كيللى) على الحدود التركية. والى مسافة ابعد نحو الغرب نرى خط تلال (كفرى) و (طوزخورماتو) وكأنها تتقدم لتتصل بتلال (قەره حسن) الى الوراء منها بقليل، تلك التلال التى غادرناها قبل برهة والتى تمتد قليلا الى الشمال* ثم تختفى عن الانظار لانعطافها نحو الغرب، تاركة وراءها افقا خاليا حتى تلال (خال خالان).

ولم تبد لنا اى قرية من طنف (جمجمال)، اذ انها تقع فى اغوار وعلى جوانب الجداول الصغيرة. وقد هجر القرويون الان قراهم الى مضارب صغيرة من خيم الشعر الاسود وذلك لرعى قطعانهم ورعاية غلالهم. وجميع المزارع فى كردستان تروى بمياه الامطار فقط** اذ لا رى اصطناعى فيها.

درجة الحرارة ٤٠ د فى الخامسة ق. ظ. و ٧٩ د فى الثانية ب. ظ. و٥٩ د فى العاشرة. الريح نهارا خفيفة شمالية غربية. ليلة هادئة. كان البرد شديدا فى ليلة البارحة بدرجة انه اثر فى رجالنا الذين اوختهم الراحة تأثيرا بليغا. هذا وان كانت درجة الحرارة ٧٩ د فى الثانية ب. ظ.، الا انها لم تستمر الا لمدة نصف ساعة فى درجتها هذه.

٥ ايار.

كان ثمة طل كثير فى هذا الصباح، لم ار مثله منذ سنوات عديدة، **وبعد** بزوغ الشمس بقليل ظهرت ظاهرة القوس قزح الغريبة وقد ارتسمت بانعكاسات اشعة الشمس على ضباب الصباح. وعند الفجر ظهرت لنا سلسلة (قنديل داغ) باتجاه عشر درجات شمالية شرقية، تلك السلسلة التى تؤلف جبال (رەواندز) و (آكو) و (سكنه) و (صاووق بولاق)، وما هى فى الحقيقة الا امتداد لجبال (زوغروس) التى تؤلف الحدود الكبرى بين ايران وتركية؛ وقد غطتها الثلوج حتى حضيضها المرئى لنا، اما قممها فكانت متعرجة وناتئة.

(*) يسمى الطريق من كركوك الى (دەربەند) بطريق (كيشەخان) وهو يمر من اعلى هذه التلول.

(**) يسمى الاهلون الزراعة المعتمدة على مياه الامطار بالديم، وهى كلمة عربية اما الرز والقطن فيرويان اصطناعيا فى البلاد التى لا امطار استوائية فيها.

سرنا فى الخامسة والنصف كالمعتاد، واتجهنا باتجاه شمالى شرقى للوقوع على طريق كركوك. هنالك طريق اكثر استقامة بين (جمجمال) و (دەربەند)، ومسيرته ثلاث ساعات، الا اننا فضلنا طريق كركوك لانه الاسهل. وقد اصبحت الارض ذات اخاديد وشقوق تزداد كلما تقدمنا عليها، والتربة حمراء قاتمة تقترب من اللون القرمزى اذا ما نظر المرؤ اليها من بعد. اما الوهاد، فكانت عميقة جدا كونتها سواق صغيرة عديدة تسيل من كل حدب وصوب. ووجه الارض تكسوه الحشائش تخالطها الاعشاب المتعارفة، ولم نر الا القليل من الشعير.

وفى التاسعة قبل الظهر وصلنا مضيق (دەربەند)، وكان طريق الاقتراب اليه كالمستنقع، ولا بد ان يكون مزعجا فى موسم الشتاء. ويوجد الى الجانب الايمن من المضيق خان صغير، وعند مدخله مباشرة خربة مربعة صغيرة او دكة لا تزال فيها انقاض اقبية صغيرة معقودة، وبعض آبار مياه. وهذه تشابه دكتى (قصرى شيرين) و (حوش كەرەك)* وهى ولا ريب ساسانية مثلهما. ومن باب الفضول اننى سألت حارس** الـ (دەربەند) مستفسرا عمن بنى هذه فاجاب دون تردد قائلا «خسرو». ومضيق (دەربەند) يتكون من جرف فقط، او حاجز يضيق ليسد الوادى، وهو ينحدر انحدارا تدريجيا جدا تاركا فجوة صغيرة للمرور وحسب، وهو حاجز كامل يجابه جانبى الفجوة التى يمر منها الطريق المؤدى الى كردستان. وهذا الحاجز يتألف من طبقات رقيقة مائلة الى الخارج او الى الغرب بانحراف قليل عن الوضع الشاقولى. والمضيق كما ذكرت آنفا، كان قد حصنه عبدالرحمن باشا، وشيد فيه سورا وبابا، ووضع ثلاثة او اربعة مدافع فيه، عبأ اثنين منها فى المرتفعات لرمى معسكر الاتراك فى المنخفض. ولو اراد سليمان باشا الهجوم عليه لذهب مسعاه سدى، لولا احد رؤساء الاكراد المسمى محمود بك نجل خالد باشا الذى اتفق مع الاتراك فقاد فرقة من القطعات التركية

(*) راجع الملحق.

(**) هناك حرس فى مضيق (دەربەند) يتقاضى اثنتى عشرة بارة عن كل حمل يمر من المضيق، الا اننا لم نكلف بدفع هذه الضريبة.

وبعض الاكراد غير النظاميين الى الجبال من مضيق لم يكن معروفا الا لنفر قليل من الاكراد. وقد اهمل عبدالرحمن باشا امر الدفاع عنه اعتقادا بعدم صلاحه لمثل تلك الحركات، وهكذا وجد ان موضعه قد اخذ من الخلف وان مدافعه المعبأة فى المرتفعات قد صوبت عليه فاضطر عندئذ على التراجع؛ وقد قوض باشا بغداد السور وتقدم بعد ذلك الى السليمانية.

وبعد ان استمتعنا بالقهوة فى مضيق (دەربەند) * استأنفنا السير فى التاسعة والنصف وقد بدأ الوادى بالاتساع والتمعج، مارا من بين تلال (بازيان). وطبقات الجبال هنا كلها متجهة نحو الغرب، واعتقد ان التلال كانت كلسية (Calcareous) ، وعلى مسافة الى اليسار فى التلال توجد خرابة اسمها (شيطان بازار) وهى تتألف من سلسلة اقبية صغيرة، فهذه الخرابة والاخرى المسماة بـ (كەورە قەلا ـ القلعة الكبيرة) الواقعة على يسار الوادى ايضا وبين التلال، هما ساسانيتان ولا شك، استدلالا باوصافهما. وكان جبل (غودرون) امامنا والى اليسار منا قليلا. وفى العاشرة قبل الظهر انعطفنا نحو شعبة اخرى من الوادى، حيث يتسع هنا اتساعا كثيرا ويقترب من قرية (دەرگەزين) التى وصلناها بعد ربع ساعة تقريبا. وكنا نشاهد من باب خيمتنا بالاتجاه الشمالى الشرقى وعلى مسافة ثلاثة ارباع الميل طنفا اصطناعيا آخر، يشابه طنف جمجمال كل الشبه، واسمه كوبارا **.

ان سلطة منطقة (بازيان) تمتد حتى قمم التلال الواقعة الى الشمال الشرقى منا تحت (غودرون) وهنالك تحادد سلطة منطقة (سور داش).

ويوجد فى هذه الجبال الكثير من الوعول والماعز الجبلى والدببة والفهود او النمور. والمزارع حول (دەرگەزين) + تشتمل بالاخص على الرز

(*) ان سلطة حكومة او لواء (بازيان) تبدأ من وهد وجدول صغير يسمى بالوادى الاحمر على بعد نصف ساعة غرب مضيق (دە ربەند) . ـ انتهت الحاشية. (واسمه المتعارف عليه الآن شيوه سور ـ المترجم).

(**) (كوباله)، كما هو معروف الآن ـ المترجم.

(+) سمى هذا المحل بـ (دەرگەزين) اذ كان فى الاصل مستعمرة يقطنها الـ (دەرەكە نشينون) من التركمان.

والقطن والسمسم والتبغ، وهنالك عدة سواق صغيرة تنحدر من التلال على مقربة من القرية لتروى الوادى، كما توجد بعض الكروم فى التلال.

درجة الحرارة ٥٦ د فى الخامسة ق. ظ. و ٧٨ د فى الثانية ب. ظ. و ٥٤ د فى العاشرة ب. ظ ريح شرقية هادئة او خفيفة.

٦ ايار.

سرنا فى الخامسة والنصف وكان صباحا هادئا غائما. ولما كان الطريق ملتويا كثيرا من جراء الاوحال لم اثبت اتجاه المسير حتى وصولنا الطريق المباشر المتجه الى السليمانية، حيث كنت اعلم ان القرية التى تركناها ستتراءى لنا من محل وصولنا الى هذا الطريق (*). سرنا بقطع الوادى من الجهة الغربية حيث تقع (دەرکەزین) الى التلال الشرقية التى مضينا فى مسيرنا بالقرب من سفوحها. كنا نسير ببطء محسوس بسبب الاوحال والمستنقعات التى كونتها السواقى الكثيرة الجارية من جميع الانحاء. وبعد تركنا (دەرکەزین) بقليل، عبرنا جدولا لطيفا جدا كان ينساب من غور فى الصخور فينحدر بضع اقدام ويكون شلالا صغيرا، ويسمى هذا بوادى الشيطان. وفى السادسة والنصف مررنا بقرية (لازيان) او (لاجان) وهى عن يميننا، وبعد قليل وصلنا الى طريق السليمانية المباشر. وقرية (لازيان)، وان كانت تعتبر مركز المنطقة، الا انها مكان حقير مبنى من الطين كغيرها من القرى الكردية التى شاهدتها حتى الآن وهى تقع الى الشمال الغربى منا فى سفوح التلال والى مسافة ساعتين ونصف الساعة. وكان اتجاه مسيرنا جنوبيا شرقيا بثلاثين درجة. وفى هذا الوادى الذى يقارب عرضه الثلاثة اميال يتيسر الكثير من المراعى الجيدة، ولكنك لا ترى فيه المزارع، او لا ترى الا القليل منها. وكان العشب بارضا طريا، ومنذ دخولنا كردستان لم نر حقول حبوب نضجت وحان للمنجل ان يقصمها.

سرنا مع التلال التى كانت تحد الوادى من الشرق وهى على مقربة من

(*) هنالك طريق يؤدى الى السليمانية يمر فى وادى (دەرکەزین) ويسير بمحاذاة جانبه الغربى. ولكن قيل لنا بان ارضه لا تزال موحلة اكثر من ارض الطريق التى سرنا عليها.

يسارنا، وكان قصدنا الذهاب الى قرية (تاى نال) الواقعة على الجانب الغربى من الوادى على بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من (دەركەزين)، الا اننا عند وصولنا قبالتها الى محل كان يجب ان نقطع الوادى منه اليها ارتأى الرائد استنادا على بعض المعلومات التى وقف عليها لساعته انه من الانسب ان نقصد (طاسلوجة) فى وهد السليمانية، ولذلك انعطفنا فى التاسعة نحو الشمال الشرقى وارتقينا فورا التل الذى حاذيناه عن يسارنا طيلة سيرنا هذا الصباح، وكان المرتقى والمنحدر صخريين هدودين. وفى التاسعة والنصف دخلنا وهد السليمانية وهو سهل معشوشب لطيف، عرضه ثمانية اميال تقريبا، لا يفتقر الا الى الاشجار ليصبح جميلا حقا. وكانت مدينة السليمانية تبين لنا تحت التلال التى تحد الوادى من الشرق، وجبل (غود رون) احدى سلاسلها.

كان تقدمنا اليوم بطيئا شاقا اذ كانت الارض موحلة وصخرية، وكانت الساعة العاشرة ق. ظ. عندما وصلنا الى مضربنا بجوار طنف اسمه (قەرەسبى تەبە)* ومعنى ذلك الطنف الاسود وهو كطنفى (جمجمال) و (دەركەزين). ومن المحتمل ان تكون هذه الطنوف منازل ملكية، تشير الى مراحل سير جيش، وقد يكون جيش (أردشير) او (دارا كشتاسب)**.

فمن تجولاتى امس، ومن سفرتى اليوم بدأت بادراك الخطوط الاساسية لهذه البلاد بعض الادراك، هذه البلاد التى كانت ميدانا حافلا شهد الكثير من الوقائع التاريخية الممتعة والمجهولة لدينا فى يومنا؛ ومن اجل هذا ارى من الصواب ان ادون نتائج ملحوظاتى ومشاهداتى.

ان قسم كردستان الواقع بين تلال (بازيان) وسلسلة (قەرە داغ) فى الغرب وبين سلسلة (غودرون) فى الشرق، ينقسم الى وديان تتجه تقريبا الى

(*) ان اسم الطنف المتعارف عليه (كى‌لەسبى) اى النصب الابيض ويظهر ان الامر قد التبس على الكاتب فاستبدل كلمة (قەرە) التركية ومعناها الاسود بكلمة (كى‌ل) الكردية، ومعناها حجرة او نصب ــ المترجم.

(**) هناك آثار ابنية خربة فى مكان اسمه (كەروانان) على تل فى السهل. ــ انتهت الحاشية. (واسم المكان فى يومنا هذا (كەلەوانان) ــ المترجم).

الجنوب الشرقی والشمال الغربی فتنتهی جمیعها عند مضیق (دەربەند) حیث تکون لها مخرجا واحدا. وهذه الودیان تتکون من سلاسل تلال صغیرة ثانویة تستند الى اتجاهات السلاسل الکبیرة المار ذکرها، وان لم تمتد بامتدادها. فاول الودیان هو وادی (دەرکەزین) الذی یترك سلسلة (بازیان) فی الغرب ثم یأتی وادی السلیمانیة الذی ینفصل عن الاخر بخط تلال لم تکن فی مثل ارتفاع تلال (بازیان). ووادی (دەرکەزین) * ینقسم بسلاسل تلال اوطأ لا تمتد کثیرا الى الجنوب. وعند السلیمانیة یتشعب خط تلال اخر تارکا وادیا بینها وبین سلسلة (غودرون). وتزداد جبال (بازیان) ارتفاعا کلما مضت نحو الجنوب، ومع هذا تظهر جبال (قەرەداغ) اکثر ارتفاعا منها، ویحد (قەرەداغ) نهر (دیالى) حیث تبدأ منطقة باشا (زهاو). وسهل السلیمانیه یظهر مکشوفا الى الجنوب حیث یتصل هناك بجبال (آورمان)** التی تکسوها الثلوج، وهی جزء من جبال (طوروس) و (زاغروس).

ویسمى ذلك القسم من جبل (غودرون) الذی یعلو السلیمانیة مباشرة بجبل (ازمر)، وتقع على شرقه (قەلا جوالان) مرکز المنطقة القدیم فی ایالة (شهرزور). والى بشرق (غودرون) تقع قریة (میرکەبان) وهی قریة فی التلال تسر الناظرین، تبعد مسافة ست ساعات عن السلیمانیة، وقد اشیر علینا ان نتخذها مصیفا لنا. و (غودرون) + یبدو داکنا فی لونه، صخریا هدودا وفی قمته غور او حوض × تتراکم فیه الثلوج وتتجمد × ×.

(*) اشار المهماندار فی سهل (دەرکەزین) الى جدول عند سفوح التلال الغربیة یتحد مع جداول عدیدة اخرى ویمر من مضیق (باسەرره) فینصب فی طاووق جای ــ نهر طاووق.

(**) وهذه الجبال تحد ایالتی (السلیمانیة) و (سنه)، والاخیرة ایالة کردیة تحت سیطرة الحکومة الایرانیة.

(+) اصر المهماندار على ان جبل (ازمر) او جبال (غودرون) تمتد حتى (کوی سنجاق)، و (العمادیة) و (ماردین)، وقد لا یکون مخطئا.

(×) اعتقد انها فوهة برکان. والاجدر ان ارى المکان عن کثب.

(× ×) وهکذا تتجمع فیه کمیة لا تنضب من الثلج لیستعمله الاهلون فی (السلیمانیة) فی الصیف لتبرید الفواکه والشرابت والماء . . . . الخ.

ان هذه الخطوط الاساسية ان لم تكن صحيحة فى جميع تفاصيلها، فانها تزودنا على الاقل بفكرة عامة عن البلاد، وتكون اساسا يستند عليه البحث فى المستقبل.

درجة الحرارة ٥٥ د فى الخامسة ق. ظ و ٦٦ د فى الثانية ب. ظ و ٦٠ د، فى العاشرة ب.ظ.يوم هادىء غائم. مطر شديد بعد الظهر، وزداذ الى ما بعد منتصف الليل.

٧ أيار.

ركبنا فى الخامسة والدقيقة الخمسين متجهين نحو سلسلة (غودرون) اتجاها مائلا تجنبا من الاوحال التى قيل عنها انها عميقة فى الاقسام الاكثر انخفاضا من السهل. كان الصباح وضاحا، تهب نسماته شمالية عليلة. وبعد الرحيل من مضربنا بقليل قابلنا عبد الرحمن آغا احد رجال محمود باشا البارزين، وقد ارسله سيده ليخلف «مهماندارنا» ويوصلنا الى السليمانية. وكان بمعيته عشرة او اثنا عشر خادما، فسرنا سوية بعد تبادل التحيات المعتادة.

كان الطريق يمر بتلال متشعبة من جبال (غودرون) تتخللها وديان كثيرة المياه تنصب فيها مجارى عديدة صغيرة، وقد انشأت السدود فى البعض منها لرفع مستوى مياهها وتسليطها على مشاتل الشلب؛ ورأينا الكثير من مزارع الشعير، وهو ما زال قصيلا. وفى الثامنة عبرنا سيلا عريضا ضحضاحا ينحدر من (غودرون) وهو يجف فى الخريف اسمه (جاق جاق). وقد اخبرنى دليلنا ان السيل انما سمى بهذا الاسم لان الحصى الموجودة فيه تقدح نارا*.

وفى الثامنة والدقيقة الخامسة، وصلنا الى (سەر جنار) وهو منبع بالقرب من الطريق يتدفق من اكثر من خمسين عين ماء صغيرة، تؤلف مباشرة جدولا كبيرا وكان لخرير مياهها من فوق الحصى وقعه الحسن فى اذنى. ويسيل هذا

(*) قد تكون الكلمة (جاقماق) وليس جاق‌جاق. وكلمة «جاقماق طاشى» فى التركية تعنى حجر الصوان. ويستبعد ان تكون كلمة (جاق جاق) محرفة من (جاقماق). والاولى كلمة صوتية، وهى من صميم اللغة الكردية ـ المترجم.

الجدول فى منطقة (جه‌مى تانجه‌رو)* حيث المرزات الكثيرة، ثم ينصب فى ديالى، ويمكن القول عنه فى الواقع انه احد الجداول التى تؤلف ذلك النهر. وفى مجراه فى وهد السليمانية يصبح ملك رجل واحد وهو يونس بك، وقد منحه اياه الباشا الحالى. وتقدر غلة الاراضى التى يرويها باكثر من (٥٠) الف قرش سنويا، وان مياهه تروي الكثير من مشاتل الشلب ومزارع القطن والسمسم والتبغ.

ويعلو منابع السيل تلا عليه شجرتان يقال انهما تدلان على موقع معركة دارت هناك فى غابر الازمان. ويقول الاكراد ان الامام على غرز رمحه فى هذا المكان بعد اشتباكه بالكفار، الا ان عبد الرحمن آغا يقر بأن هذه الرواية انما هى اسطورة (عنعنة) كردية ليس الا، وهو وان كان لا يشك فى وقوع معركة فى هذه البقعة الا انه يدعى عدم معرفته بالفريقين اللذين اختصما عندها.

ونزولا عند رغبة الباشا، ضربنا مخيمنا على الضفة اليسرى من (سه‌رجنار) حتى يتم له التهيؤ لدخولنا الى عاصمته، وقد عين صباح الغد موعدا لذلك. وفى هذا المكان استأذن مهماندارنا السابق محمود آغا لينصرف، وكان قد حبب نفسه لنا بتصرفاته الكريمة التى تنم عن خلق حميد طيلة مدة قيامه بواجبه.

وبعد اقامة مخيمنا بقليل، وردت المؤن الكثيرة العديدة الانواع لنا ولحاشيتنا من الباشا. وعند الظهر جاءنا عمر آغا وهو ضابط كردى اخر، وكان واجب هذا السيد ملازمتنا طيلة مدة مكوثنا فى كردستان ** وبعد مقابلتى والبحث فيما نحتاجه فى سكنانا خلال اقامتنا فى السليمانية رجع الى المدينة للقيام بما يجب لاستقبالنا. والآن بعد ان قابلت من قابلت من السادة الاكراد سواء فى بغداد او منذ دخولنا بلادهم، اجدنى ميالا لان احسن الظن بسلوكهم وادبهم، وكرم ضيافتهم الى حد بعيد.

(*) (تانجه‌رو) تحريف كردى لكلمة (تاج روود) الفارسية. وتبعد مدينة او قرية (تانجه‌رو) مسافة ساعة من السليمانية.

(**) راجع اللوح (١).

وبعد الظهر تمشيت لاقف على ما حولى قليلا. فعند رأس (سه‌رجنار) تدفق المياه من كل ناحية من الارض، فاينما ازحت التراب من الاديم انفجر الماء*، وكان قاع الجدول مكتظا برشاد الماء. والجدول ذاته يحتوى على الكثير من الاسماك ومن بينها سمك النقط (Trout)، اقول ذلك استنادا على ما وصفه لنا من اصطاد السمك بالشص منا والذين شاهدوا الكثير منه وقد وجدوه يحجم عن التقرب الى شصوصهم.

ولا يفصل بين (سه‌رجنار)** وبين (جاق جاق) سوى مرتفع صغير عليه مقبرة مهجورة منذ زمن طويل على ما يظهر. وقد تذكرت الوصف البديع للمقبرة القديمة التى جاء ذكرها فى مستهل قصيدة «الفناء القديم» وانا هائم بين احجار هذه المقبرة الربداء الغليظة، وكانت الارض التى تتخللها مكسوة بالاوراد البرية. وهنالك ثلاث او اربع شجرات تزين هذا المرتفع، اذ كان فرحى عظيما عندما علمت انها شجرات بلوط، ولم تكن فى الواقع من نوع اشجار البلوط الشهيرة فى انكلترا، ولكنها شجرات لطيفة تكفى الكفاية كلها لايحاء ذكريات طيبات عديدات، فاوراقها اقل تسننا واكثر نعومة واعمق خضرة من اوراق البلوط التى اعتدت مشاهدتها فى انكلترا، وهى لم تكن من اشجار البلوط القصيرة. وقد قيل لنا ان انحاء (سه‌رجنار) كان فيها الكثير من هذه الاشجار، ولكنها قطعت لبناء السليمانية.

درجة الحرارة ـ فى الخامسة ق. ظ. ٥٣ د وفى الثالثة ب. ظ. ٧٦ د. وفى العاشرة ٦٤ د. نسيم شمالى عليل، وجو رائق.

٨ ايار.

سرنا فى الخامسة والدقيقة الاربعين بطريقنا متشدين، طوار سفوح التلال

(*) ان درجة حرارة جميع هذه العيون التى قست درجات حرارة الكثير منها كانت ٦٢ د ف، اما درجة حرارة الجو فكانت ٧٦ د.

(**) وهناك جدول آخر فى شرق (سه‌ر جنار) يفصله عنه تل صغير كما ينفصل (جاجاق) بتل آخر فى الغرب، وهذا الجدول أصغر من كلا الجدولين الآخرين. فهذا وجدول (جاق جاق) مسيلان فقط، وهما يجفان فى الخريف على ما اعتقد، والجداول كلها تلتقى فى السهل.

نهبط تارة ونصعد اخرى، فوصلنا الى مضربنا بالقرب من السليمانية في السادسة والدقيقة الاربعين حيث استقبلني الكثير من السادة الاكراد رجال محمود باشا. وبعد ان رحبوا بنا انصرفوا فورا، الا اثنان منهم استبقيا لملازمتنا للقيام على خدمتنا. وكنا نتوقع مكابدة بعض المتاعب من المتجمهرين، وذلك لان الاكراد مشهورون بدقة الملاحظة وحب الاستطلاع، ولاننا كنا اول جماعة اوربية لم ير اكثرهم مثيلا لها من قبل، غير انه لم يقترب منا احد الا من كان واجبه يقضي عليه بذلك. وقد علمت ان ذلك كان نتيجة لاوامر محمود باشا التي نهت الاكراد بشدة عن ازعاجنا. لم اهنأ بالراحة في هذا اليوم الا قليلا، وقد كانت نفسي ترزح تحت اعباء يصعب عليها تحملها. وما ان دخلت خيمتي وجلست فيها حتى وصل «تاوتار» سريع (ساع) من استانبول * وكان يودي لو جاء في غير هذا الوقت، ولانه كان ينعى الملك اصبح لزاما علينا ان نبعث بالرسائل على الفور. ** ولم اكد استعيد هدوء بالي بعد مجيء التاتار حتى جاءني صديقي القديم كبير رجال عبدالله باشا، واعقبه محمود مصرف، رئيس وزراء باشا السليمانية وهو شخصية معروفة في كردستان غالبا ما سمعت عنها في بغداد. وقد جاءني ليخبرني بان سيده قادم عصرا ليزورني الزيارة الاولى مرحبا بنفسه بقدومي الى بلاده. وكان هذا تكريما غير متوقع، وبرهانا عظيما على نزعته الودية الكريمة، وفي الواقع انني ما كنت اتأمل منه ان يرد على زيارتي، ومن اجل هذا كان سبقه في المجيء من الامور المفاجئة.

وعلى ذلك قمت بخير الاستعدادات التي استطعت القيام بها في موقفي هذا لاستقبال محمود باشا. وبعد العصر بقليل اعلن عن قدومه. وكان منظر موكبه بدائيا مفرحا. لقد كان وحده ممتطيا جوادا، ولما كان رجلا صغير الجسم جدا فقد كاد يختفي عن الانظار بجمهور من الاكراد الطويلي القامة وقد ارتدوا ملابس الوانها الوان قوس القزح كلها، وردي واصفر وقرمزي،

(*) ويعني التاتار. وكان الاتراك يستخدمون السعاة التاتار في نقل البريد. وهكذا استعملوا كلمة «تاتار» في التركية وصفا لساعي البريد. — المترجم.

(**) لايضاح الشكوك والمخاوف التي توسوس في رأس حاكم شرقي، يمكننا ان نذكر بأن داود باشا، باشا بغداد، كان قد ارتاع كثيرا لذهاب المستر ريج الى كردستان. ولم تقنعه الاسباب التي ذكرت له، اذ لا يتصور التركي او يعتقد بالسياحة - -

وكانت هذه الالوان هى الغالبة فى اهداب (شراشيب) اغطية رؤوسهم؟ وكان الموكب صامتا، ووقع اقدامهم يسمع من بعيد. وعندما ادى حرسى التحية ردها الباشا بوضع يده فوق صدره بوقار عظيم. وقد ارسلت عرفائى للقياه، وخرجت شخصيا بعيدا عن باب الخيمة لاستقباله، وما ان رآنى حتى ترجل بين هتاف عرفائه فصافحنى بكلتا يديه ودخلنا الخيمة وجلسنا سوية على بساط احضرته خصيصا لهذه المناسبة. وقد تمكنت بصعوبة من اقناعه على ان يتخذ جلسة مريحة، ويقعد القرفصاء، اذ كان مصرا على ان يتجشم صعوبة الجلوس ليظهر الاحترام الزائد، بالركوع مستندا على كعبى قدميه. وقد رحب بى وبزيارتى لكردستان مرة بعد اخرى مؤكدا لى بان بلاده بلادى، ومكررا كلمات غيرها من كلمات المجاملات الشرقية. وقد تبادلنا طبعا، الكثير من العبارات الرقيقة، منها اعتذاره عن حالة بلاده، وامتداحى لها. وعلى كل فقد كنت اعبر عن شعورى مخلصا، اذ انى فى الحقيقة كنت مفتونا بالتلال الخضراء ومبتهجا لابتعادى عن بغداد. وبعد ذلك سلمته رسالة باشا بغداد، ولما كانت رسالة رقيقة جدا فقد عنيت العناية كلها بتسليمها على مشهد من حاشيته او ملازميه، وقد ظهر لى انه ادرك اهتمامى. وقد تكلم عن حالة البلاد، مبديا لى الصعوبات التى يكابدها بسبب وضعه على حدود سلطتين متنافستين لا تنفك الاولى عن اضطهاده فى طلب الجزيات والضرائب، والثانية وهى السلطة المنقاد اليها حكما، اى سلطة الاتراك الذين كانوا يلحفون عليه ان لا يخدم الايرانيين، ولا يؤدى لهم المال، ومع هذا فلم يتمكن الاتراك من الدفع، ولم يرغبوا فيه عندما نفذ ما اراده شهزاده كرمنشاه بالقوة. وقد اشار الى النتائج الوخيمة التى تورثها هذه الادارة المزدوجة فى خيرات البلاد وازدهارها، مشيرا الى كل ذلك بتواضع ودراية، كما بين رغبته فى الانقياد الى اغراض باشا بغداد مخلصا. وفى الواقع اننى اعتقد بانه يميل كل الميل الى الاتراك بدوافع دينية، ولكن من السهل ان نرى ان اغراضهم لم تكن مقبولة كل القبول وان الاكثرية الساحقة فى هذه البلاد لا تكن الاحترام للعثمانيين او الثقة

للاستشفاء او للتسلية، والظاهر انه توقع شرا لشخصه. ويقال ان وصول الساعى من استانبول يوم وصول المستر ريج الى كردستان قد قوى فيه مخاوفه وايدها ـ الناشرة.

بهم، وهم لا يستحقونهما. ان ادارتهم السياسية ادارة عمياء، متعجرفة، خداعة، فبفطنة قليلة وباسترضاء يسير وباحترام كاف للشعور بالسنية بين الاكراد المتعصبين الذين يمقتون طائفة الايرانيين، كان باستطاعة العثمانيين توثيق اواصر الولاء بينهم وبين شعب جسور كثير العدد - يقطن فى اهم مناطق حدودهم - ويعطى الرجحان للكفة التى يختارها حين يحين الآوان. فهنالك الان لعبة تلعب، يصعب استكناه الغامض من حيلها. ولكن من الواضح انها قضية «مقابلة الخدعة بالخدعة». وذلك ان باشا بغداد يسعى الى خدع كل من باشا كردستان وشهزادة كرمنشاه فى الوقت الذى يخدع فيه شهزادة كرمنشاه كلا من باشا بغداد، وباشا كردستان. وهم بمجموعهم وعلى انفراد يسعون بدورهم الى غش الباب العالى، الذى سيخرج ولا ريب متضررا من القضية اكثر من غيره، والذى يسعى فى كل الامور ليجعل من نفسه العدو المشترك؟ هذا ولا دخل لى بكل هذه الامور. وان الموقف الذى انا فيه اضطرنى ان اكون الى جانب تركية، ولو بصورة سلبية على الاقل، وقد سعيت ان ابين ذلك بجوابى. وبعد فترة سكوت وجيزة اعتقدت خلالها بان الباشا قد تأثر بما ابنت تأثرا حقيقيا قال «ان والدى رحمه الله كان يودك كثيرا. ولو انه شهد هذا اليوم الذى طالما توقعه لفرح كل الفرح. وانني كنت افضل ان يستقبلك هو، عوضا عنى. «فأجبته» ان عبدالرحمن باشا كان صديقا اكن له بالغ التبجيل، وانى احترم ذكراه الاحترام كله، الا انه ترك خير خلف له». وبعد ان دخنت الغلايين واديرت كؤوس الشربت واحرق البخور، ورش ماء الورد، رجع الباشا محفوفا باتباعه كما اتى. وقبل ان يترك الخيمة اخبرنى بانه يرغب فيما اذا راق لى ذلك، ان ادخل السليمانية بعد غد فى التاسعة صباحا، فأدركت حالا بانه يجب ان يكون السبب فى ذلك خرافة تنجيمية، ومن الطبيعى اننى سايرته فى الامر.

ولم يكن فى محمود باشا ما يميزه فى شخصيته وحديثه، ذلك انه رجل بسيط رشيد، وهو فى الوقت ذاته رقيق الحاشية دمث الطبع، ويقال ان اخلاقه الفردية كاملة لا شائبة فيها، وذلك امر لم يكن من الامور الاعتيادية بين الاكراد.

وكان اليوم كله يوم امتحان كبير لاعصابى الخائرة ولكنه ما كان يوما مزعجا لولا قدوم التاتار. كان المنظر طريفا لا عهد لى به وكان الاكراد ابعد من ان يكونوا مثار قلق وازعاج، وقد التقطت بعض المعلومات من الكثير منهم. لقد اردف الباشا زيارته بهدية كبيرة من الاغنام ومن المؤن الاخرى لجميع حاشيتى، وقرر ان لا يدعنى اشترى اية حاجة ما دمت فى منطقته، الا اننى معتزم ان اضع حدا لذلك، حالما ينتهى استقبالى الرسمى.

٩ ايار.

قضيت صباح اليوم بكتابة رسائل رسمية وشخصية، وبايفاد التاتار. وجاء بعد الظهر صديقى القديم عبدالله باشا * لمواجهتى، وكان قد تمرض مرضا موجعا طال امده حتى كدت ان لا اعرفه من شدة تأثيره فيه، لقد عانقنى بسرعة وبلهفة، وقد عجز من فرط تأثره عن التكلم لبضع ثوان. وهالنى ما تركه المرض فيه من ضعف ونحول، وهكذا كان تلاقينا كئيبا فى بادىء الامر، وان انبعث فينا الانتعاش عندما اخذنا نذكر الايام الماضية. وكان من السهل الادراك ان اعضاء حكومة بغداد، ولا سيما داود باشا لم يكونوا عند حسن ظنه، ولا استغرب ذلك اذ ان الاتراك عاملوه معاملة قاسية، ومما لا شك فيه انه سينتهز بدوره الفرص ليكيل لهم صاعا بصاع بل اكثر من ذلك. لقد تكلم عن ابن اخيه باشا السليمانية الحالى بتعظيم ولطف، واحسب اننى استطعت ان الحظ بعض التحرج عنده. لقد قضى اكثر من ساعة معى وصافحنى عند الوداع مصافحة حميمة.

درجة الحرارة فى الخامسة ق. ظ. ٥٦ د وفى الثانية والنصف ب. ظ. ٧٨ د وفى العاشرة ب. ظ. ٦١ د. الريح شرقية ولكنها معتدلة.

(*) عم من اعمام محمود باشا، باشا السليمانية.

الفصل الثالث

عثمان بك ـ الدخول الى السليمانية ـ زيارة الباشا ـ وصف دارنا ـ تعلق الاكراد برؤسائهم ـ قصص ـ عراك الحجل ـ افغانيون فى شهرزور ـ زەنيفون والعشرة آلاف.

* * *

١٠ ايار.

كان هذا الصباح هو الذى اقر المنجمون ـ على ما يظهر ـ ملائمته لدخولى عاصمة الباشا واستقباله لى استقبالا رسميا، فقبل الوقت المعين بنصف ساعة تقريبا جاءنى عثمان بك الشهير الذى سمعت عنه الكثير وهو اصغر اخوان الباشا واجرؤهم ليأخذنى الى المدينة، وكان برفقته جميع اعضاء المجلس وهم على ظهور جيادهم، وجماعة كبيرة من المشاة الاكراد. وكان البك ممتطيا بعظمة جوادا عربيا كريما من جياد عرب عنزة ويقال انه كلفه ١٣ الف قرش *.

كانت ملابس القوم كلهم زاهية بهيجة، وقد اثر فى منظر البك كثيرا، فلم يكن ضخم الجثة بل مربوعا قوى البنية، وكانت تقاطيع وجهه متناسقة غاية التناسق، ولحيته سوداء مجعدة وعيناه زرقاوين غامقتين، وحاجباه سوداوين واهدابه سوداء، وسحنته سحنة رجل خفيفة السمرة وردية جميلة نقية. لقد كان بوجه عام شابا وسيما جدا، ويقال عنه انه لا يضاهيه من ابناء قومه احد فى الفروسية وفى التمارين العسكرية المفضلة لديهم وهو مشهور ايضا بشجاعته وكرمه، ومن الناحية الاخرى يقال عنه ايضا انه فاسق فى اخلاقه مستبد فى ميوله الى حد ما.

(*) اخبر الاستاذ يعقوب سركيس، المترجم عن قيمة القرش، قائلا : «كثيرا ما تغير حجم القرش العثمانى وثقله وعياره خلال اكثر من ثلاثة قرون. ويظهر لى استنتاجا من حسابات لاحد التجار فى بغداد فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ان هذا القرش اذا ما قسناه بنقودنا العراقية الحالية يساوى (١١) فلسا باعتبار الدينار ذهبا. فالـ (١٣) الف قرش تساوى نحو (١٤٣) دينارا ذهبيا، او باونا استرلينيا كذلك ذهبا . . ».

وقد علم المترجم ان التاجر الذى يذكره الاستاذ المحترم هو جده.

لقد بادرنى بحديث رقيق غير متكلف ينم عن بعض الاخلاص دون ان يكون اى اثر للخشونة والفظاظة فيه وقد الفيته مهذبا فى سلوكه، كما شعرت انه كان مدركا لميزاته الشخصية. وكان يرتدى افخر الملابس التى تتفق والذوق الكردى، فرداؤه من القماش الندى الفاخر المزوق بالاوراد الذهبية، وغطاء رأسه من الشال الكشميرى المزين بالاهداب الذهبية ايضا وقد وضعه وضعا مرتخيا غريبا، اما رداؤه الخارجى فكان معطفا او جبة من القماش القرمزى الفينيسى (البندقى) ذا ازرار ذهب، وكان عمر عثمان بك اثنين وثلاثين سنة، اما عمر اخيه الباشا فخمس وثلاثون سنة. وامهما اخت خالد باشا وهى كذلك من سلالة عائلة الـ (بەبە) الرئيسة *.

وكان عثمان بك يميل الى التكلم عن شؤون البلاد الكردية بحرية جاوزت الحد الذى اردت تشجيعه عليه، وكان من السهل الادراك انه لم يكن من الميالين الى الاتراك. وكان ينظر مرارا عديدة الى ساعته خلال الحديث والظاهر انه كان حريصا على عدم فوات الوقت المضروب لركوب الخيل، وعندما اخبروه اخيرا بحلول الوقت نهضنا سوية وتقدمنا حسب الترتيب التالى :ــ

دليل، فبوقى، فحامل الراية ** ثم ثلاثة خيول مسحوبة يعقبها رئيس سواسى ثم عرفائى او المشاة العداة وهم مدججون بالسلاح ومن ورائهم جنودى ومعهم طبولهم ومزاميرهم، وانا من وراء هؤلاء راكب «فينفار» وعلى كل من جانبى الجواد ماسك ركاب مسلح بالطبر والدرع، ثم يأتى المستر (بەل‌لى‌نو) والدكتور (موران دو) فعثمان بك على جواده العربى الجميل يعقبه نسق مؤلف من زهاء ثلاثمائة من المشاة الاكراد، ويعقب البك وجماعته اعضاء مجلس الباشا ومأمور خزينتى ثم التوابع الراكبون حيث ينتهى الموكب. تقدمنا بنظام حسن جدا نحو المدينة اذا جاز لنا تسميتها كذلك، وهى ما كانت تبعد اكثر من ربع ميل، وكان الجمهور المتجمع لمشاهدة الموكب غفيرا، وما كنت اظن ان المدينة تضم ذلك العدد الكبير من الناس، وبالرغم من ذلك ساد النظام التام،

(*) هذا اسم عشيرة باشا السليمانية، وقد ورثوا ذلك من جدهم (بەبە سليمان). (٧)

(**) لقد حمل راية الصليب تركى، وعزف بوقى ايرانى موسيقى المسير الانكليزية، وما كان العزف رديئا. (ويعنى براية الصليب الراية البريطانية ــ المترجم).

وكان ضباط شرطة (داروغا)* ينزلون،دون ان ارى لذلك سببا، الضربات المتوالية على من حولهم بهراواتهم الثقيلة التي يبدو ان الضربة الواحدة منها تكفي لطرح ثور، ومع هذا بدا لي انني كنت الوحيد المنزعج من هذا الاسلوب في فسح الطريق، اما الاكراد الذين كانت تنزل بهم الضربات المتلاحقة فكانوا يتلقونها على رووسهم ومناكبهم باقل اكتراث كأنها نازلة على سندان. وهكذا وصلنا القصر وكان مدخله واطئا حقيرا ضيقا وسخا الى درجة اظن انها لاتليق بمسكن حاكم بل بمسكن رجل من عامة الناس، ولكنني علمت ان لهذه الحالة منافعها في مثل هذه الديار اذ انها تجعل الدفاع عن كرسي الحكومة في الطوارىء ممكنا. والمدخل لا ينتهي الى واجهة القصر بل ينعطف الى جانبه** وهنا اضطررت الى الترجل اذ استحال على التقدم بعد ذلك راكبا. ثم ارتقينا درجات سلم جميل يؤدي الى بهو الاستقبال الذي لو عمر لكان غرفة فاخرة حقا وكانت واجهة البهو مكشوفة تستند على اعمدة***

استقبلني الباشا عند الباب واخذني الى كرسي في صدر الغرفة وقعد كل من المستر (بەلی‌نو) والدكتور على كرسيين ايضا دون الصدر بقليل، وجلس اعضاء المجلس يرأسهم عثمان بك على (نيم مد) عريض + او سجادة شعر ثخينة في الجانب المقابل، واختلط افراد حاشيتي برجال الباشا الذين جلسوا في صفين على محاذاة جدران الغرفة وقد وقف في وسطها الـ (ايشيق باشي) رئيس التشريفات وبيده عصا منصبه، وملأ الممرات وردهة الدار تحت

(*) رئيس الشرطة. (كلمة جغتائية يعبر بها عن منصب هو المشرف الاداري او الجابي. ــ المترجم).

(**) وهنالك مدخل جيد آخر (وان كان حقيرا ايضا) في واجهة القصر كانوا يرممونه آنذاك.

(***) تسمى مثل هذه الحجر بـ (تالار). انتهى ــ (وقد عرفت في اللغة البغدادية بـ (طرار) ــ المترجم).

(+) كلمة فارسية معناها نصف مدة. ويصطلح عليها في القسم الجنوبي من العراق بالمدة وجمعها مدات وقد يعبر عنها بكلمة (يان) التركية ــ الجانب ــ في بعض الاحيان. (المترجم) وقد جاء في حاشية من الكتاب ما يلي :ــ شقات ضيقة من اللباد الثخين الناعم المزين بالوان عديدة جميلة، تفرش حول الغرفة في ايران وكردستان وتقوم مقام الارائك والكراسي.

الغرفة جمع من الاكراد مرتدين خير الثياب. وبعد تبادل الكلمات الترحيبية لاحظ الباشا اننى اعجبت بالغرفة فقال «ان والده المرحوم هو الذى بناها وانها تحتاج الى الترميم» ثم اردف قائلا «ومن الذى يرمم شيئا وهو غير متأكد من استمتاعه به؟ وقد يقوضه الاتراك او الايرانيون بعد ايام معدودات» واخبرنى بان الفضل فى علو موقع القصر يعود الى تشييده فوق رابية اصطناعية من الآثار القديمة جدا* وكانت المناظر التى يشرف عليها القصر بهيجة تشرح الصدر. لقد حاولت تجنب الكلام فى السياسة وحمل الباشا على البحث فى اقتصاديات بلاده وعادياتها، فاصبت الهدف بادىء الامر اصابة موفقة. وقلت له باننى سمعت ان والى (سنه) من عائلة كورانية (٨) وان الكورانيين لم يكونوا موضع احترام كافراد قبائل، فسرت بين الحاضرين فورا دمدمة استحسان عمت الغرفة. وهنا تبين لى اننى نلت تقدير الاكراد العشائريين، فهب الباشا بحيوية اوفر من المعتاد وطفق يذكر تاريخ عائلته فقال فى بادىء الامر ان عائلة والى (سنه) عائلة عريقة جدا ولكن الكورانيين ليسوا من العشائر، ثم اخذ يمتدح نفسه ذاكرا انه سليل عائلة عريقة وعشيرة كريمة، واردف قائلا ان اسم عشيرته فى الاصل هو (كرمانج) اما كلمة (بهبه) فهى لقب عائلته التى يؤلف اعضاؤها رؤساء العشيرة الذين يتولون الرآسة بالوراثة، ولذلك تسمى الآن جميع المنطقة التى يقطنونها وسكانها معا بحكومة البهبه او بالحكومة البابانية. وقد تكونت العشيرة فى الاصل فى (بيشدر) فى الجبال الشمالية بالقرب من (سى كه‌نه) على الحدود الايرانية. وقال ايضا ان احد اجداده قام بخدمة جليلة لاحد السلاطين العثمانيين فى حربه مع الايرانيين فجوزى على ذلك بتوليته على كل منطقة يتمكن من اخضاعها، وهكذا استحوذ مع الزمن هو وبعض من خلفه من الرؤساء على المناطق التى يشغلونها الآن وغيرها من المناطق التى استرجعت من الايرانيين منذ ذلك الحين. وانضوت كل هذه المناطق تحت لواء البابان او البهبه وعهد امرها الى باشوية (شهرزور) التى كانت كركوك عاصمتها. ولم يتمكن الباشا من ذكر اى من التواريخ لى، وكان كل ما يعرفه

(*) وقد تكون هذه الرابية من نوع الطنوف التى ذكرتها فى بحوث (جمجمال) و (ده‌ركه‌زين) و (طاس لوجه).

هو ان اجداده كانوا ارباب اللواء لزمن طويل ثم خصصت اليهم باشوية منطقتين قبل مدة تقل عن القرن. وقد اخبرني انه من السهل تمييز الكورانيين من سيمائهم ومن لهجتهم الكردية. لقد تحدثنا كثيرا في مثل هذه المواضيع وتفارقنا ونحن صديقان حميمان، وبدا لي ان ابناء عم الباشا كلهم، اي ابناء عشيرته صاروا ينظرون الي بعين الرضا.

وعند مغادرتي القصر وجدت جوادا جميلا عليه عدة مزركشة جيدة مهيئا كهدية لي لم استطع الا قبولها، فقيد امامي. والآن ذهبنا لمعاينة الدار التي هيأت لسكناي وهي قريبة من القصر وقد وجدناها دارا تكتئب لها النفس، وهي وان كانت فسيحة الا انها خربة قذرة. وكانت على حالها تلك مسكن احد رجال او ضباط الباشا، وقد اخرج منها لنقطنها، وكان نفوري منها وعزوفي عن السكنى فيها ظاهرين على كما اعتقد، وبعد ان دار بعض الهمس بين الاكراد وبين حاشيتي اوفد الباشا رئيس وزرائه راجيا ان اسمح لمامور خزينتي بالذهاب مع احد رجاله لاختيار اية دار في المدينة ليفرغها لي صاحبها فورا فاشغلها بيد انني لم استسغ هذه الفكرة علاوة على عدم رغبتي في ازعاج الغير ازعاجا آخر. هذا ومن رأيي ان الفرق بين المساكن في المدينة لا بد ان يكون ضئيلا على كل حال، ولا بد من ان الباشا قد بذل كل ما في وسعه في بادىء الامر لتأمين راحتنا قدر المستطاع فقررت الانصياع الى الواقع واشغال الدار المخصصة لنا، وشعرت فورا بان قراري هذا قوبل بارتياح عام. وعلى ذلك ارسلت ميناس ليستصحب زوجتي الى المدينة اذ ان الاكراد لا يستحسنون مطلقا رجوعي الى مضربي اليوم، وكان من السهل ادراك رأيهم الخرافي في النحس الذي قد يصيب امورهم فيما اذا تركت المدينة، ولذلك وحتى قدوم قرينتي قضيت من الوقت مدة ساعتين اوثلاث ساعات في التمشي مكتئبا متكاسلا الامر الذي زاد في الصداع العصبي الذي شعرت بنذيره منذ الصباح.

وارى ان وصف هذه الدار مما يساعد على معرفة غيرها من الدور الجيدة في السليمانية، فهي بناء مربع ذو طابق واحد مبني على دكة مشيدة من اللبن – الطابوق المجفف بحرارة الشمس – ارتفاعها ثلاث اقدام تقريبا

مملوطة جدرانها بالطين الممزوج بالتبن. وقد طليت جدران غرفة واحدة او غرفتين منها بالنورة فوق طبقة الطين، وسقفها مسطح مؤلف من جسور وعوارض تعلوها طبقة من التراب. والبناء كله قائم فى وسط حريم واسع او كما يعبر عنه فى الهند فى وسط محيط، وينقسم هذا الحريم الى فنائين بجدار يتصل بجانبى البناء بالقرب من منتصفه جاعلا القسم الامامى منه حريما والقسم الخلفى منه حريما آخر وهكذا يتفرع الى فرعى الحرم* والديوان (ديوانخانة)**، وليس ثمة باب تصل بين الفنائين من داخل بناية الدار ذاتها كما هى الحاله فى جميع البيوت التركية، بل يجب ان ندخل من باب فى الجدار الذى يقسم الحريم الى فنائين، وذلك مما لا يرتاح له المرء فى الحالات الجوية الرديئة بوجه خاص. كانت ساحة كل من الفنائين معشوشبة وقد غرزت فيهما اشجار الصفصاف والحور والتوت وانجم الازهار فى اخاديد ولوحات صغيرة. ويجرى فى افنية بيوت السليمانية جدول ماء صغير يسيل من الجبال فى الكهاريز. والظاهر ان تقسيم الغرف لا يستند على تصميم، وعلى كل حال لم اتمكن شخصيا من الوقوف على اى نظام او طراز فى بناء الدور ما عدا وجود طرار فى فرعى الحرم والديوان. والطرارات غرف مكشوفة امامية مخصصة لاستقبال الزائرين وللنوم فى الصيف فيها بوجه عام، ولا ينام احد فوق السطوح الا الفقراء الذين لا طرارات فى بيوتهم. هذا وفى ايام الحر الشديد التى لا تستمر الا مدة شهر واحد، يستعمل البعض دكات او مصطبات واطئة لذلك الغرض، وفى الصيف يشيد الكثيرون سرادق من القش - جارداق - او من الاغصان فوق حوض صغير فى ساحة الدار، او ينصبون خيمة تخلصا من البراغيث وهى من المزعجات الفظيعة فى جميع انحاء الشرق، ويقال انها لا تطاق فى هذه الربوع خاصة.

وهناك فى الديوان ردهة او بهو واسع خال يستند على اعمدة يكاد ان يكون مظلما، ويقال عنه انه ملجأ بارد فى الصيف، لكنه لا بد ان يكون بؤرة تعج بالبراغيث. وهنالك بلية اعظم هى بلية العقارب التى يقال انها كثيرة وكبيرة

(*) مقصورة النساء من البيت.

(**) قسم من البيت يستقبل به رب الدار ضيوفه ويسكنه الرجال من الخدم.

وسامة، وتوجد هنا ايضا امهات السبع والسبعين، الا انني اعتقد انها لا تثير الكثير من الرعب في القلوب، وكذلك الا فاعي وهي كبيرة وعديدة ويقال عنها انها سامة ايضا.

اما غرف الدار الشتوية فيدخل اليها من مجازات طويلة معتمة ومنظرها مما لا يثير الرغبة في مشاهدتها من قريب. وفي الحقيقة انني كنت اتجنب البقاء في داخل الدار وافضل ان اكون خارجها على قدر المستطاع.

اما البيوت الاعتيادية الاخرى فهي زرائب من الطين، ويظهر ان المكان بكامله يحاكي قرية عربية كبيرة، وهي مكشوفة تماما، ويلوح ان الناس لا يهتمون لذلك اذ وجدنا النساء يخرجن مع الرجال سوية لانجاز واجباتهن البيتية دون ان يتحجبن. ومع ذلك تحتوي هذه المدينة الحقيرة المظهر على خمسة خانات وجامعين معمورين وحمام واحد جد انيق. وقد قدر خير المقدرين من الاكراد نفوس السليمانية بعشرة الاف نسمة بما فيهم موظفو الحكومة وتوابع الامراء، اما المواطنون الاعتياديون فهم من القرويين المزارعين.

وحالما وصلت الامتعة نصبت خيمة بعمودين فجعلتها ديوانا او غرفة استقبال، وبعد ان زوقتها باسلحتي وفرشتها بسجادة جميلة ومدات تلطف الباشا فارسلها الى اصبحت غرفة استقبال غربية لا يزدرى بمظهرها، ومما لا شك فيه انها اصبحت ابهج واحسن من اي غرفة في المدينة. ونصب السباهيون - الجنود الهنود - خيامهم في ساحة الدار كذلك وحذا حذوهم البعض من جماعتي من الذين لم ترق لهم حالة ملاجئهم.

ولم تصب استعداداتنا في الحرم في الليلة الاولى النجاح المطلوب، وقد جربنا احسن الغرف تهوية ولكن مما يؤسف له ان الحر والروائح الخانقة واسراب البرغش ابانت سخف مساعينا فسحبنا سررنا الى «الطرار» وخبنا هنا ايضا فبقينا مسهدين حتى الفجر من جراء هذه المزعجات الكردية. ولو تمكنت من الرقاد بضع ساعات لكان ذلك من النعم الكبرى علي، وانا على ما عليه من الارهاق العصبي.

درجة الحرارة - في الخامسة قبل الظهر ٦٢ د، وفي الثالثة والنصف

بعد الظهر ٧٥ د، وفى العاشرة بعد الظهر ٦٨ د، هبات ريح جنوبية، يوم مزعج ومطر قليل.

١١ ايار.

زارنى الكثير من السادة الاكراد، واقتطفت منهم شتى المعلومات عن بلادهم. لقد طلب امان الله خان والى (سنه) ذات مرة من عبدالرحمن، باشا السليمانية ان يخبره عن الدواعى التى تمنع خدمه من مرافقته الى منفاه بالرغم من معاملته اياهم معاملة حسنة، وعدم اظهارهم تعلقهم به فى اوقات المحن والحرمان كما اظهر ذلك الاكراد البابانيون حيال امرائهم على الدوام. وكان جواب عبدالرحمن باشا الكبير على ذلك جوابا فذا فى بابه اذ قال «انك لست رئيس عشيرة وليس رجالك رجال عشيرتك، وقد تلبسهم وتطعمهم وتغنيهم الا انهم ليسوا ابناء عمومتك، بل هم خدم ليس الا».

وفى الواقع ان تعلق الاكراد برؤسائهم شديد جدا، فهم يعيشون فى بغداد مع اسيادهم فى حالة نفى منكرة يكافحون فيها شظف العيش وكل انواع المحن والعوز دون ان ينبسوا ببنت شفة، وقد ترى فى بغداد سادة فى اسمال بالية يملك كل منهم فى بلاده جوادا مرختا وخادما ولكن المعروف عنهم انهم غالبا ما يتكسبون المال من الحمالة والسقاية ليقدموه الى اسيادهم ليعينوهم على العيش. فعند موت شقيق عبدالرحمن باشا فى بغداد كان احد الاكراد من اتباعه واقفا فى شرفة الدار او على سطحه، وفى الدقيقة التى اسلم فيها سيده النفس الاخير صاح قائلا «ماذا؟ امات البك؟ اذن يجب ان لا أعيش لحظة واحدة من بعده» ثم قذف بنفسه من اعلى الدار ومات مهشما. وكثيرا ما رويت لى هذه القصة فى بغداد، ومع هذا فالنفى فى بغداد امر يخشاه الاكراد كل الخشية، الى درجة ان تعلقهم الشديد برؤسائهم ذاته لا يدرء عنهم اهوال ذلك النفى دوما؛ فانهم يتحملون الفقر والعوز دون تأفف الا ان قفار البلاد العربية المحرقة فظيعة حقا لا يطيقون العيش فيها على ما يدعون. وعندما بلغ بسليمان باشا الكردى الغباء حد السماح لنفسه ان تجذبه بغداد اليها مرة اخرى بعد ان جرب مرارا غش باشا بغداد وخيانته له تقدم اليه احد البكزادات او احد

السادة البارزين المتقدمين فخاطبه قائلا انهم على اهبة الاستعداد للقيام باى امر من اجله الا تحمل اهوال النفى فى بغداد مدة طويلة، وانهم يرغبون فى ان يسمح لهم بالنزوح مع امراء العائلة الآخرين سعيا وراء نصيبهم من الرزق فى كردستان.، وعندما يتولى الرؤساء الحكم يشرعون بتوزيع اخصب الاراضى على اولئك الاتباع المخلصين، علاوة على اهدائهم لهم الخيل والسلاح باستمرار. لقد اخبرنى خالد باشا بانه عندما اقصى من حكم كوى سنجاق جاءه رجاله بمعدات خيلهم وسروجها وشفوفها الفضية فالقوها بين يديه قائلين له انه سينزح الى بغداد منفياء وانهم سيلتحقون به هناك حيث لا حاجة بهم الى مثل تلك الكماليات، واستعطفوه ليجعل من الفضة مالا يستعين به.

لقد تأكد لى من خير المصادر الموثوق بها ما كنت اتوقعه منذ زمن بعيد من ان القرويين فى كردستان يؤلفون جماعة تختلف الاختلاف الكلى عن رجال العشائر، وهم نادرا ما يفلحون الارض او انهم لا يفلحونها البتة، ومن الجهة الاخرى فانهم لم يكونوا جنوداء ويسمى الاكراد العشائريون انفسهم بالـ (سپاه) او الاكراد المحاربين تمييزا لانفسهم من الاكراد القرويين. اما القرويون فلا اسم مميز آخر لهم فى هذه الاصقاع من كردستان غير (رعية) او (كويلى). ولقد اعترف لى احد ابناء العشائر ذات مرة قائلا ان العشائر ينظرون الى القرويين على انهم خلقوا لخدمتهم. وان حالة هؤلاء الفلاحين الاكراد تعسة حقا تشابه حالة الرقيق الاسود فى الهند الغربية الى حد كبير، والا نكى من ذلك اننى لم اجد فى الامكان حمل هؤلاء الاسياد الاكراد على الخجل من قسوتهم على اتباعهم المساكين * والكل يتفق على ان الفلاح

(*) ان ما التفت اليه المؤلف من وجود مميزات هامة ما بين العشائر الكردية والقرويين الاكراد كان فى محله، لان المعروف عامة ان العشائر الكردية ان هى الا وحدات اجتماعية او رمز خلص من الاقوام (الايندوآرية) التى نزحت الى منطقة كردستان ابان عهد الهجرة الكبرى اى قبل ميلاد المسيح بنحو الف وخمسمائة عام. اما القرويون فالمفهوم انهم بقايا سكان المنطقة الاصليين يمت اصلهم باقوام (زغروس) ولكنهم اندمجوا مع مرور الزمن بالعشائر النازحة مع احتفاظ كل من الوحدتين ببعض سجاياها ومميزاتها وان كانت تلك الميزات اخذت تتلاشى. وهنالك تعبيران يطلقان على القرويين وما زالا مستعملين حتى الان تمييزا لهم عن زمرة العشائر. وهما «ديكانى» اى اهل

يتميز بسهولة من ابن العشيرة القح فى الملامح والكلام؛ وليس له ان يظهر نفسه كالنبلاء من ابناء وطنه.

قال لى محمود آغا «ان الاتراك يسموننا كلنا اكرادا، وهم لا يدركون الفروق بيننا، فاننا اناس نختلف الاختلاف الكلى عن القرويين، وعند هؤلاء البلادة التى يسر الاتراك ان يلصقوها بنا». * والمقصود من المعاملة التى يعامل بها القروى هو تبليده، ولكن الاستبداد مما يحط من منزلة السيد والعبد ويبلدهما على حد سواء؛ وعلى هذا الاساس ما كان يستغرب ان يغدو كل من الكردى العشائرى والكردى القروى بليدا لا احساس له.

وفى خلال محادثة تتعلق بالعوائل الكردية البارزة قال احد الحاضرين «اليس من العار ان يرضى امراؤنا بالذهاب الى بغداد حيث يكرهون على الاذعان الى تركى ابتيع قبل مدة كما تباع الانعام ببضع مئات من القروش، وهو ان انفعل خاطب ايا منا بقوله ـ «ايها الكردى الحمار» ثم انبرى آخر من الحضار قائلا «ان فى تحاسد امرائنا دمارهم، فليس للاتراك ولا للايرانيين حول فى ايذائنا الا باستغلالهم انشقاقنا والمنافسة العائلية القائمة بين رؤسائنا. اننا نعلم هذا، وبالرغم من ذلك ينجح الاتراك على الدوام بطريقة او باخرى فى التغلب علينا، ولا ريب فى اننا اكراد ذوو عقول متبلدة». وعند ذكر الحالة القذرة للدار المتهدمة التى اسكنها قال الرجل ذاته «هذا هو الحق، ولكن لم نشيد البيوت العامرة او نرممها ونديمها ونحن غير موقنين من اننا سننعم بها فى ايام حياتنا بله ابنائنا؛ يذهب باشا ويخلفه آخر من العائلة ذاتها ** فيأتى باصدقائه والمقربين اليه فيطردوننا من بيوتنا ومقاطعاتنا. ان سر خراب هذه البلاد هو

القرى والثانى «مسكين ـ Misken » اى الفلاح، وفى التعبير الثانى شىء من الازدراء.
وهناك حقوق يتمتع بها رؤساء العشائر على القرويين والفلاحين تجعلهم فى الحقيقة (مساكين) بالمفهوم المتعارف به. راجع الملحوظة (٩) للوقوف على بعض الحقوق التى كانت لرؤساء عشائر (بيشدر) والمسماة بالـ (آغايتى) اى حقوق الاغاوية.

(*) يشير بذلك الى قول دارج بين الاتراك «احمق كالكردى».

(**) وجدير بالذكر هنا القول بان باشوات السليمانية كلهم يجب ان يكونوا من البيت البابانى.

انعدام ما تتطلبه من استقرار ومن دوام حكامها؟ فمهما كانت ميول الامير فمن الخير ان يتمسك بها طيلة الحياة».

وبعد الظهر جاءني محمود مصرف ليسليني بمشاهدة عراك الحجل، وهذه مسلاة مفضلة لدى الاكراد. وعند ما علم مصرف وهو رياضي مشهور بانني لم اشاهد قبلا معركة حجل سر كثيرا للفرصة التي اتيحت له ليريني مجموعة حجل العراك التي يقتنيها، وهي مجموعة فاخرة جدا. جاء مصرف يتقدم القوم ومعه اربعة من اولاده وكلهم فتيان رشيقون طويلو القامة، وكان لمنظر صاحبنا هيبة بين اولاده. ولقد انشرح صدره كثيرا عندما ابديت له رأيي هذا في اولاده فقال «اجل لدي ياسيدي ثلاثة او اربعة ابناء آخرين في الدار وسيكون لهم شرف لثم يدك في يوم من الايام» وقد اخذني العجب عند ملاحظتي حرية هؤلاء الشبان غير الشرقية في حضرة والدهم، فلم يكن ثمة تكلف في تصرفهم، واخذ كل منهم يدخن غليونه. ان ما خبرته الى الآن من عادات الاتراك والعرب ما كان ليجعلني اتوقع منهم حتى الجلوس في حضور ابيهم. وبعد ان اديرت كؤوس القهوة، ودخنت الغلايين اعلن تقدم «الجيش» - كما اصطلح صاحبنا على تسميته - بكتكتة الحجل التي كانت تسمع من مسافة بعيدة، وتقدمت بعد برهة جماعة من الاكراد الاقوياء تحمل على اكتافها اثنين وثلاثين قفصا في كل قفص حجل فحل، وقد اثارت كتكتة هذه الطيور الاجماعية المتواصلة ضجة غريبة اشبه باصوات دقات الف ساعة جسيمة، ولم يخلدوا الى الصمت لحظة الا عند العراك، واعقب الاقفاص جماعة من المتهوسين وكلهم شوق لمشاهدة المنظر. ولو لم اوعز بغلق الابواب لاوفر الاذى على من لا يقف عند حده الا بضربه بالهراوات والعصي، لا ندفع الى داخل الدار كثير غيرهم، ثم صفت الاقفاص على شكل دائرة، ووقف المشاهدون من ورائها وانا ومصرف واولاده نتمم المحيط عند الخيمة. وكان المنظر جديرا بالرسم الا ان ذلك كان مستحيلا علي، ان لم اره عدة مرات لتتكون عندي فكرة لوضع خطوط الرسم الاساسية.

فتح احد المعاونين باب احد الاقفاص واطلق احد الطيور فانتفض هذا في الهواء كالمتحدي، ثم شرع يتبختر في انتظار غريمه. وبعد ان افرج عن

الطير الثاني بدأ العراك، وكان المنظر مؤنساء لم يكن فيه اى قسوة مطلقاه وكان من المبهج جدا رؤية هذه الطيور الصغيرة تتبختر على رؤوس اصابعها متحدية، تقفز وتنقر بعضها البعض، وتتحايل لتنال ممسكا ملائما، وتتحاذر الوقوع بما لا تريد. وقد لاحظت ان البراعة كلها كانت فى نوال الغريم من قفا رقبته، فاذا ما نال الطير غريمه على ذلك النحو تمسك به كالكلب الافطس «بوول دوك»، وقد يدور به احيانا مرتين او ثلاث مرات حول الدائرة، وقد يرتاع احد الغريمين احيانا فيهرب خارج ساحة العراك، وعندئذ ترجح الكفة وينتهى النضال بينهما حقا، اما الطير المغلوب فلا يعود ميالا الى عراك آخر قبل مضى شهرين او ثلاثة اشهر. ولكل طير من الطيور اسمه، اما اجنحتها فلا تقص. وهذه الطيور مروضة الى حد لا تمانع فى مسكها، واذا ما انتهى العراك تراها ترجع الى اقفاصها من تلقاء نفسها، وهى لا تتناقر مطلقا ولا تهجم الا للسعى وراء مسك الغريم. وكان الاكراد يشاهدون العراك بشوق عظيم. وبعد ان انتهت هذه البدعة بدا لى انها لم تكن الا مسلاة او ملهاة صبيانية. ان الاكراد قوم رياضيون متحمسون لسباق الخيل، وعراك الحجل والكباش والكلاب. وقد سمح (محمد) كعربى صميم بالمراهنة على سباق الخيل، ولكن الاكراد استغلوا هذا السماح استغلالا بعيدا عن حدوده فأجازوا الرهان فى عراك حجلهم وكلابهم.

وبعد انتهاء العرض، جاءنى ضابطان اخبرانى بان داروغا امرهما ان يترأسا دورية من خمسة عشر جنديا لتدور خارج نطاق الدار طيلة الليل. ولتمكين الدورية من اجتياز جماعات حرسى تعلم افرادها عبارتى «من المتقدم؟» و «صديق» الانكليزيتين، انه لامر غريب ان نسمع الاكراد فى السليمانية يحاولون تلفظ تلك الكلمات باللغة الانكليزية، وقد تعلموها من الجنود الهنود المسلمين ومن رعايا بريطانيا العظمى الذين اخبرونى بان هؤلاء قد تعلموا الغرض من «سر الليل» ايضا بعد ان عرفوا معناه فى ايران.

اسست الدورية موضعها، دون مراسم فوق احدى الدور المجاورة، واخذ افرادها يسيرون على سطوح البيوت ويتجولون بين العوائل القاطنة فيها كلما حلا لهم ذلك. ولقد كان الاعتراض على مثل هذا الظلم الشنيع مما لا

يجدى نفعاً كما لا يدرك الظالم ولا المظلوم بواعث ذلك الاعتداء. ترى الهذا الدرك المنحط يذل الانسان بتمادى تعرضه الى الظلم الجائر؟. لقد حدث ان سأل آغا ميناس احد ضباط الشرطة الخفر فى امكان الحصول على سرير ما، فكان الجواب ايجابيا، وبكل بساطة ذهب الضابط الى اول خان قريب منه واستحوذ على ثلاثة سرر تعود الى بعض التجار البغداديين من نزلاء ذلك الخان، واتى بها الى الدار منتصرا، ولا حاجة بنا ان نقول ان الاسرة ارجعت الى اصحابها حالا.

درجة الحرارة ـ فى الخامسة ق. ظ. ٦٦ د، وفى الثانية والنصف ب. ظ. (٧٠) د، وفى العاشرة ب. ظ. ٦٨ د، الريح جنوبية شرقية، بعض زخات من المطر مع قليل من البرق والرعد.

١٢ ايار.

ذهبت صباح اليوم الى الحمام فألفيته جميلا جدا. وكانت اضاءته جيدة، والخدمة فيه حسنة ايضا، كما وجدته ارقى من اى حمام آخر شاهدته حتى الآن فى اى قسم من انحاء المملكة التركية عدا حمامات الشام واستانبول والقاهرة، بل ويمتاز عليها فى بعض النواحى. وقد ملطت جدرانه بملاط خافقى وصبغ على الطراز العربى، وزوق بالاحواض ذات النافورات. وشيده الباشا الحالى على نفقته، مستخدما معمارين ايرانيين جلبهم خصيصا لذلك، ويقال انه قلد فى تشييده حمام (كرمنشاه) الحديث، كما بنى حماما آخر على النمط ذاته فى حرمه. والمسلم ينفق المال بسخاء على الحمام، اذ يعد ذلك نوعا من التقوى، حتى ان الجيوش المتخاصمة لا تفكر مطلقا فى ايقاع الضرر به، هذا ويمكن حماية ذلك الملك بوقفه *.

لقد وجدنا درجة الحرارة فى السليمانية ملائمة، فقد كانت فى السادسة ق. ظ. ٦٦ د، وفى الثانية والنصف ب. ظ. ٧٨ د، وفى العاشرة ب.ظ. ٦٩د، هبات ريح من الغرب، رعد وزخات مطر، ثم مطر شديد وبرق ساطع فى الليل.

(*) الوقف حبس الملك للاغراض الدينية والخيرية، وفى هذه الحالة يكون الوقف صوريا.

١٣ ايار.

ذهبت لزيارة صديقي القديم عبدالله باشا، وخلت انه قد استعاد صحته قليلا، ولكنه لا يزال واهنا غاية الوهن. وقد تكلم عن ذكريات بغداد دون شعور بالسرور. وعلى اثر ذكر اسم قريبه خالد باشا قال «انه قضى الزمن الطويل وهو لا يزال في بغداد فأضاع كل خصاله العشائرية، ولقد اصبح كالتاجر لا اقل ولا اكثر». لم يكن عبدالله باشا ممن يمتاز بالحرص على تقصي الاخبار، ولكنه وجه الى هذا اليوم وللمرة الاولى الاسئلة العديدة مبتدئا بال «جين ماجين» على حد تعبير المسلمين عن الصين، واستمر الى ان اتى على ذكر موقف الدول الاوربية وقوة كل منها. وكان من الواضح انه لا بد وان جرت بعض المداولات في تلك المواضيع بين افراد العائلة البابانية، وان صديقي اراد ان يهيء نفسه للمناقشة الثانية.

وبعد رجوعي الى الدار وقبل دخولي الحرم، استقبلت بعض الاصدقاء الاكراد. قال محمد آغا : «ان افتقارنا للامن في ممتلكاتنا هو اصل دمار المملكة، ونحن ابناءالعشائر اذا لم نتأكد من تملكنا مقاطعاتنا، لا نكرس انفسنا مطلقا الى الزراعة، ولا يكون للمملكة نصيب من الازدهار. ومثال ذلك لم ابذر طغارا من البذور وانا غير متأكد من ان رئيسي سيبقى في دست الحكم، واني مالك مقاطعتي حتى موسم الحصاد على الاقل ؟ فبدلا من ان افعل ذلك اسمح للقرويين ان يفلحوا مقاطعتي كما يروق لهم فاستوفي منهم حصتي وهي «الزكاة»، او العشر علاوة على ما اتمكن من الحصول عليه منهم باي وسيلة واي حجة كانت . . » (٩)

كان عبدالرحمن باشا يصبو في وقت ما الى ان يجعل جراية بلاده الى الباب العالي، على ان يكون مستقلا عن اي باشا مجاور، وكان راغبا في ان يدفع الى العاصمة نقدا وبصورة منتظمة اي جراية سنوية قد يطلبها الباب العالي، على ان يتبع اوامر السلطان دون غيره، وان لا يكون عرضة للعزل او الاقصاء او التدخل بالشؤون الداخلية لمنطقته الا في حالة العصيان؛ ولكن هذه امور لم يتمكن الباشا من القيام بها قط. فعند عصيان سليمان الصغير، باشا بغداد، على الباب العالي عرض رئيس افندي المرسل من استانبول لاقصائه، على عبدالرحمن

باشا حكم بغداد ولكن الرجل رفض شرف توليه المنصب باباء رفض الرشيد الحكيم قائلا : «حقا اننى بذلك، سأصبح وزيرا من الدرجة الاولى، غير ان جرعة واحدة من ماء ثلوج جبـال بلادى تساوى فى قيمتهـا عنـدى رتب الامبراطورية بكاملها. هذا وبانتقالى الى بغداد سيزداد نصيبى من نعم الحياة، ولكنها ستؤدى اخيرا الى دمار العائلة البابانية».

وذهبت بعد الظهر لزيارة عثمان بك، وكانت هيأة خدمه ممتازة حقاء وكانت داره كدارنا الا انها افضل ترتيبا ومشيدة فوق سهوة اعلى نسبياء وما كان عثمان بك ليقل منزلة بتوالى المقابلات، وقد وجدته رجلا طيب المعشر الى حد بعيد. لقد سألنى اسئلة معقولة، كما اجاب على اسئلتى اجوبة تنم عن ذكاء جم، وقد اعتذر عن رغبته فى الاستطلاع بقوله :ـ «وقد اكون فظاء ولكن تذكر ما يشعر به الكردى من غرابة فى التحدث مع احد الانكليز، ومن رغبة لا بد ان تجيش فى صدره لاستغلال ذلك الحديث ومعرفة الامور التى لا يمكن له الوقوف عليها بطريقة اخرى تلك الامور التى لا بد ان تعود عليه بالنفع». وكنت اود ان يستمر فى السؤال، واكدت له بأننى سأكون مثله فى حرية الاجابة. لقد كان كثير السؤال عن انكلترا وفرنسا وروسيا وعن حكومتنا ومراسيم بلاطنا، وعن تشكيلات واسس جيشنا الذى وجه الاسئلة الفضولية العديدة عنه، الامر الذى يدل على اهتمامه فى الموضوع وادراكه له. وكان عـلى نقيض الاتراك لا يعلق اهميـة بالغة عـلى شؤون السلطان واستـانبول والاتراك. وقد سألنى عن تفاصيل معركة (واترلو) التى يحتمل انه سمع عنها من الايرانيين دون ان يتذكر اسمهـا. وقـد سمع عن (بونابارت) او «الامبراطول» كما نعته، ثم اتى على ذكر الصين ووجه تقريبا ذات الاسئلة التى وجهها عبدالله باشا الى صباح اليوم، الامر الذى اكد ظنى بان الموضوع لا بد وان جرى بحثه بينهم. وسألنى خصيصا عما اذا يسمح للاجانب بزيارة حاضرة الصين، وقد بدا ادنى الى الاستغراب عندما اخبرته بان سفيرا من بلاطنا كان فى الصين اخيرا. وبناء على اقتراح ابداه له احد الحاضرين انتقل فى بحثه بحذر ظاهر الى الهند البريطانية مبتدئا بملحوظة مفادها ان من الطبيعى ان يكون الملك الذى له جيش قوى كجيشنا الرغبة فى استخدامه، وانه لم

يستغرب كوننا ننشد على الدوام فرص الفتوحات. لقد ادركت ما كان يود التوصل اليه فقلت له: «ان جيشنا العظيم لم يؤلف برغبة من الملك، وهو لم يكن الا على قوة كافية للدفاع عنا، ومن الضرورى ان ننشىء جيشا كبيرا اذا انشأت الدول الاخرى جيوشا كبيرة، واننا لا نرغب فى التدخل بشؤون الغير كما اننا لا نسمح لاحد ان يتدخل بشؤوننا، وان لنا فى الوقت الحاضر ممتلكات تزيد فعلا عن مقتضيات رفاهيتنا، واننا نحتفظ ببعضها لاننا لا نستطيع التخلى عنها دون وقوعها تحت سيطرة الآخرين فيستغلونها لما فيه ضررنا». وعلى ذلك قال لى: ـ «اذا كان الامر على ما تقول، فكيف اذن تتوسعون فى فتوحاتكم سنة بعد اخرى فى هندستان؟» ثم اردف قائلا «وارجو ان لا تأخذ سؤالى هذا مأخذ سوء». فأجبته «ان فتوحاتنا فى الهند انما ترجع الى ذات المبدأ الذى ذكرته الآن، واننا لم نكن اول الاوربيين الذين فتحوا بعض اصقاع الهند، فبعض هذه الاصقاع التى نحتلها الان انتزعناها من هؤلاء الاوربيين نتيجة لتغلبنا عليهم فى حروبنا معهم فى اوربا، والبعض الآخر سلم الينا من قبلهم، كما اشترينا بعض الاقسام، وظفرنا باقسام اخرى بمعاهدات عقدناها مع اهل البلاد لقاء خدماتنا لهم او لمنافع وفوائد اخرى. وهكذا تكونت امبراطورية عظمى من نواة صغيرة، امبراطورية تتاخم اقاليم الكثير من الامراء الاقوياء، ولقد استفاد البعض من هؤلاء منا وكانوا اصدقاء لنا، اما البعض الآخر فيغار من قوتنا ويحسدنا على نعمنا وهم لم يكونوا على ثقافة تؤهلهم على نوالها. واذا تجاور الناس لا بد من تصادم المنافع بينهم فى الغالب، ولا بد من تعرضهم الى اسباب النزاع، ومع ان الانكليز مسالمون بالطبع حيال من هم على غرارهم فأنهم ليسوا شعبا يخنع لارادة الغير. ان ضرورة الدفاع عن حقوقنا، وصيانة شرفنا كثيرا ما ادت بنا الى الحروب، وكان الله، وله الحمد، فى عوننا فى الغالب، ولم نكن فى اى من هذه الفتوحات البادين فى العدوان البتة».

لقد بان لى بأنه قد تأثر تأثرا عميقا بوجهة النظر هذه، واعترف لى بأنه كان يظن فيما مضى بان الانكليز كانوا قد ارسلوا على غرة جيشا كبيرا لفتح الهند، وقاموا بفتوحاتهم كلما تولدت الرغبة فى نفوسهم دون سبب او حجة. ثم استفسر عن المناطيد قائلا ان قد نمى اليه انها وسائل فى وسعها نقل

مفارز الجنود الى اى محل مقصود. ثم انتقلنا بالحديث الى انكلترا ثانية. وما سره شيء مثل علمه بان لدينا بعض العشائر، وكان دقيقا جدا فى اسئلته عن اطوار عشائرنا ولغتهم واخلاقهم ورجانى ان اذكر له بعض اسماء تلك العشائر، وقد فتنته فكرة الكتائب العشائرية بازيائها الخاصة وضباطها، الا انه استغرب من ان تكون الطبقة الحاكمة من الانكليز ابناء المدن، غير العشائريين؛ وكان استغرابه اشد عند علمه بان ابناء المدن جنود بواسل هم الاخرون. وقد اثار سؤاله عن الاماكن التى نستورد منها الرز ذكر العالم الجديد، فسألنى من فوره عن كيفية اكتشاف تلك القارة فأجبته ان قد اثبت علما الفلك والهندسة بان الارض كروية كالبرتقالة. وقد مثلت هذا الشطر من تفسيرى برفع قبضة يدى قائلا «هنا فرنكستان، وهنا الهند، وهو ذا الطريق المؤدى الى الهند من فرنكستان، الا ان بعض الناس صاروا يتساءلون لم لا نستطيع طرق الاتجاه الآخر المفضى الى الهند؟ فراى البعض ذلك وانكره البعض الآخر. وقال شخص اجرأ من الآخرين انه سيحاول ذلك، ووجد اميرا زوده بالسفن وبالوسائل التى تمكنه من القيام بمحاولته فاكتشف القارة الجديدة بسلوكه ذلك الطريق غير المطروق الى الهند». ففهم هذا الامر كل الفهم. وعند ايضاحى له نوع الجمهورية الامريكية قال: «ان شأنها شأن عشائر الـ (خوش ناو)* حيث يترأس كل قرية رئيس، وهم يجتمعون سوية للتشاور فى صالح العشيرة بكاملها».

(*) عشائر الـ (خوش ناو) ثلاث هى: مير مه‌حمه‌لى ومير يوسفى وبيشده‌رى. وبين الاوليتين ثار قديم يجعلهما فى حرب مستمرة لصالح الباشا البابانى الذى لا يتمكن من ادامة سيطرته عليهما الا باستغلال مهارته للاستفادة من انشقاقهم على انفسهم، كما يديم الاتراك والايرانيون سيطرتهم عليه تماما. وهنالك جدول صغير يفصل بين العشيرتين، ولهم جامع واحد مشترك يجتمعون فيه ايام الجمعة للصلاة ثم يفترقون من بعدها، فيرجعون على الاغلب الى اماكنهم عند النهير ويشرعون بتبادل الرمى. وقد شرعوا مرة بالخصام فى الجامع فقتل عشرون او ثلاثون منهم.

وهم فى لباسهم كاكراد العمادية. وترد لغتهم الى اللهجتين البابانية والبهدينانية. وتنطبق نفس الملحوظة على اكراد (راوندوز) الذين لم اتمكن من معرفة اسم عشيرتهم الرئيسية، واننى اعتقد بانه لا يوجد بين الـ (خوش ناو) والراوندزيين قرويون او فلاحون.

وعندما اخبرته بان لا يجرؤ احد منا على الجلوس في حضرة ملكنا، قال «ماذا ؟ حتى ولا ارباب الدين منكم ؟ » فأجبته بالنفى فقال بلهجة الرضى مديرا وجهه الى البعض من الحاضرين من قومه :«أرأيتم ذلك، ليس للملالى من سطوة فى بلاده.» وقد تكلم كثيرا عن الحالة فى كردستان قائلا «ان بلادى فى حالة تعسة، فاذا خدمت الاتراك حقروك وخلعوك متى شاؤا، واذا خدمت الايرانيين اضجروك على الدوام بطلب المال . . » انه كردى حق، ولكنه يفضل الايرانيين على ما يظهر من تينك القوتين المتنافستين. وقد وجدته عند مغادرتى له ودودا اذ قال لى انه يعتبرنى من عشيرته، وانه يرجو دوام الصداقة الحميمة بينى وبينه.

وعند رجوعى حضرت مشهد عراك الكلاب الطريف*، وكان من المبهج مشاهدة فرح الاكراد الشديد وهم يشجعون ويصرخون ويتراوحون بأرجلهم، وقد ملأوا المكان بالضجيج اكثر من الكلاب انفسهم. كان احد الكلاب يعود الى صديقى الرياضى محمود مصرف، الذى ما ان علم بوجود كلب شهير فى (كوى سنجاق) حتى ارسل احد الرجال خصيصا الى هناك فى طلبه كى ينازله مع احد الكلاب هنا، وهو يكاد ان يكون اقوى من جميع كلاب المنطقة فى الوقت الحاضر.

كان الكثير من السادة الاكراد يشاهدون العراك، وقد خاطبنى احدهم بقوله «انك اول انكليزى رأيناه هنا، وانك ستكون مدار حديث احفادنا، واننا لمغتبطون بوجودك بيننا.» وقد رددت الجماعة بكاملها، هذا الاحساس.

درجة الحرارة فى الخامسة ق. ظ. ٦٢ د، وفى الثانية والنصف ب. ظ ٧٦ د. نسيم غربى عليل، ونهار جميل.

١٤ ايار.

زارنى الباشا صباح اليوم وجلس معى مدة ساعة تقريبا، فوجدته رجلا يعلو قدرا كلما ازداد التعرف به، وفى اطواره ما ينم عن الجد واللين والوداعة، وكل ذلك مما ينشرح له الصدر، وقد سألنى كثيرا عن الدول الاوربية مثلما سألنى عنها اخوه يوم امس، وقد بدأ حديثه بالسؤال عن الصين اذ كان قد

(*) كانت من جنس كلاب الرعاة الفظة.

دار بينهم بحث عنها اثار اهتمامهم البالغ على ما يظهر. لقد تكلم بتواضع ولباقة في جميع الابحاث التي تطرق اليها، ثم وجهت البحث الى التلقيح ضد الجدري الذي اود كثيرا ادخاله الى كردستان التي يفتك بها هذا المرض فتكا ذريعا، وقد ابدى رغبة شديدة بتعميمه بين ابناء جلدته فوعدته بالكتابة فورا الى بغداد للحصول على بعض اللقاح.

جاءني صديقي الرياضي مصرف على عادته عصرا، فبدأ بحديث المساء بالسؤال عن الصين ايضا.

والاكراد هم الشرقيون الوحيدون الذين اعرف انهم يسهرون الى ساعة متأخرة من الليل، وينهضون في ساعة متأخرة صباحا، وقليل من سادة السليمانية من يأوي الى فراشه قبل الثانية او الثالثة بعد منتصف الليل ومن يظهر خارج داره قبل التاسعة او العاشرة صباحا، وتكون زياراتهم عادة في الليل فاذا خيم الظلام بدأوا يتزاورون في دور بعضهم البعض حيث يستأنسون بالسمر والتدخين والموسيقى، وقد يقومون بزيارتين او ثلاث زيارات من هذا النوع في الليلة الواحدة. وقبل الغروب بساعة واحدة ينعقد مجلس على غرار النوادي امام دار مصرف في محل رحب من المدينة يعرف بالميدان، حيث يجتمع الاصدقاء فيبحثون في مواضيع شتى او تقام معارض الخيل او السلاح. وقد تجري هناك احيانا مباريات المصارعة او عراك الحجل او الكلاب. ويظهر لي ان الاكراد أناس فرحون اجتماعيون الى حد بعيد، لا يتنافسون ولا يتحاسدون، ولم اسمعهم يتشاتمون او يتقاذفون بالكلام البذيء مهما اختلفت نزعاتهم وتضاربت منافعهم.

وعندما كان الباشا في زيارتي اليوم، انتهزت الفرصة لانهاء شأن من الشؤون اوصاني به صديق يستحيل على رفض طلبه. فقد استولى الاكراد في الايام الاخيرة على كمية كبيرة من خشب يعود الى مضارب بغدادي اعتاد قصه من الجبال الكردية، وبناء على رجائي أمر الباشا باعادة الخشب الى صاحبه، وان لم يعثر عليه فيجب قطع نفس الكمية وتسليمها الى المضارب. وبنتيجة هذا الحادث وقفت على تجارة قطع الخشب التي من خصائصها ما هو خليق بالاطلاع عليه على ما ارى. تقطع افلاق الخشب من شجر الدلب او الصنار

(جنار) الشرقي - نبت شجرة جميلة ذكية الرائحة - في منطقة الجبال التي تفصل (سنه) من كردستان التركية، وخاصة في منطقتي (جوان رو) و (دولي هاوار)، وهي في واد في جبال (حلبجة)٠ والغابات في الشرق ملك الشعب، الا ان الرؤساء المجاورين يتحايلون عادة لجر بعض المغانم من المضاربين بأسم الهدايا وذلك بتعريضهم الى شتى الاخطار والعراقيل٠ يقطع الخشب ويقشر ويترك ليجف وبعد عام او عامين، ينقل عند فيضان المياه، الى اقرب موقع يمكن تطويفه منه حتى نهر (ديالى) تحت رقابة اناس على الساحلين يلاحظون طوافه بالاتجاه المقصود، وعندما يصل (ديالى) يترك وشأنه حيث ينحدر عائما على وجه الماء حتى الجسر بين بغداد وطاق كسرى فيلتقطه من الماء اناس ينتظرون وصوله٠ ولا شك ان مقدارا كبيرا منه يضيع بطريقة النقل هذه٠ هذا وان الخشب في بغداد غالي الثمن غلاء لا بد وان يدر ربحا طيبا٠ وتقطع اشجار التوت والجوز ايضا في كردستان، الا ان هذه تشترى من البساتين، اما شجر الحور - قاواق او الـ (سبندار) * فيجلب من الجزيرة ** والعمادية، واما الصفصاف او الـ (سكوود) فمن الفرات من اعالي (عنه)٠

لقد اخذ الخشب الآن يندر يوما بعد يوم في جبال (سنه) من جراء قطعه من قبل الناس جزافا، وقال لي مخبري بان الاماكن التي اعتيد ان يقطع منها الخشب قد خلت الآن حتى من الاعواد الصغيرة، وقد ساهم اخيرا رجل من

(*) (سبيدار) كلمة كردية تعني الحور في العربية، ومعناها الشجرة البيضاء وقد تطلق احيانا في بعض الاماكن على شجرة الصنار او الشنار (جنار) ٠- المترجم

(**) راجع الملحق للوقوف على ذكر بعض الاماكن في الجزيرة والاراضي المهمة المجاورة لها وغير المعروفة الا قليلا، ومن بينها قلعة (في نيك - Finik) وهي على بعد اربع ساعات في اعالي الجزيرة، ولها صيتها في تاريخ الاكراد القديم منذ سنة ١٤٦١ ففي سنة ١٤٥٠ حاصر الجزيرة الامير (خالابي - Khalapi) امير (سعرد)، وفي عام ١٤٥٩ انتزع الجزيرة الامير احمد البوتاني، الذي استولى على جبال كوردوشيان، - كما يقول (آسسەمانی - Assemanni) - من الامير ابراهيم الذي احتمى بقلعة (فی‌نەك - Phineck)، وفي عام ١٤٦١ دارت معركة بين رؤساء (حسن كيف) والبوتان في غابات الجزيرة، وفي السنة ذاتها استولى احمد البوتاني طاغية الجزيرة على (في‌نيك) وامر بحرق ابراهيم واولاده٠ ومن الجدير بالذكر ان (آميانوس مارسل لينوس) يشير الى (بەزابدە - Bezabde) او الجزيرة والى (في‌نيك - Phoenica) في الصفحات ١٥ و١٦ و٢٦ من سفره العشرين٠

(كرمنشاه)، يتعاطى الصب والسبك وسك النقود، فى تدمير غابات الدلب او الصنار، متصورا ان لا شئ يطمنه سوى الفحم المصنوع من الصنار، وهذا اضر بالغابات من قطع الجذوع منها.

ان عمال او وكلاء قطع الخشب لا يجرأون قط على حمل الدراهم معهم عند توغلهم فى الاحراش، اما الاجور فتدفع للعمال فى (حلبجة)* وهى اقرب مدينة من المنطقة، ويقال ان اهالى هذه الجبال، وعلى الاخص اهالى (جوان رو)، فى اشد حالات «البربرية» البداوة، وهم تابعون اسميا الى والى (سنه) الا انهم فى الحقيقة مستقلون الاستقلال كله عن غيرهم: يعيشون فى الغابات وفى معاقلهم وليس لديهم ما يجذب الزوار اليهم، وهم لا يزاولون الزراعة، ويقال انهم يعيشون على ثمر البلوط والاثمار البرية وحسب. وقد يكون الامر الفذ بين هذه العشيرة الوحشية هو السيطرة العظمى التى تنعم بها نساؤهم، وكثيرا ما تقمع المرأة منهم الخصومات المستفحلة بين الرجال، ولولاها لما انتهت الا بسفك الدماء، اذ ان افراد هذه العشيرة كغيرهم من الوحوش نزقون حقودون، وليس لحياة المرء عندهم اى قيمة. ويعيش الرجال والنساء منهم سوية دون اقل تصنع فى التحجب، وكثيرا ما تثير ثائرة تاجر الخشب البغدادى الاسئلة التى يوجهونها اليه على الدوام نحو: «ما هو اسم زوجتك؟ وكيف تلبس؟» وغير ذلك.

لقد ايد لى رواية هذا المخبر، الكثيرون من الاكراد الذين زاروا تلك المنطقة البدائية .. وعجبت لسماعى ان فى منطقة (شهرزور) بعض القرى التى يسكنها افغانيون اقحاح، وقد نزح هؤلاء الى هذه الناحية من البلاد على اثر مقتل (آزاد خان). ويقال انهم لايزالون يتخاطبون بينهم بلغتهم، وهم فى حالة فقر مدقع، ويعدون من صنف الفلاحين. وتوجد فى كردستان بعض العوائل الافشارية ** ايضا، وقد قابلت احد «اغوات» او سادة هذه العشيرة واسمه عيسى آغا، وكان رجلا مسنا جميل الصورة جمالا غير اعتيادى، ذا طول فارع

(*) تقع (حلبجة) فى منتهى وهد (شهرزور) نحو الجبال، وفى الجنوب الشرقى من السليمانية.

(**) عشيرة نادر شاه.

ووجه جليل. وقد قيل لى انه وان كان قد نشأ فى كردستان، فمن الممكن التعرف فورا من لهجته بانه ليس كرديا. وليس هناك احد يحسن التكلم بالكردية تكلما صحيحا الا الكردى المولود فى كردستان، وهذا امر ينطبق على اللغة الانكليزية على قدر ما يتعلق بالموضوع؛ وتنحصر الصعوبة فى الامر فى دقائق التلفظ وفى ادماج مقاطع الكلمات بعضها ببعض.

١٥ ايار.

وصل ساع ليلة البارحة الى الباشا من بغداد ــ قاطعا المسافة ــ فى ثلاثة ايام، وقد جاء ليخبره بأن باشا بغداد استقبل والدة محمود باشا استقبالا رائعا، وانه من المحتمل ان تقبل مقترحاته هو، وانه قد منح فى الوهلة الاولى مقاطعة (قەرە حسن) مع تسليم حسن بك * والوعد بتوليته على (اربيل) و (آلتون كوبرى)، على ان يطلق سراح باقر خان الذى يلازم السليمانية منذ مدة كرسول من شهزادة (كرمنشاه) جاء يطلب ثلاثين الف تومان.

وقد قص لى محمد آغا بعض القصص الغريبة، خاصة ما يتعلق بهروب حسن بك فى العام الماضى، وكلها مما تلقى الضوء على خيانة الحكومة التركية وسوء سياستها القاء جليا.

لقد زارنى باقر خان بعد ظهر اليوم، وهو رجل بسيط احمق له لحية غريبة لا يتصورها العقل، وهو من اصل كردى من عشيرة (مافى)، ويفوق تكلمه الكردية تكلمه اى لغة اخرى. وقد سألته عن خرائب (هەرسين) فأكد لى انه لم يكن هنالك الا خزان ماء منحوت فى صخرة، ولم تكن هناك اية رسوم او كتابة.

لقد اظهر حفل عصر اليوم ازياء السليمانية كلها، وقد ارتداها خمسة وعشرون او ثلاثون رجلا من اعيانها. ومن باب التسلية اقاموا مباراة عراك حجل .ايضا نزلت ميدانها اعداد اكبر من الطيور وغمرها حماس عراك اشد من حماس الحفلة السابقة، فأجود المعاركين من الحجل يجب ان يصطاد من العش ويدرب، هذا ويقتضى تجويع الحجل يوم العراك، اما فى الصيف فيلزم اخذها الى الجبال والا اضاعت مزاياها.

(*) الاخ الاصغر لمحمود باشا، وقد فـ الى بغداد قبل عام.

١٦ ايار.

زرت الباشا صباح اليوم، واشعر بانى ازداد نحوه ودا فى كل مرة اقابله بها، لقد وعدنى ان يبذل كل ما فى وسعه ليجد لى نسخة من تاريخ كردستان الشهير المسمى بتاريخ الاكراد. وقد رويت له قصة «زه‌نيفون والعشرة الآف» ذاكرا له مجد قومه التليد، ولقد وجدته واكراده كلهم آذانا صاغية لحديثى، كما وجدت علائم الاهتمام البالغ ظاهرة عليهم عند استماعهم الى القصة. وكان المنظر بديعا جدا يؤلف مادة ممتازة للرسم، وقد صرح الباشا ببساطة تنم عن حسن طوية قائلا: «ليت شعرى هل كان لعائلتى خطورتها فى ذلك الدور؟..» وكان من بين الحاضرين كيخسرو بك رئيس عشيرة الجاف، (١٠) وهى عشيرة قوية محاربة، وكان البك رجلا جميل الطلعة. ومن المؤكد انى كنت اول اوربى شاهده حتى الآن، والظاهر انه دهش لرؤياى، ولكنه لم يحملق فى بفظاظة او غباء.

١٧ ايار.

اعدت اليوم زيارة باقر خان الذى يسكن فى بيت الـ «داروغا»، وهى دار كئيبة كالدار التى نسكنها. اخبرنى باقر خان بأن عشيرته وهى عشيرة (مافى) الكردية مستوطنة فى (خراسان) الا ان بعض العوائل منها تقطن فى (كرمنشاه). ولغته تختلف فى اللهجة عن لغة السليمانية، الا انها لغة مفهومة تماما. وباقر خان ملم الالمام كله بخراسان وافغانستان، وببعض اقسام تركستان، وقد زودنى ببعض الاخبار الغريبة عنها، وانبأنى كذلك بمناجم حجارة الشذر - فيروزه - فى (نيشابور)، والشذر يتكون عروقا صغيرة بين صفحتين من الصخر، كما اخبرنى بأن محمود رحيم خان، رئيس خوارزم الحالى هو سليل عبد الغازى خان بهادر* المؤرخ التاتارى الشهير، وان العنوان الصحيح لسلطان (بخارى) لم يكن سلطانا بل (تورا).

(*) هو امير بيت جنكيز خان. وقد حكم فى اواسط القرن السابع عشر تقريبا وكتب تاريخ انساب التاتار الذى ترجم الى عدة لغات اوربية.

الفصل الرابع

حديث مع الباشا ـ كيخسرو بك ـ عشيرة الجاف الكردية ـ مناخ السليمانية ـ فطور مع الباشا ـ نفوس السليمانية ـ الرماية ـ تخت سليمان ـ حفريات أثرية ـ حفل موسيقى ـ الزورخانة او الملعب ـ عشاء فى بيت عثمان بك ـ الصلاة الشرقية ـ سليمان بك ـ المهارة فى استعمال السيوف ـ الزراعة ـ شهر رمضان٠

١٨ أيار٠

قضيت ساعة ونصف ساعة مع الباشا، كانت عندى من اطيب الاوقات٠ انه يتميز بخلق متين، متواضع، غير متكلف الى حد يجعل الحديث معه مؤنسا ممتعا، خاصة بعد ان يعتاد المرء على ما فى سلوك اغلب شخصيات الشرق البارزة من تصنع وكذب وادعاء٠ لقد سألته «لم لا يلبس الدرع، وهو اللباس الحربى المفضل لدى الاكراد ؟ » فأجابنى قائلا «لاننى لست ذا قوة كافية لحمله»٠ ولو سألت اكثر الشرقيين هذا السؤال لأجابوك بانهم لا يحبون ذلك، او انهم يأنفون من وقاية انفسهم فى المعارك٠ فلو اراد المرء معرفة السر فى عجبى لتلك الميزة فى الباشا لكان عليه اولا ان يعيش طويلا بين الاتراك، ويلم الالمام التام بعاداتهم فى التفكير والكلام٠ وليس لدى ما ادونه عن حديثنا اليوم، اذ كان معظمه يدور حولى٠ اما الباشا فكان يسأل الاسئلة الكثيرة عن الجيوش الاوربية، مبديا ملحوظات تنم عن حكمة ودراية٠

وكان فى ضيافتى مساء اليوم كيخسرو بك، بالاضافة الى الجماعة المعتادة٠ ان عشائر الجاف (*) التى يرأسها كيخسرو بك تسكن اعالى الجبال(**) فى حدود منطقة والى (سنه) ورجال هذه العشيرة رجال وسيمو الطلعة شجعان، بيد انهم يعتبرون حتى فى نظر الاكراد انفسهم من اشد العشائر بداوة وتوحشا٠ وتختلف لهجتهم الكردية اختلافا عظيما عن لهجة الاكراد البابانيين، وان مظهرهم بارز فى بابه لدرجة يمكن تمييزهم به بسهولة٠

(*) راجع اللوح الرقم ٢ ٠ احد رجال عشيرة الجاف٠

(**) ان منطقة (جوان رو) الوارد ذكرها اعلاه هى قسم من هذه الجبال٠

وهم يؤلفون جماعة خيالة متطوعة قوامها الفا فارس تقريبا يتبعون البك عندما يدعوه زعيمه الاقطاعى باشا السليمانية الى ميدان القتال. وتتمكن العشيرة من تجنيد اربعة آلاف من حملة البندقيات ـ المشاة ـ بسهولة وهم يعدون من خيرة المحاربين فى الجيش الكردى، ونظرا لقوة العشيرة وشدة بأسها نجد بينها من احتمى بهـا من شتى العشـائر وفلول العشـائر الكسيحة كالـ (فه‌يلى) يين والـ (كه‌ل‌هور) يين، الذين غالبا مـا يسيئون الى اسم الجـاف. واذا مـات الرئيس وكان ابنه صغيرا فلا يخلفه فى الرئاسة، اذ لا يحكم العشيرة الغلمان قط وفى هذه الحالة يشغل منصب الرئاسة اخو البك المتوفى او عمه او خاله.

يعيش الجـاف كلهم فى الخيام(*) وهم يخيمون فى الصيف فى جبال حاجى احمد الشاهقة فى حدود (سنه)، وفى الخريف ينتشرون فى منطقة (شهرزور)، اما فى الشتاء فيقطنون (شروانه) على ضفاف نهر (ديالى).

١٩ أيار.

لم يحدث ما يستحق الذكر صباح اليوم وقد زارنى بعد الظهر عبدالله باشا، وبما انه لا يتميز بوفرة الاطلاع فى احوال بلاده، فلم اظفر بالكثير من المعلومات المجدية من محادثته. فقد تكلم عن مناخ السليمانية وعن البرد الذى يشتد شتاء وعلى الاخص عندما تهب الرياح الشرقية الشديدة. وقد تكسو الثلوج الارض احيانا مدة تتراوح بين الستة اسابيع والشهرين، وذلك لتوالى سقوطها مرة اثر اخرى مما يحول دون ذوبان ما سقط منها سابقا. وقد تساقطت ثلاثا وعشرين مرة قبل عامين. اما المناخ فى الصيف فلطيف، الا اذا هبت الرياح الشرقية وهى تهب بشدة هائلة لمدة ثمانية او عشرة ايام متوالية فى بعض الاحيان، ومثل حر هذه الرياح المنهكة للقوى فى الصيف مثل بردها القارص فى الشتاء. والغريب فى امر هذه الرياح اننا لا نجدها فى اى اتجاه كان على بعد

(*) يسمى الاكراد العشـيرة الرحـالة او العشـيرة التى تعيش تحت الخيم بالـ (خيل ـ Kheil) والواحد منها (خيله‌كى) انتهت الحاشية. ـ (والاصح «خيليك» ـ المترجم).

ساعتين او ثلاث ساعات من السليمانية. ويقال ان منطقة شهرزور (*) حيث يزرع الرز بكثرة، شديدة الحرارة غير صحية، تزخر باسراب الذباب والبعوض، وتوجد فيها الافاعي بكثرة بدرجة انها غالبا ما ترى زاحفة جيئة وذهابا على طوار الطرق حتى في وضح النهار.

٢٠ أيار.

زارني اليوم من بين من زارني من اصدقائي المعتادين رجل كرجي اسمه تمير آغا (تيمور آغا) وهو مملوك (احمد كهيا) الذي فر من بغداد اثر وفاة علي باشا، وكان بقاؤه في السليمانية منذ ذلك الحين فطنة منه، وهو يعد الآن احد اغوات الاكراد او سادتهم، ويملك عدة قرى غنية اهداها له باشا السليمانية السابق والحالي، وهو لا يرغب في الرجوع الى بغداد ولو اسندت اليه اعلى المناصب الحكومية فيها، ويظهر انه قانع بما هو عليه الآن من حال كل القناعة.

(*) تمتد منطقة شهرزور الى قرب جبال (آورومان ـ هاورامان) وعاصمتها (كل عنبر) او (غول آمبەر) كما يسميها الاتراك ويضطر سكانها الى الرحيل عنها صيفا الى (كوجەل — Kochel) وهو موقع بارد في سفوح جبال (آورومان). ان المسافة من السليمانية الى (آربەت) ثلاثون ساعة، وهنا تبدأ منطقة شهرزور، ومن (آربەت) الى (كل عنبر) حيث تنتهي المنطقة ثماني ساعات. وفي (آربەت) استخرج عبد الرحمن باشا مقادير كثيرة من الطابوق الخالي من الكتابة، كما عثر على بعض المسكوكات فيها. وقد وعدوني بانموذج منها. ووجد في (كل عنبر) مدفعين مطمورين تحت الانقاض. ومنطقة شهرزور ملأى بالآثار القديمة كالطنوف والتلال كـ (كەورەقەلا ـ القلعة الكبيرة) في طريق (زهاو)، والكهاريز التي لا يزال الكثير منها صالحا للاستعمال، وقد وجد الكثير من فخارات الرميم في اماكن عديدة منها. و (آربەت) هو المكان الذي عثروا فيه على اكبر مقدار من الآثار. وفي (آربەت) طنف تحوط به آثار مدينة كبيرة، وعندي ان تلك البقايا هي آثار مدينة (شهرزور) القديمة، الا ان الاكراد كلهم ينكرون بالاجماع وجود مدينة باسم (شهرزور) سابقا، وهم يصرون على ان هذه التسمية انما كانت ولا تزال تعود للمنطقة كما هو المتعارف عليها الان، وليس في هذه المنطقة الان سلطة واحدة تدير شؤونها، بل تتقاسمها سلطات عديدة. (١١)

وقد زارني ايضا كردي كهل وقور، رجع من مكة اخيرا. وكل الاكراد الحجاج يلبسون العمائم البيض بعد رجوعهم من الحج. وقد ذهب خلال السنوات الثلاث الأخيرة للحج من منطقة السليمانية ما يقارب الالفى كردي.

وزارني بعد ذلك عثمان بك، وجلس معي حتى الظهر يستمع بشوق زائد الى قصص أرويها له عن جيوش اوربا ومعاركها. ان اكثر مناصب المقربين الى الباشا تنتقل اليهم بالارث وذلك خلال حكم الباشا الواحد على الاقل. لقد تسلم المصرف الحالي منصب رئاسة الوزراء بالتوالي في حكومات الباشوات عثمان وعبدالرحمن ومحمود، وقد اخبرني بانه يتوقع ان يخلفه ولده في منصبه. و «السلاحدار» او (حامل السيف) الحالي صبي، ينوب عنه في اداء واجبه احد الرجال حتى يبلغ أشده، وهذا الوصي يزاول عنه قوانين - سلطة - ذلك المنصب الذي ورثه الصبي من والده. ولو عم السلام هذه البلاد، واخذت فيها الوراثة مجراها الطبيعي، لازدهرت ازدهارا سريعا.

وبعد الظهر التحقت بجماعة مصرف في خيمة منصوبة في فسحة امام داره. وكان اكثر وجهاء السليمانية حاضرين هناك. وبعد برهة انضم الينا كيخسرو بك وقد دخل الخيمة متثاقلا في مشيته، او بالاحرى جاءنا متباطئا شارد النظرات وكان كلامه متقطعا بلغة لم يسعني فهمها وان اصبحت الآن اتفهم اللهجة السليمانية تفهما لا بأس به. وكان لدى كيخسرو بك دورق بارود انكليزي صغير لم يستطع فهم آليته، فطلب مني ان اوضح له طريقة استعماله. وقد لاحظت ان الاكراد يطلقون كلمة (دەرمان) الدواء على البارود، وهذا تعبير في محله. وشاهدنا بعدئذ كالمعتاد عراك الحجل، ولا شك ان كفاية هذه الطيور الصغيرة وجرأتها وذكاءها من الامور التي تدعو الى العجب. وكما ذكرت سابقا ان ما تنشده هذه الطيور في العراك هو مسك غرمائها من رقابها، مسكة قوية كمسكة الكلب الافطس (بوول دوك) ثم الطيران بها وبطحها على الارض، وتؤلف هذه المداورة - المناورة - متعة العراك. لقد خاب احد الطيور مرارا عديدة في هجماته، وبحملة غاضبة نقر جناحه مخطئا فامسك به مسكة قوية صعب معها حمله على التخلي عنها؛ وهكذا علم انه اخطأ الهدف.

وعند رجوعى الى الدار ارسل الى مصرف جوادا هدية منه. وقد امر الكردى الذى اتانى به ان لا يقبل منى اى عطية، ولكننا امسكناه بقوة والحاح فخلعت عليه، ومن المضحك رؤية وحشى اشعث ذى قامة طولها ست اقدام، يرفض باكيا قبول هدية تعطى اليه على الرغم من ارادته، وقد ارسلت بعض رجالى معه لتهدأة روع مصرف، رجاء ان يسمح لخادمه بقبول الهدية.

٢١ أيار.

تناولت الفطور مع الباشا فى الساعة العاشرة من صباح اليوم بدعوة منه، وكان ادنى الى طعام عشاء منه الى طعام فطور اذ اشتمل على شتى انواع اللحوم الناشفة وغير الناشفة، ومن ضمن الانواع الاخرى الصحن الشرقى اللذيذ المعتاد واعنى به الفرهود ـ قوزى ـ المحشى المشوى. وقد هيأت صحون الطعام وقدمت على الطريقة الفارسية التى اضافت مفخرة الى المهارة الكردية اذ كانت اقل دسامة واطيب مذاقا من جميع اصناف الاكل التى تناولتها فى بغداد فى اى وقت كان. جلست مع الباشا فى صدر البهو، وقد وضع امامنا خوان مستطيل من الخشب المصبوغ ذو قوائم ترفعه عن الارض بضع عقد، فصفت عليه صحون الطعام المتنوع، كما وضعت الصحون التى لم يستوعبها الخوان على الارض بالقرب منا. ووزعت بين الصحون عدة كاسات مملوءة بانواع المرطبات ـ الشرابت ـ وكلها مبردة بالثلج وكان بعضها لذيذا للغاية. وقد جثا الى جانب الباشا على ركبة واحـدة كردى بدين كالح الوجه، وانهمك بسكب مزيج ابيض فى كأس كبيرة وضع فيها الكثير من الثلج. وكان الباشا يدير وجهه اليه بين آونة واخرى ويتناول منه ملعقة كبيرة من ذلك المزيج. وكانت نظرة هذا الرجل اليقظة وهو يفرغ ما تحتويه تلك الملعقة الكبيرة فى فم سيده، مضحكة بحيث لم اجرؤ على النظر اليه ثانية. وكان الى جانبى همجى آخر فى خدمتى، ولما ادرت وجهى اليه تقليدا للباشا ناولنى ملعقه مملوءة من ذلك السائل، فاذا به الشنين مبردا بالثلج، ممزوجا بالاجاص الفج المفروم،* وقد كان حامضا بدرجة تسيل الدموع من عين شاربه، فلم اكرر طلبه من صاحبى

(*) بل هو الـ «قەزوان» : البطم الفج . ـ المترجم.

الـ (كردوكى)• اما رجال الدولة الذين وقف الكثير من الخدم فى خدمتهم فقد كانوا حول موائد مستطيلة فى الجانب الثانى من البهو، وقد اقبلوا على الاكل بنشاط جم، وكانت اللحى تهتز كأنها تساوق وقع لحن بهيج•

«ها قد بدا فرح فى القوم، مذ اخذت
لحاهـم رقصـة مـن شـدة الطرب»

حضرنى هذا البيت من الشعر وانا ارمقهم يمينا ويسارا، وكاد ان ينال من وقارى واتزانى• لقد لاحظت ان الاكراد لا يزدردون الطعام ازدرادا كالاتراك، بل يتناولونه على مهل ويتسامرون عند الاكل وان الطعام يوضع امامهم كله مرة واحدة• وقبل البدء بتناول الفطور قال الباشا قولا ابهج صدر ولد بك احد رؤساء الجاف فنهض ولد بك الذى كان يتكلم حينذاك وسار متثاقلا واكضا لضخامته بالرغم من جمال مظهره، سار من محله حتى صدر البهو ماضيا فى كلامه طوال الوقت وعند وصوله الى الباشا بسط الاخير راحة يده فلثمها ثم رجع الى محله كما نهض منه متثاقلا متباطئا، اما اعضاء المجلس فكانوا يدخنون وهم على اتم حريتهم على ما يظهر، ويتكلمون كلما شاؤا • • اما فى بغداد فلا يجرأ المصاحبون ــ مصاحبجى ــ المستشارون قط على النظر يمينا او يسارا فى حضرة الباشا، بل يتذللون وينحنون اثر كل كلمة تصدر من سيدهم، كما انهم لا يتكلمون الا اذا سمح لهم بالكلام•

وفى المساء تكلمت مع محمود مصرف فى مختلف انسال الخيل• ان الخيول العربية لا تتناسل كما يجب فى كردستان وان كان الابوان نجديين اصيلين فامهارهما لن تصبح سوى خيول اعتيادية• ولعشيرة الجاف نسل من الخيول الصغيرة القوية، اشتهرت كثيرا بقوتها ونشاطها•

٢٢ أيار•

ذهبت اليوم ايضا الى النادى فى الميدان، فوجدت الجماعة المعتادة• ان محمود مصرف يتذكر جيدا كيف انشأت مدينة السليمانية قبل اثنين وثلاثين سنة• (١٠) فقد صح عزم حاكم كردستان الجنوبية حينذاك ابراهيم باشا والد سليمان باشا الكردى، واحد اقارب حاكم السليمانية الحالى على نقل عاصمة حكمه

من (قەرەجولان) ـ قەلاجوالان ـ الواقعة فى الجانب الثانى ـ الشرقى ـ من تلال (أزمر) الى موقع المدينة الحالى، وذلك اولا رغبة منه فى الشهرة وثانيا لتسهيل شؤون الصيد عليه اذ كان مولعا به ولعا شديدا، وكان موقع (قەلاجوالان) لا يلائم هذا الضرب من ضروب التسلية اذ انه فى واد صخرى ضيق جدا. وقد سمى مدينته الجديدة بالسليمانية اشادة بذكر سليمان باشا حاكم بغداد آنذاك، وهو والد المرحوم سعيد باشا المنكود الحظ. وكان هنا تل قديم (*) سويت تربته لوضع اسس القصر الذى شيد فى عهد عبدالرحمن باشا وقد عثروا على بعض المسكوكات هناك.

والسليمانية تقع فى منطقة (سەرچنار)، وتحتوى المدينة الان استنادا على اصح المعلومات التى استقيتها على (٢٠٠٠) دار للاسلام و (١٣٠) دارا لليهود و (٩) دور للمسيحين الكلدانيين الذين لهم كنيسة صغيرة كئيبة، وعلى خمس دور للارمن وهؤلاء لا قسيس ولا كنيسة لهم، وخمسة خانات (كروان سراى) وخمسة حمامات منها واحد فقط جيد، وخمسة جوامع منها واحد جيد ايضا.

٢٣ أيار.

اقام الباشا عصر اليوم حفلة سباق رماية، ونظرا لهبوب ريح شديدة اضطررنا الى التخلى عنها، فذهبت لاقضى فترة العصر مع عبدالله باشا، وحيث يجتمع اعضاء النادى للقائى. وقد جاء كيخسرو بك الذى يظهر بانه قد كلف بى وان كان كل منا لا يفهم كلمة واحدة من كلام صاحبه، جاء يجر اذياله كالمعتاد وبعد برهة من الصمت العميق غمغم ببعض كلمات لم ادرك انها

(*) كانت قرية حول هذا الطنف واسمها ملكندى، اى ملك هندى، او قرية الملك الهندي وقد اخبرنى الباشا انهم عثروا عند تسوية الطنف على اكواز كبيرة فى داخلها رميم عظام ووجدوا كذلك لوحا مكتوبا القوا به جانبا اذ لم يتمكن احد من قراءته. واخبرنى ايضا بان العمال الذين كانوا يحفرون قبل مدة وجيزة فى القصر لترميمه وجدوا على عمق كبير شظايا الاكواز ورميم العظام.

كانت موجهة الى، ولكن عندما كرر الغمغمة ادرت رأسى نحوه فوجدته محملقا فى، وعندئذ خاطبنى مصرف باللغة التركية دون ان يستطيع اخفاء ابتسامة ظهرت على محياه، قائلا «يريد البك ان يقول انه يرغب من الصميم ان يراك بين عشيرته (على مسافة ستة ايام فى اعالى جبال الحدود) وانه سيستقبلك خير استقبال». واننى اعتقد فى الواقع بانه سيفعل ذلك دون ريب، واراني ميالا بعض الميل لقبول دعوته.

٢٤ أيار.

ذهبت فى الثالثة بعد الظهر مع الباشا لسباق الرماية، وكان ميدان الرمى يبعد عن البلدة مسافة ميل ونصف الميل، على طريق ازمر عند حضيض التلال، وقد جلست والباشا وعبدالله باشا تحت شمسية وصرنا نشاهد الرمى، وكان احسن الهدافين عثمان بك. لقد كان حقا من احسن الرماة بالبندقيات الثقيلة، وقد رمى كذلك كثيرون غيره رميا صائبا.

٢٥ أيار.

زارنى الباشا صباح اليوم وجلس معى مدة تزيد على الساعة، ولكننى كنت منحرف الصحة لم استطع الانتباه كثيرا الى الحديث الذى لم يكن فى الواقع ممتعا. وبعد الظهر ذهبت للقاء عثمان بك الذى سره ان اشيد بمهارته فى الرمى يوم امس. وكان يرغب كل الرغبة فى ان اعلمه المبارزة بالسيف، ورمى الهدف بالمسدس، وهذا ما يجهله الشرقيون.

٢٦ أيار.

اننى متوعك الصحة اليوم كثيرا، ولم اقابل احدا.

٢٧ أيار.

ذهبت لمقابلة (عمر خزنه‌دار) وهو سيد انيس لطيف الطبع يسكن بالقرب منا. وعند الكلام عن غرائب كردستان، ذكر لى تخت سليمان وهو نجد يقال عنه انه اعلى قسم من جبال (سنه)، ووصف لى بعض الحفريات الفذة

او ما يسمونه بمدينة تحت الارض فى هذا الجبل، بيد ان عددا كبيرا من الحاضرين ذكروا وجود حفريات اخرى اوسع من الاولى فى محل اسمه (دەلو) يقع فى تل بين (قەرەداغ) وابراهيم خانجى ويقال ان مدخل هذه الحفريات ضيق، ولكن ممراتها واسعة جدا، تتشعب فى اتجاهات عديدة، مما يجعل ولوجها دون اتخاذ الاحتياطات المقتضية امرا فى غاية الخطورة، فقد ضاع الكثير من الناس فى مجاهلها، وقد قيل ان هذه الممرات او البعض منها على الاقل تمر فى كهوف او حجر يسمونها حوانيت وبيوتا. وقد ولج هذه الاماكن فى الآونة الاخيرة خمسون شخصا تقريبا وجالوا فيها عدة ساعات واشعلوا جرة من النفط لاضاءة الطرق امامهم الا انهم لم يصلوا فى طوافهم هذا الى منتهى تلك الحفريات، ويقول الاكراد ان هذه كانت مدينة «جان بن جان» او امير الجن (*).

وقد اعددت وعمر آغا منهجا للذهاب الى ذلك المحل واستكشافه على ان نستصحب معنا ما نحتاج اليه لاستمرارنا فى العمل مدة اربعة او خمسة ايام اذا اقتضى الامر وجبل دەلو هذا يحتوى على الكبريت والنفط والشب والملح وعلى عين ماء حامض اصفر اللون.

قضيت المساء مع عثمان بك، وقد هيأ جوقة موسيقية لتسليتى، اما افراد هذه الجوقة فقد كانوا فنانين لا «بخل ولا بخمر» ـ كما يقول المثل ـ وهم مغنون بغداديون من الطبقة الثانية، الا اننى تحدثت مع عثمان بك حديثا طليا.

وكان احد رؤساء عشائر الجاف حاضرا فأتيحت لى فرصة لأوجه اليه اسئلة تتعلق بالحكم بين العشائر وبتنظيماتها، فقيل لى ان لكيخسرو بك،

(*) يظن المسلمون ان «جان بن جان» امير الجن كان ملك الدنيا قبل ان يخلق الانسان وانه بنى اهرام مصر وحكم قوما خلقوا من نار، ولذلك ابى ان يطيع الانسان الذى لم يخلق الا من التراب كما جاء فى القرآن.

ويعتقد المسلمون ان اولئك القوم ملأوا الدنيا وحكموها مدة (٢،٠٠٠) سنة قبل ان يخلق آدم وانهم بعد رفضهم اطاعته طردوا الى بقعة من الارض نائية تسمى جبل قاف، وحكم عليهم بالبقاء هناك جزاء عصيانهم ـ راجع مقدمة ترجمة القرآن لـ (سەل) الصفحة ٩٥ . وراجع كتاب «المكتبة الشرقية» لمؤلفه ديربيلو، الصفحة ٣٩٦ و ٨٢٠ الخ . . .

وهو رئيس الجاف بكاملهم، ان يقتل او يعاقب وفق رغبته، وليس لديه مجلس استشارى كما انه ليس من الضرورى له ان يستشير اى فرد من شيوخ العشيرة* واذا طلب منه الباشا مقدارا من المال او جماعة من المحاربين استدعى رؤساء الـ (تيره) او الافخاذ وقسم الطلب عليهم بالتساوى فيسير هؤلاء على الطريقة نفسها مع الرجال المقدمين من افخاذهم. وقيل لى ايضا ان عشيرة الجاف ما كانت تأخذ بنصيبها من ادارة شؤون كردستان الى ان حل عهد عبدالرحمن باشا. (١٠)

٢٨ أيار.

فى ساعة مبكرة من صباح اليوم ذهبت الى ملعب (زورخانة) عثمان بك. وليس لدى مـا اضيفـه على وصف (نيبور Niebuhr) لزورخانة (شيراز) المتميزة بالتمارين المختلفة التى يقوم بها اللاعبون فيما يتعلق فى هذا الملعب(**) وقد زارنى بعد الظهر كل من عثمان بك وكيخسرو بك ومصرف، وقـد قص لى الاخير قصة سيره سيرا اجباريا مع مفرزة من بغداد الى السليمانية مدة نهارين وليلتين ووصوله اليها فى اليوم الثالث، وذلك فى موسم رياح السموم وكانت المفرزة مؤلفة من ١٣٠٠ خيال مات منهم زهاء (٢٠٠) رجل وجواد. وقد حدث ذلك بعد وقعة الشيخ توينى من عرب المنتفك، اذ عزل سليمان باشا حاكم بغداد عثمان باشا السليمانية، ونصب ابراهيم باشا بدلا منه، (١١) فرفض جيش عثمان باشا خدمة ابراهيم باشا فقام بذلك المسير الاجبارى فارا الى كردستان حيث كان عبدالرحمن باشا، ولا شك ان ذلك كان جهدا عظيما.

٢٩ أيار.

قابلت اصدقائى فى الميدان كالمعتاد. وكانت الليلة مزعجة حقا اذ تغيرت الريح التى كانت جنوبية طيلة النهار الى ريح شمالية شرقية فجأة عند الغروب،

(*) وقد اخبرت بعد ذلك من مصدر اكثر ثقة على ما اعتقد، بأن رئيس الجاف لا يستطيع القتل او التنكيل دون استشارة شيوخ العشيرة.

(**) المجلد ٢ ص ١٤١ من كتاب «رحلة فى البلاد العربية» لـ «نيبور».

وسرعان ما اخذت تهب هبوبا عنيفا جارفة امامها سحبا من الغبار وعددا هائلا من البعوض لم اكن اتوقع وجوده فى هذا المكان، وهكذا غدا النوم امرا مستحيلا طيلة الليل وكانت الريح حارة جدا تورث الكسل والخمول. وهذه الريح هى الريح الشرقية المخيفة التى يظهر انها تهب من اى اتجاه كان بين الشرق والشمال الشرقى. وهى تحاكى ريح (سيروككو)* التى تهب فى ايطاليا وهى تثير الهلع فى نفوس السليمانيين لشدتها، وتأثيرها السىء فى الراحة والنشاط. والامر العجيب غاية العجب فى هذه الريح، الذى لم استطع حتى الان رده الى اى سبب كان وان اكده لى جميع اهل هذه البلاد، هو انعدام اثرها بعد ساعتين فى اى اتجاه كان من السليمانية.

٣٠ أيار.

جلست ساعة مع الباشا صباح اليوم، وقد الح للظفر بوعد منى بزيارة السليمانية كل عام، قائلا انه سيشيد لى دارا مريحة ان فعلت ذلك. وكان من المتوقع ان يصل السليمانية بعد الغد اخوه الجبان حسن بك ومعه دفتردار بغداد السابق رستم افندى (**) حاملا خلعة لمحمود باشا. وقد اتخذت التدابير لاستقبال الخلعة.

وفى المساء تناولت العشاء مع عثمان بك، وقد دعى جميع وجوه المدينة البالغ عددهم اربعة عشر شخصا لمقابلتى، وكان العشاء عشاء فاخرا حقا وقد قدم على الطريقة الايرانية كما كان الامر فى عشاء الباشا، على موائد مستطيلة يسمون الواحدة منها (خوانجه Khuwan—che) حيث صفت الصحون. وقد تناولنا عشاءنا خارجا على ارض معشوشبة امام الدار. وقد جلست والبك الى مائدة فى صدر المكان، وجلس الآخرون وراء موائد وضعت على الجانبين. وجاء كيخسرو بك متمهلا بعد ان بدأنا بالاكل واعتذر متمتما ببعض

(*) ومما لا شك فيه ان للكلمة صلة بكلمة (شرقى)، والاكراد يعبرون عنها بـ (بايەرەش) . انتهت الحاشية . ـ والصحيح (رەشەبا) اى ـ الريح السوداء المترجم.

(**) اى ناظر الخزينة.

الكلمات غير المفهومة، ثم جلس فورا فى صدر احدى الموائد الجانبية وراح يأكل اللحوم بشهية ظاهرة. والاكراد، كالايرانيين، يأكلون بتؤدة ويتحدثون خلال الاكل، ويطول وقت الطعام عندهم كما يطول عندنا. وهم ينفرون من طريقة الاتراك فى التهام الطعام. ويضع الاتراك على المائدة صحن الطعام الواحد وبعد ان يتناول الضيف بضع لقم منه يرفع ويؤتى بصحن آخر. ويلوح ان هذه هى الطريقة التاتارية القديمة، اما الايرانيون فمتأنون ومتريثون فى اكلهم على ما يظهر.

وبعد الطعام ذهب الكثير من الضيوف الى ديوان الباشا، ومكث البعض لشهود حفلة موسيقية اجابة لدعوة البك. وكان العازفون عازفى الحفلة الماضية، وهم من ضعاف الموسيقيين. لقد دار بينى وبين البك حديث طريف عن حالة بلاده السياسية. ولم يخف عنى شعوره بمقته للاتراك، اذ قال لى «انهم مجبولون على الخداع والغطرسة، ولا يحسن احد معاملة الاتراك كما احسن ذلك. فمن خطتى تحقيرهم، وعدم الثقة بهم قط، فالتركى لا يتصرف تصرفا محمودا الا اذا حملته على خشيتك وعاملته معاملة فظة.» ومع اننى لاارى رأيه برمته فأننى اشعر بأن بعض ما يقوله حق. لقد اعد البك العدة للقيام بمباراة صراع بعد ظهر الغد، ورغب فى ان تقام بدارى، اذ كان يرى فى مجيئى الى داره مرتين بعض التكلف، بيد انه لم يكن فى دارى فسحة لاقامة مثل تلك الحفلات فيها. وقد رجوته ان يتخلى عن المراسيم والتكلف فى مقابلاتنا وصلاتنا فى المستقبل.

ولقد اتيحت لى الفرصة اليوم لأن الاحظ امرا كثيرا ما استرعى انتباهى الا وهو ان الصلاة الشرقية ليست الا امرا نمطيا رتيبا (روتينيا)، فعندما قامت الجماعة مساء اليوم للصلاة عند آذان المغرب تمتم البك ببعض الادعية الدينية مدة بضع دقائق قبل ان يشرع او يبدأ بالصلاة بخشوع عظيم. ولكنه فى فترات الركع، على اثر سماعه ملحوظة تافهة ابديتها لرجل كلمنى (فى فترات الصلاة كذلك)، ادار وجهه ليجيبنى، ووجه الاوامر الى خدمه الذين كانوا على وشك تهيئة العشاء منشغلين فى نقل الاطعمة، ثم استأنف الصلاة بركعة

اخرى. وكثيرا مالاحظت عدم المبالاة والاكتراث من لدن المسلمين اذ يتكلمون او يتعاتبون او ينظرون الى ما حولهم وهم ركع ولا يزالون يتعبدون. والواقع ان هذه الصلاة صلاة اسلوبية لا تتغير، بل تتردد وتتكرر بين الناس بدرجة انها اصبحت تحاكى التمثيل الصامت المضحك. وعندما عاد البك فجلس على الاريكة (الصفة) والخدم منهمكون يصفون الصحون، صار يسبح بأسم الله وينقطع عن التسبيح فى فترات ليبدى بعض الملحوظات التافهة.

٣١ أيار.

قضيت صباح اليوم مع عبدالله باشا، وذهبت بعد الظهر لمشاهدة المصارعة وكانت الساحة مكتظة بالجمهور واعتلى بعض المشاهدين الجدران حيث سمح للجميع بشهود المباراة. وقد تصارع بعض المتبارين على الطريقة القروية دون المام كبير باصول المصارعة، الا ان الاكراد سروا لما شاهدوا وكان عثمان بك اكثرهم سرورا. وكان اثنان من المصارعين من رجال عزيز آغا ابن مصرف الاكبر، وهو شاب لطيف اعجب بى الاعجاب كله. وقد ناصرت رجاله ضد رجال البك، ولكن الحظ لم يسعفنى فى مناصرتى لهما اذ طرح الاثنان ارضا. هذا وان الاكراد اشد الرياضيين الذين اعرفهم عزماء سواء أكانوا صغارا ام كبارا، شبابا ام شيوخا؟ والرياضة هواية الشعب المستحبة لديهم. وقد جمع البك جماعة ليجيئوا دارى بغية اراءة حذقهم فى لعبة السيف.

وعند رجوعى الى الدار، ارسلت له هدية من اجود مسدساتى وقد سر لذلك كثيرا غير اننى علمت انه لا يحتفظ بما يهدى اليه اكثر من شهر واحد، وان من يطلب منه حاجة يملكها، انما يطلبها وهو متأكد من نواله اياها. غير انى جعلته يعدنى بأن يحتفظ بهديتى تلك للذكرى.

١ حزيران.

دخل رستم افندى المدينة صباح اليوم، دخولا رسميا قادما من بغداد وبصحبته حسن بك، وقد خرج الباشا من المدينة مسافة ميل واحد لاستقباله،

اذ كان الافندى يحمل الخلعة اليه من باشا بغداد. ويظهر ان باشا بغداد الذى اغوى حسن بك فى ولائه واخلاصه قد بخس حقه وباعه ثانية وسلمه الى اخيه المستاء بدون قيد او شرط. ومن حسن حظ حسن بك ان اخاه لم يكن تركيا او ايرانيا. فقد جيء بحسن بك الى السليمانية سجينا بحراسة مائة كرجى لازموه ليلا ونهارا حتى وصوله المدينة، وكان الانكسار ظاهرا على وجه صاحبنا الشاب، وفى الواقع ان محياه لا ينم الا عن الحمق، وعلى كل فان الطريقة النكراء التى اتبعها الاتراك فى اطلاق سراحه كانت فى صالحه الى حد ما. وقد عبر السليمانيون عن بكرة ابيهم عن ازدرائهم لباشا بغداد لتسليمه.

لقد قابلت اليوم بعد الظهر فى الميدان سليمان بك اصغر اخوان الباشا، فهو وعثمان بك والباشا من ام واحدة من العائلة البابانية وهى شقيقة خالد باشا، اما حسن بك فمن شقيقة كيخسرو بك من عشيرة الجاف، وسليمان بك فى الثلاثين من عمره، الا انه يظهر اكبر سنا مما هو فى الواقع، وهو اطول اخوانه الاخرين، وقور، ذو طلعة وديعة وسيمة وذو طباع رقيقة لا تصنع فيها.

وكان باقر خان من بين الحاضرين ايضا الى الميدان، وكان النشاط والمرح باديين عليه على الرغم من حوادث اليوم ومن الانقلاب الكلى الذى وقع فى صالح الاتراك. هذا ولا يزال بعض الغموض يحيط ببقائه فى السليمانية حتى الآن، الامر الذى لم استطع ان اسبر غوره. وقد تكلمنا عن البختياريين الذين لا شك فى انهم اكراد كما كنت احسب ذلك من قبل، ولقد سبق للكثير من الحاضرين التحدث اليهم. ولقد عاش باقر خان وهو كردى كذلك بين البختاريين كثيرا، ويقول ان لغتهم لهجة كردية لورية، وانه يستطيع فهمها عند تكلمهم بها. وهذا يتفق مع كل ماكنت احسبه.

٢ حزيران.

لقد بدأت غلة الشعير تتوارد الى المدينة. وقد تأخر الحصاد قليلا من جراء تأخر سقوط الامطار. وظهرت بواكير الخيار فى الاسواق الآن ولكنها

لا تزال نادرة غالية الثمن، كما نضج بعض التوت، اما الحنطة فلم تنضج بعد وستحصد فى اواسط حزيران او اواخره.

وعند ذهابى اليوم لتهنئة الباشا على نواله الخلعة وجدته جالسا فى ساحة معشوشبة فى جانب من القصر وهو مبتهج جدا. واخبرنى بأنه قد امر باقامة بعض مبارات المصارعة لايناسى اما هو فلا يستذوق مثل هذه الامور البتة.

وكان حسن بك الاخ الهارب فى حضرته. ان اعجابى بمظهره اقل من اعجابى بمظهر اخوانه. لقد كان يتمتم بالادعية طوال الوقت ويبدو انه قد استعاد حالته الطبيعية تماما بعد المأزق الذى كان فيه، اما قصته الاخيرة فهى: انه كان الاخ المقرب لمحمود باشا الا ان داود باشا بغداد بدأ فى العام الاخير بمراسلته سرا ساعيا وراء اغوائه على عدم موالاة اخيه وشق عصا الطاعة عليه، وقد نجح الباشا فى ذلك آخر الامر، فهرب حسن بك الى بغداد حيث استقبل فيها استقبالا فريدا فى بابه، وبعد مدة وجيزة اسندت اليه باشوية (كوى سنجاق) الا انه استدعى من منصبه ذاك بعد بضعة اسابيع اذ وجد باشا بغداد انه من المستحيل عليه ان يتحدى محمود باشا والايرانيون يشدون ازره. واخيرا عندما علم انه لا خير يرجى من حسن بك قبل اول عرض موات عرضه عليه محمود باشا وسلم حسن بك الى اخيه المغتاظ عن حق دون الاكتراث بمصير حسن بك. وايضاحا لهذه الصفقة اضيف الى ما جاء فى اعلاه ان احد ضباط محمود باشا كان قبل اثنى عشر شهرا تقريبا يفاوض داود باشا فى بعض الشؤون، وبعد ان اظهر داود باشا بعض التعنت نزل فى الظاهر عند رغبة الرئيس الكردى وقال لرسوله :- «اقسم بالله وبرأس ولدى يوسف، اننى اعتبر محمود باشا كولدى يوسف، واننى احبه محبة الوالد لابنه، وان مصالحه ادنى ما تكون الى قلبى»، ولكنه كان قد صح منه العزم على مناوأة محمود باشا وكان فى الوقت ذاته منهمكا فى مراسلاته السرية مع حسن بك التى كان يستهدف بها خيانة الرجل «الذى يعتبره كولده يوسف» والقضاء عليه. ان هذه قصة لا شك فيها، وهى احدى القصص العديدة المتشابهة التى يمكننى روايتها عن داود باشا والتى تكاد تنطبق على جميع الرؤساء الاتراك الذين عرفتهم.

لقد بدأ عثمان بك وكثير من شبان الاكراد الجريئين يتمرنون منذ يومين على تمارين السيف، لعرضها على غداء لقد كان موعد اقامة الحفلة مساء اليوم، ولكنها اجلت من جراء زيارتي الباشا.

٣ حزيران.

ذهبت صباح اليوم للترحيب بمقدم رستم افندي الى السليمانية، وفي العصر اجتمعت زمرة السيافة في داري. لقد علقوا بحبل رزمة من اللبد ذات اربعين طية بعد نقعها بالماء وصال عثمان بك الصولة الاولى وبضربة سهلة شطر الرزمة شطرين فأعقبه حسن بك وهو شاب انيس فقصم الرزمة ايضا، ثم جاء عزيز آغا فنجح كقرينه. ثم علقوا رزمة اخرى ففشل عثمان بك في ضربته وان لم يبق من طيات اللباد الا على اثنين او ثلاث، وفشل ايضا كل من عزيز آغا وسليمان بك. ثم صال عثمان بك صولة اخرى الا انه كان في هذه المرة مهتاجا واذا بنتيجة صولته الثالثة اسوء من نتيجة الثانية. ثم تقدم عزيز آغا بلفة مقطوعة من اللبد فبسطها ووضعها على الارض وقطعها بضربة واحدة وقلده اخوه عبدالرحمن فيما فعل. وارى في هذه الطريقة الاخيرة عملا ابهر من بتر اللباد المعلق. لقد سألني البك عما اذا لم تكن هذه افضل من الطريقة التي نتبعها، فاجبته انها طريقة لا بأس بها لو استكان غريمك لتقطع اوصاله، كما تستكن رزمة اللبد، واريته كيف انه اذا اخطأ الضربة يمسي تحت رحمة خصمه الذي يعرف كيف يستعمل سلاحه، كما هو المتبع في اسلوبنا، فظهر انه اقتنع اخيرا بان ما قلته هو الحقيقة، الا ان عزيز آغا لم يقتنع بذلك.

٨ حزيران.

وصل في اليوم الرابع من الشهر المستر (بهل) (*) ومنذ ذلك اليوم وانا

(*) تعين المستر (بهل) من قبل حكومة بمباي جراحا لدار المقيم في بغداد ومعاونا له ونظرا لاعتلال صحته التحق بالمستر (ريج) في كردستان للاستفادة من هواء الجبال. ان خلقه الجذاب، وطبعه المنعش الرزن، وحبه للتجوال وتعطشه للاخبار والمعلومات مما يجعله ان يكون احد افراد جماعة المستر ريج المحبوبين وقد استفاد المستر ريج اخيرا من كفايته الطيبة وشفقته المتأصلة ــ الناشرة.

ازور اصدقائي الاكراد واستأنس معهم، ولم اجد ما يجدر ذكره، وقد جعلني تأثير الرياح الشمالية الشرقية المتعبة اعزف عن الكتابة. ولقد تحدثت بعد ظهر اليوم مع عمر آغا ومحمود آغا بعض الوقت في زراعة كردستان. يتراوح انتاج الحنطة الاعتيادي للحبة الواحدة بين الخمس والعشر، وقد يكون خمس عشرة الا ان ذلك يعد غلة غير اعتيادية. وكانت غلة العام الماضي شحيحة لم تنتج الا اثنين للحبة الواحدة، والحنطة والشعير يزرعان بالتناوب في الارض الواحدة، والاكراد يزرعون معتمدين على المطر، ويسمى هذا النوع من الزرع بالديم (*) وهنالك نوع من الحنطة تسمى (بهاره) يبذر في الربيع ويحتاج الى الري الاصطناعي، ولا تترك الارض في السهول بوارا، بل تزرع حنطة او شعيرا بالتناوب، اما في الاراضي التلية فيجب مراوحة التربة بين سنة واخرى، اما القطن فيجب ان لا يزرع قط مرتين متواليتين في الارض الواحدة ويغلب زرعه مع التبغ مناوبة.

والقطن كله من النوع السنوي (بكسر السين) وهو يحتاج عادة الى الارواء على ان قسما منه يزرع في التلال ديما. ويستعمل السماد في تسميد الكروم والتبغ فقط. اما الشلب فلا يشتل سنين متعاقبة في الارض الواحدة، التي يمكن الانتفاع بها في زرعها بحبوب اخرى واكثر ما يزرع في منطقة شهرزور، ولا يزرع القنب او الكتان في كردستان. ولقد اخبرني عمر آغا بأنه بذر في هذه السنة قليلا من بذر الكتان حصل عليه من حاج جاء به من مصر. وتزرع ايضا في كردستان الذرة الهندية والذرة البيضاء كما يزرع العدس والحمص والدخن ونوع او نوعان من الماش. اما افدنتهم فيجر الواحد منها ثوران.

ولا تنمو اشجار البرتقال او الليمون في كردستان، وذلك لان حرارة الصيف تتجاوز حد الاعتدال حقا، اما برودة الشتاء فقارصة بالنسبة لهذه الانواع من الاشجار. لقد جلب الباشا اخيرا بعض اشجار البرتقال الاشبيلي

(*) يجب ان نتذكر ان اكثر المزروعات في الشرق انما تروى بالوسائل الاصطناعية كالسواقي والاقنية مثلا.

والليمون الحلو من بغداد لجنينته الجديدة ولكن الشتاء الاول اماتها كلها، ويزرع شجر الخروع في جميع انحاء كردستان، وقد يزرع احيانا في مزارع منفردة واحيانا مع القطن سوية.

١٠ حزيران.

لقد انحرفت صحتي كثيرا في اليومين الاخيرين واعتقد ان السبب الرئيسي لذلك هو الحر اذ اننا عائشون الان في خيمة حتى يتم انشاء مسكن صيفي كردي لنا، ـ جارداغ ـ وحرارة الشمس تنفذ قوية الى داخل الخيمة من جنفاصها حيث ترتفع الى ١٠٣ او ١٠٤ درجة، ولا ترتفع في السيباط الى اكثر من ٩٢ درجة.

اقترح الباشا اليوم اقامة حفلة استعراض خيل على اثر رجوع اكثرها من المراعي، فاعتذرت عن الحضور لان النية كانت منصرفة لاقامة الاستعراض في اشد ساعات النهار حرارة، فارجئ الاستعراض. وما كنت اتصور ان الغرض من كل ذلك هو تسليتي ولو علمت ذلك لحاولت حضور الحفلة، وحالما علم الباشا بأنحراف صحتي زارني فورا دون ان يخبرني، وبسرعة لم تفسح لي مجالا لاخراج الحرس الى باب الدار قبل وصوله اليها، فجلس معي مدة ساعة ونصف ساعة، واخبرني بأن باشا بغداد طلب منه ان يبني حصنا واعدا بتجهيزه بالمدافع والمهمات. ولذلك رجاني ان اركب جوادي لابحث عن مكان قريب ملائم لاقامة الحصن، كما طلب مني ان اعاونهم في تخطيطه فوعدته بذلك حين استعيد صحتي. ثم انتقل الباشا الى بحث علم الفلك عند الاوربيين، وهو موضوع تطرق اليه من قبل مرارا عديدة. وقد استفسر بوجه خاص عن جبال القمر وقال بانه تعلم من دينه بان القمر قطعة من الحديد جلاها القادر الاعظم لتعكس اشعة الشمس على الارض. وقد امر (المنجم باشي) او رئيس الفلكيين او المنجمين ان يعد لي خريطة العالم على الطريقة الشرقية ففعل واعطانيها، وكانت في الحقيقة مرسومة رسما جيدا.

ودعاني الباشا الى الذهاب الى القصر غدا لاحضر حفلة القطع بالسيوف

اذ ان عثمان بك ما زال منذ الحفلة الاخيرة يعد نفسه لذلك وقد رجانى ايضا ان اريه تمارين السباهيين ـ الجنود الهنود٠

١١ حزيران٠

دشنا اليوم سيباطنا ـ جارداغ ـ وكان طوله ثلاثين قدما وعرضه ١٥ قدما تقريبا، وهو يكاد ان يكون بدائيا فى هندسته اذ غرزت فى الارض ثلاثة صفوف من الاعمدة، كل صف من اربعة اعمدة ذات رؤوس متفرعة الى فرعين، وارتفاعها سبع اقدام تقريبا، ووصلت هذه الرؤوس بجسور ووضعت عليها العوارض وكومت اغصان السنديان وافنانه على تلك العوارض بارتفاع قدمين او ثلاث اقدام، يعلوها بعض الآجر لتثبيتها فى محلها٠ وبعد ان تم انشاء السيباط فرشوا الارض، وعملية الفرش هذه بدأت اولا بطبقة من الطين الاعتيادى ملط بعد جفافه بطبقة من الطين الاحمر الممزوج بالتبن، واحيطت الارض بكاملها بدكة بارتفاع ست عقد٠ فهذا المسكن وغيره من حجوم مختلفة هو النوع الاعتيادى من المساكن التى يقطنها الاكراد خلال اشهر الحر٠ وهم يمدون فرشهم على السطوح ليلا ويتقون انظار الغير بسياج من القصب اسمه (جيغ) ينفذ الهواء من خلاله٠ ويكون عادة فى وسط اكبر السرادق وانظمها حوض، تتوسطه احيانا نافورة ماء تلطف الهواء كثيرا٠

اقيمت حفلة لعبة السيوف فى هذا المساء فى قصر الباشا، ولكنها لم تنل النجاح المنشود٠ وقد دار حديث آخر بينى وبين الباشا فى الفلك٠ ولقد اشاع منجمه عنى بأننى لست دون مەسكەلاین (Maskelyne) او هەرشەل (Herschel) فى براعتهما٠ وكان المفروض ان يبدأ صيام رمضان فى اليوم الثالث عشر، الا اننى اكدت للباشا بان الهلال قد هل، وقد انبأته عن الساعة والدقيقة التى هل فيها فأمر بعد ان فارقته بدء الصيام اعتبارا من الغد٠

١٥ حزيران٠

نظرا لحلول شهر رمضان، جلست فى الدار من التاسعة بعد الغروب حتى منتصف الليل مستقبلا الزائرين، اذ ان المسلمين يجعلون ليلهم نهارا

خلال شهر الصيام فيناموں فى النهار ويقضون ساعات الصيام بالاعتكاف وتلاوة القرآن ويكرسون الليل للاكل واستقبال الزوار.

كانت تسليتنا ليلة امس الاستماع الى عزف من كرديين فلاحين على الـ (بلوير) او مزمار الاكراد المصنوع من القصب، وقد عزفا سوية وكانت الانغام خافتة شجية، الا ان الالحان كانت حزينة ورتيبة مملة الى حد ما، وكانت احسن الالحان اغنية اسمها (ليلى جان) واخرى تبتدىء بكلمات (ئەز دەنالم)*.

وقد اراد احد خدم مهمانداری ان يغنى، فبدأ بأنشودة كئيبة مؤلفة من ابيات شعرية عديدة، وكان يصل بين شطرى البيت الواحد بنحبة وينهيه بشهقة، اما الاغنية ذاتها فكانت تمثل العويل.

ويسمى مزمار الراعى الكردى بالشمشال وهو مصنوع من الخشب المخروط وصوته عال، الا انه غير مستنكر، ولا سيما عندما تردد الجبال صداه، وللرعاة نداءات خاصة لجميع اغنامهم، ويقال ان هذه الاغنام تدرك معنى تلك النداءات الادراك كله. وهذا المزمار يحتاج الى نفس عميق يخرج العازف عند العزف عليه صوتا اشبه بالهمهمة وذلك بشدة التضييق على نفسه. وقد غنى لنا كورانى من (سنه) اغنية سنوية كانت اشبه بصرخة حزينة، وقد ابان السليمانيون الحاضرون انهم لم يفهموها الا قليلا.

(*) وما عدا هذه كثيرا ما انشدت لنا اغان كردية مشهورة كـ (مەم كوزه به ناز) (Mem Kuzha Ba Naz) و (مل كى جان) و (آزيزى).

الفصل الخامس

الجندى الروسى الباسل ـ قسوة امير كرمنشاه ـ التقى المسلم العظيم ـ منتجات كردستان الطبيعية ـ تقوى محمود باشا ـ قصة ـ توقيف عبدالله باشا ـ العيد ـ العشائر الكردية ـ قصة ـ عشائر بلباس ـ العوائل الحاكمة فى كردستان ـ وصول دهلى (المجنون) سمعان مع العاديات.

* * *

٢٤ حزيران.

تزاورت والباشا وعثمان بك وصحبى الاخرين (وكانت كلها ليلية) فى الفترة منذ ان دونت يومياتى الاخيرة، اذ كنت منحرف الصحة فتجنبت الكتابة، واننى لا اذكر الكثير مما يستحق التدوين. لقد كانت اغلب احاديث الباشا، منذ حلول شهر رمضان تصطبغ بصبغة دينية، وهو يظهر تمسكا بتقواه وبايمانه تمسكا يفوق المعتاد، دون اى تعصب او كبرياء مما يظهرهما اى تركى اقل تعبدا منه.

قال لى الباشا :ـ «ان اشجع رجل عرفته فى حياتى كان جنديا روسيا مسكينا، رأيته عندما رافقت الامير محمد على ميرزا فى غزوه بلاد الكرج، وكان هذا الرجل حامل رسائل، أسره الايرانيون واقتادوه الى الامير الذى استجوبه عن واجبه، فأجابه الجندى :ـ ان واجبى تتضمنه الرسائل التى احملها وهى باللغة الروسية، فاقرأها اذا تمكنت. ولما رأى الامير عدم امكان الحصول على اية معلومات منه كلفه ان يعتنق الاسلام فرفض الجندى التكليف فهدده الامير بأقسى انواع التعذيب، الا ان عزم الرجل لم يهن مطلقا، فأمر الامير عندئذ بحفر قبر، وفى مدة الحفر كان الجندى يضحك ويتكلم مع من كان حوله دون اى اكتراث. وبعد ان اعد القبر عاد الامير فسأله عن رغبته فى الاسلام، وعلى اثر رفضه ذلك امر الاميران يقبر حيا فقبر على الرغم من مسعاى للحيلولة دون القيام بذلك العمل الوحشى. انه من المؤسف مشاهدة امرىء طيب، شجاع، يضحى من اجل دينه. ترى ما دخل الامير بمعتقد ذلك الرجل؟ . . »

وعلى اثر سماعى هذه القصة الفظيعة، لم يسعنى الا ان افكر باننى لو كنت قائد جيش روسى واتيح لى اسر الامير لما ترددت لحظة فى شنق سموه على اول شجرة نمر بها.

قضيت مساء امس ايضا مع الباشا، نتحدث فى مواضيع شتى. وقد اخبرنى بأن الاهلين فى كردستان معرضون الى حمى يسمونها (كەرانی‌تی Gheraniti) (*) ومعناها التوعك، وهي تستمر ثلاثة او اربعة ايام وتنتهى بعرق غزير تاركة المريض بعد ذلك فى حالة هزال شديد. وتظهر هذه الحمى فى الربيع عادة، ويندر ان تقضى على من يصاب بها.

ويقطن السليمانية مسلم زاهد كبير، اسمه الشيخ خالد، الا ان الاكراد يعتقدون ان من الامتهان ان ينعت بغير (حضرة مولانا) وانهم يعتبرون اقواله اعتبارهم «الاحاديث». وهو من عشيرة الجاف، نقشبندى الطريقة، انتسب اليها فى (دلهى) بارشاد الصوفى الشهير سلطان عبدالله، وله من المريدين (١٢٠٠٠) مريد فى مختلف انحاء تركيا والبلاد العربية. والاكراد جميعهم يعتبرونه وليا، والكثير منهم يضعونه فى صف نبيهم (١٣). وقد قال لى عثمان بك، انه هو والباشا وجميع زعماء الاكراد تقريبا كلهم من مريديه، فهو على الاقل فى منزلة واحدة مع الولى المسلم الشيخ عبد القادر (**) الشهير.

(*) والاصح (كرانه ـ تى Grane - Te) او (كرانه ـ تا Grane - Ta) ومعناها الحمى الثقيلة او الشديدة. ـ المترجم.

(**) جاء فى مذكرة سابقة للمستر ريج دونها فى بغداد، الوصف التالى لرجل آخر من طائفة من طوائف الدراويش المسلمين الغريبة «جاءنى اليوم (٧ كانون الثانى ١٨١٧) احد مريدى سلطان حسن وهو درويش مشهور. وقد تكلمنا عن شيخه الذى كال له المدح جزافا ؟ وقال «ان السلطان يا سيدى ـ ويعنى الدرويش ـ يدرك كل شيء بالمعجزات فاذا كلمته بلغتك فهمك وان لم يتكلم بها من قبل. وهو ملم بجميع العلوم دون درس، بل انه يعلم حتى ما يجول بخاطرك، واذا ما انتويت استشارته اجابك على ما تضمر قبل ان تنبس ببنة شفة. وهو يعلم الآن بأننا نتكلم عنه فى هذه اللحظة، كما انه يتمثل للناس فى احلامهم، وحتى فى اليقظة ايضا وان كانوا فى الهند او فى ايران . . » وقد اكد لى الرجل مخلصا اليوم (١٧ كانون الثانى) «بأنه شاهد وحادث خضر الياس ـ الذى يعتقد المسلمون بأنه لا يزال حيا وانه يطوف الارض، ويظهر نفسه للدراويش احيانا، وهو راعيهم وحاميهم الخاص. واكد لى صاحبى ان خضر الياس استصحبه مدة يومين متواليين لاراءته الطريق.»



٢٥ حزيران.

جرى حديث طويل بينى وبين عمر آغا فى الليلة الماضية عن منتجات كردستان الطبيعية. ان مدينة كركوك هى السوق التى ترسل اليها جميع منتجات هذا القسم من كردستان، لا من قبل الاكراد انفسهم بل من قبل الكركوكيين الذين يأتون السليمانية لهذا الغرض، ويسلفون المزارعين المال لقاء شلبهم وعسلهم وغيرهما. وكردستان تنتج مقدارا كبيرا من اجود انواع العسل، ويحفظ النحل فى خلايا من الطين. وتنتج كردستان الكثير من العفص لا سيما من غابات البلوط فى (قەرەداغ)، ويصدر العفص الى كركوك ومنها الى الموصل. والاشجار التى يسيل منها الصمغ العربى، تنبت برية فى الجبال، وازهارها عنابية اللون تسمى (گەوەن – Ghewun).

ويتكون المن على اشجار البلوط، ويقال ان اشجارا عديدة اخرى تنتجه ايضا، ولكن بمقدار غير وفير ومن نوع غير جيد، ويجنى المن بجمع اوراق الشجر وتجفيفها ونفضها نفضا رفيقا ليتساقط منها على مفرش من القماش، وهكذا يصدر الى الاسواق بكتل ممزوجة بالكثير من سقط الاوراق الذى ينقى منه بعد غليه. ويوجد نوع اخر من المن يعثر عليه فوق الصخور، وهو نقى ابيض مرغوب اكثر من المن المتساقط على الشجر. ويبدأ موسم المن فى اواخر حزيران، ويقول الاكراد انه اذا بردت الليالى فى موسمه اكثر من المعتاد نزل المن من السماء، وهم يزعمون العثور عادة على اكبر مقدار منه فى صباح كل ليلة من تلك الليالى. وقد ذكر لى عمر آغا ايضا اسماء عدة اشجار وحيوانات بالكردية وها اننى ادونها مع غيرها من الكلمات التى تعلمت معانيها، ويظهر لى ان الكثير منها فارسى :–

(الزعرور، او زعرور الاودية : كويز = Goizh) و (اللوبانة المغربية، او القتاد : خوزيلك = Khuzhilk) و (النسرين او الجلنسرين : شيلان – Shilan) و (البرسيم او الجت : سىبەرە = Seipara) و (الخطمى : هيرو – Heiro) و(عباد الشمس :– كول روزيان برەست = Gul Rozhian Parast – والصحيح كوله بە روزە : Gula Ba Rozha :– المترجم) و (الشقائق :



ديزيلك = Dizilk) و (الحسك او الفرقد(*) : كەوەر Kiwar •ـ والصحيح كنكەر، والكەوەر هو الكراث؟ ـ المترجم) و (اللفلاف : لولان ـ Lulan) والصحيح : لاولاو •ـ المترجم)• و (الحور او الدلب : سبيدار ـ Spidar) و (الصفصاف المستحى : شورەبى ـ Shorabi) و (شجرة التربنتينا : دارى‌بەن Dariben •ـ وقد تلتبس بشجرة البطم الا ان البطم هو فى الكردية «قەزوان»، وشجرة التربنتينا اكث ولا تثمر •ـ المترجم)•

وتنمو ابحار التربنتينا فى الجبال، اما التربنتين فيجمع منها بجرح الشجرة فى الربيع، ووضع اكواز تحت شقوق الجروح لينسكب فيه سائله، وهو من النوع الجيد جداً• ويسمى عندهم ابو الحناء (عصفور احمر الصدر) بـ (فەندەكوله ـ Fandagula) ، والصحيح فيرنەكوله •ـ المترجم)، والسلحفاة بـ (كى‌سەل) وسمك اللوت او النقط بـ (كاشى‌نە)• ويوجد هذا الاخير بكثرة فى اغلب الجداول الجبلية• ويسمى السمانى، او السلوى بـ قاراواره ـKarawara) ، وهنالك نوع من الحجل اصغر من الحجل ذى الارجل الحمراء، وهو ذو لون مائل الى الزرقة، او انه ذو لون اربد اسمه (Söiske سوس كە ـ الابلق)، ويسمون العنب بـ (ترى)، والوادى بـ (دول) والسيدة بـ (يايه)، اما سيدات العوائل الحاكمة فيطلقن على انفسهن لقب (خانم) واما لقب السيدات الكرديات الاخريات فهو الـ (يايه)، والظاهر ان هذا هو التعبير الكردى الاصلى للسيدة، وليس للرجال من نعوت فى الاصل فكلهم بكوات او خانات او اغوات•

١ تموز•

زارنى الباشا مساء هذا اليوم• وهو ولا شك، وبدون استثناء، ابعد المسلمين الذين عرفتهم عن التصنع، واتقاهم فعلاً• وقد قص على هذه الليلة قصة، لا تبجحا منه، بل ذاكرا واقعة حدثت له تبين فوائد الايمان بالله وتمثله اصدق تمثيلا• وانى سأسعى لرواية القصة كما رواها لى قدر المستطاع؛ ولو ذكرتها

(*) يعطى الاكراد هذا الحسك، او الفرقد علفا لخيلهم، بعد سحقه سحقا تاما وتنقيعه، وذلك عندما يشح لديهم الشعير، وهم يقولون انه يغذى الخيل تغذية حسنة.

بغير تعابيره البسيطة الدينية لفقدت الكثير من قيمتها. قال لى :ـ «حين كنت رهينة فى كرمنشاه عن ولاء والدى المرحوم، اضطر والدى الى تأييد المصالح التركية بحكم الظروف، وهكذا اصبحت حياتى مهددة، فأرسل الشهزادة بطلبى ليقتلنى وكان الوقت ليلا، فأقتدت اليه مكتوفا، وكان الامير جالسا فى بهوه الذى تضيئه شموع وضعت فى وسطه وكان الجلاد واقفا متأهبا لانجاز واجبه. واقول فى هذا الصدد ان الكثير من الرجال الذين يجابهون الموت فى ساحة الشرف، قد يمتلكهم الهلع اذا ما اخذوا الى الجلاد مكتفين. لقد كان مشهدا مرعبا «لا اراكه الله» واننى اعترف بان قواى قد خارت وخاننى جلدى حينذاك. ولكننى وانا فى كربتى تلك حثنى وعى للاستنجاد باسم المولى جل شأنه، فشعرت من فورى بالطمأنينة تغمر نفسى وكأن الكلمات التالية قد رن صداها فى خلدى : «الم اكن انا الذى اخرجتك من بطن امك، ووقيتك من الاخطار حتى الساعة ؟ الست بالقادر على القضاء عليك فى اية لحظة اشاء ؟ اذن لم هذا الخوف ؟ أيسع الرجل ان يسى اليك الا بارادتى ؟ » وفى تلك اللحظة شعرت بالراحة، وطرح الفؤاد عنه الوجل فوقفت امام الامير دون خوف او هلع. وانى لابتهل الى الله الذى جعل الامير المصر على قتلى عندما طلبنى يعدل عن رأيه ويأمر بارجاعى الى السجن دون ان اصاب بسوء ٠٠»

وبينما كنت جالسا فى الليلة الماضية بين جماعـة كبـيرة فى دار عمر الخازندار، وقد مر المساء بهدوء ودفء، وانهمك الجمع كله فى الحديث، هبت فى اللحظة التى طلع فيها القمر فى حوالى الساعة العاشرة ريح شديدة الحرارة من الشمال الشرقى، فوجمت الجماعة من فورها كانها شعرت بهزة ارضية على حين غرة ثم قال الكل بنبرة كئيبة «لقد هب الشرقى ٠٠ » (*). حقا لقد كانت تلك الريح، هى الريح الشرقية المرعبة، ولقد استمر هبوبها منذ تلك اللحظة بسرعة شديدة من الشرق والشمال الشرقى، وكانت حارة حرارة سموم بغداد. الا اننى اعتقد انها اخف وطأة، وابعث الى الكسل. وهذه الريح بلية هذه البقاع، ولولاها لكان مناخ السليمانية مناخا لطيفا جدا.

(*) عندما هبت الريح ارتفعت درجة الحرارة ١٠ درجات اى من ٨٠ د الى ٩٠ د .

تقع مدينة السليمانية فى منخفض يبعد مسافة ميلين تقريبا عن حضيض سلسلة التلال الشرقية التى تنحدر سفوحها الركمة نحو المدينة التى شيدت فى سفح منها يكاد ان يكون وهداء اما التـلال المجـاورة فجرداء شديدة الميل قد يبلغ ارتفاعها الثلثمائة ياردة تقريبا، وهى بمثابة مرايا عاكسة لاشعة الشمس التى تسطو عليها طيلة ايام الصيف من السابعة صباحا حتى الغروب، وتنقل الريح التى تهب على سفوح تلك التلال حرارة تلك السفوح معها الى المدينة عند هبوبها من الشرق والشمال الشرقى. وعند شرق المدينة تنعطف هذه التلال قليلا الى الوراء فلا تجعل الريح الجنوبية الشرقية رديئة كالريح الشمالية الشرقية، وهى شر البلايا. وتتميز الريح الشرقية هذه بكونها ساخنة تبعث الفتور على حد سواء فى البقعة طوار خط التلال هذا. ولكن تأثيرها لا يصل غربا الى ابعد من نهر (تانجرو). واذا ما عبرت مرتفعات التلال انقطع عنك تأثيرها كليا. وتسود هذه الظاهرة الطبيعية (كوى سنجاق) ايضا التى تقع فى واد ضيق يضاهى وهد السليمانية مظهرا، الا ان التلال فيها اكثر ارتفاعا، وريحها الشرقية اقوى واكثر حرارة، ويندر ان تهب هنا هبوبا شماليا. اما الجهات الغربية فمناخها كلها ملائم. ويجب على الآن ان اذكر حقيقة غريبة فى بابها لم يهدأ لى بال حتى تأكدى منها باستقصاء طال امده : يسود الهدوء الجو (*) عند الفجر عادة،وبارتفاع الشمس فوق التلال تهب من الشرق ريح خفيفة يستمر هبوبها حتى الزوال. وعند الظهر يهب عادة من الجنوب نسيم او قل هبة ريح قوية او هبتان قويتان. واذا ما مالت الشمس الى الزوال انتقل الهبوب الى الغرب. وقد وجدت الاصباح مما لا يرتاح اليها المرء، اما الاعصر فبهيجة جدا، يهب عندها نسيم عليل من الغرب. وانني لاحظت هذه الظاهرة الجوية فى جميع الايام التى لا تهب فيها الرياح الشرقية، اما اشد ساعات النهار حرارة فتبدأ مع الظهر وتنتهى فى الثالثة بعده.

٦ تموز.

كنت فى ليلة امس مع عثمان بك وقد وجدته شارد البال، منقبض النفس كثيرا بالرغم مما بذل من جهد كبير لمكالمتى وايناسى. وقد لاحظت

(*) يقصد جو السليمانية. ـــ المترجم.

الحالة ذاتها عند الباشا الذى قضيت مساء اليوم السابق معه. وبعد ان غادرت مجلس عثمان بك بقليل وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة قبل منتصف الليل، اوقف عبدالله باشا، وحجز فى غرفة منعزلة عن حرم القصر، وقد سارت فى الوقت ذاته مفرزة بقيادة سليمان بك للقبض على اخوان عبدالله باشا الذين يقطنون فى مقاطعتهم فى منطقة غرب السليمانية. والدافع لهذا العمل كما علمت هو :ـ

عندما قرر محمود باشا فى نهاية الامر ، وقبل زمن قصير، الاستسلام للاتراك، ذهب بصحبة عمه عبدالله باشا واخويه عثمان وسليمان الى الشيخ خالد رجل السليمانية التقى الكبير آنذاك. واقسم هؤلاء الثلاثة يمين الولاء لمحمود باشا. ونظرا لتوقعهم محاولة امير كرمنشاه استمالة احدهم الى جانبه وتحريضه على الباشا ومناوءة الاتراك، اقسموا على السيف والقرآن وبالطلاق* بانه اذا تلقى اى منهم كتابا من تركية او ايران فانه يفتحه فى دار الشيخ خالد وبحضور من اتفق على ذلك كلهم. وكان عثمان بك اول من اختبر فى الامر، اذ تلقى بعد مدة قليلة كتابا من الشهزادة يدعوه به الى كرمنشاه ويعده بتقليده منصب باشوية السليمانية. وقد ابلغ عثمان بك اخويه بهذا الكتاب من فوره وتسلم عبدالله باشا كتابا آخر بذات المعنى، ولكنه اخفاه عن الآخرين خلافا للاتفاق الذى تم بينهم. ولم يعلم محمود باشا بحقيقة هذا الكتاب الا بعد ان انبأه به ساع سريع ارسله باشا بغداد الذى عرف بأمر الكتاب بطريقة ما، والذى اوصى محمود باشا بالقاء القبض على عمه. ما كان محمود باشا ليصدق الخبر فى بادىء الامر، وقد رفض رفضا باتا اتخاذ اية اجراءات ازاء عبدالله باشا ولكنه فى الوقت ذاته قرر مراقبة حركاته عن كثب، واخيرا تأكد من «خزنة دار» عبدالله باشا بان عمه كان يعد العدة للفرار الى كرمنشاه، فكانت نتيجة ذلك توقيفه.

وفى العام الماضى سلم باشا بغداد عبدالله باشا او بالاحرى غدر به غدرا شنيعا بتسليمه الى محمود باشا، فامسى عبدالله باشا تحت رحمة ابن اخيه الذى لو كان فى موقف المنتقم منه لخف فى القضاء عليه سرا او علانية دون

(*) وهذا نص القسم «امرأتى طالق منى اذا حنثت بقسمى».

ابطاء ودون خشية حساب، ولكن لم يخطر على بال محمود باشا شيء من هذا القبيل، بل عامله بالحسنى، ومنحه منطقة من احسن مناطق كردستان ليستعين بمواردها على عيشه، علاوة على تسويته جميع الديون التي اثقلت كاهله خلال مكوثه في بغداد؛ وفي الحقيقة انه منحه اكثر مما يستحق، هذا اذا اعتبرنا احتياجات عبدالله باشا ذاته ومطالب اعضاء عائلته الآخرين. وعلى ذلك فان مقابلة هذا المعروف تلك المقابلة المشينة لم تكن منبعثة الا عن حالة سوداوية.

١٠ تموز.

مكث الباشا معي بعض الوقت هذه الليلة، وكان منقبض النفس كثيرا. وقد تكلم عن اعمال عمه بتأثر عميق، وعن شعوره عند اكتشاف خيانته. وقد دلت المشاعر التي افصح عنها (وكانت ولا ريب مشاعر صميمية) على درجة من الاحساس والاخلاص وحسن السريرة، لا اتذكر انني لمست مثيلتها في الشرق مطلقا، كما انني اخشى ان لا اجدها في البلاد الراقية كثيرا. وتكلم الباشا عن شؤونه الخاصة واستشارني في الكثير منها.

اشعل علم من النار على التلال المقابلة اعلانا برؤية الهلال في تلك الناحية، اذن فيوم الغد هو يوم العيد.

١١ تموز.

تحادثت طويلا مع صديقي الفطن عمر آغا، في امور عديدة تتعلق بالاكراد وبلادهم، وها انا ادونها كيفما اتفق.

ان الخوشناويين والراوندوزيين متوحشون اغبياء غاية التوحش والغباء، ولا يردهم عن قتل الانسان وازع، ولكن الصلاة لا تفوتهم مهما كلفهم الامر وان كان المعلوم عنهم انهم يتقاتلون في الجوامع. حدث نزاع على كلب قبل عدة سنين بين رجال منطقتين اسفر عن قتل سبعين شخصا، قتل منهم ثلاثون في الجامع بعد ان اشترك الفريقان في الصلاة سوية، وهم لا يزالون يتناحرون بين وقت وآخر لاسباب تافهة مثل هذه. ولا ينتهي العراك بينهم الا بعد ان يقتل بعضهم. هنالك رئيس خوشناوي غاب عني اسمه لا يزال حيا يرزق،

حطت في يوم من الايام ذبابة على عينه فاضجرته، فابعدها فعادت ثانية وثالثة حتى غضب فاستل خنجره وطعن به عينه فأعماها وكاد ان يموت.

ولكل رجل من عشيرة (بلباس) (*) مهما كانت منزلته الحق في ابداء الرأى في الشؤون العامة. فقد تتفق مع الرؤساء البلباسيين على صفقة تجارية، فينهض فجأة احد افراد العشيرة ويقول «لا اوافق على ذلك» وهذا القول وحده يكفي للقضاء حالا على الاتفاق بكامله. ومن ذلك ان عبدالرحمن باشا بعد ان انتهى من حرب اشتبك فيها مع البلباسيين عقد معاهدة تنص على زيارة كاكا حسن او الاخ حسن رئيس البلباس السليمانية على ان يبقى سليم بك شقيق الباشا رهينة عند البلباسيين. وعندما شرع كاكا حسن بالرحيل وضع احد افراد العشيرة يده على قبضة خنجره وقال بكل هدوء «اذا قبض البابانيون على كاكا حسن فهم قاتلوه لا محالة، وسيفخرون بعد ذلك باراقة دم رئيس بلباسي، وعلى هذا فمن الافضل لى ان اقتله بنفسي هنا.» وضاعت كل محاولة لرد ذلك الرجل عن غيه سدى، وعلى ذلك امتطى سليم بك جواده وقرر الرجوع الى منطقته، دون ان يرى باعثا للتكلم مع كاكا حسن. وبعد ان ابتعد قليلا، غير الوحش رأيه في الامر فصار يصرخ من ورائه ويدعوه الى العودة قائلا «خذ كاكا حسن واذهب معه سوية، فأننا لا نريد رهينة، وان كنتم رجالا فستعاملونه بالحسنى ..» (**) فاستحسن البلباسيون جميعهم هذا الرأى وسار البك وكاكا حسن الى السلمانية سوية (***).

(*) هذه هي اسماء اربعة من عشائر البلباس وهي (رەمك) و (مەنزوور) و (بیران) و (مامش).

(**) لا ندرى ايصح ان نطلق كلمة «الوحش» على رجل هذا موقفه من كرامة عشيرته، وهذا تفكيره في تقدير الامور واحتمالاتها، وهذا حله لها ؟ ــ المترجم.

(***) فيما يلي بعض المعلومات الاضافية الخاصة بالعشائر البلباسية مستقاة من احد افرادها وقد اضفناها هنا نقلا عن اوراق المستر ريج المتفرقة.

يتألف البلباسيون من العشائر التالية :ــ

١. (كابايز Kabaiz) العائلة الحاكمة، تتألف من مائتى شخص تقريبا.

٢. (مەنزوور). ٣. (مامش). ٤. (بیران). ٥. (رەمك). ٦. (سن) و (تافا) وهما يؤلفان عشيرة واحدة. ويسمى رئيس العشيرة بـ (مەزن) ولكل رئيس بعض السراق الذين يسرقون له، ويقدم له افراد عشيرته الهدايا من الارزاق من تلقاء

وبين البلباسيين فئة من القرويين او التوابع ليس لها الحق فى ابداء رأيها فى شؤون العشيرة، والعشيرة تعدها فئة وضيعة جداء وانك لتجد هؤلاء الناس فى جميع انحاء كردستان وهم ليسوا بعشائريين او قبليين. ورجال العشائر ينعتونهم بـ «كەلەوسپی (Kalawspi) اى ذوى القبعات البيضاء وكذلك بـ (كوران). (١٤) والاسم الاخير هو اللقب الصحيح لاهالى سنه، ورجال القبائل يصطلحونه للاهانة خاصة عند الاشارة الى الجبناء. ألم يكونوا هؤلاء سكان البلاد الاصليين اللذين تغلبت عليهم العشائر الجبلية الشديدة البأس؟ وهنالك بعض العشائر المتشردة تابعة الى حكومة (سنه)، اما الاهلون المستوطنون فهم كورانيون بكاملهم. (*)

ومن بين العوائل الحاكمة فى كردستان عائلة (بهدينان) وعاصمتهم العمادية (**) وهى من اشرف العوائل، بل وينظر اليها نظرة تقديس لانتساب

انفسهم وهذا كل مورده. ودية الدم بين البلباسيين اثنان وعشرون ثورا، وقد تتبدل هذه بغيرها من المتاع الذى يعطى له فى الغالب قيمة اسمية تزيد على ضعفى القيمة الاصلية، وذلك عندما يراد حسم القضية حسما ووديا. اما قوانينهم فهى عاداتهم العشائرية يمارسها الرئيس ويساعده فى ذلك مجلس شيوخ. ولا يعاقب على الجرائم بالاعدام الا فى جريمتى الزنا والاغواء وما يشابه ذلك. ولا يزوج البلباسيون بناتهم برجال من غير عشيرتهم او من الغرباء، هذا والغزل موجود فى حياتهم الاجتماعية، وهروب المحب بحبيبته للزواج منها امر شائع بينهم. واذا مات الرئيس منهم استخلفه افضل الرجال او اشجعهم من العشيرة، اما اذا كان ولده الاكبر غير كفء على النهوض بأعباء الرئاسة فيخلفه اكفأ اخوانه. واذا ما نصب الرئيس لا يمكن خلعه، هذا وسلطات الرئيس معينة لديهم تعيينا ثابتا لم يحدث ان حاول احدهم تجاوزها، والبلباسيون فى بلادهم لا يعترفون طواعية بسيادة احد عليهم سواء أكان تركيا او ايرانيا، ولكنهم حينما يهبطون منطقة (قەرەجوق) — وقد كفوا عن ذلك منذ عدة سنين — يقدمون بعض الاغنام الى البك جزية. وهم يحبون السلاح حبا جما، والكثير من البارزين منهم يملكون العدات الكاملة من الدروع.

(*) يتبع البلباسيون طريقة غريبة فى معالجة الجروح اذ يضعون الجريح داخل جلد بقرة اثر سلخها ويخيطونه عليه مستبقين رأسه خارجا، حتى يبدأ الجلد بالتعفن. ويقولون ان هذه الطريقة لا تفشل مطلقا فى دمل ابلغ جروح الرماح والسيوف.

(**) يسمى الاهلون العمادية (ئەك بادان) او (ئەك بەدەن) وهى على جبل وتضم (١٠٠٠) بيت تقريبا للمسلمين و (٢٠٠) دار لليهود و (٥٠) دارا للنسطوريين وبعض عوائل اليعاقبة والارمن — راجع الملحق. (اما اليوم فيطلق الاكراد اسم «آميدى» على العمادية كما يطلقون اسم «آكرى» على عقرة. — المترجم).

افرادها الى الخلفاء، ولكن نظرا الى قدم اسم العائلة فقد تكون اقدم من الخلفاء عهدا (*) ولا يجرأ احد على استعمال اى آنية او غليون يشبه ما يستعمله امير تلك العائلة، حتى ولا حامل غليونه حين يطلب اليه ان يولعه او يختبره قبل تقديمه الى سيده. ولشخص الامير من القدسية ما يحمل العشائر فى اشد المعارك ان يسقطوا السلاح من ايديهم اذا ما اقترب منهم، ومع ذلك فان سلطته معدومة، او قليلة جدا على القبائل المحاربة الشديدة المراس التى تتألف منها رعيته. وهو لا يجبى اى مورد من موارد مقاطعاته، ولكنه اذا اراد مبلغا من المال لأى غرض طارىء امتطى بغله وطاف على رؤساء القبائل ونزل عند كل منهم ليلة، وعند ذلك لا يسعهم استجابة لحقوق الضيافة ان يرفضوا له طلبا، وفى الصباح عندما يغادر مضيفه يتقدم رئيس القبيلة التى قضى عنده الامير ليلته بمبلغ من المال كهدية له.

وهو يتمثل باطوار الخلفاء العباسيين المتأخرين، اذ يقضى يومه فى عزلة، فيقدم له خادم طعامه ويتركه حتى ينتهى منه. وبعد ان يتناول كفايته من الطعام يسوى ما تبقى فى الماعون منه كى لا يلحظ احد من اى جانب تناول طعامه، ثم يدعو احد الخدم ليرفع المائدة وليأتى له بالابريق والطشت ليغسل يديه، ثم يجيئه بغليون وينصرف عنه. والباشا انيق فى ملبسه، وهو على الطراز الموصلى تقريبا. ويضع على رأسه شالا كشميريا يلفه حول طاقية حمراء منكسة الى الوراء، وتسمى هذه بالفيس (الطربوش). واذا اراد ان ينعقد ديوانه دخل عليه الكهيا (**) او رئيس الوزراء فيحييه باحناءة على الطريقة الايرانية ويتخذ مجلسه على مسافة احتراما له، ويليه فى الدخول عليه رئيس عشيرة (مه‌روورى) ــ كذا ــ فيجلس الى جانب الكهيا ثم يدخل رؤساء القبائل الاخرون المقيمون فى حاضرة سلطانه (***) وفق مكانة قبائلهم، ويأمر الباشا عند ذاك باحضار الغلايين، ولا يدخل الديوان الا خادم واحد ليوزعها. واذا اراد الباشا

(*) اننى اعتقد ان (زوروآستر) كان من بلاد العمادية.

(**) ان الكهيا الحالى هو رئيس عشيرة (نى رووى). (والصحيح نه‌روه ــ المترجم)

(***) يقطن البعض من رؤساء القبائل (العمادية) دائما او انهم يسكنون حيث يسكن الباشا. اما القبائل الاخرى فقد يوفدون رؤساؤهم الى الباشا مع بعض الهدايا بين آن وآخر وهذا لا يكون الا ممن يكن للباشا احتراما شخصيا.

انفضاض الديوان امر بالقهوة. اما القهواتي فيسترق النظر من خلال النافذة ليقف على عدد الحاضرين كي يصب القهوة في فناجين وفق عددهم ويضعها في صينية ثم يدخل الديوان ويوزعها بالتتابع، فينفض الجمع الا اذا اراد الباشا ان يبقى من يريد في حضرته للبحث معه في بعض الامور. ويظهر ان من مظاهر العظمة عند الامراء البهدانيين الانزواء والاختفاء قدر المستطاع، اما الرئيس البابانى فعلى عكس ذلك، اذ ان من المفروض فيه ان يظهر امام الملأ ما وجد الى ذلك سبيلا، واظن انه نادرا ما يتسنى له ساعة يختلسها ليتمتع بها.

والبعض من الامراء البهدنانيين ومنهم والد الامير الحالى مثلا، قد غالوا في التخفى حتى انهم حجبوا وجوههم ايضا بنقاب كلما خرجوا في سفر، كي لا تقع النظرات الخبيثة على محياهم (*) وتلك عادة جرى عليها المتأخرون من الخلفاء العباسيين كما روى (بنيامين التطيلي). (١٥) وتتألف بزة ضباط الباشا وخدمه من دراعة سوداء من قماش العباء المصنوع في الموصل، مزينة بعرى ذهبية ومن سراويل مخططة بخطوط عديدة الالوان وهذا هو الزى الشائع في (العمادية) و (جولەمەرك). وعندما يخرج الباشا الى الصيد يغير ملابسه في منطقة الصيد قرب العمادية بملابس الجبليين من العوام، يتسلق بها المرتفعات وينبطح ارضا في انتظار ظهور الماعز الجبلي مانعا نفسه عن رمى ما قل عمره عن اربع سنوات. ويسهل على اعين الخبراء معرفة اعمار هذا الماعز من بعد من قرونها. وهذا النوع من الصيد، والصيد بالاشراك، والفخاخ، وبالرمى، وصيد الحجل بالباز، هي الرياضة الوحيدة في منطقة العمادية لكونها جبلية لا يمكن مزاولة القنص فيها على ظهور الجياد.

ان هواء العمادية في الصيف حار لا يلائم الصحة ولذلك ينزح السكان منها الى مصايفهم على بعد ساعتين ونصف ساعة من المدينة، في مرتفع تكسوه الثلوج طيلة الصيف. وللباشا في هذا الموقع دار صيفية، اما الاهلون فيشيدون

(*) بل على عكس ذلك يقال انهم يحجبون وجوههم كي لا تقع انظارهم على الخبائث والمحرمات، وقد اتبع هذه البدعة بعض المتصوفة، او بالاحرى بعض المغالين في عهد قريب ـ المترجم.

السياطات فيه. ويخصص خلال الاصطياف حرس قوى لصد عدوان التياريين، وهم عشيرة مسيحية مستقلة من الكلدانيين (*) يخشاهم المسلمون جميعا(**). وهناك عدا البهدنانيين عوائل قديمة اخرى كانت لها القوة والنفوذ فيما مضى، وقد حكمت اقساما مختلفة من كردستان. وعائلة (بوتان) التى تسيطر على منطقة تسمى بالاسم نفسه، عائلة محترمة الجانب، تضاءل نفوذها وشهرتها كثيرا. والجزيرة عاصمة هذه العائلة ويقال انها خربة الان. وتقع منطقة (طور) بين (الجزيرة) و (ماردين) وهى منفصلة او مستقلة عنهما. وعائلة (سوران) من العوائل العريقة فى القدم ايضا كانت فى يوم من الايام اقوى عوائل كردستان، بل كانت تسيطر على جميع منطقة (سوران). وكانت عاصمتها (حرير) التى يمكن مشاهدة الكثير من آثار تلك العائلة فيها قائمة على طراز معمارى يفوق كل طراز اخر فى كردستان فى اى عهد من العهود. لقد انقرضت هذه العائلة وقامت على انقاضها العائلة البابانية وغيرها من العوائل العديدة الاخرى التى كان رؤسائها جميعا من الاقطاعيين الذين يأتمرون بأمرة السورانيين. ومن تلك العوائل عائلة كوى‌سنجاق، التى كانت لواء (سنجاقا) سورانيا، وقد اخرجت تلك العائلة منذ ذلك الحين من (كوى‌سنجاق) فدخلت ولا تزال تحت الحكم البابانى.

وكان البابانيون رؤساء بشدر الاقطاعيين يأتمرون بأمرة السورانيين، وكانت عاصمتهم فى ذلك الحين (داره شمانه)؛ وهى الآن قرية حقيرة لا

(*) تسكن هذه العشائر المسيحية من الناحية الجغرافية داخل حدود منطقة (حكارى).

(**) لقد انبأنى المطران حنا، المطران الآثورى فى الموصل، باسماء العشائر التالية منهم، وهو يسميهم بالمسيحيين النسطوريين ـ تيارى، تكووب، جه‌لودى، لى‌وى‌نى، به رواری، نه‌رووى. وتتألف عشيرتا (نه‌رووى) و (به‌روارى) من المسلمين والمسيحيين. اما الآخرون فكلهم نسطوريون، وهنالك اربع قرى قرب العمادية يسكنها النسطوريون الذين يدعون بالـ (كران مووسى) وهم يلبسون قبعات من لباد. انتهت الحاشية :ـ اما الاسماء الصحيحة لبعض هذه العشائر فهى :ـ

(تخوما) لا (تكووب)، و (جى‌لوو) لا (جه‌لودى)، و (لى‌ون) لا (لى‌وى‌نى)، و (نه‌روه) لا (نه‌رووى)، و (كرامون) لا (كران مووسى) ـ. المترجم.

تتجاوز بيوتها الثمانية عشر بيتا. لقد كانت العائلة البابانية عظيمة الشأن فيما مضى اكثر مما هي عليه الآن، وعلى الاخص قبل تولى سليمان باشا حكومة بغداد حين كانت اكثر بقاع البلاد حتى (زەن كەباد) و (مندلى) و (بدران جصان) تابعة الى كبير البابانيين، كما كانت (آلتون كوبرى) و (اربيل) تحت سيطرته، بل و (سنه) ايضا، وهى ايالة كردية تكون تحت نفوذ الايرانيين فى الغالب.

اما عائلة (زهاو) فما كانت موضع احترام جم، ولم يكن لها شأن عظيم فى منطقتها ذاتها.

١٦ تموز.

بعد استشارات عديدة اخترنا اخيرا منطقة (قزلجه) على اعتبار انها خير مكان لسكنانا خلال ايام الحر الشديد الذى بدأنا فعلا نشعر باشتداد وطأته فى السليمانية، فقررنا الرحيل اليها غدا. قضينا اليوم بالتهيؤ للسفر وبتوديع الباشا وعثمان بك وسليم بك وغيرهم من الاصدقاء. ولقد تبادلت والباشا حديثا شيقا استمر مدة تزيد على الساعتين وكان جله حول شؤونه الخاصة. وانى لارجو من الصميم ان يزول الكرب عنه وان يتمتع بهناء وسرور، لكونه رجلا محبوبا كل الحب. لقد شق على اصدقائنا السليمانيين فراقنا عنهم هذه المدة القصيرة. وقد بذلوا كل ما فى وسعهم لاقناعنا على البقاء فى السليمانية. حقا لم اعهد من قبل طيلة حياتى مثل حسن ضيافتهم وكرمهم.

عاد دەللى (سمعان) مساء اليوم من الموصل ومعه بعض العاديات (*).

(*) دەللى (سمعان) او شمعون المجنون مسيحى آثورى استخدمه المستر ريج عدة اعوام ليطوف فى البلدان لشراء المسكوكات والعاديات له ــ الناشرة.

الفصل السادس

الرحيل من السليمانية الى الجبال ـ مضيق كويزه ـ الخيام تنصب في كەرەدي ـ لطافة الموقع ـ الجلبة والضوضاء عند التحميل ـ جبال شامخة ـ الكروم ـ الحبوب ـ بلاد جميلة ـ ضابط كبير منطقة قرلجه ـ مغالطات مضحكة ـ صعود شاق ـ اولاد خالد بك ـ معسكر في احمد كلوان ـ الحاصدون يتغنون بفرهاد وشيرين ـ الجراد ـ درجة حرارة الينابيع ـ الضفادع الخضر ـ لعبة غريبة ـ الرحيل من احمد كلوان ـ السفر الى بيستان ـ الطنوف الاصطناعية ـ بستان غير صحية ـ مرض جماعتي كلهم ـ الرحيل من بيستان ـ بنجوين ـ مضارب الجاف ـ الجماعات الرحالة ـ سيدة وخدمها ـ اليهود.

* * *

١٧ تموز.

غادرنا السليمانية صباحا في الرابعة الا ثلثا وسرنا على طريق (كويزه)، لانه اسهلها لاجتياز السلسلة، او بالاحرى لعبور التلال الجرداء التي تحد السليمانية من الشرق. و (كويزه) هو المضيق الجنوبي الاقصى الذي يفضي مباشرة الى اعلى التلال، ويليه في الشمال طريق (ازمر) الذي يتجه نحو المدينة، او بالاحرى الى موقع مدينة (قەلاجوالان) (*) القديمة، ويليه شمالا طريق اخر يسمى طريق (قەيوان).

وصلنا الى حضيض التلال بعد الرابعة بقليل ونحن نصعد صعودا هينا طيلة الطريق منذ رحيلنا من السليمانية، ثم بدأ الارتقاء فورا في قاع مسيل جاف في بادىء الامر، ومن ثم على سفوح التل الشديدة الانحدار بنيسم سحيق جد ضيق. وفي الخامسة تقريبا بلغنا القمة وهي في ذلك المكان عبارة عن صفة من الحجر الرملي تتصل بكتفين اخريين مرتفعتين من التل هما اكثر تكتلا، ولم يزد ارتفاع القمة عنهما الا بضع اقدام. والمنظر هنا منظر جميل، فامامنا سهل (سروجك) و (شاربازير) ـ اقول سهل لتمييزه عن التلال اذ في الحقيقة ليس في هذا السهل اي بقعة منبسطة ـ وينتهي السهل في اليمين او في الجنوب بمضيق تحده من الشرق جبال عالية، كانت الشمس تبزغ حينذاك من ورائها. ويلوح ان السهل كان يضيق في القسم الشمالي منه او

(*) جاءت في الاصل (قەرەجولان) وصحيحها (قەلاجوالان) يرجى الانتباه الى ذلك كلما جاءت. ـ المترجم.

من ناحية (شاربازير)، والمنطقة بكاملها محددة ومقسمة الى طنوف ووديان ومضايق لا تعد، كونتها سلسلة التلال المحيطة بها، وكان بعضها كبيرا جداً. وكانت السلسلة التى نسير عليها مكونة من الحجر الرملى تنحدر طبقاتها نحو الشرق وعلى سفوحها الشرقية الكثير من عليقات البلوط، اما الاراضى التى كنا نشرف عليها فكانت على ما بدا لنا بقاعا من الاحراش والمزارع انتشرت على نحو جميل ترتاح النفس اليه. ثم اخذنا فى الانحدار شمالا على سفوح الجبل الشرقية، ولم يكن الطريق فى انحدارنا سحيقا كما كان فى الصعود. وصلنا فى السادسة الى اسفل الجبل وبذلك استغرق الصعود خمسا وثلاثين دقيقة، والانحدار ساعة وعشر دقائق. وكان اتجاه مسيرنا فى هذا اليوم شماليا شرقيا بخمسين درجة. وبعد ان ولجنا خانقا ضيقا مررنا بقرية صغيرة لم اسأل عن اسمها، ثم بلغنا قرية (بناويله) وهى على جانب عين ماء بديعة، شاهدنا فيها عددا كبيرا من سمك الشبوط (Carp) وكان السمك اليفا، اذ لا يزعجه القرويون، وقد القينا ببعض فتات الخبز اليه فاختطفها. وعند البركة الصغيرة التى تكونها العين قامت شجرة شنار جميلة وبعض اشجار الحور والصفصاف منتشرة هنا وهناك، وقد ذكرنى المكان هذا بـ (قه‌ره‌حسن)؛ والاكراد على صواب فى قولهم بان مدينة السليمانية مشيدة فى اسوء بقعة من بقاع كردستان. وتعود هذه القرية الى منطقة (سروجك) كما تعود اليها كل الارضى الواقعة الى الجنوب منها، اما ما كان منها الى الشمال الغربى فيعود الى منطقة (قه‌لاجولان). وبعد ان تناولنا كأسا من القهوة تحت ظلال شجرة الشنار الجميلة عدنا فامتطينا جيادنا فى السابعة الا ربعا، وسرنا سيرا حثيثا فوق ارض متموجة ثم انحدرنا من تل ناهد، وفى السابعة والنصف وصلنا منزلنا فى قرية (كه‌ره‌دى) فوجدنا خيامنا منصوبة، اذ قد احتطت للامر فارسلتها مع الامتعة الثقيلة ليلة امس، وكان اجتيازها جبل (كويزه) شاقا، تدحرج اثناءه بغلان او ثلاثة من بغال الامتعة، ولحسن الحظ لم يحدث ما يعتبر ذا اهمية.

وتقع قرية (كه‌ره‌دى) فى واد، تكتنفها غابة من اشجار الجوز والصفصاف والحور، وينحدر الكثير من السواقى فى وهدها. والحق يقال ان هذه البلاد لا تعوزها الينابيع البديعة، وقد مررنا بالكثير منها فى طريقنا اليوم بعد انحدارنا

من (كويزه)، وتعود (كەرەدى) الى منطقة (شاربازير). ولقد انشرح صدرى بمنظرها، فأفياء الاشجار الضليلة وخرير مياه السواقى الصغيرة وتغريد الدج والشحارير كلها عوامل اضفت على القرية جمالا ورواء.

لقد كان الجو عند رحيلنا من السليمانية فى الرابعة من صباح اليوم دافئا، وكانت الريح شرقية، وعندما اقتربنا من سلسلة التلال لفحتنا منها موجة من الحرارة كأنها منعكسة من اتون، ولكننا فى اللحظة التى وصلنا فيها القمة وجدنا انفسنا فى جو يختلف تمام الاختلاف عما كان من قبل، وكان فى مستطاعنا ان نطيل السفر ساعة او ساعتين اخريين دون ادنى مضايقة من الحر.

درجة الحرارة فى الثانية والنصف ب. ظ. ٩٩ د، وفى العاشرة ب. ظ. ٧٥ د.

وفى خلال رحلتنا شاهدنا الكثير من الكروم ومزارع التبغ، وتتزود السليمانية بجميع فواكهها من هذه الانحاء.

لقد قيل لنا ان الطرق التى علينا سلوكها سحيقة، ووعرة، وشديدة الانحدار، وانها تبلغ من الضيق فى بعض مواقع الجبال مبلغا لا يمكن معه مرور جوادين فى صف واحد عليها، الامر الذى اضطرنا الى التخلى عن التختروان والمحفات فى مسيرتنا هذه، فتركناها وراءنا فى السليمانية. اما الخادمات فارسلناهن على ظهور الخيل ليلة امس مع الخيم والامتعة، واصطحبتنا قرينتى على جوادها الصغير المهدى من عثمان بك، وكان حمله لها فوق الجبال مثار اعجابنا.

لقد نادى اليوم عمر آغا مهماندارنا احد رجاله المدعو (برويز) وقال لى ان هذا الاسم واسماء قديمة اخرى لا تزال شائعة بين العشائر، ومنها (خسرو) و (كوباد) و (بهرام) و (برويز) و (بريزاد). وسمعنا تغريد القمرى للمرة الاولى فى كردستان وفى هذه القرية، وبعد الظهر خرجنا فى نزهة بهيجة على طوار سفح الوهدة مارين بين صفوف اشجار الجوز والعناب والفاغيا (الحناء) والزعرور والصفصاف، وبين الكروم وحدائق الآجاص والخوخ والتوت

والتين، وشاهدنا شجرة زيتون نضرة زاهية وعيونا صغيرة تتدفق مياهها من منحدر الوهدة السحيق.

١٨ تموز.

كانت ليلتنا باردة منعشة، ولكننا لم ننعم بها الا قليلا. فما ان انتصف الليل حتى ارتفعت اصوات مزعجة شتى من جماعتنا الذين بدأوا بالتحميل، اصوات فاق هرجها ومرجها اضطراب بابل، وجعلت الاخلاد الى الراحة ثانية مستحيلا. لا يمكن فى هذه البلاد انجاز عمل ما دون ضوضاء وصراخ لا يتناسبان مطلقا مع العمل المراد انجازه. ويظهر انه حتى الحيوانات نفسها تتهيج فتساهم فى الضوضاء بنهيقها وزعيقها وشخيرها وترافسها فى الوقت الذى يتشاتم فيه اصحابها ويتنادون ويتصارخون الى ان تتم عملية التحميل وتأخذ القافلة مجراها.

رجع عمر آغا الى السليمانية البارحة لقضاء بعض اشغاله الخاصة وسوف لا يلتحق بنا حتى وصولنا الليلة منزلنا.

شرعنا بالمسير فى الرابعة فعاودنا صعود المنحدر الذى انحدرنا منه الى الوهدة، ثم عرجنا شرقا نحو التلال، او بالاحرى نحو الجبال، اذ بدا انها الآن تستحق هذه التسمية حقا، وتمتد هذه الجبال من (كويزه) او سلسلة (ازمر) على قوس مارة من امامنا متقطعة بعض التقطع لتعود فتكون السلسلة ذاتها عن يسارنا، ويظهر انها فى اتجاهها الجديد هذا تتضاءل جرما. وعن يسارنا مباشرة، وعلى مسافة ثلاثة او اربعة اميال، يقوم جبل (سەرسير) (*) وهو جزء منفصل من التلال التى اتينا على ذكرها، وكان عبدالرحمن باشا تواقا الى نقل عاصمته الى هذا الجبل لانعزاله، ولسهولة الدفاع عنه، ولان الوصول الى قمته لا يتيسر الا بطريق واحد؛ على ان شحة المياه فى الجبل كانت العائق فى تنفيذ رغبته.

(*) واصلها (ساردسير) اى المصيف — ويقابلها (گەرمەسير) اى المشتى — وزخمت فاصبحت (سەرسير). تقع قصبة (جوارتا) مركز قضاء (شاربازير) الحالى، عند سفح جبل (سەرسير) الغربى، ويمكن الصعود اليه بثلاثة طرق فى يومنا هذا، اسهلها واطولها الشرقى منهـا وهو يلتف حوله متصاعـدا من الغرب الى الشمال

وفي الرابعة والنصف مررنا بهضبة تقع عن يسارها وهدة صغيرة، واخرى عن اليمين واسعة عميقة تضم عدة قرى وهى تكاد تمتد الى الشرق والغرب، اما منتهاها الشرقى فتسده رقبة، تفصل بينها وبين وهدة اخرى مماثلة لها، واما الجانبان الجنوبيان من هاتين الوهدتين فيرتفعان فورا ويكونان جبلا شاهقا. وكان طريقنا يتصاعد تصاعدا تدريجيا، والارض مكسوة كلها بعليقات البلوط. وفي الخامسة بلغنا تلالا فى فجوة تماثل تلك الرقبة او الطرف الشرقى من الوهدة الواقعة عن يميننا، ومن هنا يقع (غودرون) باتجاه ٦٠ درجة شمالية غربية. ومن هذا المكان يمكن لى ان اكون فكرة لا بأس بها عن الخطوط الاساسية لهذه المنطقة. ينتهى كل من (كويزه) او (ازمر) فى الشمال، ويبدأ (غودرون) قبل نهاية (ازمر) او الى الجنوب منه، ويقع وادى (ميركه‌بان) او وهدته بين هذين الجبلين، ثم يؤلف (غودرون) سلسلة اعظم من سلسلة (ازمر) واكثر منها صخرية، تتجه باتجاه شمالى شرقى. والآن بدأنا نهبط بطريق منحدر جدا واخذنا نسير فى التواءات عديدة فى مضيق فى الجبال، وهى هدودة الانحدار من الجانبين، الا ان الجانب الايمن منها كان اكثر نهودا فى انحداره، وكان الطريق يصعد ويهبط باستمرار تتقاطعه الوديان فى بعض الاماكن. اما سفوح التلال فكانت مكسوة بالكروم، بعضها فى اماكن عالية جدا تكاد تظهر شاقولية، ولا ريب ان زرعها لا يتيسر الا لاناس يتعلقون بحبال كجامعو الشمر — الاعشاب البحرية.

وتنحصر الزراعة فى هذه الاماكن بالكروم والتبغ. وقد مررنا ببعض حقول الحبوب التى لم تحصد بعد. اما اشجار البلوط او السنديان فوفيرة فى كل مكان وعلى ضفاف الجداول الصغيرة فى الوديان، وكثيرا ما يتخلل الصفصاف الكروم البرية. واما الاعناب فلم تنضج حتى الان.

الى الشرق الى الجنوب ويمر من بين اشجار البلوط، وبعض الكروم. اما الغربى فهدود يمر من واد ثم على كتف شعيب، وتكثر فيه عيون المياه. واما الجنوبى فصعب الارتقاء لا يطرق الا عند الضرورة، ولا يتعقبه الا الرعاة احيانا. والمتجول فى منبسط اعلى الطنف، بل فى نجده، يجد آثار ابنية كانت مصايف البابانيين، وبعض الصناكر الحديثة ونجده غنى باشجار برية مثمرة كالكمثرى. — المترجم.

وفى السادسة والثلث ترجلنا عنـد مقبرة، مستظلين ببعض اشجـار السنديان للاستراحة قليلا، اذ لم اكن متمتعا بكامل صحتى. والمكان الذى ترجلنا عنده واد تسيل فيه عدة سواق تكون جداول تنصب فى نهر (تان كووزى) (*) الذى تجرى مياهه بشدة، وتدير احد هذه الجداول طاحونة، وهو يكون شلالا بديعا.

وشاهدنا على التلال الكثير من الطباشير فى شتى ادوار تكونه، والكثير من الصوان. اما طبقات التلال فيبدو انها لا تزال مائلة نحو الشرق بوجه عام، والسفوح الغربية من التلال سحيقة الانحدار جدا.

وبعد ان اخذنا قسطنا من الراحة استأنفنا السير فى السابعة، وما بقى من طريقنا ذا اتجاه شمالى شرقى. وفى السابعـة والثلث عبرنا نهر (تان كووزى) وكان عرضه آنئذ ثلاث او اربع ياردات وعمقه قدما ونصف القدم، ويبدو لنا من مجراه انه لابد من ان يفيض فى بعض الاحيان فيكون سيلا متدفقا، وهو يجرى شمالا، ولا شك انه يسيل نحو كوبرى او نهر آلتون(**) وهـذا النهر اكبر الانهر التى تنصب فيهـا جميـع مياه هـذا القسم من كردستان (***). ومن ضفاف نهر (تان كروزى) ارتقينا مباشرة مرتفعا شديد الميل استغرق ارتقاؤنا عليه مدة ثلاثين دقيقة ونحن جادين فى السير، وكان عن يميننانهر (تان كووزى) وقد شق له ممرا بين الجبال. اما الهبوط الذى بدأنا به توا ـ بعد ان اجتزنا هضبة ـ فاستغرق نصف ساعة، ولكنه كان اكثر انحدارا وتدرجا من الصعود. وبنتيجة ذلك يكون ارتفاعنا الآن بمستوى اعلى بكثير. وهنا اخذنا ندور بين التلال المكتظة باشجار البلوط، تارة نهبط وتارة نعلو. وبعد ان انحرفنا عن طريقنا المباشر فى العاشرة الا ثلثا وانعطفنا الى الجنوب

(*) يسمى هـذا النهر (سى‌وديل) امـا كلمة (تاووق كوزى) وليس (تان كووزى) فهى اسم منطقة تقع فى الجنوب الغربى من (هه‌له‌بجه)، وعلى الضفة اليسرى من نهر سيروان ـ ديالى ـ المترجم.

(**) لا شك ان الكاتب يقصد بذلك الزاب الصغير ـ المترجم.

(***) ان نهر (تان كووزى) هو نهر (قه‌لاجولان) ذاته، ويسيل مارا بـ (قه‌لا جولان) ثم يلتقى بنهر (حرير) وينصب بنهر (كوبرى).

وواصلنا سيرنا بضع دقائق، فوصلنا قرية (دوله دريز) التى تعنى الوادى الطويل.

لم تضايقنى الشمس اليوم بالرغم من توعك صحتى الشديد، وفى الثانية بعد الظهر، وهى احر ساعات النهار، كانت درجة الحرارة ٩٨، وفى العاشرة ليلا كانت ٧٤ درجة.

ويوجد بالقرب من هذه القرية ـ وهى منزلنا لهذه الليلة الكثير من اشجار الصفصاف، والآجاص، والتين، وكذلك الكروم. ولم تنضج الحبوب فى التلال بعد.

وتقع عن يميننا وعلى موازاة طريقنا جبال (كازاو) او (كووروه كازاو) الشاهقة التى لم تكن على مسافة بعيدة منا، وقد بانت الارض اليوم لنا ارضا جبلية جميلة، وكنا نرى هنا وهناك سفوح الجبال الصخرية، ولم يكن منظر الارض صخريا بوجه عام او وعرا، بل متموجا.

لقد وجدنا الطريق اليوم جيد جدا، وكان احسن بكثير من الطرق التى شاهدتها فى اى بقعة من بقاع آسيا الصغرى، وقد ذكرتنى بعض المناظر فى الوديان بجبال (جورا).

١٩ تموز.

كان الليل قارص البرد، وفى الرابعة الا ربعا سرنا ممتطين الجياد، وبعد بضع دقائق اجتزنا الوادى الصغير الذى يضم قرية (دوله دريز) وكان الاتجاه العام لمسيرنا شرقيا ينحرف الى الجنوب قليلا، الا اننا التففنا كثيرا حول جوانب التلال ونحن فى صعود، وكان الطريق جميلا حقا تتخلله اشجار البلوط وهى فى هذا المكان كبيرة جدا، ومتداخلة مع اشجار السماق والصفصاف والكروم البرية والجميز(*) ولم نكن قد ابتعدنا كثيرا حتى مررنا بفتح الله آغا (ايشيق آغاسى) او رئيس تشريفات محمود باشا فى عودته من (سنه). وكان

(*) لا يوجد جميز Sycamore فى هذه المنطقة من كردستان، ولا شك فى ان المستر ريج قصد التين البرى ـ المترجم.

طريقنا الذى نسير عليه هو الطريق الرئيسى المؤدى اليها، ثم بعد مسيرة قصيرة التقينا بضابط من ضباط خالد بك هو كبير المنطقة التى نقصدها وكان على رأس جماعة من حاملى البندقيات، جاء لاستقبالنا. وكان من الجلى ان هذا الضابط الذى لا يتكلم التركية، قد تهيأ ليجيب بها على اسئلة حسب اننى سأوجهها اليه، ولكننى لسوء حظه لم اوجهها بالترتيب الذى كان يتوقعه، مما ادى ذلك الى سوء فهم مضحك جدا. وكان سؤالى الاول له هو «كم بقى لنا من الطريق؟» فأجابنى «ذهب قبل الامس الى السليمانية» ظانا اننى سألته عن سيده.

وبعد قليل شرعنا فى صعود ناهد جدا، اعتقد انه كان اعلى واوعر الانحدارات التى شاهدتها حتى الآن، ولكن الطريق كان جيدا الجودة كلها. وقد وصلنا القمة فى السادسة بعد ان استغرق الصعود اربعين دقيقة تقريبا منها ثلاثون دقيقة قضيناها فى تسلق متعب يكاد ان يكون عموديا. وهنا بان لنا (كازاو) فى اتجاه الغرب وقد شمخ (غودرون) برأسه الصخرى الاجرد على جميع الجبال الاخرى باتجاه ٦٥ درجة شمالية غربية. ثم بدأنا فورا فى الهبوط بطريق من احسن الطرق واجملها، يخترق غابة كثيفة من اشجار البلوط اختراقا متمعجا، ولم يكن ناهدا، كما هو فى الصعود. وكان منظر السهل من الاعلى بديعا، اذ يلتوى بين تلال جميلة الشكل تكسوها اشجار البلوط القصيرة، والى الوراء منه تقع جبال ايران المرتفعة، وكان لهذه الجبال ايضا منظرها البهيج البهى. وكان نهر (قزلجه) يتعرج فى السهل ثم يسيل فى واد عن يسارنا يتجه اتجاها شماليا فيمر فى منطقة (سى‌وه‌يل) لينصب فى (كوبرى صو)، اما منبعه ففى سفوح الجبال الايرانية (*) وفى نحو اربعين دقيقة بلغنا اسفل الجبل الذى يتجه شمالا وجنوبا تقريبا. والطريق عند هذا المكان ينشطر الى شطرين يتجه الايسر منهما اتجاها شماليا شرقيا الى (بيستان) حاضرة منطقة (قزلجه) التى تبعد عنا حوالى مسافة ساعتين، اما الايمن فيتجه جنوبا الى (احمد كلوان) وهو المكان المقترح لاقامتنا.

(*) واما منبع (كوبرى صو) ففى (لاجان).

وعند قاعدة الجبل التقينا بولدى خالد بك وهما على رأس حرسه، وعددهم مئتا فارس بكامل سلاحهم، ويتقدمهم بعض العرفاء بعصيهم المفضضة وطبولهم الصغيرة التى تدل على رتبة الرئيس ـ و (قزلجه) «سنجاق» او لواء من ألوية الامبراطورية العثمانية. وعند التقاء هذه الكتيبة مع جماعتنا قامت جلبة وضوضاء واصوات لا يدرك مغزاها الا من نال شرف الاستقبال. اما الخيل فحيوانات لا تعرف للاستقبال معنى، اذ استاءت جيادنا من تلك الخيول الغريبة التى اختلطت بها، واغتاظت هذه بدورها. والخيول الكردية كلها شرسة، سريعة الاهتياج، وذلك مما جعل المشهد كله مشهد شهيق وصهيل وصراخ وخبط وترافس وعراك. وقد حاول البك الشاب التفوه بكلمات الترحيب بى بالفارسية، غير انى لاحظت ان جياد جماعته كانت افضل واحسن اداء منه، ولو فشلت الخيول فى انجاز هذا الواجب لكان الاجدر ان يقوم مقامها بعض رجاله النافخين بالمزمار والضاربين على الطبول وراكبى البراذين الحقيرة، وهم يؤلفون جوق الكتيبة الموسيقى او «المهترخانة». وعندما تراجعت هذه الخيول الى الوراء وساد السكون، بدأ احد الايرانيين من ذوى الصوت الجهورى بترديد اغنية عن المصارعين، وهو يضرب على «الدنبك» ضربا مزعجا، ولقد حاول البك الكلام وكان كلامه مما يرى ولا يسمع، فأجبته بمثل كلامه. سرنا جنوبا بموازاة حضيض التلال التى كانت تتقعر فتكون اشبه شيء بالمسارح المدرجة. وعندما وصلنا اوضا منبسطة بدأت مباراة الجريد، والمراشقة بالرماح، والاكراد جميعا فرسان جريئون، وان لم يكونوا فرسانا اصوليين. وكان ينفخ فى المزامير وتضرب الطبول اثناء المراشقة، مما جعل المشهد جميلا مبهجا، وقد هرب جواد احد الاكراد بصاحبه وسقط آخر مع حصانه بسرعة متناهية فأصابه اذى كبيرا، وان لم يكن بالغا.

وفى السابعة والنصف بلغنا مضربنا عند التلال وعلى مسافة ميل واحد فى الشمال الشرقى من احمد كلوان، وكانت مساكننا التى تفضل فشيدها لنا خالد بك واقعة عند منبع جميل، وهى تتألف من عدة سيباطات تمر باثنين منها ساقية صغيرة، وقد كون منها حوض، وسيجت السيباطات بكاملها بسياج من الاغصان محاك حياكة دقيقة، وشطر محيط السياج بسياج آخر قسم

الساحة الى حرم وديوان، وكان الى جانب كل من الحرم والديوان حقول حبوب لم يزل الحاصدون يحصدونها وهم يتغنون بقصة «فرهاد وشيرين» بالشعر الكردي.

استأذن ثاني ابناء البك للعودة الى بيستان، وكان معه خمسة او ستة رجال، اما الولد الاكبر وهو محمود بك فقد بقي معنا للقيام بما يتطلبه واجبه في مضربنا. وفي الليل شاهدته وهو يقوم بالدورية بذاته حول المضرب. وهذا المكان معرض كثيرا لغارات قطاع الطرق من عشائر الحدود.

لقد تضرر القطن كثيرا في هذا المكان من جراء الجراد الذي لا تزال الكثير من اسرابه تزحف على الارض - والجراد لا يأكل الا ما كان اخضر.

وقد ازعجتنا بعد الغروب بقليل اسراب كثيرة من بعوض ضخم وسام جدا. وكانت الليلة باردة اما الصباح فقد كان ابرد منها. وقد ابتلت الارض بالطل، في حين انك لا تجده في سهل السليمانية في مثل هذا الموسم.

٢٤ تموز.

كانت درجة حرارة احد ينابيع مضربنا (٥٧)، وقد قستها في فترات عديدة طيلة النهار فلم تتغير ابدا. وكانت درجة حرارة منبع في التلال فوق احمد كلوان (٥٢)، اما درجة ينبوع في واد قريب منا وعلى مستوى واحد تقريبا من مضربنا فكانت (٦٣) درجة.

وعلى تل يقع الى الشرق منا وعلى الضفة الاخرى من نهر (قزلجه) توجد بقايا قلعة اسمها «قزقلعهسى» او حصن الفتاة، وهي ساسانية على الاكثر. وهناك بالقرب من مضربنا عدة اشجار من الجور وهي اضخم ما شاهدت في حياتي، وكان محيط جذع احداها ست عشرة قدما وهي في الحقيقة شجرة عظيمة جدا، وكانت اثنتين او ثلاثة من هذه الاشجار مطروحة ارضا بضخامتها وقد علمت انها تكسرت قبل عامين من جراء الثلوج، ولم تتحمل ثقل ما تساقط عليها.

لقد باغت ذات مرة اثنا عشر بابانيا معسكرا للايرانيين في شرقي احمد كلوان بميل واحد، وهزموا عدة الاف منهم، (١٦) في عهد سلطان (شاه

حسين)، وكان (سليمان بهبه) آنذاك زعيم كردستان (*) وقد احرز انتصارا في نفس اليوم على الجيش التركي.

ويوجد في كردستان نوع من الضفادع الخضراء تتسلق الاشجار، وتتصيد الذباب والجراد بضربها بمخالبها الامامية كما تفعل القطط. وقد شاهدتها تفعل ذلك عدة مرات، وهي تشبه الضفادع الاعتيادية من كل الوجوه، الا في لونها الاخضر التفاحي، وبجلدها الناعم الاملس. وقد رأيتها قابعة ليلا في الادغال.

حضرت في احمد كلوان لعبة قد تخلع اطراف اي رجل الا اذا كان كرديا قويا، ووصفها ان يجلس احد الرجال على الارض بعد ان يربط باحدى ساقيه حبل يمسك بطرفه السائب رهط من اللاعبين، فيجرون به الرجل ويسحبونه على الارض الحجرية الوعرة ويدورون به كما يدور نوتية الباخرة ببكرة المرساة. ويربط باحد اطرافه الاخرى حبل يمسكه من نهايته السائبة ايضا رجل آخر بمنزلة الحامي له، يمنع الرهط من سحبه وجره بالسعي للقبض على واحد من المهاجمين دون ان يسيب الحبل من يده، ومتى ما قبض على احدهم وجب على هذا ان يأخذ دوره في القعود ليهاجم. وكان يصحب هذه الحركة صراخ وصياح وقفز، اما الممثل او اللاعب الاول في هذا المشهد فكان همجيا مرحا اسمه «قادري كهوره» او قادر الضخم الذي كان في خدمتنا على الدوام، وهو رجل طيب جدا تعلق بنا تعلقا قويا بمرور الايام. ومما يلفت الانظار اليه انه كان يسير على الدوام وبيده هراوة، ويرتدي فروة ماعز رثة فوق ملابسه، وان كان الجو وخما حارا.

(*) وعليه لابد ان يكون وقوع ذلك بين عامي ١٠٨٨ و ١٠٩٢ هـ (١٦٧٧ — ١٦٨١ م). راجع الهامش (*) من الصفحة (٥٥). انتهت الحاشية. وقد سها المترجم من ذكر حاشية جاءت ايضاحا الى عبارة : «ان احد اجداده قام بخدمة جليلة لاحد السلاطين العثمانيين. الخ» — الصفحة ٥٧ السطر ٩ — فرأى تثبيتها هنا وهي :—

كان سليمان بابا او (بهبه)، قد ذهب الى استانبول قبل مائة وخمسة وعشرين عاما، اي عام ١٦٧٨ م، فكوفيء لخدماته التي قام بها للاتراك ازاء الايرانيين. وسميت عائلته بعد ذاك باسمه وهو بهبه او بابا، عوضا عن اسم العشيرة، وقد علمنا سابقا ان اسمها كانت (كرمانج).

١ آب.

لم ادون يومياتي خلال مكوثي في (احمد كلوان)، لانحراف صحتي من جهة ولانشغالي وتقاعسي من جهة اخرى، ولا يزال لدى الكثير مما يجب ان اكتبه عن حالتي المعنوية الراهنة.

بعد ان امضيت بضعة ايام في احمد كلوان قررت الرحيل عنها، وفي قراري هذا كنت متأثرا على الاكثر باصرار نجل البك على ملازمته لنا طيلة مكوثنا فيها، فرأيت من الصواب الذهاب الى بستان (*) او «بيدستان» بالفارسية «اي مغرز الصفصاف» عاصمة المنطقة التي نحن فيها، وفي بستان دار نجل البك، وبهذا سنخفف عنه الاتعاب التي يتجشمها من اجلنا. ولما كنا على اهبة السفر سرنا في الخامسة والربع من صباح اليوم، والتلال عن يسارنا فوصلنا في السادسة نهر (قزلجه) الذي يشق مجراه بين الجبال. وهذا المحل يقع الى شمال احمد كلوان والى الجانب الجنوبي من المضيق، او في الضفة اليسرى من النهر. وعلى صخرة مرتفعة منعزلة نجد بقايا قلعة اسمها «قلعة قزلجه» ويقال انها قديمة جدا. وتقع قرية (قزلجه) عاصمة المنطقة سابقا بالقرب من القلعة، وقد هجرت واتخذت (بستان) حاضرة بدلا عنها. ارى ان معظم القرى في كردستان تقع في مخابىء مستورة، وفي وديان بعيدة عن النظر، وقد يكون ذلك تخلصا من زيارات قطعات الجيش التي تمر بجوارها (**). وكثيرا ما يكون هذا التدبير غير نافع وعلى

(*) لقد كان الرحيل هذا شؤما علينا، اذ رحلنا من مكان صحي وحططنا في مكان موبوء، والحمى التي تتفشى في كردستان في هذا الموسم الى حد ما، كانت شديدة الوطأة في هذا المكان الى درجة اصابت افراد جماعتنا كلهم فصاروا ينفرون من كردستان ويتشوقون للرجوع الى بوادي بغداد المحرقة التي تمنح آهليها صحة على ما يظهر — الناشرة.

(**) ارى ان هذا لا يكون سببا او عاملا اصليا في اختيار الاكراد مواقع قراهم، ان مقتضيات الجو والعوامل الجغرافية — ومنها وجود الينابيع — هي التي تدفع القرويين الى اختيار مواقع قراهم في مثل هذه الامكنة. والحالة تكاد ان تكون عامة في جميع ديار الكرد. المترجم.

الاخص فى منطقة (قزلجه) اذ انها منطقة حدود معرضة بوجه خاص لمثل هذه النكبات الاعتيادية فى حروب الشرقيين. ففى السنين العشرين الاخيرة خرب الايرانيون وامان الله خان (قزلجه) مرات عدة خرابا جعل عاليها سافلها. كما وان الاكراد المناوئين وان كانوا من قوم واحد فهم ليسوا اكثر رحمة نحو قرى غرمائهم. اما منطقة (سی‌وه‌یل) فهادئة جدا لوقوعها فى الداخل، خارج خطوط الحركات العسكرية.

والآن وقد تركنا الجبال واندفعنا فى السهل، فقد واجهنا خط هضاب متشعبة من الجبال الى الشرق، تكسوها اشجار البلوط. وبعد اجتيازنا هذه الهضاب جئنا واديا يمر فيه نهر تحتضنه اشجار الصفصاف فى كلتا ضفتيه. ويحد هذا الوادى من الجانب الآخر خط هضاب مماثل. ويسمى نهر (بيستان) احيانا بنهر (تاتان) وهذا الاسم مشتق من اسم قرية تقوم على ضفتيه. وينساب هذا النهر بين الجبال ويتصل بنهرى (قه‌لاجولان) و (قزلجه تحت (قه‌لاجولان)، وتصب هذه الجداول جميعها فى (كوبرى‌صو).

سرنا والجبال التى اجتزناها الآن عن يميننا فوصلنا (بيستان) فى السابعة والنصف، وهى قرية فيها اربعون بيتا (*) انشأت فى اسفل هذه التلال وفى مكان غائر عجيب، ولم تكن فى موضع له محاسنه اذ انها تحت صخرة كبيرة منعزلة يبلغ ارتفاعها مائتى قدم، تعزلها عن الوادى الذى يسيل فيه النهر وتجعل مكانها مستترا دافئا. وترتفع التلال فى الجنوب او تلك التى عن يميننا ارتفاعا عاليا وهى فى الظاهر مكونة كغيرها من جبال هذه المنطقة، من الجبس المختلط بالحديد ومن بعض صفائح النورة، وتكسوها اشجار البلوط. وتقع الى يسار الصخرة العالية الجرداء وتحتها القرية، وعلى قمتها آثار بناء. ولا تتجاوز المسافة بين التلال وبين الصخرة اكثر من ربع الميل، اما فى الشرق فالمسافة اوسع، والمنظر فى ذلك الاتجاه تحده الجبال البعيدة، التى تكون سفوحها القريبة منا منطقة (ته‌ره‌ته‌وه‌ن) فى كردستان، اما السفوح البعيدة عنا فهى منطقة (ساقز) من (سنه) وهى ايرانية.

(*) تحتوى على اربعين عائلة منها خمسة عشر او عشرون عائلة يهودية.

وتقع (بيستان) من احمد كلوان باتجاه البوصلة، بعشرة درجات شمالية شرقية. اما (بانه) فموقعها من (بيستان) عشرة درجات شمالية شرقية وعلى مسافة خمس ساعات. لقد وجدنا السيباطات مشيدة لنا فى اعلى مكان من القرية، قبالة دار البك، والسكنى خارج القرية افضل واليق، ولكن السيباطات كانت معدة، وانى لا اود اتعاب الغير من اجلنا اكثر من هذا. والواقع ان السيباطات شيدت لسكنى البك فى الصيف وقد تخلى عنها لنا.

وفى المساء دار بينى وبين البك حديث عن كردستان، قال لى ان النسبة متباينة فى العدد بين الاكراد العشائريين والقرويين. ونسبة الاخيرين بنسبة الربع بل الخمس. وهو يقدر العشائر الرحل بعشرة الاف عائلة يبلغ معدل الواحدة منها سبعة افراد للخيمة الواحدة وهو يعتقد ان هذا تقدير صحيح نسبيا، ولا يعتقد تجاوز نفوس العشائر المستوطنة كالـ (كرمانج) و (نورالدين) و (شينكى) ثلث ذلك العدد، اى ما يقارب الثلاثة الاف عائلة (*).

٢ آب.

تسلقنا الصخرة فى ساعة مبكرة من صباح هذا اليوم لرؤية الخرائب التى اعلمونا بوجودها فى قمتها. وقد وجدنا بعض بقايا سور يحيط بها، وعثرنا على بعض الطابوق وهو ساسانى على ما يظهر. ورأينا فى ذروة القمة - وهى لا تبعد كثيرا الا بضع يردات - حوضا منقورا فى الطبقات الجبسية من الصخرة، وشجرة حسك Thorn-Tree قديمة ما زالت مزدهرة. ومن يدرى، انها لربما شهدت القلعة فى ايام عزها ! وكان منظر وادى (تاتان) بديعا والنهر ينساب بين تعاريجه ومنعطفاته، وقد شاهدنا عدة قرى فى التلال المقابلة لنا بالاتجاه الشمالى الشرقى الشمالى منا. ويوجد على بعد قليل من سفح الصخرة طنف اصطناعى مدور ذو قمة مسطحة كطنوف (جم جمال) و (دەركەزين) وغيرهما، واسمه طنف رستم، وهناك طنف آخر الى شماله، وله الاوصاف ذاتها اسمه طنف الشاه. وقد عثر فيما مضى فى بعض التلال المجاورة على اكواز رميم ذات حجم غير اعتيادى.

(*) هذا ما يتعلق بمنطقة السليمانية، ولا يشمل كوى سنجاق.

٨ آب٠

اصبنا جميعنا بالحمى الصفراء، ويبدو ان القرية موبوءةبها وانني عانيت الكثير منها وقد اصيب بها ستة وعشرون شخصا من جماعتنا فى وقت واحد٠ وفى ليلة امس بينما كان جعفر على المنكود الحظ (خادم هندى من لوكناو) يقاسى آلام الحمى افزعه بعض الاكراد بادخال جثة شخص متوفى الى الغرفة التى كان ينام فيها، وقد قاسى ما قاسى من المتاعب حتى اقنعهم باخراجها من عنده٠

وفي امسية من الامسيات الماضيات عندما كنت اتمتع بصحة اوفر، ذهبنا نتمشى ترويحا للنفس في وهدة صغيرة بهيجة تمتد بين التلال، جنوب (بيستان) تماما وتصب فيها عدة عيون ماء وتغطى جانبيها اشجار التين البرية والسفرجل والكمثرى، كما تزين هذه الوهدة اشجار جوز قديمة فخمة٠ ولدى غطس المحرار فى منبع احدى العيون سجل لنا درجة (٦٠)٠ وهنالك منبع آخر قبالة القرية على سفح التل كانت حرارته (٥٧) درجة٠ وتتكون التلال جوار هذا الموقع من الاردواز تتخلله عروق من الجبس Gypsum.

ان تل (آرد بابا) المستدق الذروة يقع توا الى الجانب القريب منا من (بانه) باتجاه (١٠)درجات شمالية شرقية٠ ونرى الى يمينه بقليل قسما من السلسلة نفسها مؤلف من ثلاث قمم غريبة الشكل منظمة الى بعضها، تدعى (سورهنا)٠(*)

١١ آب٠

لقد اخذت الحمى الآن تتناوبنى تناوبا ثلاثيا شديدا٠ وقد تمرض كل افراد حاشيتى، اما عقيلتى فقد نجت من المرض والحمد لله، وكذلك المستر (بهل)، وهما يعاودانى بين الفينة والاخرى ليخبرانى بمرض احد افراد الجماعة٠ وهذا امر محزن يدعو الى القنوط٠ وكانت وطأة الحمى على اشد منها على الآخرين، وذلك نظرا لمرضى السابق٠ ولقد بلغ هجوم الدم على رأسى فى الليلة السابقة من الشدة مما اضطر المستر (بهل) على ان يستنزف ما يقرب من الرطل من دمى، الامر الذى اراحنى كثيرا٠

(*) واسمها الصحيح ــ (سورهن Surain)٠ ــ المترجم٠

لقد صح عزمى الآن على مغادرة المحل باسرع ما يستطاع، فاتخذت التدابير لارجاع الجنود والمرضى مع الامتعة الزائدة الى السليمانية، ومن ثم الرحيل بأخف حمل ممكن الى قرية مجاورة اجود مناخا، حيث تتمكن من الاقامة فيها بضعة ايام لنسترجع قوانا لاستئناف رحلتنا فى بقاع كردستان التى قد تبلغ (سنه). وعلاوة على ما انا مصاب به من حمى، فقد التهبت عينى اليمنى واخذت تؤلمنى كثيرا مما جعلت الكتابة على امرا موجعا، بل ومنعتنى منعا باتا من مواصلة مشاهداتى. ومن حسن الحظ ان التهاب عينى اعترانى بعد كسوف تابع المشتري الاول، اذ تمكنت من تصحيح خط طول (بيستان).

١٣ آب.

غادرنا (بيستان) فى الخامسة من صباح اليوم، وبعد ان قطعنا، ونحن على ظهور الجياد، سهل (تاتان) او (بيستان) اجتزنا التلال التى تحيط به وهبطنا السهل الذي يتقدم احمد كلوان او سهل نهر قزلجه (*) وبعد اجتيازه وصلنا قرية (بنجوين) الجميلة فى التاسعة، بعد تأخر ربع ساعة فى الطريق. وكان سيرنا سيرا بطيئا. لقد بلغت شدة مرضى، والتهاب عينى درجة لم تمنعنى عن مشاهدة الشيء الكثير فحسب بل تعذر على بها تدوين مذكراتى حتى لو قدر لى ان اشاهد شيئا.

قضينا اليوم ونحن نمر بين قوافل العشائر الرحالة، او بين المضارب الصغيرة لعشائر الجاف الكردية، الذين حطوا فى هذه البقاع الآن قبل رحيلهم الى شهرزور. ولقد اسفت غاية الاسف لحرمانى من التمتع بمنظرهم، الذى كان فى الحقيقة مؤنسا بهيجا. كانت خيامهم وامتعتهم مرزومة رزما منتظما، ومحملة تحميلا مرتبا فوق الثيران والابقار. ويبدو ان استخدام هذه الحيوانات فى الحمل من الامور الخاصة بالقوم الكردى. وانني اتذكر ايضا مشاهدتى لمثل هذه العادة بين اكراد (رشوان) فى آسيا الصغرى، — واعاد الجاف الى ذكرى هؤلاء. ويسير الرجال والنساء على الاقدام، ويا لهم من

(*) يوجد ابن آوى فى سهل (قزلجه) و (شهرزور) فقط، دون الاقسام التلية.

قوم ذو بنية قوية لها محاسنها وجمالها. والنساء يرتدين القمصان والسراويل الزرق وعلى رؤوسهن قبعات صغيرة وشعورهن مجعدة مدلاة حول وجوههن، ويضعن على اكتافهن (الجاروكه) وهى كالعبـاءة من نسيج محقق باللونين الازرق والابيض، وهى فى شكلها تشبه مشالح الجبليين فى اسكوتلندة. و (الجاروكه) جزء من اللباس لا غنى لكل امرأة كردية عنه، اما نسوة الطبقة الغنية منهم فيلبسنها محاكة من الحرير الاصفر والاحمر.

والرجال من الجاف يلبسون رداء يتمنطقون عليه من الوسط، وسراويل خفيفة، واحذية محاكة من الصوف وهى من الاحذية المريحة جدا للاقدام، ويضعون فوق رؤوسهم قبعات مخروطية من اللباد، وكلهم مسلحون بالسيوف والتروس الخفيفة، ويحمل البعض منهم المسدسات، اما الفرسان منهم فيحملون الرماح على الدوام. وقد شاهدنا سيدة يظهر انها ذات منزلة رفيعة بينهم تمتطى فرسا زوقت رأستها والصروع تزويقا غريبا بالاصواف والخرز، وقد غطى السرج بسجادة تزين حافاتها الاهداب، ومن ورائها حيوانان يحملان امتعتها ركب فوق احدهما خادم، وكان الى جانبها وفى خدمتها خيال مدجج بالسلاح. ولم نشاهد اي وسيلة للتحجب لدى اية امرأة منهن، كلا ولا الفوطة التى تتلفع بها النساء العربيات.

و (بنجوين) التى جعلناها محطنا لبضعة ايام، قرية كـبيرة ذات موقع جميل فى وهد بين التلال فى الجانب الجنوبى من سهل نهر (قزلجه). ويقع منزلنا فى احمد كلوان من هذا المكان باتجاه (٥٥) درجة شمالية غربية، وعلى مسافة ساعة واحدة للخيال الجاد فى مسيره. اما اتجاه القلعة القديمة فى (قزلجه) فشمالى شرقى على (٤٥) درجة.

كنا نجلس نهارا فى جنينـة، تحت ظـلال شجرة جوز بديعة تتدلى اغصانها على عين ماء حرارتها (٥٦) درجة.

والقرية وان كانت فى منطقة (قزلجه) فهى تعود واخت لها بجوارها الى فتح الله آغا الذى سكنا داره فى السليمانية. وقد تساوى (١٥) الف قرش سنويا، اذ ان ما يعود لها من المزارع قليل جدا. وقد رأينا بعض الدخن النابت لا يزال اخضر يانعـا. ويتكون وهد (بنجوين) كله من حـدائق وبساتين

وكروم، ولم ينضج من الفواكه الآن الا القليل النادر. واغلب الاهلين مكاريون يصلون بغالهم حتى (سنه) و (همدان).

١٨ آب.

لقد تأخرنا تأخرا غير متوقع في احضار البغال للجنود، وعساني نجحت في انجاز ما يجب علي في هذا الشأن واحضرت كل ما يقتضي لشروعهم بالسفر الى السليمانية غدا، وفي تلك الحالة يحتمل ان نبدأ برحلتنا بعد الغد. هذا ويسرني ان اقول بأن صحة اكثر افراد جماعتي قد تحسنت عن ذي قبل، وارجو ان اكون قد تخلصت من الحمى اذ لم تعاودني يوم امس وهو ميعادها، وقد نجت قرينتي ولله الحمد من الاصابة بها، ومع انها في الواقع كانت مريضة في احمد كلوان غير ان اعراض هذه الحمى - وهي التناوب السريع والتأثير المباشر في الرأس اذا ما اشتدت وطأتها - لم تظهر عليها. ويقول عمر آغا ان هذه الحمى تعم كردستان بكاملها في هذا الموسم، وهو يعزوها الى تبدل حالة الجو، اذ يصبح قارص البرد ليلا وشديد الحرارة نهارا. هذا وقد يكون لها بعض الاسباب المحلية اذ ان وطأتها تتفاوت في الشدة في مختلف الاماكن، حيث تكون في الوديان الضيقة والاماكن المنخفضة على اشدها. (*)

ان مطلع الشعرى اليمانية وفي الكردية (كه‌لاويز) - وللكثير من النجوم اسماء بالكردية في الاصل - يكون حوالي اليوم العاشر من شهر آب، ويشير في كردستان الى ابتداء انكسار شدة الحرارة، فتطيب الليالي عند ذاك، وتبقى الحرارة على شدتها في النهار.

بنجوين

١٩ آب.

تسلط ليلة امس لصان على معسكرنا ونجحا في سرقة زوجين من الاحذية من بعض ناصبي الخيام. ومن الغريب اننا لم نكن عرضة الى ازعاج هؤلاء لنا اكثر من ذلك، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار قربنا من مخيم العشائر

(*) يظهر من الاعراض التي وصفها المؤلف ان هذه الحمى لم تكن سوى الحمى البردائية (الملاريا) التي ما زالت تشكو منها معظم المناطق الكردية. - المترجم.

الرحالة. وبهذه المناسبة اخبرنى عمر آغا بأن الخيام التى نشاهدها فى السهل المجاور، تعود الى عشيرتى (كه‌لالى) و (كه‌لهور) وبعض افخاذ العشائر الاخرى الذين ينحدرون الآن من الجبال، وهم ليسوا من الجاف فى الاصل. وكل هذه العشائر تؤدى الجزية الى والى (سنه) لقاء السماح لها لرعى حيواناتها فى منطقته فى الصيف. ويدفع الجاف سنويا اربعمائة تومان جزية علاوة على هدية من الخيل والغنم.

واظن قد فاتنى ان اذكر بأننا كلما جئنا قرية خرجت جماعة من القرويين لحراسة مضربنا ليلا، ويسمى هذا الحرس (قيشاقجى)، ويظهر لى ان الكلمة تركية، وان لم تستعمل الا فى ايران وكردستان.(*) ويبدو لى ان قروى (بنجوين) على اتم الصحة والراحة، وهذا من الامور النادرة فى هذه الاماكن، فبيوتهم منعزلة عن بعضها، ومحاطة بالاسيجة. ويلوح لى انها ادق ترتيبا من غيرها من البيوت التى شاهدتها فى اقسام كردستان الاخرى.

ويوجد فى (بنجوين) بعض العوائل اليهودية تتاجر مع (سنه) و(همدان) بالعفص والجلود وغيرهما. ويصدر الكثير من الجلود الى (همدان). هذا وان اليهود القرويين فى كردستان يزاولون مهنة الصباغة.

وتعد (بنجوين) ميناء او سوق العشائر الرحالة، تصل منها القوافل الى (همدان) فى ثمانية ايام والى (سنه) فى اربعة ايام.

اننى اندب حظى لجهلى التاريخ الطبيعى، وذلك لان مجال العمل للاستفادة منه فى كردستان واسع جدا، فها انا اميز من حولى حشيشة القراص وعنب الثعلب والخيز وهى لا تزال مزدهرة بالاوراق وكذلك السماق.

ومن الطيور علاوة على (ابى الحناء) الذى ذكرته سابقا، هنالك نوع جميل من نقار الخشب ذى اللونين الاحمر والاربد، والقمرى ومنه نوع لم اره من قبل وهو منقط تنقيطا جميلا، وعدد كثير من السمن، وعدد وافر من الحجل الاحمر القوائم.

(*) والغالب انها قوشاقجى، من فعل قوشاتمق، والمقصود ضرب النطاق حول الشىء - وهنا المعسكر او المخيم - اما الان فتلفظ هذه الكلمة «اشيقجى» وهى تركية الاصل، يقصد بها حامل الضوء، باعتبار ان الحراس كانوا يحملون الاضواء عند التجوال - المترجم.

الفصل السابع

الدخول الى ايران ــ بحيرة (زەریبار) ــ كيخسرو بك ــ مضارب الجاف ــ مباراة الجريد ــ عبور جبل (زغروس) ــ قرويو (كەرران) ــ شتاء قارص ــ نزاع بين الجاف ــ سنه ــفطور فخم ــ القصر ــ استبداد والى سنه ــ الحداد العام ــ الثورة ــ وفاة ابن الوالى ــ قنوط الوالى وقسوته ــ خوف رعيته ــ تغيير فى خطتنا ــ فزع وزراء الوالى ــ استعطاف المجلس ــ نجاح المجلس ــ فرحهم وامتنانهم ــ الرحيل من سنه الى مضرب الوالى.

* * *

٢٠ آب.

اثر وصول الحيوانات لنقل الجنود والمرضى والامتعـة قررت مواصلة الرحلة الى (سنه)، وغرضى من ذلك استعادة صحتى، ومشاهدة سلسلة (زغروس) بما فيها مضيق (كەرران) غير المعروف حتى الان، وتثبيت موقع عاصمة كردستان الايرانية.

سرنا فى الخامسة قبل الظهر، ولما كنت راغبا فى التأكد من طبيعة السهل الممتد حتى سفوح (زغروس) واتجاه التلال الثانوية سلكنا طريق السهل وان كان هنالك طريق مباشر من (بنجوين) عبر التلال، يقصر المسافة ساعة واحدة تقريبا. ويمتد طريق السهل بمحاذاة حضيض التلال التى تحد سهل نهر (قزلجه) من الجنوب، وينعطف مع انعطافها من الشرق الى الجنوب. وتغطى الاشجار التلال من قممها حتى اسفلها. وان سفوح هذه التلال ترتد احيانا ارتدادا لطيفـا على شكل انصـاف دوائر. وكان يشغـل القسم الاعظم من الساحات المتكونة من هذه الارتدادات مضارب عشائرية صغيرة مرتبة، لاولئك الذين كنا التقينا بجماعات كثيرة منهم اثناء مسيرهم. سرنا باتجاه الشمس تقريبا، وهذا مما جعل الالتهاب فى عينى شديد الالم، وسلبنى لذة التمتع بالسفرة، ولولا ذلك لكانت بهيجة جدا.

دخلنا ايران فى السادسة قبل الظهر، وكانت حدودها تبدأ بجسر خشبى صغير فوق نهير يصب فى (قزلجه) ؛ وكثيرا ما تنضب مياه هذا النهير. وما عتم ان اختفى نهر (قزلجه) نحو اليمين وراء التـلال التى اخـذت الان تشطر

السهل، وقد اخذ يزداد انعطافا نحو الجنوب. التقينا برجل مسن محمول على ما يشبه النعش ورأسه الى الامام، وكأنهم كانوا يسيرون به الى القبر، وهو منتصب فى تلك المحفة ينظر الى ما حوله. وقد حقق عمر آغا فى امره فعلم ان صخرة كسرت ساقه فى محاولته سرقة قرية فى ليلة سابقة.

وفى السابعة والنصف ونحن ننحدر من مرتفع صغير، شاهدنا بحيرة (زه‌ری‌بار) الصغيرة الصافية الزرقة، ومن ورائها الى الجنوب جبال (آورامان) الصخرية الجرداء التى لا تخترقها الا النياسم وحدها. لقد كان الجانب الايسر من البحيرة جبليا مشجرا، اما جانبها الايمن فسهل يبدو انه كان جزءا من البحيرة ذاتها قبل زمن غير بعيد، وقد انحسرت الان الى ما يقرب من ثلاثة اميال طولا وميلين عرضا تقريبا. ويحيط بالبحيرة ـ الا جانبها الجبلى حيث لا يزال فى حوضه الاصلى ـ مستنقع مكتظ بالقصب عرضه ميل واحد تقريبا، مزدحم بالطيور البرية، والقنادس ايضا. ويقال ان اعمق محل فى البحيرة هو قرب وسطها، وهى تجمد فى الشتاء. وقد قال لى عمر آغا انه كثيرا ما اصطاد فوقها وهى جامدة(*). ويعتقد الاهلون اجمعهم ان هذه البحيرة كانت مدينة فيما مضى، وقد اراد الله ان تغور الارض بها بهزة ارضية لشرور حكامها وآثامهم. ويقول عمر آغا، على ما يتذكر، ان البحيرة قد تقلصت عن ذى قبل تقلصا محسوسا.

لقد كان اتجاهنا حتى الان جنوبيا شرقيا بـ (٧٠) د، ولكننا عند مضارب وثيس الجاف كيخسرو بك اتجهنا نحو الجنوب، وان مضينا فى سيرنا نحاذى حضيض التلال والبحيرة على نحو ميلين عن يسارنا وقد استدار طريقنا نصف دائرة.

ولم نلبث ان التقينا باربعة من عرفاء البك؛ كانوا وسيمى الطلعة، وفرسان

(*) وينمو الحندقوق (نيلوفر) بوفرة فى بحيرة (زه‌ری‌بار). انتهت الحاشية. ذكر المؤلف كلمة (نيلوفر) مرادفة لكلمة حندقوق، فى حين ان الحندقوق غير مائى وهو اللوطس ـ كما جاء فى نص الحاشية ـ ونرجح انه يعنى بالنيلوفر زنبق الماء. ـ المترجم.

ماهرين، وقد وضعوا فى عمائمهم ريش البلشون (المالك الحزين)، وعلقوا تحت بطون خيلهم سجاجيد تدلى منها الكثير من اشلة الصوف الصفراء.

وفى التاسعة والنصف وصلنا مضرب كيخسرو بك الى جنوب البحيرة بميلين تقريبا. وقبيل وصولنا اليه استقبلنا البك بنفسه ممتطيا جواده الجميل، لقد كان اجمل الخيل التى رأيتها منذ عدة سنوات مضت. وكان برفقته اولاده الثلاثة، ومحمد بك وهو نجل اخيه قادر بك رئيس الجاف السابق. وكان كيخسرو بك فى حالة نفسية مرحة احسن من تلك التى سبق ان شاهدته فيها فى السليمانية. وكان انيق الملبس يرتدى معطفا استانبوليا فاخرا بأزرار ذهبية، اسبغ جمالا على مظهره. وكان ابنه الاكبر وهو شاب وسيم جدا يرتدى لباسا مماثلا للباس ابيه فوق رداء فاخر من حرير اوروبى مشجر، اما ابنه الاصغر وهو فتى ابيض الشعر فكان يرتدى القطيفة السوداء المطرزة بالفضة. وكانت بصحبة البك ثلة كبيرة من فرسان الجاف بمظهرهم الجميل. فبدأوا بمبارات جريد استمرت طيلة الطريق حتى المضرب، اظهر الشبان فيها مهارتهم. وكانت خيام البك من النسيج الاسود المعتاد* وهى واسعة عالية تحيط بها السياجات او الحصران. وقد اعدوا لى خيمة ديوان من الجنفاص لاستقبل فيها زوارى، وسيباط مريح يعود الى حرم البك، تخلوا عنه لسكناى وسكنى قرينتى التى كن نسوة البك ينتظرنها فى السيباط لاستقبالها. وكان الاستقبال فى غاية اللطف وحسن الضيافة.

وعلى الآن ان انهى مذكرات يومى هذا طاويا الكثير منها فى الذاكرة؛ فبعينى الملتهبتين وصدغى النابضين بالالم اصبحت غير قادر على الكتابة.

(*) وهو نسيج من شعر الماعز، يتخذ منه الرحل من العشائر خياما، يطلق عليها «بيوت الشعر»، ويتقن صناعته اغلب افرادهم فى الشمال والجنوب، وكثرة استعماله وفر له اناسا اختصوا بصناعته وعرضه فى الاسواق. وينتشر هؤلاء الصناع اليدويون فى المراكز القريبة من المواطن العشائرية، كالموصل والسليمانية وبغداد والدليم وكربلا. والديوانية. وفى صوب الكرخ من بغداد فى يومنا مصنعان يدويان لهذا النسيج يعتبران المنتجان الرئيسيان له وهما قرب (حمام ايوب) بجانب شارع السويدى اما سوقه ففى (المجصة) من الكرخ . — المترجم.

تقع على تل فى جنوبنا* قلعة (مەريوان) وهى خربة الان** واننى اعتقدها ساسانية. وعلى ذروة قمة تل آخر يؤلف الجانب الجنوبى لواد عرضه نحو ثلاثة اميال يمتد شرقا نحو سفح (زغروس) توجد خرائب قلعتين ساسانيتين باتجاه جنوبى شرقى بـ (٥٥) د، وجنوبى شرقى بـ (٦٠) د بالتوالى على قرابة ميلين او ثلاثة اميال من مضربنا.

وتقع سفوح جبال (آورامان) السحيقة الجرداء على تمام الجنوب منا، وهى تمتد غربا مطلة على (شهرزور) التى تنفصل سهولها عنا بالتلال التى تنحدر من (احمد كلوان) الى (بنجوين) فالبحيرة. ويمر من بين جبال (آورامان) و (زغروس) واد ضيق يمر فيه طريق مباشر الى (كرمنشاه) من السليمانية، يسمى بطريق (شاميان). ويسيل فى هذا الوادى نهير ينحدر من (كەرران) وينصب فى (ديالى). ان سلسلة (زغروس) جرداء عالية*** وهى ترى فى فترات من (سورانه) و (آردبابا) وقد تأكدت الان بانهما من (زغروس) ذاته، اما جبل (حاجى احمد) ذلك القسم من (زغروس) الذى تصطاف فيه عشائر الجاف فيقع باتجاه شمالى شرقى بـ (٦٠) د من مكانى، ويظهر ان (زغروس) ينعطف شرقا من (آردبابا) فى منطقة (بانه) الى (كەرران) ومن ثم يبرز بانعطاف شديد غربا باتجاه الطريق الذى سنسلكه غداً. ويقع مضيق (كەرران) فى اتجاه شمالى شرقى بـ (٨٥) د.

اقام البكوات الشبان بعد ظهر اليوم مباراة جريد فى حضور قرينتى اظهارا لمهارتهم، وقضيت فترة من الليل مع كيخسرو بك فسمعنا بعض الاغانى الفارسية غناها لنا منلايان. وكان هناك بعض فقراء الهنود، وامرأة عجوز عارية تماما لكنها هادئة مؤدبة، وكان منظرها مأفوناً، فهى مبتلاة بالصرع، وقد مستها الجنة فيما مضى فخلعت عنها لباسها وهامت على وجهها فى الجبال

(*) يقع جبل (سورانه) باتجاه شمالى، و (آردبابا) ــ القمة المسننة منه ــ فوق (بانه) باتجاه شمالى بـ (١٠) درجات غربا.

(**) (مەريوان) اسم المنطقة التى نحل فيها الان، وهى تابعة الى (سنه).

(***) الاتجاه شمالى بـ (١٠) درجات غربا، الى الجنوب بـ (٣٠) درجة شرقا.

حيث عاشت عدة سنوات فى وحشة كاملة، واخيرا اعيدت من الجبال ورجع اليها الهدوء غير انه لم يستطع احد اقناعها على ارتداء الثياب، وقد تذهب احيانا الى السليمانية فتسير فى ازقتها عارية كما ولدت.

وفى هذا الكفاية مما ادونه عن رحلتى فى مضارب الجاف، هذا وقد كنت مضطرا، للعناية بصحتى وراحتى، على ايجاز مذكراتى قدر المستطاع والاقتصار على بيان الحوادث الرئيسية منها، اذ بالاضافة الى الالتهاب الذى اصاب عينى كنت اتألم الما شديدا من الاوجاع التى اشعر بها فى قفا رأسى منذ ان اصبت بالحمى، وكثرة الكتابة تزيد فى اضطرابى واوجاعى على الدوام.

٢١ آب.

ودعت مضيفنا الكريم ـ الذى لا انسى كرمه البرىء مطلقا ـ فى الخامسة والنصف، وسرنا فى الوادى المتكون من امتداد تل (مەريوان) فى الجنوب، وتلال (زەرى‌بار) فى الشمال باتجاه عام جاء ذكره فى مذكرات امس، وهو شمالى شرقى بـ (٨٥) درجة. وما كان طريقنا مستقيما بل استدار قليلا، وعند نهايته اجتزنا سلسلة تلال صغيرة ووصلنا فى السابعة والنصف الى (كووزه خوره) «ومعنى ذلك شجرة الجوز المعطوبة» وهى قرية صغيرة فى وهد ضيق. وفى الوادى الذى مررنا به وقعت المعركة ـ اذا صح التعبير عنها بذلك، اذ استغرقت عشرة دقائق ـ التى اسر فيها عبدالرحمن باشا الزعيم الكردى، سليمان باشا كهية بغداد حينذاك مع القسم الاعظم من جيشه فى الحملة الهوجاء التى شنها على، باشا بغداد على الايرانين. لقد كانت سفرتى اليوم شاقة جدا لاضطراب عينى، اذ كان مسيرنا باتجاه الشمس تماما. ان البيوت او بالاحرى الاكواخ فى (كووزه خوره) مسقفة تسقيفا غير منسق بقصب طويل يستند على جسر محدب ويتدلى على الجانبين من البيت، والسقف بكامله مرتفع ضيق. لقد سكنا كوخا من احسن الاكواخ التى وصفناها واظنه كان مسجد القرية. والبيوت كلها مفصولة عن بعضها بسياجات من الاغصان المشبكة؛ وانها لقرية تعسة وان سكنها الشيخ كريم احد نائبى المنطقة الاثنين، وهو رجل مؤدب يرتدى كسوة على الطراز البابانى، لا الايرانى.

وقد اودعت رجلين من رجالي تحت رعايته لعجزهما عن مواصلة السفر لشدة مرضهما ـ وقد مات احدهما بعد ذلك بقليل والتحق بي الاخر في (بانه)•

٢٢ آب•

تحركنا في الخامسة وسرنا في ارض تلية مكشوفة حتى السادسة، فوصلنا مدخل واد ضيق بين جرفين هدودين جدا وقد شمخا برأسيهما الاجردين من فوق اشجار البلوط النابتة على حدودهما• ويسيل نهير عصر آباد او (كه‌رران) في المضيق، يمتد فوقه جسر منتظم على ثلاث قناطر، شيده امان الله خان والي (سنه) الحالي• وكنا في طريقنا منذ مغادرتنا القرية في صعود هين فبدأنا الان نرتقي ارتقاء محسوسا، ونهر (عصر آباد) عن يسارنا على مسافة نحو ميل، وينصب هذا في (ديالى)• وكان اتجاهنا الى الجسر شماليا غربيا بسبعين درجة، ومنه جنوبيا شرقيا بسبعين درجة• وكان الطريق على غاية من الجمال يمر بين غابات السنديان والدردار والكمثرى البرية والكروم والصنار، وكانت تكسو التلال حتى قممها، وقد شاهدنا من بينها اشجار الزعرور والازهار البرية البالغة، ومما زاد في روعة المنظر حيوية، سير جماعة كبيرة من عشيرة الجاف نحو سهول (زه‌ری‌بار) بعوائلها واغنامها وقد حملوا امتعتهم على ظهور الثيران، وكان الاطفال في مهود على ظهور النساء، اما الصبيان فقد اركب كل اثنين او ثلاثة منهم سويا على ظهر فرس او ثور• وكان هناك الكثير من النسوة المسترجلات ـ وهن في فرح ونشوة ـ يسرن سوية بين النساء الاخريات، ويستبان ان لهن سلطة عظيمة في ادارة الجماعات• اما الرجال فكانوا متئدين في سيرهم وقد وضعوا (المقمعات) الدبابيس الكبيرة في احزمتهم، والسيوف على جوانبهم والتروس فوق مناكبهم، وبعضهم يسوق قطعان الغنم والماعز والخيل؛ وطبقة الوجوه منهم يمتطون الجياد• وكان امر الاعتناء بالاولاد والاثقال منوطا بالنساء• والجاف اناس ذووا ملامح شديدة، صعبوا المراس•

لقد كان الطريق جيد جدا، والخانق الذي نرتقيه ضيقا بالغ الضيق• وفي الثامنة الا عشرة دقائق وجدنا انفسنا امام مرتقى هدود في اتجاهنا ذاته،

ولم يكن المسلك كثير المنعطفات. لقد استغرق صعودنا ونحن نسير سيرا بطيئا مدة خمس واربعين دقيقة، اما الجبال فكانت من الجبس والاردواز، وفى الثامنة والنصف وصلنا اعلى الرقبة من الخانق فشاهدنا على الجانبين قمما جرداء اعلى، ثم بدأنا بالنزول توا على نيسم شديد الانحدار، وقد قلت الاشجار، وصرنا لا نرى منها الا اشجار البلوط القزمة. وكانت الجبال فى كل الجهات، على مدى البصر عارية جرداء، وكأن الانسان فى وسطها وسط بحر من التلال الربداء؛ لقد اصبح المنظر حزينا كئيبا، بعد ما كان بهيجا مفرحا. وفى التاسعة وخمس دقائق ادركنا اسفل المضيق، فجلسنا للفطور، الذى وجدناه معدا لنا تحت بضع اشجار من الصفصاف عند ساقية صغيرة.

يطلق على هذا المضيق فى (زغروس) اسم (كەرران)، وهو اسم احد الشيوخ او الاولياء كما قيل لى، ومن المؤكد ان هذا الاسم لم يكن من الاسماء الاسلامية. ويعتبر مضيق (آردبابا) المؤدى الى (بانه) اسهل ممرا، ولم يكن هذا المدخل الى ايران مدخلا مبهجا قط، اذ كانت تبدو لنا الاشياء وكانها عارية لفحتها النار. ويقال انه لا توجد اشجار شرقا، حتى حدود الهند.

وفى الثانية والنصف استأنفنا مسيرنا من هنا وكان طريقنا يتعرج خلال تلال عالية جرداء نابية المنظر متكونة من صفائح احجار متكسرة، تغطيها تربة تضرب الى الحمرة قليلا، ولم نر فيها اثرا للضرع والزرع؛ اما اتجاهنا فكان جنوبيا شرقيا بسبعين درجة. وفى الثانية عشرة الا ربعا وصلنا الى نهير (والظاهر انه يصبح احيانا سيلا جارفا) اسمه (كاكورزكريا)* فعبرناه مرتين قبل ان نبتعد عنه، وهو عن يسارنا. وفى الواحدة الا خمس دقائق حدنا عن الطريق العام الى واد ضيق جدا، وفى الواحدة وخمس دقائق وصلنا قرية (جەناويره) الحقيرة، ونحن لا نزال فى منطقة (مەريوان) اكبر ملحقات (سنه)؛ وما كانت وجوه القرويين الكورانيين وسيمة كوجوه من كان منهم فى كردستان التركية.

(*) يتجه (كاكورزكريا) غربا الى (شاميان) ثم ينعطف الى اتجاه (كافرو — بالفاء الفارسية — وينصب فى (ديالى).

٢٣ آب.

سرنا فى الخامسة والربع من صباح اليوم. وكان اتجاهنا جنوبيا شرقيا بخمسين درجة لمدة مسير نصف ساعة حتى بلغنا الطريق العام، ثم اصبح طيلة اليوم جنوبيا شرقيا بثمانين درجة، وكان الطريق يتلوى بين منعطفات الوديان الضيقة ويمر احيانا من فوق التلال التى تفصلها عن بعضها وكان الارتقاء بوجه عام اكثر من الهبوط والارض بمناظرها قفراء كئيبة كيوم امس. ولاحظنا ان المياه فى بعض الاماكن تجرى فى مجار ترابية اصطناعية لارواء الزرع، وقد اخبرنى عمر اغا بان التربة هنا اضعف من ان يستفاد منها فى الانتاج الزراعى مالم ترو ارواء اصطناعيا؛ فالشتاء قارص جدا والثلوج الكثيفة تتراكم عليها زمنا طويلا. وفى السابعة الا عشرة دقائق مررنا بطنف اصطناعى ذى قمة مستوية، كطنف (جه‌مجه‌مال)، عن يسارنا فى واد ضيق بالقرب من حضيض تل من التلال، ويسميه الاهلون (قالا) اى القلعة، وان كان لا يجوز مطلقا ان تكون القلعة فى موقع يمكن فيه مهاجمتها حتى بالاحجار من التلال المجاورة.

وبعد ان مضينا فى الصعود طيلة طريقنا تقريبا منذ ان غادرنا (جه‌ناويره) هبطنا قرابة ربع ساعة، فوصلنا اخر منحدر فى الساعة الثامنة، على اننا اخذنا توا بالصعود على مرتفع هدود وانتهينا الى قمته فى الثامنة والنصف، حيث بدا لنا منظر جبل (زغروس) البديع؛ وما كان الهبوط بشىء يذكر

وفى التاسعة وعشرة دقائق وصلنا خيام قرويى (به‌رروده) فى واد ضيق، والقرية فوق التلال عن يسارنا على بعد نحو ميل واحد. ويقيم قرويو (به‌رروده) مضاربهم فى الصيف فى هذا المكان على الدوام؛ انهم فرغوا من حصاد زرعهم وهم الان يدرسونه ببغالهم وثيرانهم.* ووصلنى هنا رسول من السليمانية، ومع انه جاءنى راجلا فانه لم يمر على مغادرته لها الا ثلاثة ايام.

(*) ان درس الغلة بهذه الطريقة الابتدائية يعد اسلوبا عاما فى جميع انحاء العراق، وهى لا تزال متبعة. — المترجم.

غطست المحرار فى منبع عذب بالقرب من الخيام فعجبت لدرجته اذ كانت ٦١ د.

ووجدت بين التبن حشرة كبيرة تشبه الجراد، طولها نحو اربع عقد وكانت غير مجنحة ويبرز من ذيلها شي يشبه السيف. وهي تعض عضا مؤلما، ولا تؤذي الزرع، ويسميها الاكراد (شيره كولله ـ او الجراد الاسد)* ووجدنا ايضا خلدا يسميه الاكراد (موشه كوره) او الفار الاعمي.

٢٤ آب.

تنازع قبل خمسة عشر يوما تقريبا بعض رجال الجاف مع البعض من مجاوريهم فجرحوا احدهم بالسيف جرحا بليغا. وفى الليلة الماضية بينما كان ثلاثة من الجاف يمرون بقطعانهم، تجمهر عليهم ستة او سبعة فرسان من الاهلين المجاورين فطردوهم وسلبوهم قطعانهم. ولما بلغ الخبر اسماع عمر آغا ارسل من فوره اربعة من فرسانه فرجعوا بعد نصف ساعة الى المضرب ومعهم الاغنام واسيرين، وفى الليل جاء رفقاء الاسيرين وحسموا قضيتهم، فاطلق سراحهما وارجعت الاغنام الى اصحابها.

سرنا فى الخامسة والنصف وكان الصبح قارصا، وبعد ان تركنا القرية بقليل اجتزنا تلا عاليا ناهدا واستمر طريقنا ملتويا طيلة مسيرتنا اليوم بين تلال الاردواز فى الوديان التى يسيل فيها شرقا جدول صغير يتجه نحو (كافرو) ويصب فى (ديالى)، وهو يمر فى قاع مكتظة بالقصب والصفصاف وخضرتهما المبهجة تناقض مظهر تلال الاردواز الداكن. وقد شاهدنا الكثير من عليقات الزهور البرية وشجرة اسمها بالفارسية (سنجد) وبالكردية (سه‌نجوف) وبالتركية (ايده) وهى تحمل ثمرا صغيرا يشبه العناب**.

(*) تقابلها لفظة (حركول) الواردة فى التلموذ، او (كازام) وهو نوع من الجراد يوجد فى رأس الرجاء الصالح. راجع الصحيفتين ١٣ و ١٤ من كتاب «فى الجراد» لمؤلفه (لوودولف). انتهت الحاشية. وجاءت كلمة (كازام) العبرية فى نص الحاشية (كارام) خطأ، كما اخبرت . ـ المترجم.

(**) وفى العربية (الغبيراء)، واسمها الدارج فى العراق (نبق العجم) ـ المترجم.

وفى الثامنة ترجلنا عند ضفاف النهير للاستجمام، وبعد وقفة قصيرة، استأنفنا السير فى التاسعة الا ثلثا، وفى التاسعة والنصف وصلنا الى (دووىسه) وهى قرية كبيرة قذرة، تتألف من اكواخ حقيرة ذات سقوف مسطحة مبنية على جانب من تل اردوازى اجرد، غير اننا شاهدنا الكثير من البساتين والكروم فى الوادى وعلى جوانب بعض التلال المجاورة، وذلك مما اسبغ على المكان منظرا اجمل من اى منظر اخر رأيناه منذ اجتيازنا (كهرران).

ويرتدى وجوه هذه القرية اللباس الايرانى، ويقلدهم فى ذلك النساء. لقد استغرقت سفرتنا اليوم ثلاث ساعات وثلث الساعة، وكان اتجاهنا شماليا شرقيا. ولم اكن منتعشا اليوم، لملاحظة الاتجاهات بالبوصلة باستمرار.

وتقع (دووىسه) التى نزلناها اليوم فى منطقة (حسن آباد)، وكذلك مدينة (سنه) عاصمة الايالة وهى على بعد ثلاثة فراسخ الى الشرق الجنوبى من هذه القرية*.

٢٥ آب.

وصل القرية ليلة امس ميرزا فيض الله احد كاتمى سر والى (سنه) ويظهر ان الوالى وهو الان فى سياحة فى مقاطعاته الشمالية، قد علم بوصولنا منطقته فارسل الاوامر الى (سنه) لانزالنا فى قصره، واستقبالنا بنفس الاحترام الذى يقابل به هو، وعلى هذا اخذ ابنه الثانى وهو الان حاكم المدينة الفخرى يستعد لاستقبالى ومعه كل القطعات العسكرية الامر الذى ارغب فى تجنبه، ولذا فانى رفضت ان تقام هذه المراسيم رفضا باتا. ولكن اوامر الخان كانت حاسمة، وهو لم يكن من الرجال الذين يخالف لهم امرا مهما كان طفيفا، فجابهت الصعاب فى التملص من هذا الاحتفال، ولم افلح فى طلبى الا بعد ان بينت لهم جازما باننى سأرجع من حيث اتيت اذا ما اصروا على رغبتهم،

(*) بالنظر الى قول الميجر (رهنل)، ان الفرسخ يقل عن ثلاثة اميال ونصف الميل البريطانى، راجع الصفحة (٤) من كتاب «فى انسحاب العشرة الاف». اما المستر (فريزهر) فيقول فى الصفحة ٣٦٧ من كتابه (رحلة فى خراسان) بان الفرسخ الخراسانى يزيد قليلا على الفرسخ العراقى، وهو اقل من اربعة اميال بريطانية.

كما وعدت ببيان الاسباب للخان، واخيرا انتهينا الى حل وسط وهو ان يستقبلني اثنان او ثلاثة من الاعيان في حديقة الوالي، حيث كنت انوي الاقامة في الوقت الحاضر.

وجاءني الميرزا برسالة من محمد خان الامير الصغير، وهدية من الفواكه محملة على ستة بغال وحمل بغل واحد من الثلج.

اعاقتني المفاوضة عن الحركة حتى السادسة والنصف. وكان وجه الارض على ما هو، لم يتغير سوى انه كان اكثر انكشافا. وشاهدنا في بعض الوديان البساتين والكروم والقرى الصغيرة. ومستوى الارض يأخذ بالانخفاض كلما اقتربنا من المدينة ثم يرتفع ثانية من ورائها، ومن بعد عدة منخفضات وتلال ينتهي بسلسلة تلال (بارز خاني) العالية الممتدة شمالا وجنوبا. وتمتد فوق هذه السلسلة القصيرة الطرق الى (همدان) و (طهران)*.

سرنا ببطء وعلى الاخص في القسم الاخير من الطريق، اذ شعرت بتوعك شديد، واخذ يضايقني الدوار الذي اعتراني من قبل.

ولمدينة (سنه) منظر خلاب اكثر جمالا مما كنت اتوقعه، بقصرها المحاط بالابراج والمشيد على مرتفع. وببعض الابنية الجميلة القائمة حول سفوحه. وباقترابنا من المدينة انعطفنا الى اليمين الى بستان (خسروآباد) وهي على بعد يقل عن ربع الميل من الجنوب الغربي منها، وعلى منحدر يبدأ من قاعدة تل مرتفع جميل ينتهي عندها. والبستان يبدو عن بعد وكانه مشتل اشجار من الحور، اذ لا يحيط به جدار او سياج سوى تلك الاشجار المتراصفة الكضيضة. وقبل العاشرة بعشرة دقائق وصلنا المدخل ففاجأتنا المناظر الجميلة مفاجأة سارة، وولجنا ممرات تكتنفها اشجار الحور الباسقة الجميلة من الجانبين الى قصر فخم، سامق تحيط به الحدائق، واحواض مربعة جميلة تعلوها النافورات وهي امام القصر وخلفه، وكانت النافورات دافقة، وقد وضعت سلال الفواكه الزاهية من حول الاحواض. وكان الصيوان اي القصر شامخا وقد زين بالنقوش المذهبة على

(*) تنتهي تلال (بازرخاني) في نجد هو مرتفع (همدان)، وبعد الوصول الى اعالي هذه التلال يندر ان يكون منها نزولا . — الناشرة.

الطراز الايرانى. وفى الحديقة مجموعات نفيسة من اشجار الفواكه صفت بذوق لطيف وكنا نطل من الصيوان على طريق الحديقة الرئيسى المعرش بالاشجار ـ المخرفة ـ* وقد كان منظرا خلابا حقا. نظم هذه الجنينة امان الله خان الوالى الحالى قبل اربعة عشر عاما وسماها بـ (خسرو آباد) تخليدا لذكرى والده، خسرو خان الوالى السابق. وهى على رقعة ارض مساحتها ستمائة (كز) شاهى مربع** مقسمة الى مربعات تتخللها ممرات من اشجار الحور يتوسطها ممر رئيسى. وقد غرست المربعات باشجار الفواكه النضرة على اختلاف الاجناس التى تنمو فى هذا الاقليم، وزرعت بالقرب من الصيوان والممر الرئيسى عليقات الورد وانجمه.

واستقبلنى عند مدخل الجنينة ميرزا فرج الله عم الامير الصغير الذى اتفق ان كان فى (سنه) وعناية الله بك احد رجال المدينة البارزين وسادة اخرون لا تحضرنى اسماؤهم.

ووصلنى بعد الظهر ساع سريع من الوالى ذاته، يلتمسنى بعد بقائى

(*) راجع الحاشية (**) من الصفحة ١٦٧ . ـ المترجم.

(**) او الذراع الشاهى وهو ما يقارب عشر اليردة الانكليزية. انتهت الحاشية. وهذا لا يعقل، ولابد ان يكون سقطا مطبعيا. والاصح هو ما يقارب اليردة وعشر اليردة. ان طول الذراع الشاه ـ او الشاهى ـ المعروف فى بغداد يعادل المتر الواحد. وجاء فى قاموس F. Steingass الفارسى ـ الانكليزى ان الكز ـ الذراع ـ طول قوامه عرض ٢٤ اصبعا او عرض ستة جموع، اما الذراع الشاهى فجاء فى حاشية من كتاب (نادر شاه) لمؤلفه (ل. لوكهارت ـ ١٩٣٨ م ـ لوزاك، لندن) وباسم «كەزى شايكان» انه مقياس طوله نصف قامة الرجل المعتدل الطول ويستعمل عادة فى (خراسان).

وقبل تعمم اليردة فى اسواق بغداد، ومقاييس المتر العشرية كانت المقاييس الرئيسية المستعملة فى بغداد هى :ـ

ذراع بغداد، وهو يساوى ١٧،٥ عقد. والعقد البغدادى يعادل ٤،١٦ سانتيم.
وذراع حلب وهو ١٦ عقدا بغداديا.

وذراع الشاه ـ وموضوعنا يدور حوله ـ وهو يساوى ذراع ونصف ذراع حلب، واذا ما ارجعناه الى العقود البغدادية والسنتيمات قارب المتر الواحد.

ثم الذراع العادى، ويطلق عليه احيانا ذراع البنا، وطوله طول ذراع الرجل المعتدل الطول، من المرفق حتى طرف الاصبع الوسطى، وهذا يعادل نصف المتر تقريبا او ١٢ عقدا بغداديا . ـ المترجم.

واستجمامی فی (سنه) ان اعود الی السليمانية بالطريق الذی هو عليه الان. ولما كان هذا الطريق لا يعيقنی كثيرا فضلا عن كونه يتيح لی فرصة رؤية بعض الاماكن الجديدة المهمة، وطدت العزم علی اجابة طلبه* ولقد اعجبت الاعجاب كله بالحديقة والصيوان اللذين لم اشاهد حتی الان مثيلا لهما فی الشرق. والصيوان كغيره من الابنية المشيدة علی طرازه تقليدا لنمط جوسق (جارباغ) فی اصفهان، وغيره من الاماكن المماثلة له التی ترجع الی عهد الدولة الصفوية.

وبعد انتظار طويل خارت بعده قوانا من الجوع، دعينا الی فطور فخم، او بالاحری الی طعام عشاء غنی، خصصت فيه لكل منا صينية واحدة؛ ودعينا ثانية فی العاشرة مساء الی طعام مثله.

والرجال الذين قابلتهم هنا ـ وكلهم كورانيون ـ يتخاطبون بالكردية الكورانية، ولكنهم كانوا يكلمونی بالفارسية، وكانوا جميعهم يرتدون اللباس الايرانی الامر الذی لا ينشرح له الصدر؛ وهم لم يتصفوا بای حال من الاحوال بالصراحة والرجولة اللتين يتحلی بهما اصدقائی البابانيون. ولا شك فی ان اللباس الايرانی، والعادات الايرانية كانت نابية عنهم، هذا واننی اعتقد بانهم يعتبرون فی هذا الباب احط منزلة من الاكراد، فهم فی مظاهر تبدو عليها الذلة. وقد قال عمر آغا فيهم «انهم ليسوا من القبليين» ولابد لی ان اعترف بان عمر آغا كان فی مظهره علی النقيض منهم تماما، فهو بمظهره العسكری البين وبلباسه الفضفاض وعمامتـه المرقطـة المنحسرة الی الوراء والتی تكشف عن ناصية جميلة تنم عن كل معانی الرجولة، كان كالامير بينهم؛ وقد وجدته واسع الشهرة عظيم الاحترام فی هذه الاوساط.

٢٦ آب.

لم يكن الايرانيون مؤدبين كالاتراك فی ناحية واحدة وذلك فی انهم لا يتركونك وشأنك، فقد ينزلك الرئيس التركی فی داره مرحبا بك ثم ينصرف عنك، الا اذا رغبت فيه، وعلی الاخص اذا كنت مصحوبا بسيدة، اما

(*) ذكر الوالی فی كتابه انه سمع باخبار المستر (ريج) وهو يرغب فی لقياه منذ زمن بعيد. ـ الناشرة.

الايرانيون فيتجمهرون حولك ليلا ونهارا، ولا سبيل للتخلص منهم، وان كنت خارج المدينة. لم تستطع قرينتي ان تغادر غرفتها لنزهة في الجنينة، وعلمت اننا نتمكن من فضهم من حولنا اذا سكنا المدينة. ولما كان المضيفون يرغبون في سكنانا في الجناح المعد لنا في القصر وكنت ايضا من الراغبين في مشاهدة شيء من المدينة، وافقت على الاقتراح وغادرت الحديقة صباح اليوم. وبعد ان هبطنا راكبين المنحدر الذي شيدت عليه الجنينة الى وهد قذر، وصلنا بعد بضع دقائق الى سور المدينة الخارجي وهو من «الطوف» ومن هنا ارتقينا شارعا وعرا رديئا حتى مدخل القلعة او القصر، فوجدنا الحرس في انتظارنا لتحيينا. ويتألف هذا الحرس من قرابة مائة آورامي مسلح بالبندقيات، انيط بهم شرف حراسة القصر، وكانوا رجالا غريبي المظهر ـ لا تبدو عليهم السحنة القبلية ـ يرتدون ملابس صوفية خشنة بيضاء على طراز يشبه الطراز الايراني بعض الشبه وعلى رؤوسهم قبعات غريبة الشكل من اللبد الاسود مدببة القمة، تنتهي عند الاسفل بذوائب طويلة دقيقة اشبه شيء بالعناكب*، وكانوا متكئين على بندقياتهم الطويلة وهم يتفرسون فينا ونحن نمر بهم.

ادخلنا من فناء الى غرفة واسعة على شرفة تطل على المدينة، وبعد مرور بضع دقائق جاء الخان الصغير وهو طفل جميل في التاسعة او العاشرة من عمره، الا ان رزانته ووقار مظهره كانا اكثر مما يتحلى به طفل في سنه؛ ويبدو انه قد تظاهر بذلك بهذه المناسبة. وقام عناية الله بك، الذي لف شالا حول قبعته على الطريقة المتبعة في القصر بدور رئيس التشريفات والناطق بلسان الخان، اما ميرزا فرج الله فقد وقف الى جانب ابن اخته وكان كل من يدخل الغرفة



(*) راجع اللوح، ـ انتهت الحاشية. ولم تكن هذه القبعات بغريبة على الجيوش الشرقية السالفة، لقد تفنن الانكشاريون في الجيش العثماني تفننا طريفا في لباس الرأس، والقيافة، وقد اصبح لكل ذي رتبة او منصب او صنف من صنوف الجيش قبعة خاصة وقبعة جنود مدفعية القوس في الجيش الانكشاري الذين كانوا يسمونهم «خمبرەجى» ـ اى رماة القنابر ـ تشابه هذه القبعة، واليك الرسم .ـ المترجم.

من الخدم او غيرهم يحيي الامير الصغير بانحناءة لا رشاقة فيها، ولكنه لم يهتم بأى منهم.

هيئت القهوة والشرابت واطباق الحلوى، وقدم لى الخان الصغير بيده القهوة والشربت. وقد لاحظت ان الايرانيين كافة يأكلون الحلوى اكلا لا اعتدال فيه. ولم نتبادل اى حديث ذى بال، سوى الاطناب بعبارات الترحيب والمجاملة. وبعد ان اعتذر الخان الصغير وتركنا، تجولنا فى انحاء القصر.

هناك صيوان (Pavilion) جديد مشيد فى مؤخرة الشرفة عند المدخل سمى بالخسروية على اسم اكبر اولاد الخان من الاحياء، واسمه خسرو خان لكن اسمه ابدل مؤخرا بـ (محمد على) تيمنا. وكان بالقرب من الغرفة المعدة لى بهو الاستقبال القديم الذى شيده خسرو خان والد امان الله خان بعد ولادة ابنه الوالى الحالى وذلك قبل سبعة واربعين عاما، فالنقوش والزخارف المذهبة التى كانت يوما ما جميلة، اصبحت لا يمكن ترميمها الان. لقد اكسيت جدران البهو بالخشب على ارتفاع اربع اقدام تقريبا، ورسمت عليه الازهار. ورسمت على الاقسام العليا من الجدران رسوم مختلفة تمثل معركة (جالديران)، والمعركة التى دارت بين (تيمورلنك) و (بايزيد)، ورسوم بعض ملوك ايران الصفويين، ورسم الشاه الحالى بلحيته الخارقة*، ورسم اسكندر الكبير، والى

(*) فتح على شاه، الشاه الثانى من العائلة القاجارية، خلف عمه آغا محمد خان على اثر وفاته. وقد اعتلى العرش بعد اضطرابات داخلية عمت الجيش، وكان اذ ذاك حاكم آياله (فارس) وهو ولى العهد فتقدم من (شيراز) الى العاصمة وسيطر على الموقف بمساندة رئيس الوزراء الحاج ابراهيم له وكان هذا عام ١٢١٢ هـ — ١٧٨٩ م، ولم يتوج الا بعد مضى سنة على ذلك. وبقى فى دست الحكم (٣٧) عاما وتوفى عام ١٢٥٠ هـ — ١٨٢٦ م.

ومن الوقائع التى حدثت فى عهده تجريده القوات لاخضاع رؤساء (خراسان)، وبسط سلطانه على القسم الاكبر من تلك الآياله، وحربه مع الافغان، ثم مع الروس وقد اسفر ذلك عن ضياعه بلاد الكرج. وقد امتاز بكفاءته فى درء اطماع نابوليون فى ايران الامر الذى حمل الانكليز على التحالف معه فور اعتلائه العرش وكان ذلك من الاسباب التى حولت وجهة الافغان من تحرشهم بالهند وازدهار التجارة بين الهند وايران، ان زيارة السير جون مالكولم لايران كوزير فوق العادة لدى البلاط الايرانى كانت فى عهده، راجع حاشية الصفحة ١٥١ . — المعرجم.

جانبه ساعة وهو يرتدى البزة الايرانية، وبوجه امرأة خليعة، هذا ومن الغريب جدا ان نرى الايرانيين يؤثرون عن الاسكندر كونه شاباً، امرد وسيم الطلعة.

وكانت واجهة البهو مكشوفة، تدعمها الاعمدة وفى منتهاه مقصورة يطلق الايرانيون عليها اسم (شاه نشين)، وهى على جانب عظيم من الزخرف وفى وسطها حوض ماء صغير وتفصلها عن البهو نوافذ زجاجية تسدل عند الاقتضاء. ويسمى هذا النوع من البهو بالتالار «الطرار» - ايوان، وهذه كلها تقليدا لابنية الصفويين فى (اصفهان). ان سعة هذا الايوان عدا المقصورة خمسون قدما طولا وخمس وعشرون قدما عرضا.

واذا ما انعطفنا نحو زاوية ذلك الايوان المزدان بالانجم والاوراد نجد بهو الاستقبال الجديد الذى بناه امان الله خان قبل نحو اربع سنوات.

وهذه الغرفة اكبر من الايوان، تسد واجهتها نوافذ ذات رسوم بديعة. وهى غرفة فخمة جدا، والازارة منها من المرمر الشفاف قليلا، او من الرخام المعرق وقد لونت الازارة تلوينا جميلا وموهت بالذهب بذوق سليم والوان متناسقة. وكانت درجات السلم من الرخام المعرق ذاته، وقد جىء به من تل على طريق همدان، وقد استخرج من الارض بعناء شديد. ولكن مما الحق الضرر البالغ بجمال الردهة ما رسم على الاقسام العليا من جدارها من الرسوم البخسة وهى اشبه ما تكون برسوم اللافتات؛ وهى تمثل الملك سليمان، وملكة سبا، ومعركة دلهى ونادر شاه يعيد التاج الى المغول ورسوم اخرى تمثل حوادث مماثلة. والانكى من كل ذلك وجود صور منتصبة زعموا انها تمثل امبراطور روسيا، وامير الغال، وحاكم الهند العام وملك الاسبان وامبراطور المانيا، وبونابارت وهو يحمل بيده بندقية وحربة. لقد كانت كلها رسوم سمجة لا تمت الى هؤلاء بشبه لا فى السيماء ولا فى القيافة، الا رسم امبراطور روسيا الذى اذا نظرت اليه عرفته لاول وهلة. وقد رسموا ايضا جلالة الشاه الايرانى بلحيته المرعبة وهو مثقل بالمجوهرات. وعلى جانبى البهو شرفتان صغيرتان مرتفعتان زينتا تزيينا بديعا تعرف عندهم بـ (بالاخانة) وارى ان كلمة (بالقون) الانكليزية محرفة عنها، وكلها مجموعة من ماء الالوان الزاهية المذهبة وفى

الواقع كانت الازارة برخامها المعرق فخمة وجميلة معاء هذا ولو استعيض عن هذه الرسوم السمجة المرسومة على الجدران برسوم من ريشة (روبين) بالوانها الفنية التى تتلائم مع باقى اقسام القاعة، او اذا تعـذر ذلك ـ وهو الواقع ـ واستعيض عنها بقطع من سجاد (غوبلين) لاصبحت غرفة تستحق عناء السفر لمشاهدتها فى اى ناحية من اوربا. وهنالك على بعد قليل من هذه القاعدة توجد غرفة صغيرة مكسوة جدرانها بالمرايا، ومزوقة تزويقا غريبا بالاباريق والاكواب والقنانى وكؤوس الزجاج وغير ذلك.

يجد الايرانيون لذتهم الكبرى فى ذلك، وانهم كانوا يكشرون عن اسنانهم ويحدقون بوجهى لاستشفاف امارات العجب وهم يطوفون بى فى غرفة التحف هذه. ويوجد على بعد قليل فى فناء اخر ايضا محراب صغير جميل، وابنية عديدة لم يتم بناؤها بعد، كان فى احداها نافذة انكليزية بارزة على الايوان والدكة. وسيكون القصر بعد اكماله قصرا بديعا جدا، ولكن ستظهر عليه الكثير من المتناقضات الشرقية كالممرات الضيقة المظلمة القذرة والسلالم الخطرة وغير ذلك.

وقد فاتنى ان اشير الى رسم فى البهو الجديد يمثل معركة (مه‌ريوان) يظهر فيه رسم امان الله خان واتباعه الكورانيين بارزا وقد اقتيد (سليمان كهيا) اسيرا اليه، وقد مر بنا ان هذه المعركة قد انتهت خلال عشرة دقائق وسلم الكهيا نفسه الى عبدالرحمن باشا دون ان يخوض الايرانيون او الكورانيون القتال.*

ولامان الله خان كما لغيره من الايرانيين هواية ملحة فى البناء وهى هواية يمكنه ان ينغمس فيها بسهولة لتمكنه من تسخير العمال وارباب الحرف على الاشتغال له مجانا لقاء بعض الامتيازات كتخويلهم تسخير مواشى القرويين فى حمل الاثقال عند الحاجة، او اعفائهم من قبول ضيوف الحكومة او موظفيها، او حمايتهم من الدائنين او التساهل معهم فى امور اخرى شبيهة بها فى تطمين هواياتهم.

(*) راجع الصحة ١٣٤ .

فجامع لطيف، وتحسينات فى القصر، وبعض الحمامات والخانات وسوق كبير حول الميدان وان لم تدخر فيه الاموال الادخار الكافى وابنية اخرى كل ذلك مما يتلائم وذوق امان الله خان وطغيانه. ان السائح ليعجب بعظمته، ولكن المواطنين المساكين والقرويين يئنون عند ذكر منشا ته.

لقد شيد القصر فوق مرتفع عال، يشرف على المدينة كلها وهو محاط بسور من «الطوف» كان فى حالة رديئة جدا. ويقع عند اسفل التل قسم من المدينة، فسور اخر ذو ابراج ومن ورائه قسم اخر من المدينة وهو محاط ايضا بسور اخر. لقد وسع امان الله خان المدينة كثيرا خلال الاعوام القليلة الماضية، وتشاهد وانت فى شرفة القصر بعض البيوت الانيقة المشيدة بالطابوق، اما المساكن الاعتيادية فمن الطين المجفف كبيوت السليمانية. وتحيط بالمدينة من الجهات كلها ارض ترتفع عن مستواها، وهى على منحدر يوصل الى واد مكتظ بالحدائق والكروم، وهذا مما جعل ازقة المدينة متموجة صعودا وانخفاضا، وترتفع الارض بعد الوادى ثانية الى تلال متكسرة تنتهى فى سلسلة (بازرخانى) التى مر ذكرها.

ولم تكن الحمى الراجعة مجهولة هنا خلال موسمى الربيع والخريف. وقد عمت وطأتها هذه السنة كل الاماكن، كما شحت المياه شحا محسوسا فى كل انحاء ايران وكردستان التركية. ويعتبر موقع القلعة والاراضى المرتفعة حول (سنه) من المواقع الصحية.

رجعت الى غرفتى متعبا من استعراضى للقصر ـ وانني لا احب التجوال لمشاهدة البيوت ـ ولم آسف لرؤيتى فطورا فخما، او بالاحرى عشاء مهيئا، وبعد تناوله اضطجعت للراحة فى الايوان، وعندما نهضت زارنى بعض اعيان المدينة ورجعت عند غسق الليل قرينتى من الجنينة. اما طعام العشاء فلم يؤت به كما هو المعتاد قبل العاشرة، وعلمت ان الايرانيين يتناولون عشاءهم عادة بعد هذه الساعة.

٢٧ آب.

علمت من ميرزا فيض الله بان الاكراد يطلقون علما عاما على (زغروس)

هو (شاهو)* وهذا الاسم هو الشائع عن جبل (جوان‌روو)، ولكن المفهوم لدى الاكراد العارفين فى هذه البقاع بان هذه التسمية العامة تنطبق على الجبال المنحدرة بين (شيراز) و (بوشهر) ومنها الى (بندر عباس).

و (سنه)** التى كانت سابقا على طنف مستو الى جنوب المدينة الحالية، قد بناها قبل مائة وخمسة وسبعين عاما احد اجداد امان الله خان، وهى الان تضم اربعة او خمسة الاف عائلة، منها مائتا عائلة يهودية وخمسون بيتا من الكلدانيين الكاثوليك التابعين الى بطريقية ديار بكر فى ابريشية الموصل، ولهم كنيسة وقسيس، وكلهم ارباب حرف او تجارة بنطاق ضيق*** وسكان المدينة المسلمون كلهم سنيون شافعيون، اما الوالى وعائلته فقد تظاهروا بالتشيع ارضاء لشاه ايران.

وصلنا (سنه) وهى فى كرب شديد، اذ كانت المدينة فى حزن عام بسبب الحادث التالى :ـ «ذلك ان محمد حسين خان اكبر انجال الوالى، وهو من ام من عامة الناس وابنة صراف فى المدينة، كان قد حرم من ولاية العهد وجعلت لاخيه الثانى محمد على او خسرو خان، وام هذا من اعرق بيوتات (سنه) بعد بيت الوالى نفسه. فضلا عن كونه احب انجاله اليه. وقد نشب نزاع بين الاخوين، اظهر فيه الاب تحيزا بينا بجانب نجله الاصغر، فاشمأز محمد حسين خان من ذلك، كما استغل بعض الانتهازيين هذه الفرصة لتوسيع شقة الخلاف فوعدوه بالتأييد ومن ثم اغروه على الهروب من (سنه) ففر منها قبل بضعة اشهر على رأس عدد كبير من الاتباع، وكان محبوبا منهم. وقد سار على الطريق المار بين منطقتى بغداد و (كرمنشاه) وغزا فى طريقه بعض العشائر التابعة لحكومة والده، كانت ترعى مواشيها فى سهول بغداد وخانقين.

(*) يقول (انكه‌تيل دوبيرون) ان الكتب الزردشتية تطلق على جبل (الوند) قرب همدان اسم (شاهو).

(**) ان الاسم الصحيح لـ (سنه) هو (سناندوج) وقد اختصرتها العامة بـ (سنه) انتهت الحاشية. والاصح هو (سنانده‌ج)، وقد جاءت فى نص الحاشية (سناندرج) غلطا مطبعيا ـ المترجم.

(***) يصنع في (سنه) سجاد يفوق فى جودته سجاد (كرمنشاه).

اما الوالى فبعد ان حصل على موافقة شاه ايران طارد نجله على رأس جيش ـ كنت قد وصلت فى شهر آذار الماضى الى (خانقين) و (قصر شيرين) بعد مغادرة الوالى لهما بيومين* ـ واخيرا التقى الوالد بولده فى منطقة كرمنشاه، فدارت بينهما معركة قاتل فيها الفريقان قتالا عنيفا، وقد وجه الوالى اوامره المشددة بانلا يقتل احد ابنه او يجرحه، ولكن الولد جرح فى المعمعة فنقل الى (سنه) بعد المعركة حيث توفى متأثرا من جرحه، فطاش عقل الوالى وقطع رؤوس عدد كبير من اتباع ولده فى موقع المعركة، كما اعدم اكثر من مائة شخص من اعيان (سنه) بعد عودته اليها، وفر منه ما يقارب اربعمائة شخص اخر الى (كرمنشاه) فدمر بيوتهم وصادر ممتلكاتهم، فاضطر نساءهم وعوائلهم الى الاستجداء.

اما نجله الثانى محمد على او خسرو خان ولى عهده فى الحكم فيافع يبلغ نحو الخامسة عشرة من عمره وقد سبق له ان تلقى ارادة الشاه فى استخلاف والده، كما تمت خطوبته لاحدى بنات الشاه، وسيتم قرانه فى النوروز المقبل، ويحتفل بزواجه احتفالا عظيما فى طهران. اما الان فان الوالى يتجول فى الانحاء مشددا على رعيته لجمع المال اللازم لهذا الزواج الذى اذا ما اضيفت اليه اثمان الهدايا الواجب تقديمها الى الشاه فستصبح تكاليفه باهظة جدا. اما صغيره الذى تركه فى (سنه) فيدعى محمد خان وهو يبلغ نحو العاشرة من عمره. وللوالى من الاولاد ثمانية.

ويبلغ امان الله خان** والى سنه السابعة والاربعين من العمر، ويقال

(*) نجد فى مكان اخر من هذا المجلد بحثا عن السياحة التى يشير اليها المستر (ريج). انتهت الحاشية. واتماما للفائدة لقد الحقنا مذكرات ريج فى سياحته هذه بهذا الجزء من الكتاب ـ وهى من ملاحق الجزء الثانى ـ اذ وجدناه يشير اليها فى هذا الجزء اكثر من مرة. راجع الصفحة ٧ ـ المترجم.

(**) كان فى ايران سابقا اربعة ولاة او امراء تابعين وهم :ـ امير ديار الكرج، وامير سنه، وامير لورستان، وامير الهويزه؛ ولم يبق منهم الا والى (سنه) وكان يسمى امير (الهويزه) بالمولى، وكان سيدا من سلالة النبى او يدعى بانه كان كذلك؛ وكلب على خان قاتل كل من المسترين (كرانت) و (فوذرنكهام) وهو سليل ولاة (لورستان) وهم من العشائر الفيلية.

فيه انه سيد الكياسة الايرانية وظرفها وسياستها. ويعترف الايرانيون انفسهم بانه يفوق اى واحد منهم فى دهائه، وهم مجمعون على ان جميع وسائل التوقى من الوقوع فى حبائل مكره وريائه عديمة الجدوى. ويقال فيه ايضا انه ماهر كل المهارة فى تسخير من يشاء واستمالتـه اليـه باطواره المغرية وبسلوكه المحبب، ولكنه يستهدف دوما الاغراض الشخصية فى كل ما يفعله ويصنعه، ولا يمكن الركون اليه، ولقد بلغ به الولع بحشد المال والقسوة درجة جاوز فيها معظم الحكام الايرانيين، واذا ما ذكر اسمه ارتجفت ايالته خوفا وذعراً. وهو دقيق التنظيم مجيد له، ويقال انه يملك ثروة عظيمة جمع اكثرها من الاتجار وان له رؤوس اموال كثيرة لدى عدد من التجار يستغلونها لحسابه، ويملك ما ينوف على الخمسين الف راس من الاغنام موزعة على اناس عديدين ليعتنوا بها له على ان تحضر له فورا عند طلبها مهما مر عليها من الزمن، وهذا يعنى ان اغنامه يجب ان لا تعمر، وان لا تمرض، وان لا تموت، وان لا تفترسها الذئاب، فانه شريك كل تاجر او كاسب فى ايالته، وبالاحرى انه هو المحتكر الاول فيها. احتجت الى علبة جديدة لمزولتى، ولما كان الخشب كله بل النجارون كافة ملكا للوالى فقد اضطررت على استصدار الامر من ميرزا فرج الله لصنعها. وقد تكرر الحادث نفسه عندما طلبت قيطانا من الحرير الاخضـر لمسدسى، وطلبت مرة من اوفـانس* ان يحـاول الحصول عـلى بعض النبيذ، فراجع احد المسيحيين، فأجابه: انه لا يجرأ ان يعطيه ما يطلبه دون صدور الامر اليه اذ ان للوالى العلم بكل ما فى داره من قنانى الخمر وعلى شركاء الوالى جميعا ان يعتنوا العناية الكلية فى جعل دخله دخلا منتظما، مهما كان نصيبهم من الكسب. ان (الكوركجى باشى) او فرآء الوالى رجل مسيحى، كان قد اعطاه الوالى مائة تومان ليتاجر بها لحسابه على ان يدفع له بانتظام عشرين تومانا سنويا، وقد وجد الرجل المغلوب على امره فى هذه صفقة خاسرة وهو يرغب من الصميم ان يعيد الدراهم له، ولكنه لا يجرأ حتى على

(*) (كوفا اوفانس) احد السكرتيرين الاهليين الملحقين بدار المقيم فى بغداد وهو ارمنى الولادة رومانى كاثوليكى المذهب وكان ذا منزلة لدى المستر ريج لصدقه فى بلاد يندر فيها الصدق، ولوفائه واخلاقه المستقيمة وسلوكه الجذاب ـ الناشرة.

ذكر ما يدور بخلده. والوالى الان يقوم بجولة فى انحاء ايالته، وقد ارسل اهالى (ساقز) يعرضون عليه ستمائة تومان على ان لا يزور مدينتهم فاجابهم بانه سيزور مدينتهم وسيستلم منهم الف تومان. لقد سمعت النوادر العديدة من هذا القبيل؛ فقبل مدة من الزمن ذهب اربعة من اعيان (سنه) ليقبلوا اقدام الشاه شاكين له ظلم الوالى متوسلين بجلالته ان يحميهم منه فأحالهم الشاه الى ابنه محمد على ميرزا وطلب الوالى شراءهم منه وبدأت المساومة ثم تمت الصفقة. وبعد ذلك عرض الوالى على الامير مبلغ الفى تومان علاوة على الثمن المتفق عليه ان هو ارسلهم اليه بعد فقأ اعينهم فى (كرمنشاه)، فوافق الامير وفقأت اعين هؤلاء البؤساء وارسلوا مكبلين الى (سنه).

ذهبت صباح اليوم لزيارة الخان الصغير، وكان جالسا فى الـ (شاه نشين) شرفة الايوان ومعه عناية الله بك، ونبيل اخر من المدينة وكلاهما فى اللباس الرسمى. قدمت المرطبات كالمعتاد ولم يدر بيننا من الحديث الممتع الا قليلا. وقد وجهت الينا الاسئلة الكثيرة عن فرنكستان، فكفانى عمر آغا عناء الاجابة على معظمها اذ اصبح الان ملما بهذه المواضيع. وكان الكل يتساءل باهتمام عن (مالكولم)*.

وجاء لزيارتى بعد ظهر اليوم بعض افراد عائلة الخان فاستقبلتهم فى «الطرار» الايوان الذى يقيم فيه الخان الصغير ديوانه صباحا، واقيمه انا عصرا.

وكان (الخانات) الذين جاؤوا لزيارتى كل من شير محمد خان احد اخوان الوالى وسبحان ويردى خان احد عمومته واحمد خان ابن عمه، وكلهم بلباسهم الرسمى، اسياد اماجد متقدمين فى العمر؛ لقد تكلموا عن تاريخ عائلتهم العريق فقالوا انهم امراء (سنه) منذ سبعمائة عام، وان اسم عائلتهم

(*)وهو السير جون مالكولم (١٧٦٩ ــ ١٨٣٣). تقلب فى مناصب الجندية والسياسية والادارة فى مختلف اقطار الهند وايران واخيرا اصبح نائبا فى البرلمان. اوفد الى ايران للمرة الاولى عام ١٧٩٩ الى البلاط الايرانى لعقد حلف مع بريطانيا وبعد نجاحه رجع الى الهند بطريق بغداد عام ١٨٠١، وافد الى ايران ثانية كوزير فوق العادة لدى البلاط الايرانى، وبعد رجوعه الى انكلترة كتب تاريخ ايران بمجلدين، طبع فى لندن ــ جون مەرى ــ عام ١٨١٥ . ــ المترجم.

(ماملی)، وهی فی الحقیقة قديمة جدا غير ان كونها (كورانية) او من طبقة الفلاحين، ليست محترمة لدى القبليين. واخبرنی ايضا بان اسم (آردلان) كان يطلق فی الاصـل على شخصية شهـيرة من العائلة* ومنذ عهده صار يطلق على حكام هذه المناطق اسم ولاة (سنه‌يی اردلان) كما يطلق على حكام السليمانية اسم (ميرميران بابان). وقد ظن البعض من قبل بان (آردلان) كانت تطلق على المقاطعة فقط، لكنهم اكدوا لی خطأ هذا الظن. وعندما امتدحت بعض الابنية، افاد احد الخانات قائلا انهم انفقوا جميع اموالهم على بيوتهم على خلاف البابانيين الذين حصروا استثمار ثروتهم فی اكتناز المال واقتناء الاموال المنقولة ليكونوا على اهبة الرحيل فی ای لحظة، عند حدوث اضطراب، او عزل رئيسهم. وعلق عمر آغا على هذا الرأی فورا بقوله (اجل، انكم تنفقون المال على البيوت، اذ انكم لا تبالون بمن يرأسكم فانتم راضون بما انتم عليه. اما نحن فمستعدون للحاق برئيسنا حيثما حـل، فنشاركه الملمـات والمصاعب والاخطـار، واننا نحتفظ باموالنا له ليستعين بهـا على العيش فی الاوقات العسيرة. وما كان هذا القول مجرد ادعاء او تفاخر بل كان الحقيقة بعينها. واننی استطيع ان ابرهن ذلك بالكثير من الوقائع التی حدثت على علم منی. فلو عزل امان الله خان لما لحق به احد الا بعض الخدم الذين يستطيع تأدية رواتبهم. ولكن لو عزل محمود باشا السليمانية لغادر كل اقاربه البلاد على الفور ولحقوا به وقدموا كل ما ملكت ايديهم من مال واملاك، بل لاشتغلوا يوميا باجور زهيدة ليساهموا بها فی توفير المساعدة لسيدهم وتأمين راحته. ومن ابرز اوجه التباين بين القبليين والكورانيين هو الاختلاف المحسوس بين روحيهما لان الكورانيين اناس مستكينون جبناء ويقال انهم اكثر خسة واشد خداعا واعظم ميلا الى اللصوصية من الايرانيين انفسهم.

ولقد لاحظت امرا يبعث على الارتياح فی سلوك الايرانيين، وهو انهم لا يداورون او يتحايلون كما يفعل الاتراك، لكی يتحاشوا الجلوس فی مكان ادنى من مقام الاوروبی فيتقدمون عليه، فهم يسعون لاجلاسك فی صدور

(*) كما كان (به‌به) اسم لشخص من عائلة كرمانج ـ الناشرة.

مجالسهم ويعاملونك اجمالا كما يعاملون احد كبرائهم.

لقد سافر المستر (بەلی‌نو) هذا المساء فی جولة اثرية الی (همدان) و (كرمنشاه).

٢٨ آب.

استعرض امامی مساء اليوم السربازيون ـ الجنود النظاميون ـ ولدى الوالی (٣٠٠) جندی منهم جندهم قبل عام اسوة (بعباس ميرزا) الذی ارسل له ضابطا روسيا وبعض الجنود الروس لتدريبهم وقدم له طبولا ومزامير . . اما تدريبهم فيجری علی الطريقة الانكليزية، ومن الغريب ان تسمع الطبول والابواق الايرانية تعزف قطعة «الكريناديه البريطانية» فالضباط وخيرة الجنود السربازين هم الان مع الوالی، ولم يبق فی (سنه) الا مائة منهم وكلهم حديثو العهد بالجندية علی ما قيل لی. وهم يشبهون مضيف (فولستاف)* ولباسهم القبعات الايرانية الاعتيادية والستر الايرانية الطويلة ادخلت فی سراويل من الكتان الابيض وهو لباس، لا ينسجم علی اناس يمثلون الجندية تمثيلا محزنا. ويبدو لی انه لم يحصل من تدريبهم علی نتيجة تذكر بمثل تلك المدة القصيرة. فقد كانوا يحملون بنادق انكليزية جيدة اشتراها لهم الوالی من الشاه الذی يتاجر باستيرادها من الهند فيبيعها بثمن باهظ الی اولاده ورعيته. لقد كان احد الروس يصدر الايعازات وآمر الفوج واقفا الی جانبه وبيده هراوة راع، يمعن بها ضربا علی رؤوس واقدام الجنود، ولم يكن لباسه رسميا، بل كان مرتديا اللباس الايرانی المعتاد.

ويوجد تحت امرة الوالی الكثير من قبائل الاكراد الرحل، وهؤلاء هم افخاذ من عشائر (شيخ اسماعيلی) و (مەردمه) و (كەلهوور) والجاف؛ وعشيرة الجاف كانت فيما مضی من رعايا (سنه) تسكن منطقة (جوانرۆ).

(*) يشير المستر ريج بذلك الی رجل مضحك، لا كفاءة له اسمه (جەستس شالو) جاء ذكره فی القسم الثانی من مؤلف (شكسبير) المعنون الملك هانری الرابع. ـ المترجم.

٢٩ آب.

تنقسم ايالة (سنه)* الى سبع مناطق هي (جوان روو) في اقصى الجنوب الغربي و (آورمان) و (مه‌ريوان) و (بانه) و (ساقز) على طريق تبريز، و (حسن آباد) التي تضم نواحي (سنه) و (اسفند آباد) على طريق (همدان). وكل منطقة من هذه مقسمة الى اربع او خمس «محلات» اي نواحي صغيرة. ومنطقتا (آورمان) و (بانه) من المناطق المذكورة، كانتا منذ زمن قديم تحت حكم عائلة واحدة، ومنها الوالي عادة يكون الحاكم لهما، واني استنتج من ذلك بان هاتين المنطقتين كانتا مستقلتين في الاصل ثم خضعتا للوالي بمقتضى معاهدة، اما المناطق الاخرى فيحكمها اي حاكم يعينه الوالي؛ ويحكم (جوان روو)** احد ابناء الوالي.

وادخلونا اليوم غرفة الوالي الخاصة لنشاهدها، فهي قاعة انيقة علقت على جدرانها صور نساء قيل ان احداهن كانت جارية اهداها الشاه عباس الكبير الى احد اجداد الوالي. دخلنا الغرفة قبل ان تهيأ لنا، وحالما فتحت لنا ابوابها فاحت منها رائحة خمور شديدة، لقد شاهدنا على الرفوف بعض القناني والزجاجات الامر الذي دلنا دلالة واضحة على ان الخان لم يكن من المسلمين الشديدي التمسك بدينهم، وان مخدعه هذا انما خصص لملذاته السرية.

وبالنظر الى ما لاحظته بين اتباع الوالي في سنه من دلائل ميل الايرانيين الى الجشع، فقد رأيت من الأفضل ان لا اذهب الى مضربه كما سبق ووعدت. وعليه اخبرت مضيفي مساء اليوم بعزمي على العودة الى السليمانية بالطريق المؤدية اليها مباشرة. فاثار هذا كما كنت اتوقع معارضتهم الشديدة التي لم

(*) يمر نهر كاروو على مسافة فرسخين ونصف فرسخ من جنوب (سنه) وهو يكون نهر (ديالى) او بالاحرى هو جدوله الرئيسي وهو يتكون من منابع عديدة تتجمع مياهها في مكان عند حسن آباد.

(**) ان المسافة من (سنه) الى (جوان‌روو) ثمانية عشر فرسخا، ومن (سنه) الى (ساقز) ـ حاضرة المنطقة ـ اربعة وعشرون فرسخا، ومن (سنه) الى (آورومان) ـ اقرب قسم من المنطقة ـ اثنى عشر فرسخا.

تجد نفعا، ورأيتهم يتبادلون النظرات الحيرى وبعد ان حاولوا عبثا تغير عزمي ذهبوا جميعا الى غرفة عمر اغا وعقدوا مجلسا، فارسلوا الى عدة رسل يتوسلون في ان اذهب الى الوالي، غير انني بقيت متمسكا بقراري. وقد بدأت اخشى ان تكون عناية الخان بي مما قد تتطلب مني ان اقابله بما لا قبل لي عليه، وهذا مما دعاني الى التصلب برأيي. لقد جاءني عمر آغا عدة مرات ثم السيد* وبعده اوفانس وهما من السكرتيرين الاهليين في دار المقيمية ليغيروا رأيي ولكن دون جدوى. واخيرا جاء اعضاء المجلس كافة الى باب غرفتي ليتوسلوا الى بل يستعطفوني ان استجيب الى طلبهم وقالوا بانى لا اعرف عن حقد الخان الا القليل، وانه لا عذر هناك وان قلته له بنفسي يحول دون اعتقاده بانهم قاموا نحوي بما سبب امتعاضي وجعلني اغير خطتي بهذه الصورة المفاجئة. ثم حدثوني كيف ان الخان استأصل عائلة رشيد بك لامر اقل اهمية من ذلك، وانني اذا اصررت على الرفض فلابد من فرار كل من عناية الله بك وميرزا فرج الله الى السليمانية فيبلغانها باسرع من وصولي اليها اذ ان مقابلتهما للخان بدوني ستكون من الامور المستحيلة عليهما.

وقد خيل لي ان ما وصفوه لي من الخطر الذي سيتعرضون له ما هو الا مصطنع لذلك احجمت عن تغيير رأيي غير انني بعد ذلك بدأت اتساهل فارسلت من يعرض عليهم حلا وسطا وذلك بان اوفد سكرتيري الايراني الى مضرب الخان ليعتذر بالنيابة عني عن عدم استطاعتي زيارته شخصيا وليعرب عن ارتياحي من سلوك اتباعه نحوي؛ فاخبرت بانهم اخذوا يذرفون الدموع وان اقتراحي الجديد لم يبعث فيهم الا سرورا ضئيلا.

وقد علمت بعدئذ بانهم استخاروا بديوان حافظ** فشجعتهم الاستخارة

(*) راجع حاشية الصفحة ١٠ وراجع (رحلة المنشي البغدادي) لمترجمها من الفارسية الاستاذ عباس العزاوي، ــ شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٤٨ . ــ المترجم

(**) يعتقد عامة الناس، بل والكثير من الادباء المتفلسفين حتى في يومنا هذا بان في حكم اشعار حافظ ارشادات ملهمة، على المستخير بها اتباعها او الاسترشاد بها. وقد تكون هذه حافزا للانسان للتشبع بحكمه التي لا تخلو منها صفحة من صفحات ديوانه بل قطعة من قطع شعره، ولكنها شوهت فالبست لباسا الهاميا في التطير، او في الاستخارة، او في التفاؤل . ــ المترجم.

على اعادة الكرة على فى الوقت الذى بدأت فيه بالتفكير فى أن اهتمامهم فى الامر لا يمكن ان يستند مطلقا على التصنع، وتذكرت بعض القصص التى سمعتها عن حقد الوالى وقسوته، وعلى الاخص فى حادث محمد رشيد بك وبدأت فى الحقيقة اخشى ان يصيب هؤلاء المساكين كارثة من اجلى فقررت النزول عند رغبتهم مجازفا بما قد يصيبنى من المتاعب. ولما اعادوا الكرة واتوا باب الغرفة يتضرعون الى لاسداء اخر معروف لهم بتأجيلى سفرى يوما اخر لتتاح لهم فرصة اخبار سيدهم بعزمى على تغيير خطتى الاولى وجدونى مستعدا لمنحهم اكثر مما كانوا يتوقعون اذ اجبتهم باننى سأذهب الى الخان ارضاء لهم، وقد دلنى الفرح الذى بدا عليهم فى هذه اللحظة الانقلابية دلالة جلية على ان مخاوفهم لم تكن مصطنعة ابدا؛ اننا مضينا فى المداولة حتى الساعة الحادية عشرة، وقد اعترانى صداع شديد جعل على الراحة مستحيلة هذه الليلة.

الفصل الثامن

الرحيل عن (سنه) ـ مناظر الارض ـ خيام كولانه ـ ساسة الاكراد العظماء ـ نهر قيزيل (اوزون) ـ المضارب ـ ملاحظات قروى ـ سلوك الجاف غير القانونى ـ طريق ناهد ـ مرطبات من العسل والزبدة ـ الوصول الى قرية ميك ـ السيدة ريج تؤخذ الى قرية اخرى ـ خلايا النحل ـ التحاق السيدة ريج بنا ـ هدية فواكه من الوالى ـ الوصول الى بانه ـ نجل الوالى ـ فواكه يانعة.

* * *

٣٠ آب.

نهضت مبكرا وانا متوعك المزاج ولكنى بقيت مصمما على الشروع بالسفر، وعندما بلغت الفناء الخارجى من القصر وجدت ميرزا فرج الله يهرع الى ويشد على يدى شاكرا لى صنيعى باذعانى لرجائهم الامر الذى بعث فيه الاطمئنان التام، وقد رافقنى الى خارج المدينة، اما رائدى الى مضرب الوالى فكان عبدالله بك نجل عناية الله بك الذى اوفده الوالى بذاته خصيصا لهذه الغاية. مررنا اولا بمدخل القلعة ثم بمدخل اسوار المدينة التى ذكرتنى باسوار البصرة المشيدة من «الطوف» ايضا. وقد وجدت الان ان للمدينة سورا واحدا عدا سور القصر الحصين تمتد وراءه الضواحى الواسعة. وفى السادسة الا ربعا صباحا تركنا المدينة نهائيا. لقد اخبرنى الان عبدالله بك بالاسباب الحقيقية لجزعهم فى الليلة الماضية، وقال انك لا تستطيع ان تتصور نزوات الوالى فى شكوكه وحقده الا قليلا، فانه لو سمع بانك قد عدلت عن زيارته لكان تعليله لذلك على الوجه التالى :ـ

«هذا رجل دعوته انا مثلما دعاه جيرانى مرارا دون جدوى، ومع هذا فقد تنكب طريقه قاصدا زيارتى بمحض رغبته. ولا شك ان هذه الزيارة لو تمت لكانت حديث الاوساط ولزادتنى شرفا وربما كانت لديه بعض الشؤون او الامور التى كان يرغب الادلاء بها الى. ورجالى فى (سنه) يعرفون ذلك فتعمدوا ازعاجه وحمله على العودة دون ان يرانى، فهم لا يطلبون الخير لى، وربما كانوا متآمرين على» ثم اردف الرجل الشاب قائلا «ولك ان تتصور الان بان هذه السلسلة من الافكار لابد وانها كانت تعود علينا بالنتائج الوخيمة».

اخبرني عبدالله بك بان شتاء (سنه) اقسى من شتاء السليمانية، وصيفها اكثر برودة، وحالما تركنا المدينة بدأت الطريق تتدرج بنا صعودا طيلة السفرة وكانت الارض مكشوفة والزراعة فيها على نطاق معتدل، وكانت قمم التلال مهشمة مشققة وبلغ التشقق ببعضها بحيث ظهرت وكانها خرائب، فكنا نشاهد الصفائح الاردوازية والجبس على جوانب هذه التلال، وكان الكثير من هذه التشققات يبدو وكانه مطعم بوفرة بالحديد. وكان لون بعضها ضاربا الى الخضرة، تخالطها ذرات الطلق.

سرنا مدة في مسيل، وفي الثامنة تقريبا شاهدنا عن يسارنا قرية (صاري قاميش) الكبيرة وكرومها، ومن ثم بدأنا نرتقي هضاب (الله خدا) فبلغنا في العاشرة الا ربعا القمة ونحن نرتقي ارتقاء هينا. ويتصل هذا الجبل بسلسلة (بازرخاني) ويمتد مبتعدا عن (زغروس) الشامخ برأسه على جميع السلاسل المتوازية من الجبال الكائنة على يسارنا. وكانت التلال امامنا، وعلى يميننا او على اتجاه شرقي جنوبي شرقي. والى الشمال الشرقي منا تنبسط عن بعد سهول (بان ليلاق) حيث تلوح امامنا قمم بعض الجبال العالية وكانت رؤوس الجبال المتشققة تعلو امامنا من كل الجهات. لقد استدرنا حول الجبل مدة من الزمن، وفي العاشرة والثلث بدأنا نهبط منحدرا رهوا وهذا الجبل يتجه نحو الشمال الشرقي وحوالي الساعة الحادية عشرة والنصف بلغنا قرية (بايه‌ن‌كو) الكبيرة القذرة، وهي في واد باسفل المنحدر، وتقع في منطقة ناحية (حسن آباد)، وهنا اتصلنا بطريق (تبريز) وكان اتجاهنا العام شماليا، وسرعة سيرنا جيدة جدا عدا مدة ساعة ونصف ساعة جوبهنا بها بصعوبات جمة في شق طريقنا فوق نيسم ضيق وعر متكسر الصخور يمر بطوار السفوح السحيقة من الجبال. لقد تركت قرينتي المدينة ممتطية جوادا في الغسق، ولم تسبقنا الا بساعة واحدة فقط اذ سلكت طريقا اكثر تمعجا من طريقنا وكان ما قطعناه في مرحلتنا هذا اليوم اربعة فراسخ.

٣١ آب.

امتطينا الجياد في السادسة الا ثلثا، وبعد ان استدرنا مدة في وهد،

وتقدمنا فى مسيرنا ازداد انكشاف الارض وظلت قمم التلال شامخة، وشاهدنا ونحن نسير فى طريقنا بعض الاردواز والجبس وقليلا من نترات البوتاس، او ملح البارود، اما التربة فلا نجزم بخصوبتها او عدم خصوبتها، وكان الزرع فيها قليلا وضعيفا، وقد شاهدنا الكثير من ينابيع المياه فى اول مسيرنا. تقع (بانليلاق) الى الشرق منا، وهى مقاطعة تابعة الى (سنه) ومنظرها اشبه بسهول تخترقه سلاسل من التلال، وتعد ذات مناخ بارد جدا خلال موسم الصيف. وكان طريقنا متموجا واتجاهنا شماليا فى الغالب. وكان الهواء لطيفا يذكرنا بمناخ بغداد فى شهر كانون الاول. وفى التاسعة مررنا عن يسارنا بطنف اصطناعى منبسط اقامه نادر شاه ونصب عليه خيمته فبقى هناك مدة اربعين يوما لعذوبة الهواء خلال حربه مع طوبال عثمان، باشا بغداد (١٦). وفى العاشرة الا ثلثا وصلنا خيام قرويى (كولانه) فى مضاربهم الصيفية كما يفعل قرويو (بەروودەر). وكانت الخيام منصوبة بالقرب من الطريق غير بعيدة عن تل اسمه (طاوشانتەبە) وقد سميت بهذا الاسم لكثرة ما يشاهد فيها من الارانب ايام الشتاء. ولا يستخدم الايرانيون الصقور فى صيد الارانب كما يفعل الاتراك بل يستخدمون السلاق فى مطاردتها.

وجدنا خيمة بعمودين من خيام الوالى منصوبة لنا، وقد فرشت بسجادة جميلة من مصنوعات (سنه) وبعض المدات من حولها، اما الخيمة التى كنت احملها معى فقد اتخذها عمر آغا سكنا له، واشغل عبدالله بك الخيمة الخاصة به.

ان الاكراد كالانكليز كثيرو الاشتغال بالسياسة، ولم يتكلم كل من عمر آغا وعبدالله بك بينهما فى السياسة طيلة مسيرة اليوم.

ولما كانت (كورانه) قرية تقع على الحدود بين منطقة (حسن آباد) و (فەرەتوراو) فانها كثيرا ما تنتقل من ايدى سيد الى اخر، ويحكمها عادة اكثر حاكمى هاتين المنطقتين مصلحة فيها.

لقد تبين الان انه من المحتمل جدا ان يتحتم علينا الذهاب الى (بانه) للحاق بالوالى، ولم يخبرنى بذلك احد من قبل خشية احجامى عن الذهاب لبعد المسافة. ان (بانه) لا تنحرف عن طريقنا الا مسيرة يوم او يومين، وكان

سفرى اليها مما يتيح لى فرصة مشاهدة قسم جديد وممتع من كردستان، فقد كان من المؤسف ان اؤجل سفرى اليها. وان زيارتنا لكهوف (كرفتو) ستؤخرنا يومين اخرين، الامر الذى لا اريده، اذ ان جماعتى كلهم مصابون بالحمى واننا اصبحنا اشبه بمستشفى متنقل.

١ ايلول.

سرنا فى الخامسة والنصف من صباح اليوم متجهين نحو الشمال الغربى الى منطقة جبلية عن يسارنا، وفى الساعة الاولى قطعنا الكثير من المرتفعات والمنخفضات الناهدة، فتباطأت سرعة مسيرنا خلالها ثم تحسنت تحسنا جيدا. وفى السابعة الا خمس دقائق دنونا من منخفض هدود الى (قيزيل اوزان) وهو نهر له بعض الشهرة الجغرافية* ويقع منبعه على بعد مسافة تقارب

(*) يرى الميجر رءنل ان (قيزيل اوزان) هو (كوزان) – بالكاف الفارسية – المذكور فى العهد القديم (راجع سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٧ – ٦). وما يلى وصف ورد فى كتابه المسمى «التحقيق فى مصير اسباط اليهود العشرة الذين اخذوا اسرى فى نينوى».

ينبع هذا النهر من بلاد سميت فيما مضى بـ (ماتيان) بين (تبريز) و (همدان) وهو ينساب شرقا وينصب فى القسم الجنوبى الغربى من بحر الخزر، مخترقا طريقه فى سلسلة عظيمة من الجبال التى تفصل (ميديا) عن المناطق القفقاسية، وهو ينحدر من اعلى مستوى (ميديا) انحدارا سريعا مخيفا الى وهدة سحيقة نخرتها مياه هذا النهر فى قاعدة الجبال وعرضها عدة اميال، وبعد ان يصل الى منخفضات (كيلان – بالكاف الفارسية) يصبح قابلا للملاحة حتى انصبابه فى البحر. وقبل انحداره ذلك الانحدار ينصب فيه مياه نهرا (ابهر) و (قزوين) وغيرهما من الانهر، ويسمى بـ (شاه روود)، وتسمى مجموعة هذه الروافد باسم (سغيد روود) او النهر الابيض، ومن المحتمل ان تكون تسميته هذه ناجحة عما يعلو مياهه المتدفقة من الزبد عند جريانها بين الجبال، اذ يقول الرحالة «دى لافاله» (.. ان لمياهه ذاتها لونا ضاربا الى الحمرة ..) ويصف السواح الطريق المتدة على جانب الهاوية وصفا مخيفا، وهى الطريق الوحيدة التى يمكن ان تسلكها الدواب المحملة من (كيلان) الى (اصفهان) وهى بوجه عام محفورة فى الجروف الصخرية القائمة والمشرفة على الهاوية المفزعة، ويسير السائح على هذا الطريق مرخيا العنان لدابته وهو يسحبها من ورائه فى حذر كى لا يندفع وراءها اذا ما زالت بها خطوة واحدة فهوت. – انظر اوليا ريوس وهانوى وغيرهما –. وتقع هذه الوهدة الى غرب بحر (الخزر – قزوين) بمائة وثمانين ميلا تقريبا – راجع الحاشية فى الصفحة ٣٩٥ من سفر جغرافية هيرودوتس لمؤلفه رءنل.

الفرسخين الى الغرب او اليسار فى جبال عباس بك وهو يجرى شرقا ثم يتجه الى (ميان دوآو)٠

اطلت النظر فى النهر متأملا، شأن من يلقى اول نظرة على الانهر العظيمة الشهيرة وهى فى حالة تكونها، وما كان فى النهر ماء يزيد ارتفاعه على القدم الواحد، ولكن هذا كان امرا شاذا، وذلك لان المياه فى هذا الموسم كانت شحيحة على غير المألوف٠ وارتفاع مياه هذا النهر تكون عادة بمستوى الركب، وكثيرا ما يمسى خوضه مستحيلا لعدة ايام فى الربيع، وينوى الوالى تشييد جسر فوقه٠

وفور عبورنا (قيزيل اوزان) اخذنا نرتقى ثانية ومررنا فوق بقعة وعرة جرداء كالتى طرقناها سابقا ومن حولنا بعض القمم السامقة٠ وكان القسم الاعظم من الارض بورا، وهذه الارض هى المراعى الصيفية الاعتيادية لعشائر السليمانية٠ ومن مشاهدتى آثار بعض المضارب تعرفت على الطريقة المتبعة لديهم فى ترتيبها فوجدت انهم ينصبون بيوتهم على شكل دائرة، توضع القطعان* فى وسطها٠ وهذا الترتيب ضرورى فى الحقيقة للدفاع ذلك انهم فى عداء دائم مع سكان المناطق التى يجوبونها، وجولاتهم هذه تجعلهم ضيوفا غير محببين مطلقا٠

ويبدو اننا الان على ارتفاع شاهق فوق سطح البحر، ويظهر لى ان الارض التى نحن فيها انما هى نجد تتقاطع فيه الوهاد، وهو غنى وخصب فى انتاج (الريواز ـ Rhubarb) من النوع الممتاز وخاصة ما ينبت منه فى الاماكن الصخرية٠ وهذا النبت الذى ينبت فى كردستان بريا وفى اكثر اقسام ايران والذى يستهلك بكثرة فى صنع الشرابت، لم يكن الا راوند الحدائق الذى نصنع منه الفطائر المعروفة باسمه٠

مررنا بواد اخذ يضيق تدريجيا حتى اصبح وهدة صخرية تجمعت فيها مياه الامطار بكثرة، وذلك يدلنا على هطول الامطار الغزيرة ليلة البارحة فى

(*) تعتبر اغنام (قالاجوالان) اغزر صوفا، اما صوف قطعان هذه المنطقة فدقيق ناعم٠

هذه الاماكن. وفى التاسعة والنصف ارتقينا الى اعالى الوهد ثم انحدرنا ثانية الى الوادى فوصلنا قرية (كەلەك‌آوه) الكبيرة فى منطقة (هوبەتوو Hobetoo) فشاهدنا اكواما كبيرة مكدسة من القش الخشن للاستهلاك الشتوى. وكان الاهلون يحصدون الحبوب، اما الدخن فما زال اخضر يانعا وبعضا من الذرة الهندية ناضجا، ويقال ان الشتاء فى جميع هذه النواحى من البلاد قارص البرد. وكان الهواء باردا منعشا، وكان فى استطاعتنا استئناف السفر راكبين طيلة النهار دون ان تزعجنا الشمس.

اتجهنا الى خيام القرية، وقد نصبت فى منتهى الوادى فوصلناها فى العاشرة والدقيقة العاشرة،* وكان موسم المضارب فى العراء على وشك الانقضاء، والاهلون ايضا على اهبة العودة الى القرية. ولاحظنا ان درجة حرارة ينبوع ماء عذب قرب مخيمنا كانت (٥٠) درجة.

شاهدنا الكثير من الكركم (Crocus) الابيض والاحمر ما زال موردا، ثابتا فى كل الانحاء حتى فى اواسط الطريق، وطلبت من القرويين ان يأتونى ببعض جذوره لاخذها الى بغداد فأتونى ببعض البصيلات من انواعه المختلفة، وافادوا بان البلاد كلها ترتدى حلة ورود فى الربيع.

٢ ايلول.

مع ان الليلة كانت باردة جدا فقد هاجمنى البعوض ولم يدعنى اتمتع بلحظة واحدة من الراحة. وكان الهواء صباح اليوم قارصا بدرجة ارتحت معها الى لبس فروتى الصغيرة القديمة من جزة الخروف. امتطينا الجياد فى السادسة وكان اتجاه الوادى ما زال شماليا يخترقه طريق (ساقز) و (تبريز) غير ان طريقنا كان يمر من اعالى التلال المحيطة بالوادى، وهو فى اتجاه شمالى غربى، وقد سلكنا هذا الطريق طيلة اليوم وان التجأنا الى بعض الاستدارات.

«بارك الله بالكرمانج»** هذا ما قاله الى عمر آغا احد القرويين الذى

(*) لا زال طريقنا هذا، طريق (تبريز) الذى سننتهى منه غدا.

(**) هو اسم قبيلة باشا السليمانية، وينتمى اليها عمر آغا . — الناشرة.

كان يصحبنا بعد ان التفت يمينا ويسارا ليتأكد من خلو المكان من ايرانى يسمع قوله فسأله عمر آغا «وكيف ترى السنويين ؟ » فاجابه القروى «الا لعنة الله عليهم اجمعين» فاسكته عمر اغا قائلا : «صه يا فتى الا تعلم مصيرك لو سمعوك» وكان جواب القروى المسكين على ذلك «لن تكون معاملتهم لنا اقسى مما هى الان».

كانت الارض منذ ان تركنا مضارب القرية ترتفع ارتفاعا تدريجيا ولكن محسوسا جدا، ولم يطل بنا الوقت حتى رأينا انفسنا فوق نجد ومن حولنا القمم الشامخة وسلاسل تنتهى عند حدود النجد. ويتصل احد التلال القائمة على يسارنا بجبل (حاجى احمد) الذى يبعد عنا مسافة اربعة فراسخ، كان يستره عن انظارنا وكانت سلسلة تلك التلال تمتد باتجاه الشمال الشرقى والجنوب الغربى نحو (زغروس).

والشتاء هنا قارص جدا وتنقطع السابلة عن اجتياز الطريق لوفرة الثلوج وتراكمها عليه. وقد شاهدنا اثار عواصف امطار غزيرة هطلت اخيرا، وهذه العواصف من الظواهر الطبيعية الاعتيادية فى مثل هذا الموسم، اذ ان المطر يبدأ فى اوائل تشرين الاول، ويعقبه تساقط الثلوج بعد زمن قصير. والارض بكاملها بور غير مزروعة، وقد اتخذت مراعى صيفية لعشائر السليمانية.

وفى الثامنة بدأنا نهبط هبوطا ناهدا استغرق مدة ربع ساعة انتهينا منه الى واد ضيق يتلوى بين التلال العالية، ومضينا فيه نكمل ما تبقى من مسيرنا واخيرا مررنا بقرية او قريتين من القرى الحقيرة المنظر، وبعض الرقع الصغيرة من المزارع التى كمل جمع غلتها فى الايام الاخيرة، وشاهدنا بعض القطن المتوقف عن نموه الطبيعى وبعض اشجار الخروع وهى على تلك الحالة من النمو تقريبا.

تشرع قرينتى عادة فى مسيرها اليومى قبلنا، غير ان شروعها اليوم كان بطيئا، ولما كنا على وشك اللحاق بها فقد ترجلنا فى التاسعة والنصف عند منبع

صغير لنفسح لها المجال لتسبقنا* ثم استأنفنا السير فى العاشرة ونحن فى ذلك الوادى الضيق نفسه، وفى الحادية عشرة وصلنا قرية (سوورموسى – Soormoosi) الواقعة فى منطقة (خورخوره) وقد دخلناها وهى فى منتهى المنحدر الناهد او عند رأس الوادى وشاهدنا فى اعالى التلال المقابلة لنا حصنا مربعا صغيرا، يتحصن فيه القرويون للاحتماء عند غارات البلباسيين، على ان هذه الغارات قد تضاءلت او انقطعت تماما، اذ ان الاتراك والايرانيين قد قضوا على نزعات البلباسيين وقوتهم.

لقد كان الحر مزعجا فى الوادى، عند توقف هبوب الريح. وخلال مسيرتنا اليوم شاهدت كميات كثيرة غير اعتيادية من الجبس وكميات من الاردواز وبعض املاح النترات والطباشير واعتقد اننى شاهدت الاحجار الغرانيتية على بعض المرتفعات، ولكنى غير واثق من ذلك.

ان عدد الاهلين الذين يرتدون لباسا تختلط فيه البزتان التركية والكردية فى هذه النواحى اكثر من عدد الذين يرتدون اللباس الايرانى منهم اما النساء فكلهن يلبسن على الطراز الايرانى.

٣ ايلول.

شرعنا بالمسير فى السادسة واخذنا نلتوى فى مسيرنا التواء مستمرا فى الوادى ببطء محسوس حتى وصلنا التلول التى تحد جانبه الجنوبى، ثم قطعنا ما تبقى من الطريق بخطوات مريحة وان كثرت استدارتنا فيه. ولدى

(*) نزولا عند العادات الشرقية، كانت السيدة ريج تسافر مع جماعة منعزلة عن جماعة السيد ريج، وقد مر ذكر ذلك. وكانا يسيران فى ساعات متفاوتة ويعتنيان دوما ليكونا على مسافة من بعضهما وعلى الاخص عندما يكون المستر ريج مصحوبا برجال لهم منزلتهم فى البلاد، وكانت جماعته فى هذه المرة مؤلفة من مرافقه ورائده وحاشيته علاوة على رجال دار المقيمية وضباطه وخدمه. اما السيدة ريج فتصحبها الخادمات وبعض الحرس وميناس اغا والطبيب (بهل) على الرغم من ان ذلك قد لا يتفق والعادات. هذا ويمكن لنا ان نبين هنا بان المسلمين يستثنون فيجيزون للسيدة الاوروبية ان يرافقها الرجال من ابناء بلادها ومن دينها، اما الذنب الذى لا يغتفر فى نظرهم فهو ان يراها المسلم وهى غير محجبة، او ان تحتل موقعا بارزا فى اية صورة كانت فى الاجتماعات العامة سواء احتجبت او اسفرت – الناشرة.

ارتقاؤنا التل وجدنا بعض اشجار الكمثرى البرية الضخمة التى ترتاح الى منظرها النفوس بعد سفر طويل فى ارض قاحلة جرداء لم نر فيها منذ مغادرتنا (سنه) فيما عدا البساتين، اشجارا اكبر من عليق الازهار النامية بكثرة فى كل مكان، او اشجار الصفصاف القزمة.

درنا حول الجبال، وكانت الاعشاب على بعض مرتفعاتها العالية لا تزال خضراء تتخللها الورود. وفى السابعة والنصف هبطنا وهدة ضيقة بدأنا منها بالارتقاء فورا وفى الثامنة والثلث انعطفنا غربا ودأبنا على اتجاهنا هذا فى بقية الطريق وكانت التواءات السير كثيرة. وبعد قليل بلغنا جدولا صغيرا يدعى نهر (خوره خوره) وقد فاضت مياهه من جراء الامطار التى هطلت اخيرا ولما هبطت المياه الفائضة تركت وراءها عددا من الاسماك، ماتت على الاطيان.*

ومن ثم ارتقينا جوانب وهدة صخرية. وفى العاشرة وصلنا قرية (قەرەبوكرا) التى تقع فى اعالى الوهدة تقريبا، حيث تشرف عليها قمة الجبل. لقد جعلت بعض اشجار الحور والفواكه منظر القرية جميلا وان لم تقلل من قذارتها. وعلى المرتفع المقابل للوهدة وجدنا انقاض حصن شيد للالتجاء اليه من البلباسيين.

وقد شاهدنا اليوم قرية او قريتين من القرى الحقيرة، وكانت المناطق التى مررنا بها اليوم قفراء خالية، لقد سمعنا قصصا محزنة عن الجاف الذين يرعون مواشيهم فى جميع انحاء هذه المنطقة ويسلكون سلوكا كيفيا لا يقره القانون، ومما لا شك فيه ان لادارة الوالى السيئة التأثير الكلى فى اقفار هذه البلاد من السكان علاوة على ما لغارات القبائل الهمجية من تأثير.

شاهدت اليوم اكثر مما مضى صفائح الاحجار المركبة (Schistus)

(*) يصب هذا الجدول فى (قيزيل اوزان) وهو ينبع عند سفح جبل مرتفع عن يسارنا يدعى (جالجەمە ـ Tchaltchama) وهو من سلسلة جبال (خسرو خان) والى جانبه تحت القمة منه قرية (قەرەبوكرا ـ Kara Bokra) وهى التى نقصدها. وتقع (ساقز) الى الشمال الغربى منا، وعلى الجانب الاخر من (خسرو خان). اما اتجاه الجبال بكاملها فهو من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى حيث يتلاشى اغلبها فى النجد الذى قطعناه.

فى طبقات افقية تتخللها عروق الجبس التى كان لون بعضها ضاربا الى حمرة لطيفة، كما شاهدت الكثير من الطلق ايضاً، وعلى الاخص فى اواخر مرحلة يومنا هذا.

كنا نرغب فى السير اكثر من سيرنا اليوم لنصل (بانه) فى اليوم التالى الا ان الاكراد الذين ارادوا استمرارنا على السير لم يكونوا على بينة من المسافة ولما كان طريقنا جبليا متعبا قررت ان لا اجازف بمسيرة طويلة ومعى من جماعتى الكثير من المرضى، فقر الرأى اخيرا على المكوث اليوم فى (قەرەبوكرا) وكان اليوم شديد الحر فى هذا الوادى الضيق.

تقع (ساقز) ـ حاضرة المنطقة ـ على شمالنا تماما، وتستغرق المسافة اليها ست ساعات بطريق ردىء جدا، وسبع ساعات بطريق اجود منه نوعا ما، وهى على الجانب الثانى من جبال خسرو خان.*

٤ ايلول.

رحلنا من قرية (قەرەبوكرا) فى السادسة والربع، وبعد ان اجتزنا الوهدة وارتقينا التل الذى يحدها من الشمال اتجهنا نحو الحصن فوصلناه بعشر دقائق بطريق ناهد ردىء، ثم اخذنا ندور بين قمم التلال، وتكثر الدبة فى هذه التلال وكلها من النوع الاربد الاعتيادى.

وفى التاسعة والدقيقة الخامسة بدأنا بطريق جيد، وعند وصولنا منتهاه وجدنا انفسنا فى واد حجرى ضيق، او بالاحرى وهدة محاطة بالتلال فدأبنا على السير فيها بقية النهار بمشقة لا حد لهاء وكان الطريق يتراوح بين انخفاض وارتفاع مستمرين على جوانب عمودية من الاردواز المفتت، وكان الممر ضيقا مائلا، لم يكن فى الحقيقة الا نيسم على يساره هاوية سحيقة.

واعترف الاكراد انفسهم بان هذا الطريق اسوأ الطرق التى مروا بها حتى الان، وقد رأيتهم للمرة الاولى يترجلون عن خيولهم فى الممرات الوعرة،

(*) ان المسافة من (قەرەبوكرا) الى (سەرخوانى شەلال) حاضرة مقاطعة (تەراتوول) اربع ساعات ومن هناك الى (بيستان) اربع ساعات اخرى.

وقد كبا جواد عمر اغا مرة على جرف الهاوية ولكنه رمى بنفسه حالا عن ظهر الجواد برشاقة، دون ان يفلت العنان من يده، ولو لم يفعل ذلك لقتل الرجل والجواد معا. لقد اصابنى دوارا شديدا اضطررت معه على المشى بموازاة حضيض الجبل حتى نهاية المسيرة، وكان ذلك مجهودا شاقا حتى بالنسبة لرجل يتمتع بتمام الصحة اعتاد المشى، وكان اليوم حارا مزعجا، ولم تكافأ العين باى منظر لطيف او مشهد جذاب.

ومن فوق الجبل شاهدنا جبل (كه‌للى‌خان) وجبل (زاغروس) او بالاحرى قسما منه، ووصلنا اسفله فى السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين وبعد قليل بلغنا قرية حقيرة صغيرة اسمها (حاجى محمد) وبعد ان ارتقينا قليلا هبطنا توا الى قرية (سووتا) فى منحدر ناهد مخيف تقع على يساره هوة. وقفنا عند هذه القرية فى الثامنة والنصف وانعشنا نفوسنا بكوب من القهوة. لقد خلنا ان مصاعبنا قد انتهت الا اننا وجدنا بعد ذلك ان اشدها لا يزال امامنا. وقد استأنفنا المسير فى التاسعة والربع وبعد مدة وجيزة انحدرنا مجتازين الجدول الصغير الجارى فى منخفض الوادى، ثم وصلنا قرية (سه‌وى‌تاله) الصغيرة ومعناها التفاحة المرة، فوقفنا فيها ايضا للاستراحة ثانية، فمد امامنا رجل من رجال الدين ـ وهو على ما يظهر صاحب القرية ـ سماطا غنيا بالعسل والزبدة الطرية* واللبن الرائب والخيار والتنين.

وقد التهم كل من عمر اغا والبك من هذه الطيبات الريفية بشراهة، الا ان الحمى الشديدة منعتنى من ان اتناول من بينها سوى ملعقة او ملعقتين من اللبن الرائب.

وفى الحادية عشرة والنصف عاودنا مسيرنا فى نفس ذلك الطريق المرعب ونحن نشاهد اشجار الصفصاف تزين ضفتى (خورخوره) وهو يجرى فى قرارة الوادى وقد جئنا الان الى مخارف** لطيفة بين اشجار الدردار والحور

(*) يأكل اهل هذه الاقطار من الشرق العسل والزبدة سوية وقد تكون هذه عادة شائعة فى الاقسام الاخرى منه بدلالة ما جاء فى التوراة «زبدا وعسلا يأكل متى عرف ان يرفض الشر ويختار الخير» (سفر اشعيا، الاصحاح ٧ ـ ١٥).

(**) المخرفة بالفتح، الطريق بين صفين من الاشجار . ـ المترجم.

والكظيظ من عليقات الزهر البرى.

وفى الواحدة والنصف انهكنى التعب فاضطررت معه الى الاضطجاع تحت ظلال الصفصاف عند جدول تسبح فيه الاسماك الكثيرة الاليفة. ولم يكن الاهلون فى هذه الانحاء شغفين بأكل السمك وفى الثانية عدنا وامتطينا جيادنا، وبالاحرى اننا سرنا اذ اننى لم امتط جوادى طيلة الطريق وعلى طواره الهاويات التى لم اقدر على السير معها لما انا عليه من ضعف وصداع، وفى الثالثة الا ثلثا وصلنا قرية (ميك ــ Meek) وانا منهوك القوى. وهنا لاقيت علاوة على ما انا فيه، خيبة اقلقت منى النفس. اذ علمت بان قرينتى ومعها الامتعة قد اخذت الى قرية (بايەندەرە) فى اعلى الوادى، عوضا من الانعطاف الى اليمين والوقوف فى (ميك). وبعد ان تأكدت من المكان الذى اخذت اليه ايقنت باننى لا اطيق الحركة للحاق بها، ولا بمقدورها العودة للحاق بى بعد سفرة كسفرتنا هذا اليوم، وان انتظارى الطويل على امل وصولها الينا وقت العشاء قد سدت شهيتى للطعام فساورتنى نوبة خفيفة من الحمى. فبلل العرق كل ملابسى ولم يكن معى ما استبدل به لباسى الداخلى، وقد اظهر عمر اغا نحوى فى هذه الحالة الحرجة منتهى اللطف، واعتنى بى الحاج قاسم* عناية فائقة وسهر عند فراشى طيلة الليل. هذه هى المرة الاولى فى هذه السنين العديدة يقدم لى خادم او اجنبى هذه الخدمة، ولم اتمكن من التصور الا واننى غير مرتاح.

تقع قرية (ميك) فى منطقة (ساقز) التى تبدأ عند الجدول الصغير وقبل وصولنا الى (سەوی‌تاله) بقليل. ان لعسل هذه النواحى من البلاد شهرة واسعة لكثرة النباتات العطرة التى تنمو فيها. وعلى الرغم مما انا فيه من التعب، ذهبت لمشاهدة خلية نحل فى بستان قريب، زرع زرعا منسقا بالورود والاعشاب العطرية، وفيه كوخ من الاغصان المجدولة وفى جانب منه انابيب من الفخار او على الاصح الطين المجفف مفتوحة من طرف واحد وفى طرفها الثانى منفذ ضيق، فاذا ارادوا جمع العسل كشفوا عن جانب الكوخ المقابل

(*) خادم من خدم المستر ريج.

للجانب الذى فيه الخلايا، واشعلوا النار فى كومة من القش، فيفر النحل حالا من الفتحات الصغيرة الى الخارج تاركا العسل وراءه الى مالكيه. وقد اخرج القرويون خلية من الخلايا واورونى النحل وهو يعمل فى عدة اقراص منها. لقد كان النحل منهمكا فى عمله انهماكا جعله لا يعبأ بالمتطفلين ولا يهاجمهم.

سمعنا اليوم اصوات اسراب لا حصر لها من الحجل، ويقال انه اوفر عددا فى (آورامان) ويصطاد الصيادون المئات منه، وذلك بان يقفوا على تلين متقابلين فيخيفون اسرابه المتوجهة نحوهم بالصراخ والصياح عندما تقترب منهم، فتفزع الطيور وترتبك وتتساقط فيسهل عليهم عند ذلك التقاطها. لقد اكد لى عبدالله بك بانه كان مرة بمعية الوالى فى (آورامان) فى صيد من هذا النوع فاصطادوا ما ينوف على الالف من الحجل.

والغزلان على اختلاف أنواعها، والماعز الجبلى والايائل، على ما اعتقد، ـ لانهم يسمونه بالثور الجبلى كما يسمون الظبى بالخروف الجبلى ـ كثيرة فى هذه الاصقاع، وهم يصيدونها فى موسم الشتاء اما الريم فيوجد فى منطقة (اسفند آباد).

٥ ايلول.

كنت مريضا جدا طيلة الليل وكانت مشكلتى هذا الصباح هى هل فى مقدورى السفر اليوم ؟ لكننى قررت محاولته، فرحلنا من (ميك) فى السابعة وبعد ان ارتقينا تلا بنيسم ناهد جدا درنا حول قمته الى المكان الذى يبدأ منه الهبوط الى قرية (بايه‌نده‌ره) وهنا شعرت بالضعف الشديد يدب فى اوصالى بحيث لم استطع الاستمرار على السفر اكثر من ذلك وبينما انا احاول الجلوس غبت عن رشدى فسقطت ومن حسن حظى ان كان (كورد اوغلى)* ورائى فاحتضننى بين ذراعيه. وقد ادركت الان، وبالاحرى ان ضعفى هذا جعلنى ان ادرك، باننى لا اطيق السفر ابعد من (بايه‌نده‌ره) حيث قضت

(*) رئيس سواس المستر ريج، وهو من (بايزيد) فى ارمينيا . ـ الناشرة.

قرينتي ليلة البارحة، على ان حظى العاثر لم يتخل عن متابعتى اذ وجدت ان قرينتي ـ لخطأ ما ـ قد تقدمت مرحلة اخرى. وعند ما علم عمر آغا بذلك وقد ذهب الى (بايەن‌دەرە) اوفد خيالا للرجوع بالجماعة وايقافها فى اقرب قرية الى (بايەن‌دەرە) ثم رجع ليخبرنى بما فعل. وعلى ذلك استأنفت المسير او بالاحرى حملنى كل من كورد اوغلى والبيطر ـ النعال ـ الى اسفل المنحدر فاضطجعت ناشدا الراحة ثانية تحت ظل صفصافة عند جدول جميل. فاحتسيت فى هذا المكان كوبا من القهوة انعشنى، واصر عمر اغا الحنون على بان اشرب ملء ملعقتين من دواء الاكراد العام وهو الشنين، وقد جلبه لى من (بايەن‌دەرە)؛ والحق يقال انه انعشنى كثيرا. وفى العاشرة والنصف شعرت بقدرتى على قطع ما تبقى من الطريق، وكان لحسن الحظ سهلا.

سرنا راكبين بخطوات معتدلة فى واد متمعج، ولكنه اكثر انبساطا، ينساب فيه جدول تنبت على ضفتيه اشجار الصفصاف بنسق جميل. وفى الثانية عشرة الا ربعا، ودون ان نرتقى كثيرا وصلنا قمة مهبط منحدر، واعتقد انه اكثر انحدارا من المنحدرات التى جئناها حتى الان، وقد استغرق هبوطنا فيه قرابة نصف ساعة واسمه (کەلله‌بالين ـ Kelleh Balin). لقد اتفق كل من عمر اغا وعبدالله بك فى القول بانه احد مضايق (زاغروس). والجبلان هنا يؤلفان واديا يصل (بانه) وكلاهما مكسو باشجار البلوط.

ومن اسفل المنحدر سرنا فى مخرف بين اشجار البلوط والدردار والصفصاف والحور ووصلنا فى الواحدة والنصف قرية (سوورەنه) فى واد بين هضبتين من جبال (زغروس)* وهى قرية كئيبة لا ينطبق حالها على ما سميت به ولكننى التحقت عندها بقرينتي وتمتعت بطعام الفطور الذى هيأته لى، لاننى لم اتناول قوتا بعد طعام العشاء قبل يومين.

(*) يظهر ان الهضبة الغربية هى التل الذى عبرناه جانبيا ونحن نتقدم نحو وهدة (بايەن‌دەرە) والاتجاه من المضيق الى القرية شماليا غربيا بنحو (٧٠) درجة ثم ينعطف كثيرا الى الجنوب، لنرجع ثانية الى (بانه)، ان القمم الثلاث التى شاهدناها من احمد كلوان و (زەری‌بار) تقع باتجاه شمالى غربى بخمسين درجة من (سوورەنه)، اما (بانه) فهى باتجاه (٨٣) درجة شمالية غربية.

جاءنى فى هذا المكان رجل اوفده الى الوالى من (بانه) ومعه بعض الاحمال من الفواكه ورسالة رقيقة.

٦ ايلول.

رحلنا فى السادسة من (سوورەنه) وسرنا فى الوادى الجميل، ومررنا فى السابعة بقرية (بجەئى ـ Bjae) او (بزەئى ـ Bzae) وهى على يميننا. وبعد مسافة قليلة بدأ الوادى والجبلان بالانعطاف كثيرا الى الجنوب، والان شاهدنا النقاط او القمم الثلاث التى تكرر ذكرها، وبعد قليل تعود الجبال من مضيق بين الجبلين يؤدى الى (قزلجه) الى ما كانت عليه. وفى التاسعة والنصف وصلنا منزلنا فى (احمد آباد) او (احمد آوه) كما يلفظها الاكراد، وهى قرية بجوار (بانه) وكان منزلنا فى موقع جميل على تلال (آردبابا) وهى قسم من سلسلة زغروس* الغربية او الجنوبية، وهو يبعد عن (بانه) مسيرة عشر دقائق للراكب. وكان هناك بعض الكروم وشرفة جميلة، ينصب عليها احيانا سلطان (بانه) خيمته قصد النزهة، وصفصافة جد جميلة قرب ينبوع بارد (حرارته ٥٣ درجة)، كانت حقا اجمل اشجار الصفصاف التى شاهدتها حتى الان واعظمها. لقد نصب الوالى بعض الخيام لاستقبالنا، ووجدنا رئيس خدمه وبعض الطباخين بانتظارنا لخدمتنا.

جاءنى بعد الظهر احد انجاله، حسين قولى خان ليرحب بى وبصحبته الوزير وثلاثة آخرين من اعضاء المجلس، واحدهم وهو شيخ طاعن اسمه ميرزا عبدالكريم على ما اظن. وكان هو المحدث او المتكلم الرئيس فيهم. اما الخان الصغير فكان صبيا نبيها فى الثانية عشرة من عمره تقريبا وهو فى ملامحه يشبه امير (سنه) الصغير ولكنه يبدو اكثر نشاطا وامضى ذكاء، وكان سلوكه على جانب عظيم من الكياسة والادب وقد رحب بى بلطف فائق باللغة

(*) يبدو ان الجبل الواقع على الجانب الشمالى من وادى (بانه) هو جبل زغروس الاصلى، اما الجبل الواقع على الجانب الجنوبى، وغيره من الجبال فما هى الا شعب منه ـ وهو ينعطف بـ ٢٥ درجة شمالية غربية حيث يظهر انه يؤلف رأسا هاويا ثم يختفى وهذا الرأس هو (بتوين) وهو على بعد ١٣ ساعة تقريبا.

الفارسية وافتتح الحديث بالسؤال عن المسافة بين بلاده وبين انكلترا، وكيف وجدت كردستان، وهل اننا ندخن الغلايين فى بلادنا، وغير ذلك من الاسئلة. ثم تولى الرجل العجوز الحديث، ولما كان الحديث قد انحصر على الاكثر فى المجاملات الايرانية فلا اراه يستحق التدوين.

وصلتنى مساء من الخان هدية كبيرة من الفواكه بعضها آجاص من (ميان دوآو)، وهى وان لم تكن جيدة جدا فانها مرضية لانها كانت باكورة الموسم. وفى مراسيم تقديم الهدايا تمثلت امامى الصور التى شاهدتها منحوته فى (بەرسەبولس) خير تمثيل، اذ يتقدم رئيس الجماعة وبيده عكاز طويل ومن وراءه رتل من الخدم يحمل كل منهم شيئا وهكذا تجزأ الهدية الى اكبر عدد ممكن قصد التفخيم. لقد اصر الخان على ان يطبخ طعام افطارنا وعشائنا فى مطبخه الخاص؛ انه ولا ريب وفق الذوق الايرانى او على ما اعتقد احسن طهيا وترتيبا من طعام (سنه)، وانهم راعوا اوقات راحتنا.

الفصل التاسع

زيارتنا لوالى سنه ـ قلعة بانه ـ حديث الوالى ـ زواج ابنه ـ الوالى يرد زيارتى ـ قسوته فى بانه ـ التهيؤ للرحيل ـ عوائق غير منتظرة ـ صعوبة الحصول على دواب الحمل ـ اعتذار الوالى ـ سلطان بانه ـ بدء مسيرنا ـ رئيس القرية ـ رفضه السماح لنا باستمرارنا على المسير ـ موقف سيء ـ القرار لشق طريقنا قتالا ـ خوف رئيس القرية ـ سماحه لنا بالمسير ـ جبال ـ دخول منطقة البابانيين ـ اتباع عمر اغا ـ خرائب قالاجوالان ـ فواكه يانعة ـ تلال هدود ـ الوصول الى السليمانية.

* * *

٧ ايلول.

عين صباح اليوم موعدا لزيارتى الخان، وقد وعد بان يستقبلنى فى وقت مبكر قبل اشتداد الحر الذى كنت افزع من التعرض له، ولكن لم يأتوا ليخبرونى باستعداده لمقابلتى قبل العاشرة والنصف. وعندئذ امتطينا جيادنا وذهبنا الى المدينة فاستقبلنا فى مدخلها مرزا عناية الله ورهط من الخيالة، وقد زاد حشدهم فى الحرارة واثارة الغبار الذى اكتنفنا. وعند ارتقائنا تل القلعة وجدنا جماعة من حملة البندقيات من (سەقز) وغيرها من المناطق الجبلية الاخرى قد الفوا ممرا اصطفوا على طرفيه، وكذلك السربازيون، او الجنود النظاميون وقد حيونى التحية العسكرية بالسلاح، وما كانوا باحسن من رفاقهم الذين شاهدناهم فى (سنه)، وكان عددهم قرابة المائة والخمسين جنديا. وكانت القلعة او القصر، او مهما اطلق عليها من اسم، محلا بشع المنظر. وجدت الخان جالسا فى ايوان غير مملوج بالجص، تحيط به كمية من البطيخ، فنهض ليستقبلنى، مادا يده الى والى المستر (بەل). لقد خبت فيما كنت اظنه فيه من السلوك والمظهر. وكنت اتوقع ان ارى فيه انفة واناقة داود باشا بغداد ولكننى وجدته ايرانيا اعتياديا خشن المظهر او بالاحرى مستهجنا، او شبيها لما نعبر عنه بالرجل الطيب، المتواضع الذى لا تلمس الطلاوة فى حديثه الذى يقتصر على توجيه بعض الاسئلة المقتضبة وابداء الملاحظات القصيرة. وكانت قامته اطول من المتوسط، وله وجه قصير مكتنز ولحية خطها

الشيب، وحاجبين اسودين كثين كانت استقامتهما وتقطبهما تعطيان اعلى وجهه سحنة لا ترتاح اليها النفس.

ولابد لى من الاشارة هنا، الى اننى لم ار مطلقا ايرانيا جليلا ظريف الشمائل، ولعل لباسهم هو الذى يحرمهم من مظاهر الظرف، ان اطوارهم الخشنة الفظة، وتكلمهم بصوت جهورى اصبحت من الاساليب المعتادة لديهم تقليدا لرجال القبائل، وبطانات القصور؛ وما هم عندى الا اوباش متأنقون.

وكان يجلس مع الخان، موسى خان حاكم (سەردشت) الذى كان يزور الوالى وسلطان (ساقز)، وهو من المقربين اليه، وسلطان (بانه). وجلس عمر اغا الى جانبهم؛ وكان فى جلوسه غير متكلف قليل الاكتراث وكان اوفرهم حرية واكثرهم جرأة الامر الذى جعله يظهر كالامير بينهم. وقف نجلا الخان وراء النافذة وهما على رأس جماعة من الخدم المسلحين، فنجله المقرب اليه محمد على خان وهو الذى سيقترن بابنة الشاه فى عيد النوروز المقبل، كان ولدا غليظا اسمر اللون شبيها بوالده، اما الانجال الاخرون الذين رأيتهم فلا يشبهونه. وكان لباس الوالى الخارجى يتألف من شال كشميرى اسود، وملابسه الاخرى كانت اعتيادية وما كان يحمل سلاحا جميلا او خنجرا ثمينا. وكل ما كان يزين صدر ديوانه او عرشه (كذا) ناظور باخرة وعصا مصبوغة باللك ذات قبضة من فضة واناء فيه ساعة اعتيادية وختمين او ثلاثة اختام وعلبة آفيون من صنع برمنكهام.

خاطبنى بالتركية وقد اصبحت لغة الطبقة الراقية الان فى ايران، واننى كما ذكرت آنفا، لا اتذكر الا القليل مما يستحق التدوين من حديثه لانه لم يسأل الا اسئلة قصيرة، وكان يتعمد التحايل الممقوت فى تكرار الامور التافهة فيجعلك تكررها انت ايضا. سألنى عن عمرى فاجبته انه ثلاثة وثلاثون عاما، فابدى ملاحظة باللغة الكردية قائلا باننى اظهر وكأننى ابن الاربعين. ثم سألنى عن مرضى بسيل من المصطلحات الطبية الشرقية التى بدا لى منها بانه ذو المام فيها، وتكلم عن (مالكولم) وامتدحه كثيرا، واخبرنى بان (مالكولم) كان قد اهداه الهدايا اللطيفة، ثم سألنى عما تكون واجبات المقيم البريطانى فى بغداد، وتمادى فسألنى عن راتبى، ثم جىء اليه بخمسين بطيخة

تقريبا وضعت امامه فاستل مدية صغيرة برمنكهامية من جيبه وذاق كل واحدة من البطيخ، وقدمت اطباق الحلوى، فأكل واكلت من الطبق ذاته، واستمر مصرا على كسر قطع صغيرة منها بيده وتقديمها الى . اما الغلايين فكانت تتوارد الواحد بعد الاخر . وسأل كثيرا عن (بونابارت) واستفسر عما اذا كان يشيد الخانات، وقال عنه انه اصبح من المشاهير . جلست معه قرابة ساعتين، وعند مغادرتي له نهض ورحب بي ثانية، وقال بانه سيرد زيارتي في القريب العاجل . وقد سألني بوجه خاص عن اتباعه في (سنه) وعما اذا ارتحت الى معاملتهم، وعما اذا شذ احدهم في سلوكه نحوي . ان الغضب الذي يبدو على ملامحه، والرعب الذي يستولي على خدمه عندما يظهر ذلك الغضب جعلاني اعتقد انه كان رئيسا مخيفا، وان لم اسمع ما سمعت عنه من قبل . وفي الواقع ان كل ما سمعته عنه ليؤيد لي بانه رجل غاشم حقود ظالم، فقد كان الجلد من الاعمال اليومية في (بانه)، وقد ابتزت المقادير الكبيرة من الاموال فيها . لقد نشبت ثورة هنا في الشتاء الماضي يقال ان سببها كانت هذه الاعمال القاسية . ومدينة (بانه) حقيرة قذرة، تكاد لا تستحق ان يطلق عليها اسم مدينة* وانها لم تكن باحسن حال من القرى التي مررنا بها سوى انها اوسع منهـا قليلا . «والبناية» او القلعة تقوم على طنف اصطنـاعي صغـير . والاصح ان اسم (بانه) هو اسم المنطقة، اما المدينة فأسمها (بەروزه ـ Berozeh) ولكنه غير شائع؛ ويقطنها الكثير من اليهود .

٨ ايلول .

زارني صباح اليوم موسى خان حاكم (سەردەشت)، وقد تكلم كثيرا عن الانكليز في (تبريز)، وانه مما يثلج الصدر ويملؤه فرحا ما يتحدث به الكل عن حسن سلوك ابناء بلادي في ايران .

وفي المساء جاء الوالي ليعيد الزيارة، وقد تقدمه جنوده النظاميون، ومن ورائه عدد كبير من الفرسان . وما كان الموكب ذا روعة كالمواكب التركية فقد كانت تظهر عليه مسحة الحطة والكآبة بالقيافة الايرانية وعلى الاخص اذا كان

(*) ويقال ان (سەقز) اوسع منها واحسن عمرانا .

جمعهم كبيرا. لقد كان الخان فى لباس ابسط من لباسه امس، اذ كان يرتدى ثوبا خشنا من الصوف مما يلبسه الدراويش. واستقبله السربازيون عند مدخل الخيمة فحيوه بالسلاح وعزفت له الجوقة النشيد الملكى بالطبول والمزامير. وكان بصحبته خان (سەردەشت) وسلطانا (بانه) و (سەقز). انه ارانى عدة اسلحة وسألنى عما اذا كانت انكليزية او افرنسية، وعن قيمتها المالية وغير ذلك، وقال لى بان شاه ايران وعده بثلاثة مدافع صحراء وطائفة من المدفعين لتدريب جماعة من اتباعه عليها واردف قائلا «وانا شخصيا سأتعلم وسأصبح كما سترى مدفعيا جيدا كمدفعى انكليزى. اما رأيت حصون القصر فى (سنه) ؟ اننى سأضع فيها مدفعا، واضع بعض الجاموس والاغنام على التل المقابل لها، وسترى كم سأقتل منها يوميا» لقد اصبح موقفه الان وديا، والحديث معه وان لم يكن مفيدا مما حواه من المعلومات الا انه كان مسترسلا لا تكلف فيه. ثم التفت الى موسى خان وخاطبه بالكردية قائلا «لقد جذبنى والله هذا الرجل اليه»، ثم قال لى «اترغب فى مؤاخاتى ؟ انه من الخير ان يكون للمرء صديق مثلى، فانا رجل غنى». وقد جاء ذكر مكتبتى، فانتهز عمر اغا الفرصة بلباقة واخبره باننى ارغب فى الحصول على نسخة من كتاب تاريخ كردستان الشهير المسمى بتاريخ الاكراد، وكان عند ذاك فى اوج بشاشته فقال «أتريد تاريخ الاكراد ؟ انك والله ستحصل عليه»؛ لقد كنت فى بحث مستمر عن هذا الكتاب منذ عدة اعوام.

وكان يستحق ان يتحمل المرء عناء السفر الى (سنه) بغية الحصول على هـذا الـكتاب وحده* ويبدو انه اخذته مؤخرا سورة دينية فراح يذكر ويسبح، وقال بانه ينوى الحج الى مكة، ثم سأل بعض الحاضرين عن الوقت،

(*) توفق المستر ريچ فى الحصول على نسخة من تاريخ الاكراد هذا، ولكننى لا اتذكر الشخص الذى حصل عليه منه. والنسخة الان فى المتحف البريطانى مع بقية مكتبته الخاصة بالكتب الشرقية ـ الناشرة.

ملحوظة :ـ المقصود بهذا التاريخ هو الشرفنامة، للامير شرف خان البدليسى، راجع الحاشية (١) من الصفحة ١٢ من مقدمة وتمهيد محمد على عونى، فى الطبعة التى نشرها فرج الله زكى الكردى ـ، طبعة القاهرة .ـ المترجم.

ولما اخبروه به تناول حبة صغيرة من الافيون واردفها بقطعة من السكر، ودخنت الغلايين العديدة. ذكرت له رغبتي في الرحيل غدا، فرجاني ان أؤجل ذلك الى ما بعد الغد كي يقابلني ثانية. انه جاءني في الساعة الرابعة ومكث عندي حتى قرابة الغروب ثم استأذن في الانصراف بلطف وظرف، لقد كان يركب جوادا او بالاحرى برذونا ضخما على برذعة مكسوة بالمخمل، وكان خدمه يجفلون كلما التفت اليهم بغتة او كلم احدا منهم.

٩ ايلول.

كان على ان ازور الوالي اليوم استئذانا بالرحيل، وكنت قد طلبت اليه ان يضرب موعدا في وقت يكون فيه غير مشغول لان الاوقات عندي سواسية فاجاب بانه سيخبرني بذلك. لقد قضى الصبح بطوله في تصفية الحساب مع (بانه). انه فقأ اعين ثلاثة رجال من اعيان هذا الجزء من المملكة، ونفى نساءهم وبناتهم مع عدد غير يسير من الناس الى (سنه). لقد شاهدنا رتلا طويلا من النساء فوق الخيول يقطعن السهل بحراسة بعض اتباع الخان وهم يسيرون راكبين بين النساء؛ وكانت هذه مشاغل الخان صباح اليوم ومن حسن الحظ انها لا تبدأ الا في الحادية عشرة. وكلما كثرت اخبارنا عنه ازددنا كرها لوحشيته الطاغية. لقد ذهب بعد الظهر لمعاينة قرية كان قد استلبها وقبل ذهابه اليها بعث الى بخبر مفاده انه قضى اليوم يعالج امورا لم يستطع التخلي عنها ويرجو ان يزورني غدا فيودعني فيسير في اتجاه ونسير نحن في اتجاه اخر. وهذا التأخر في السفر ازعجني كثيرا، فاوفدت اليه استميحه العذر عن التأخر الى الغد، ولكنه كان قد غادر مكانه، ولم يعد الا في ساعة متأخرة من الليل.

آويت الى مضجعي في الحادية عشرة ولم استقر فيه الا قليلا حتى جاء رئيس الفراشين، وهو رئيس ناصبي الخيم، قائلا بانه تلقى الاوامر لتقويض الخيام حالا، فاستغربت من هذه الخشونة المفاجئة وبقيت انا وعمر آغا الذي حمل النبأ نجهل كيفية تعليله، غير اني قررت الحيلولة دون ذلك الا اذا استخدمت قوة متفوقة ازاءنا في تقويض هذه الخيام، وبالرغم من تأخر الوقت طلبت من عمر اغا ان يركب الى المدينة لمقابلة الوالي واستطلاع خبر هذا الامر الشاذ

فلبى عمر آغا الطلب وبعد نصف ساعة رجع ملاه ـ كاتبه ـ الفقيه قادر (وهو رجل من اطيب الناس، والكلام فى سرك) ليخبرنى بان القضية محض خطأ وان الميرزاوات طلبوا متوسلين به بان لا يشتكى لدى الخان، وقد امسى رئيس الفراشين فى رعب شديد وقال لو علم الخان بالامر لفقأ عينيه. واخبرنى عمر آغا بانه لم ير الوالى ونتيجة لذلك فانه يفضل البقاء فى المدينة ليأتى بالبغال ـ التى كان على الوالى ان يهيئها لنا، اذ لا يمكن الحصول عليها دون امر منه ـ لنستطيع الرحيل فى ساعة مبكرة من صباح الغد. ولقد استصوبت السكوت عن القضية لاننى لم اجد فيها اية اهانة مقصودة، واستنتجت بان الامر لم يصدر الا فى نوبة سكر شديد لان الوالى علاوة على تناوله الافيون يحتسى النبيذ بوفرة، ومن السهل جدا تصور استحالته الى وحش ضار فى مثل تلك الحالات. وهذا الحادث المزعج تركنى ساهرا حتى الثانية بعد منتصف الليل*.

١٠ ايلول.

نهضنا مع الشمس، ولم نجد البغال. وقد اخبرنى عمر آغا الذى عاد من المدينة بانها آتية ولكن تسعة منها فصلت من قافلة من بغداد مرت ببانه بطريقها الى بلاد الكرج، تلك القافلة التى انقذتها امس من دفع الضرائب المضاعفة وبعض التكاليف الثقيلة الاخرى التى اراد اعوان الخان فرضها عليها.

كان طعام الفطور المعتاد يهيأ لنا، وبعد تناوله كان الخان يرغب فى مواجهتى ليودعنى لقد اخبرنى كل من «وكيل الخرج» رئيس خدم الخان، وعبدالله بك، بكل ذلك. فغضبت وقلت لهما بانني لا اريد بغال القافلة ـ التى امرت باعادتها الى اصحابها، وتأكدت تنفيذ الامر بعدئذ ـ واننى سأسافر لوحدى تاركا الامتعة مطروحة فى محلها، ولا اريد مواجهة الخان مطلقا، وعلى ذلك ركب عبدالله بك وبعض اتباع الخان حالا مسرعين الى المدينة خببا، اما صاحب

(*) مات سائسى حسين المسكين ليلة امس، ولقد استسلم الى اليأس منذ ان هاجمه المرض بعد ان تركنا (سنه) مباشرة، وكان شابا طيبا. ومات حسن احد ناصبى الخيام فى احدى القرى فاضطررت الى تركه فيها، وقد مات سائس آخر فى السليمانية.

البغال فبقى بجانبى مع بغاله التى جىء بها الى مضربنا فى تلك الآونة. واسرع «وكيل الخرج» فى تقديم الطعام استرضاء لى وما كنت حاقدا عليه اذ كان رجلا خدوما مؤدبا، وهيأ عمر آغا ثلاثا او اربعا من دواب حمل جمعها من محلات مختلفة لتحميل اهم الاشياء والزمها والمضى بها. وقد اهتم قبل كل شىء بحقائب سرجى والمزولة، وكان الجمع فى هرج ومرج. وبعد ان سارت قافلة الأثقال التى تمكنا من تحميلها ركبت السيدة ريج والمستر (بەل) يرافقهما مريض واحد او مريضان من جماعتى ورجل يعتمد عليه من رجال العشائر من اتباع عمر آغا وهو ابن عم له، وقد تسلح ببندقيتى واتشح بسيف عريض لى اتشاحا مضحكا اذ رمى بمنطقته الجلدية العريضة والواحها المعدنية اللامعة فوق كتفه. لقد اصبح قائد القافلة، وهو بهذه القيافة فى وضع يصلح معه ان يترأس عصابة من قطاع الطرق.

وبعد ان سارت القافلة مدة نصف ساعة رجع عبدالله بك مسرعا ليخبرنى بان الوالى قد استيقظ الان من نومه وسمع بتأخرى عن الشروع بالسفر لقلة الدواب فامر بان يؤتى الى بجواده، وهو مهتم اهتماما فائقا بان لا يكون قد وقع ما يزعجنى، ويرجو ان اتناول كأسا من القهوة معه فى طريقى الذى يمر بالمدينة، وانه يرى باننى ازيده شرفا لو تقبلت منه برذونا رهوانا كدليل على رضائى عنه. لقد سررت لهذا التصرف لان الامور اخذت تسير سيرا وديا، وعليه بعد ان وزعت بعض الدراهم على جمع من الجشعين الذين ضايقونى ولم يقنعوا بما نالوا، واقناعهم مستحيل، ركبت متجها الى المدينة لتوديع الخان. فوجدته منشغلا جدا باملاء كتاب على احد الميرزاوات ـ الكتاب ـ وقد جثا امام الخان يكتب ما يمليه عليه بالحرف الواحد. وانى على ثقة بان الميرزا لو ترك وشأنه لكتب ما املاه عليه الخان باسلوب اخر.*

استقبلنى الخان بلطف وادب على طريقته الغريبة. وكان امامه ناظور مسرح صغير، وقال لى انه هدية من رئيس وزراء الشاه له، وطلب منى ان

(*) يختلف اسلوب الكتابة فى الشرق اختلافا كليا عن اسلوب الكلام. ويبدو ان ما يعنيه المستر ريج هنا هو لو ان الخان سرد خلاصة الموضوع الذى يريد كتابته الى ميرزاه لعبر هذا عنه باسلوب يختلف عن اسلوب الخان ـ **الناشرة**.

انظر فيه وسألني عن ثمنه. وقد استغرب لم لا يجسم هذا الناظور الاشباح بقدر ما يجسمها ناظور اكبر، ثم قال ما داموا قد بذلوا هذا الجهد في صنعه فقد كان الاجدر بهم ان يجعلوه بقوة المرقب في التجسيم. ودخل سلطان (بانه) نور الله سلطان وجلس عن بعد، فقدمه الخان الي بقوله :ـ ياخشي اوغلان، اي انه ولد طيب ـ وكان لهذا الولد الطيب لحية كثة سوداء طولها قدم تقريباً، وكان خوفه من مادحه ظاهرا عليه جليا ـ «وانه اهدى اليه، اي الى الخان قرية ـ وهي القرية التي اغتصبها الوالي اخيرا ـ وانه يريد ان يقيم فيها جنينة تفوق جنينة (خسرو آباد)، ويدعو الناس لمشاهدتها من الموصل، وحلب، والقاهرة». وقدمت الان اطباق الحلوى، وسألني الوالي عن الهدية التي ارغب في ان يرسلها لي، فاجبته ان الكتاب الذي وعدني به، سيكون عندي اثمن الهدايا كلها. فأكد لي بانني سأحصل عليه، وقال انه لم يكذب مطلقا وعليه فهو يعترف بان لديه نسختين منه، ولكنه يرغب في مقارنتهما، وانه سيرسل لي بكل تأكيد نسخة منهما مع رسول سريع من (سنه) على ان اعطه لقاء ذلك بضعة علب من البارود، وكرر السؤال عن الهدية التي ارغب فيها، والح علي في ذلك الحاحا، ولما رأيت اصراره اجبته بانني سأكون ممتنا جدا لو ارسل الي اي كتاب يعثر عليه ويعتقد باعجابي به، فلم يقنعه جوابي هذا والح علي ان اعين الكتاب فقلت له بانني بعد رجوعي الى موطني سابحث عن الكتب التي احتاجها فاخبره بها فاجابني عند ذاك بانه سيفتح معاملة معي، اي انه سيكتب الي عما يريده لارسله له على ان افعل مثله. وبعد مكوث قرابة ساعة ودعته، فنهض وصافحني واسمعني الكثير من كلمات المجاملة واصر لاخبره عن رضائي التام عنه. سيرحل الخان اليوم من (بانه) في طريق عودته الى (سنه)، وهذا يبعث الفرح في نفوس سكان هذه الديار.

رحلنا من (بانه) بعد الظهر بنصف ساعة، وبعد ان قطعنا السهل باتجاه شمالي غربي دخلنا واديا ضيقا، تحيط به تلال مكسوة باشجار البلوط، واستمر سيرنا فيه حتى الثانية الا ربعا ثم ارتقينا سلسلة تلال صغيرة حائدة عن الطريق، وفي الثانية وصلنا قرية (سوويروه ـ Swearwea) * الصغيرة الحقيرة فوقفنا

(*) والصحيح سور آوه ـ او آوا Sör - Awa اي «القرية ذات الماء المج» .ـ المترجم

عندها. ووجدت انا قطعنا الكفاية من المسافة فى مرحلة اليوم الاول، اذ بدأنا السير متأخرين. وهذا يوم عودة الحمى على الكثير من جماعتى. وكان يقصد عبدالله بك مرافقتى حتى هذا المكان، ولكنه ارتأى بانه يكون اعظم فائدة لنا اذا تخلف عنا ليرسل الباقى من الامتعة الينا ويطلق بامان وسلام المكارى المسكين الذى حميته، ولذلك ودعته فى (بانه) وهو الرجل الوحيد فى هذه المنطقة الذى اسفت لفراقه؛ انه شاب طيب خدوم، مرح.

سار فتى بجانب جوادى من (بانه) الى هذه القرية، وسألته عن مهنته فأجابنى انه اسكافى، فوددت ان استطلع ما يدفعه سنويا للحكومة فأجاب انه يدفع تومانا واحدا ضريبة فى كل خمسة عشر يوما، ولكن منذ ان جاء الخان الى (بانه) دفعت عائلته خمسة تومانات وكاد يموت جوعا من جراء ذلك، لان مهنته لا تدر عليه ما يكفى لاداء هذه الضريبة الباهظة.

١١ ايلول.

سطا علينـا ليلة الامس بعض اللصوص، فسرقوا من عدتى سرجين فضيين وبعض الاسلحة المطعمة بالفضة، وحالما اعلمونى بالامر اوفدت على آغا وهو من اتباعى والفقيه قادر وهو من اتباع عمر آغا الى امان الله خان لاخباره بما وقع طالبا منه العثور على اللصوص واعادة المنهوبات الينا.

وفى السابعة والنصف رحلنا من (سويرآوا) وبعد ان عدنا الى طريقنا امس سرنا باتجاه شمالى غربى فى الوادى حتى التاسعة فوصلنا وهدا فى الوادى ثم عرجنا عن طريقنا فوصلنا فى التاسعة والنصف قرية (نويزكه)، القائمة على تل يحد الوهد من الغرب. كان طريقنا اليوم منبسطا فى الغالب مكتظا بالاشجار واكثرها اشجار البلوط والكمثرى البرية، اما الارض فكانت اردوازية وجبسية، واننا لا نزال فى مقاطعة (بانه)، واذا كان الشىء بالشىء يذكر فانها مشتهرة باللصوص. ولما كانت الدواب التى حصلنا عليها فى (بانه) غير مكدة ـ واغلبها من البراذين ـ لم نستطع اجتياز (نويزكه)* اليوم، اذ لا

(*) معنى (نويزكه) ـ بالزاء والكاف الفارسيتين ـ المصلى وفارسيتها نمازكاه. ومعنى (نويز) فى الكردية الصلاة، والظاهر ان الكلمة ممسوخة من كلمة (نماز) الفارسية.

توجد قرية اخرى بينها وبين (مەروه) وهى على بعد اربع ساعات فى منطقة اصدقائنا البابانيين.

١٢ ايلول.

ان احمد بك رئيس القرية رجل لا جاذبية فى محياه، لقد كان ميالا الى المشاكسة. وقد علمنا صباح اليوم انه لا يريد ان يهيء لنا الدواب او يسمح لنا باستخدام دوابنا ايضا وقال انه تلقى الاوامر بذلك من سلطان (بانه).

وهذا غير مستبعد كما يبدو، اذ ظهر لى من مذكرة جاءتنى من السلطان - الذى لى الحق كله ان لا ارتاح الى سلوكه نحوى فى حوادث اخرى - انه كان يميل بها الى الانحياز الى رجل اوقفناه لما حامت حوله الشبهات القوية التى لها علاقتها باللصوص.

لقد اصبحنا فى مأزق حرج، فلقد سافر امان الله خان، ويبدو ان السلطة الوحيدة التى نستطيع الاعتماد على معاونتها لنا ازاء وقاحة هذا الرئيس، ستنحاز اليه اكثر من مساندتها لنا. ان القرية فى موقع حصين وتجمع ثلاثين او اربعين حامل بندقية، اما جماعتنا فقلائل بحد ذاتهم، وكلهم من الخيالة وقد انهكهم المرض، وهذا مما يعيقنا عن الاستعداد لمجابهة الطوارىء. واخذت اشعر الآن بالندم على اعادتى الجنود «السباهيين» الى السليمانية، اذ محض وجودهم معنا مما كان يعيد الامور الى مجراها الطبيعى، وبعد المشاورة مع عمر آغا فيما يجب عمله فى هذا الظرف الطارىء قررنا السير الى حدود البابانيين تاركين وراءنا الامتعة والخيام، فنرسل جماعة مسلحة من الشينكيين - قبيلة جبلية باسلة، على مقربة منا فى المنطقة البابانية - لانقاذ الامتعة. وقد غادرت قرينتى آنذاك المحل بحماية المستر (بەل) ومحمد رضا جاووش، وبعض الخدم، وكلهم راكبون مسلحون. اما انا وعمر آغا فتخلفنا لنتعهد المرضى ونقاوم اى هجوم نتعرض له، هذا ويبدو ان ما لاحظه احمد بك من موقفنا ومشاورتنا لم يرق له فجاء من فوره وقال بانه مستعد ليجهزنا بما نحتاجه من الحمير، وتم الاتفاق، وبعد مصاعب جمة، وتأخير طويل وقسمهم اليمين

وتهديدنا لهم احضرت الدواب فحملنا امتعتنا واركبنا مرضانا ودفعنا بها جميعا على الطريق الى مسافة لا يستهان بها قبل حركتنا. واستدلالا بسلوك هؤلاء وببعض ما بدا منهم عند رحيلنا خشى عمر آغا غارتهم علينا فى طريقنا، وكنا ولا ريب عازمين على المقاومة، وقد شعرت بالثقة التامة بكفاءتنا فى منازلتهم منازلة الند للند اذ كنا فرسانا ماهرين ومسلحين فنظمنا انفسنا احسن تنظيم مستطاع لحماية الامتعة والمرضى والعاجزين منا، واحتفظنا بتلك التنظيمات حتى اجتزنا الحدود بامان.

ويظهر ان كبير (نويزكه) رأى من الحكمة ان يدعنا نرحل عن منطقته دون ان يمسنا بضرر، اذ لم نر له ولاعوانه اثرا بعد ذلك.*

سرنا فى السابعة والنصف، واتجهنا ببطء نحو الطريق الذى تخلينا عنه امس فوصلناه فى الثامنة. وبعد قليل بدأنا نرتقى الارض بطريق جيد، وسط غابة من اشجار البلوط الضخمة واشجار الكمثرى البرية واشجار تشبه الزعرور ذات ثمر مستساغ، ووقفنا مرتين خلال تسلقنا الجبل الذى كنا نجتازه واسمه (بى‌لوو) وكان يتجه شماليا جنوبيا تقريبا، ولكن ارتقاء الجبل من سهل (بانه) كان ارتقاء تدريجيا بدرجة لا يظهر معها للجبل اثر فى ذلك الجانب، وعن يسارنا وعلى بعد قليل، يرتفع جبل (سوورکه‌ئوو ـ Soorkeoo)** بسفوحه الهدود وهو يتجه اتجاها جنوبيا شرقيا، ومنتهاه القريب منا مخدد بمياه (بانه) وبجداول اخرى وانه من الجلى جزء من السلسلة التى كنا نسير عليها، وهو على ما اعتقد نفس الجبل الذى يحد سهل (احمد كلوان) والذى اجتزناه فى طريقنا من السليمانية الى احمد كلوان بالطريق المسمى (تاريله‌ر)*** وبعد ان استرحنا وارحنا الحيوانات فوق قمة جبل (بى‌لوو) استأنفنا السير فى العاشرة والنصف. كنا نسير وكأننا فى لجة من الجبال تحيط بنا من اليمين واليسار، لقد كان البعض منها يمتد فى خطوط مستقيمة والبعض الاخر متكسرا،

(*) لقد ارسل سلطان (بانه) لى، احمد بك رئيس قرية (نويزكه) سجينا الى السليمانية لانزال ما يتراءى لى من العقاب به، ولا ريب اننى عفوت عنه وارجعته.

(**) والصحيح هو «سوور كيو ـ Soor - Kew » اى الجبل الاحمر. ـ المترجم

(***) والصحيح (تاريه‌ر) وهذا ما يعرف به اليوم. ـ المترجم.

متشابكا تشابكا يستحيل على المرء تخطيطه، ويبدو ان الارض كانت مغمورة بصفيح الاردواز وبالجبس والصوان.

وبعد قليل وصلنا قمة المرتفع، وبهبوطنا منه دخلنا حدود المنطقة البابانية، وكان المنظر رائعا بهيجا، وقد اخذ الطريق بالهبوط توا الى واد عميق ضيق لا يمكن للعين ان تدرك قعره، ثم ترتفع الارض ثانية فى الجانب المقابل الى ارتفاع اعلى من المستوى الذى نحن فيه، تعلوه قمتان* تصل بينهما صهوة، الشمالية منهما على هيئة غريبة التكوين كنا شاهدناها من (سويرآوا). لقد كان منظر البلاد خلابا فهى غنية باشجارها ووفرة قراها الخضراء الزمردية، لقد كانت فى مجموعها جميلة جذابة، وسلاسل الجبال وهيئتها تتكسر تكسرا بديعا، وكان اللون الغالب للتربة هو الاحمر الغامق، يتخلله اللونان النحاسى والاخضر الزمردى عند جوانب التلال حيث حددتها سيول المياه وانهارت جروفها. لقد استغرق هبوطنا الساعتين ونحن نمر من بين الغابات الجميلة الا فى بعض الفترات القصيرة جدا. وكان النزول هدودا، وما كان الطريق رديئا كما يتوقعه المرء وهو فى ارض جبلية كهذه، ولا ريب انه ليس هناك من امر يبدو اكثر وضوحا من الفرق بين «كردستانا» وايران اذا ما تأمل فيهما المرء من هذه البقعة. ان ما نراه هو ان التربة ذاتها قد تغيرت فى طبيعتها وفى لونها، فكل شىء كان مظهرا من مظاهر العظمة والجمال. وصلنا حضيض المهبط بعد الزوال بنصف ساعة فعبرنا جدول (بەروزه) او (بانه) حيث تتصل به جداول اخرى تنحدر من الجبال. وهذا النهير يفصل ايران عن تركية، وهو يسيل شمالا الى الغرب قليلا ويصب فى آلتون صو فى اعالى مياه (قالاجوالان)**

شعرت بغبطة قلبية لنجاتى من ارض المشاكل والشحاذين ودخولى بلاد الضيافة الحقة، وشعرت ايضا كأننى عدت الى دارى. ارتقينا المرتفع المقابل ومضينا نسير طوار سفحه، وقد شاهدنا طبقات احجار سمكها عقدتان

(*) تقع هاتان القمتان فى منطقة (سی‌وه‌یل).

(**) يصب ماء (قالاجوالان) فى التون صو بالقرب من (شينك).

او ثلاث عقد عند الجروف التى كونتها المياه، وهى ملتوية متشابكة تشابكا غريبا كانها قطع من مصاغ مخرم، صيغ على الطراز القديم.

وفى الثانية الا ربعا وصلنا قرية (مەروى) فى منطقة (آلان) وقد استقبلنا هنا الاكراد الاقحاح، وهنا يجوز لى ان اتوقع الان الاستمتاع بالراحة. وتقع القرية فى موقع لطيف على جانب الجبل وعلى ارتفاع غير كثير فوق النهر، وقد شاهدنا فى الجانب المقابل منه جبل (بى‌لوو) ممتدا شمالا والى الغرب قليلا وهو يكون هناك هوة - جرف سحيق - عظيمة من الصخر الاجرد تدعى (برى) ويشاهد المرء من فتحة او فجوة فى هذا الجرف شمال القرية منظرا صخريا جميلا اخر؛ ويزداد الجبل ارتفاعا وراء الفجوة. وترى مدينة (بى‌تووش) تحت الجبل باتجاه شمالى غربى وعلى مسافة ثلاث ساعات لا لبعد المسافة، بل لصعوبة الطريق، وعلى واجهة الجبل، قبالة (بى‌تووش) تقع منطقة بيشدر. وعلى الغرب منا سلسلة من التلال تسمى (كوور كوور) والظاهر انها تتصل بالجبل الذى وصفته الان، وتقع على جانبه القريب منا قرية (شينك) وهى على بعد خمس ساعات، وتقع (كلاله) بجوار (شينك) الى اليمين اى الى الشمال، كما تقع (مەركه) وعلى الجانب الاخر من السلسلة يفصلها نهر عن (بيتوين)؛ وهى على مسافة عشرة ساعات.

ويزرع الكثير من التبغ فى جوار (مەروى)، والقرويون الان يجففون اوراقه بنشرها على الحبال والقضبان. دخنت من التبغ على سبيل الاختبار فوجدته معتدلا فى نكهته. ويزرع الماش بكثرة فى هذه النواحى، ولمزارعه الخضراء منظر جميل بين التلال. وتكثر الادغال البرية خاصة فى هذه البقاع وهى على وجه الارض كالديباج.

١٣ ايلول.

سرنا فى السابعة فاخذنا توا نصعد التل، نحو القمة الغريبة الشكل التى ذكرناها واسمها (كمو - Gmo) .وتكثر الينابيع فى هذه الجبال، يستغل اغلبها المزارعون، بفتحهم السواقى لمياهها حول التلال لتسيل على المنحدرات كلما اقتضى الامر.

وفي الثامنة والربع وصلنا قرية (ديرى) الجميلة وقد اكتنفتها غابة من ابدع اشجار الحور التى شاهدتها حتى الان، وكانت ذات اغصان مديدة، وظل وارف. وكانت الجنائن والكروم تحيط بالقرية فى كل بقعة من جوانب الجبل، وقد تسلقت الكروم، فى اماكن عديدة على الاشجار وتدلت منها وامتدت من الواحدة الى الاخرى، كجدائل زهور وضفائر اغصان. وهنالك عدد وافر من الينابيع تتدفق من جوانب التلال فتسيل مياهها على جذور الاشجار بشلالات صغيرة لا حصر لها؛ وما كنا نسمع الا خرير المياه.

ليس من السهل على المرء ان يمر ببقعة بهيجة كهذه دون ان يقف عندها ويتمتع بجلالها، لقد ترجل عمر آغا وترجلت معه تحت ظل شجرة جوز عند ساقية صغيرة، فمد القرويون امامنا من فورهم فطورا من العسل فى اقراصه، والزبدة الطرية، والشنين، والاجاص والعنب. بقينا هنا حتى التاسعة والدقيقة العاشرة، ثم غادرنا المكان الجميل آسفين. ووصلنا بعد نصف ساعة تقريبا وكنا لا نزال نرتقى فى طريقنا، اعلى جزء من المرتفع وقد كان له مظهر مهيب، لقد كان العدد الوفير من الينابيع تتدفق من الارض فتسيل مياه جانب منها باتجاه شمالى نحو مياه (بروزه) وتنساب مياه الجانب الاخر على بعد قليل الى الجنوب فتصب فى مياه (شينك). لم نر اشجارا ولكن الارض كانت خضراء نضرة لوفرة المياه، ويعرف هذا المكان بـ (هزار كانيان) او الالف ينبوع. وهنا وصلنا الى اعلى قسم من طريقنا ولكن على ارتفاع اعلى منا تستوى قمة (كمو ـ Gmo) وصنوها، وهما صخريتان جرداوان. سرنا مدة والقمتان تشرفان علينا؛ لا يمكن اختيار طريق احسن من هذا الطريق يتاح لى فيه تكوين فكرة صحيحة عن سلاسل الجبال واتصالاتها. لقد كانت سلسلة (سوور كيو) على موازاة مع مسيرنا وهى كما توقعت سابقا تؤلف جبل (قزلجه) او (تاريەر)، وتتشعب من هذه السلسلة شعبة تنعطف مستديرة من جبل (سەرسير) ثم تؤلف الجبل الذى نسير عليه الان او تتصل به ويقع الى ما وراء هذا الجبل، او الى جنوبه جبل (كورره كازاو) الذى يمتد باتجاه جنوبى شرقى تقريبا نحو (تاريەر). وفى الارض التى تتخللهما تلال متكسرة ترتفع الى كل من السلسلتين بالتعاقب، وتقع القرى والبقاع

الخضراء على مسطحات سفوح الجبل حينا وعلى منحدراته حينا اخر وكل ذلك يؤلف تباينا جميل المنظر. فكلما سرنا مائة يرد جئنا ينبوعا بارد المياه اذا شربت منها آلمتك اسنانك. وكان للارض لون نحاسي كبريتي، وكان الطريق مسجرا كالمعتاد وهو وان كان رخوا صخريا فما كان رديئا كنيسم جبلي.

وبعد مدة قصيرة سقط نعل جوادي، ولم استطع الاستمرار على السير على طريق حجري كهذا وانا على حيوان ثمين كجوادي قبل اعادة تنعيله، ولم تمض الا برهة منذ ان اجزنا للنعال ـ البيطر ـ بالذهاب لزيارة حبيبته الساكنة في قرية مجاورة، وقد اركبناه وجهزناه تجهيزا شيقا لهذه الزيارة، ولكن عمر آغا حصل على ادوات التنعيل اللازمة، ونعل الحصان بنفسه قائلا «انني لا اسوم الجندي الذي لا يحسن تنعيل جواده بفلس واحد» لقد اعاقنا هذا الحادث زمنا ولم نصل قرية (كه‌ناروو) في منطقة (سي‌وه‌يل) قبل الساعة الثانية.*

١٤ ايلول.

التحق من السليمانية ليلة امس بعمر آغا الكثير من اعوانه، وقد اخبرني بان عنده ما ينوف على اربعين خادما وكلهم من القبليين الا ثلاثة او اربعة، واضاف قائلا بان ليس من صالحه ان يحتفظ بخدم من اهل المدن او القرى ثم اردف :ـ «انهم لا يرتبطون بك ارتباطا قويا، ولا يقفون بجانبك عند الشدائد، اما القبائليون فعلى النقيض من ذلك فهم وان لم يكونوا من قبيلتك او عشيرتك يتعلقون بك تعلقا شديدا، ولا يفصلهم عنك الجوع او العطش او الفقر او التعب، كلا ولا الخطر». وسرني كثيرا ان اعلم من رجال عمر آغا نقاهة المرضى من جماعتي في السليمانية.

وفي السادسة والنصف امتطينا الجياد وسرنا، وكان اتجاه طريقنا جنوبيا فاخذنا نهبط وهدا حتى حضيض (سه‌رسير) ثم افترقنا عن الوهد وعبرنا امتداد السلسلة التي قطعناها امس حيث تتصل بجبل (سه‌رسير) ثم انحدرنا

(*) كان جبل (سه‌رسير) في تمام الجنوب منا وعلى بعد ميل واحد تقريبا. وكان طريقنا اليوم بمحاذاة سلسلة جبل (سي‌وه‌يل).

الى نهر (سى‌وه‌يل)* وهو يسيل على طوار (سه‌رسير) ثم ينعطف شمالا وقليلا نحو الغرب ويتصل بنهر (قالاجوالان) عند (ماوه‌ت) فيتجه النهران الى (آلتون صو)٠ وكانت مياهه فى محل عبورنا على ارتفاع مع ركاب الخيال، لبضع خطوات ثم يصبح ضحضاحا، عرضه حوالى اثنى عشر، او خمس عشرة يردة، ولكن مسيله اوسع من ذلك وكثيرا ما يصعب عبوره فى الشتاء الا بالرماث «الاكلاك»٠

لقد اصبحت الارض الان طباشيرية، وانحدرنا الى سهل (شاره‌بازير) وبعد مدة قليلة ميزنا اليفنا القديم جبل (غودرون) وتلال (كويزه)، وهى جرداء متناسقة ممتدة ما امتد البصر كالاسوار ذات الابراج٠ لقد اصبحنا الان فى بقاع الاحجار الرملية، والتكتلات الصخرية، وقد تضاءلت الاشجار بل وانعدمت الا فى اماكن واماكن٠ وفى التاسعة الا ثلثا هبطنا واديا ضيقا كونه نهر (قالاجوالان)** وسرنا الى حيث مدينة (قالاجوالان)، العاصمة القديمة لهذا الجزء من كردستان٠ بنيت المدينة فى هذا المضيق، لانه يبدو ان الاكراد يفضلون هذه المواقع المنخفضة المستورة ليشيدوا فيها مدنهم وقراهم٠ ـ لم يبق من المدينة اثرا، الا بعض الاكواخ الحقيرة للقرويين الذين يقطنون المكان ـ ترجلنا فى (سليمان آوه) او (سليمان آباد) وهى حديقة مندرسة كان قد غرسها (سليمان به‌به) جد العائلة البابانية الشهير٠ وهذا الوادى مشهور بفواكهه الطيبة وخاصة الاعناب والرقى منها، وتصدر منه فواكه السليمانية كلها٠

(*) يتألف نهر (سى‌وه‌يل) من جدول (قزلجه) و (بيستان) ويجرى بمحاذاة سفوح (سه‌رسير) الشمالية٠

(**) ان نهر (قالاجوالان)، هو نهر (تان كووزى) ـ راجع حواشى الصفحة ١١٦ بذاته الذى يتجمع باتجاه (دوله‌دريز) ويمر بين جبال (كورره كازاو) ويبلغ عرض مجرى (قالاجوالان) نصف الميل تقريبا غير ان مياهه فى هذا الموسم منخفضة، اذ تستغل فى مزارع الرقى والحقول الاخرى٠ وتنصب فيه قبالة مدينة (قالاجوالان) مياه (جون كوره) المنحدرة من (سروجك) ويتعاظم نهر (قالاجوالان) فى الشتاء والربيع وكثيرا ما يملأ مجراه بكامله٠ ويوجد على مسافة اخرى باتجاه مجراه جسر مشيد من اغصان الصفصاف ملقاة على اعمدة حجرية، وقد جرفته المياه فى الشتاء الماضى٠

١٥ ايلول.

سرنا فى السادسة والدقيقة العاشرة وقد عم الجذل والفرح رجالنا لتوقعهم الوصول الى السليمانية بعد بضعة ساعات. وقد شعرت شخصيا بارتياح نفسى بمثل ما يتحسس به المرء عند عودته الى بيته، والحق يقال ان اللطف وحسن الضيافة اللذين لمستهما فى السليمانية هما من العوامل القوية التى تجعلنى ان اعتبرها موطنا ثانيا لى. وكان طريقنا كله يرتقى بعد الوادى، او منخفض مجرى نهر (قالاجوالان) ارتقاء هينا، وكان يعارضه خانق عميق حفره سيل جف الان، وقد انهارت التربة وتقوضت الاحجار الرملية وتدهورت وتراكمت فوق بعضها اكواما كالانقاض متبعثرة على غير انتظام*.

وفى السابعة والنصف وصلنا حضيض جبل (ازمر)، وبعد برهة بدأنا نرتقى انهد جزء منه بطريق جد معتدل متمعج على سفح الجبل دون ان يكون هدودا، وفى الثامنة وصلنا القمة، وبعد ان سرنا جنوبا مدة خمس دقائق بمحاذاة رأس الجبل بدأنا بالهبوط. وما كان القسم الاول من الهبوط رديئا الا ان الطريق اخذ بعد ذلك يمر لمسافة قصيرة على حافات مهاوى الجبل وقد امسى خطرا فى مكان اهملت تسويته لنتوء صخرة عظيمة فى وسطه، فاضطررنا على الزحف من فوقها، بعد ان ترجل كل منا وترك جواده ليشق له طريقا، فشقت الحيوانات طريقها ببطء وتؤدة وحذر؛ ولقد مر ذلك بسلام. وفى الثامنة والنصف وصلنا اسفل المنحدر الرئيسى، وما زلنا فى اتجاهنا الجنوبى ونحن ننحدر انحدارا تدريجيا فى واد ضيق تكون من الجانب الواحد من سفح الجبل ذاته ومن الجانب الاخر من هضبة متفرعة منه وعلى امتداد مواز له. وفى التاسعة الا عشرة دقائق مررنا من فجوة فى تلك الهضبة الى وهد السليمانية وقد الفناه فى التاسعة وقد اصبح اتجاه المدينة جنوبيا غربيا بعشرين درجة. وفى العاشرة وصلنا خيامنا فى حديقة الباشا فى (جوارباغ).**

وهكذا اتممت السياحة، وما كانت سارة لمرض اعوانى، فانها ولله الحمد

(*) وقد شاهدت الطباشير، خلال رحلة اليوم.

(**) وقد اصبحت محلة من محلات مدينة السليمانية الحالية. — المترجم.

كانت اقل عناء مما كان متوقعا اذا اخذنا بنظر الاعتبار الحمى التى تعرضنا لها، وضعف بنية البغداديين على تحمل المشاق وتهيبهم، وهم يؤلفون معظم رجال حاشيتى المسؤولين عن ادارتى. وكانت السياحة ذات فوائد جمة، لقد زرت اهم جزء من كردستان واعجبه، وما اندر الاماكن المعروفة فيها قبل زيارتى لها، تلك الاماكن التى لا يحتمل ان يزورها سائح اخر فى القريب العاجل. ان الطرق التى اتبعتها بحكم الصدف على الاغلب، او نتيجة لقرارات كانت بنت ساعتها كانت لحسن الحظ احسن الطرق التى مكنتنى من الحصول على فكرة عامة عن البلاد وهى الطرق ذاتها التى كنت احاول مسحها، لو كان لى العلم الكافى بتعميم الخطة العامة لانجازه.

الفصل العاشر

فشل التطعيم ضد الجدري ــ وفاة ابن عثمان بك ــ حزن الباشا ــ المواقع الاثرية في شهرزور ــ اسكندر الكبير والاميرة الهندية ــ اسماء المناطق ــ عمر آغا ــ اضطهاده وحبسه ــ تعلق اتباعه به ــ نزاهته ــ كراهيته لعثمان بك ــ رحمة الله التاتار ــ رحلته في الجبال المنيعة المنقطعة التي تسكنها عشائر الكلدانيين المسيحيين ــ العمادية ــ نصيحة الباشا الى التاتار ــ مصاعبه ومخاطره ــ المضارب الكلدانية ــ خبز الرز ــ دهشة الكلدانيين لرؤيتهم رحمة الله بينهم ــ ازدراؤهم لمحمد ــ اليزيديون ــ مدينة وان ــ اسماء القبائل الكردية ــ حفلة عرس ــ السيدات يرقصن ــ مقام المرأة الكردية ــ لباس الرجال ــ قصة دارەشمانه ــ شيخ باباني جليل.

* * *

٢٣ ايلول.

عند وصولي الى السليمانية اصبت بخيبة امل مريرة لعلمي بفشل خطة قرينتي في التطعيم ضد الجدري، لجهل الرجل الذي تعهد بتنفيذها وعجرفته. ويبدو ان اللقاح كان فاسدا، والطفح ناقصا. لقد اصيب به كل من لقح من الاطفال عدا واحدا او اثنين منهم. وكان نجل عثمان بك الثاني، وهو طفل جميل يبلغ من العمر سنة ونصف سنة، ضمن من اصيبوا، وتوفي امس.

ذهبت صباح اليوم لتعزية الباشا وعثمان بك، فوجدت الباشا بالغ التأثر، اذ كان يحبس دموعه بصعوبة، وقد اجابني على تعزيتي بصوت خافت متهدج وردد ذكر ابن اخيه الصغير مرة او مرتين بعبارات ملؤها الحسرة والحنان. وانتقلنا رويدا رويدا الى بحوث اخرى وعدنا الى موضوعنا القديم المتعلق بعاديات هذه البلاد. ان تحرياتي عن موقع مدينة (شهرزور) دفع الكثير من الاكراد الى التفكير في الامر. وافاد الباشا اليوم بانه يعتقد شخصيا بان المدينة القديمة تقع عند (قيز قلعەسی ــ حصن الفتاة) بالقرب من (بستان سوور) في منطقة شهرزور. ولا يزال هناك خرائب كثيرة، او بالاحرى انقاض خرائب عند (قيز قلعەسی) الواقعة على بعد ساعتين من (آربەد) وخمس ساعات من السليمانية، وان الاهلين لا يزالون يجلبون النورة من تلك الانقاض. ويدعى الاهلون بان (قيز قلعەسی) قد بناها اسكندر الكبير لاميرة هندية جاء بها من

الهند عند رجوعه من حملته عليها، وعلى اثر اصابتها بمرض نصح لها اطباؤها بان تقطن فى مكان مناخه يضاهى مناخ بلادها، فوقع الاختيار على سهل شهرزور لهذا الغرض. و (ياسين تەبه) و (كەورەقالا - القلعة الكبيرة) خربتان اخريتان فى تلك المنطقة، ومحل اخر اسمه (دزكەره). وخلاصة القول ان منطقة (شهرزور)، او فى الحقيقة هذا الجزء من كردستان كله، زاخر ببقايا الاثار القديمة، وان كان لا يمكن اعتبار اى واحدة منها خرائب بحد ذاتها. (١٧)

وعلى بعد ساعة ونصف ساعة من السليمانية، وتحت خط التلال المقابلة يقع (هەزارميرد) وهو موقع تذكر عنه الاساطير، ان عبدة النار او المجوس، كما ينعتهم الاكراد، دافعوا عنه دفاعا مديدا ازاء الغزاة الاول من الاسلام، وكان مسرحا لاصطدام عنيف. ويقال انه يمكن مشاهدة بقايا التحصينات على محاذاة قمم هذه التلال، بين مسافة واخرى.

انوى زيارة (شهرزور) حالما يعتدل الطقس. لقد بدا لى اليوم برهان قاطع على صعوبة الحصول على المعلومات الصحيحة من الشرقيين، حتى من المتصفين بالذكاء المفرط وبالصدق منهم، وكان عندى دليل اخر عن كيفية وقوع السواح فى افظع الاخطاء واشنعها على غير قصد منهم. فقد اخبرنى الباشا نفسه مرة اخبارا لا يقبل الشك بان اسم قبيلته هو (كرمانج)، اما الان فقد قال ان الامر ليس كذلك، بل ان (كرمانج) هو الاسم الذى يطلق على جميع الاكراد البابنيين* اما قبيلته بالذات فهى القبيلة البابانية، ولم يستطع هو او غيره من الحاضرين اخبارى عن معنى (كرمانج)، ومن اين اشتقت هذه الكلمة. وقد قال احد السادة من الرجال الحاضرين - واعتقد انه كان من العائلة ذاتها - بان العائلة البابانية هى فرع من قبيلة (سەككير) وان قبيلتى (شينكى) و (كەلالى) تمتان اليهم بصلة القربى، وان العائلة البابانية قد برزت وذاع صيتها منذ ان انقرض بيت (سوران) القديم، ولم يكن ذلك قبل مائتين من السنين كما ذكرت من قبل.** لقد انحدرت العائلة البابانية اولا من

(*) راجع الحاشية (*) من الصفحة ٥٥ وحاشية الصفحة ١٢١ .
(**) راجع الصفحة ٨١

جبل (بيشدر) واستولت على (مەركه) و (ماوەت) و (قيزلجه) من الايرانيين، و (زەنگەنه) من بيت من البيوتات، ولا يزال يسكن قسم من هذه العائلة (كرمنشاه) وهى وان تتكلم الكردية فلا تعتبر من الاكراد الاقحاح ويحتمل انها كانت من القرويين او الفلاحين.

وبعد ان فارقت الباشا، ذهبت لمقابلة عثمان بك، وقد اجابنى على تعزيتى له بموت ولده بالجمل القصيرة المعتادة «هذا امر الله، ولا مرد لامره، اطال الله فى عمر الباشا وفى عمرك» وبعد برهة قصيرة بدا يتحدث ويضحك كعادته، ثم فحص بعض الجياد، وجىء له ببعض احجار الرخام ليختار منها قطعا يزين بها جوسقه الجديد وجلب انتباهى الى انها احجار من (قەرەداغ).

يشكو اهل السليمانية كلهم من هبوب الريح الشرقية هبوبا غير اعتيادى فى هذه السنة مما جعل الموسم شديد الحرارة شدة لا تطاق وباعثا على الخمول، ولم ينجوا منه ثلاثة ايام متواليات منذ بداية الصيف* واننا منذ رجوعنا من الجبال ونحن نتلظى بحرارته وببواعث كسله، على الرغم من ان حرارته غير الاعتيادية قد خفت بعض الشىء. وفى خلال هذه الايام القلائل راقبت طبعة هذه الريح العنود، فوجدتها تهب هبوبا عاصفا على شكل تيار مستقيم فوق المدينة، فى الوقت الذى لا يهب عند خيامنا التى لا تبعد الا بضع مئات من اليردات الا نسيما خفيفا، ولم اجد هذا وحده، بل وجدت انها تهب حول خيمتى، والخيمة ساكنة سكونا تاما لا حراك فيها. وقبل بضع ليال، بينما كانت هذه الريح الشرقية تهب بشدتها عندنا، تمكن ميناس آغا من قطع السهل والذهاب الى الجبال المقابلة لنا. وفى اللحظة التى عبر بها نهر (تانجرو)، لم يجد لهذه الريح اثرا ولكنها داهمته فى المكان ذاته عند عودته.

٢٨ ايلول.

حصلت من عمر آغا على القائمة التالية فى مناطق هـذا الجزء من كردستان كلها، ابتداء من حدود بغداد**.

(*) راجع الصفحة ٧٨ والحاشية (*) فيها.

(**) (داووده)، تبتدىء على مسافـة اربع ساعـات من كفرى. و (دەلو)

٢٩ ايلول.

اخبرني صديقي الحميم عمر بك في سياق كلامه عن تاريخ حياته وما لحقه اخيرا من الاضطهاد فقال بان اربعة او خمسة من اخص رجاله كانوا قد سجنوا معه، وكان السجن رطبا خاليا من وسائل التدفئة، وموسم الشتاء في عنفوانه. وكانوا يأخذون في كل يوم واحدا او اثنين من رجاله الى خارج السجن حيث يجلدون جلدا مبرحا لاكراههم على القول والارشاد على مخبأ دراهم سيدهم وامواله وربما كان يجلد الواحد منهم مرتين في اليوم، وبالرغم من ذلك لم يبد الضجر على احدهم او اعترف. واجتمع رجاله في احد الايام وتوصلوا الى اخبار سيدهم بانهم دبروا خطة لاقتحام السجن في تلك الليلة وذبح الحراس والفرار بسيدهم الى كركوك، ولكنه منعهم منعا باتا عن هذه المحاولة، وكاد رجاله يموتون جوعا خلال مدة سجنه الا انه لم يظهر اي

و (زەنكەنە) و (كوم) و (زەن) او (زەند) وسميت هكذا على اسم قاطنيها، و (شيخان) و (نورە) و (جەمجەمال) و (جياسەوز) اى الجبل الاخضر و (كيوەجماله) و (شووان) و (جوبوق قلعه) و (عسكر) و (قالاسيوكه) و (كيردخەبەر) و (بازيان)، وهنا تنتهي الحدود الخارجية للسليمانية.

والان لنرجع الى (قەرەداغ) التى تحدها (دەلو) و (زەنكەنە) من الغرب والشمال اما من الجنوب فتمتد الى ديالى. ويعود مضيق (بانىخيلان) الواقع على ديالى الى (قەرەداغ). و (قەرەداغ) أيالة كبيرة تنقسم الى مناطق عديدة، وتسمى المنطقة التى يقع فيها (بانيخيلان) دبزيائيش (Dizziaieesh) وتقع فيها (كەورەقالا) ايضا.

(وارماوا) و (سەرجنار) وتقع السليمانية فيها. و (سورداش) ويقع جبل (غودرون) فيها، و (مەزكه) و (بيشدر) ومن بين (مەركه) و (بيشدر) يمر نهر التون كوبرى الذى ينبع من (لاجان) الى مسافة خمس او ست ساعات غربى (صاووق بولاق). - صابلاخ - و (كەلاله) و (شيينيك)* و (ماوەت) و (آلان). و (سيوەيل) و (سەرآوميراوە) التى تحدها (ماوەت) و (سيوەيل) و (آلان). و (بالوخ كابيرون)** و (شاربازير) و (بەركەئوو) + و (سەروجك) و (كل عنبر) و (حلبجه)، التى تحدهما (كل عنبر) و (جوانرو) و (وارماوە) و (زهاو). (شەميران) وهى منطقة جبلية صحراوية تقع على الضفة الاخرى من ديالى: (جەوثان) وتكتب (جفتان) وهى تحادد (قزلجه). و (قزلجه) و (تەرراتوول) + +، و (قەرە حسن) وهى منطقة تلحق احيانا ببغداد واحيانا بكردستان وتحدها (كركوك). و (ليلان) و (جەمجەمال) و (شووآن).

والصحيح :- *شينكايەتى **بالخ وكايبلون. + بەركەلوو. ++ تەرەتولوو. — المترجم.

منهم رغبته فى تغيير ما هو عليه من الحال او ترجيح خدمة اخرى على خدمته. ان اكثر رجال عمر آغا بالاضافة الى انهم قبليين، فانهم سليلوا اناس كانوا فى خدمة والده، فوالده الفقيه قادر وسكرتيره وزوجته واخواته واخوانه الصغار كلهم يعيشون فى حرم عمر بك، ويعتبرون جزءا من العائلة ذاتها، ويشاركه رجاله كلهم السراء والضراء، ويفعلون ما يفعل ويجوعون او يلبسون الاسمال البالية عندما يجور عليه الزمن، ويكسبون المال عندما يعود الى منصبه، كل ذلك دون تضجر، او تأفف، بل انهم يتلقون كل هذه كامور اعتيادية لا مفر منها. وعمر آغا نفسه لا يعدو عن كونه مثلا لهذه الاخلاق وهذا الوداد. فالباشا وان كان فى الحقيقة يوده ودا اكيدا الا انه غلب على امره بتحريض من عثمان بك الذى يكره عمر آغا فعامله معاملة قاسية جدا. ولاقتناع عمر آغا بان الباشا يوده وللاحترام العظيم الذى يكنه لعبدالرحمن والد الباشا فانه لم يفكر مطلقا فى التخلى عنه، كما لم يبد تذمره منه الا عند التحدث الى من يعتمد عليه من الاصدقاء. وفى هذه الحالة لم يكن كلامه لينم عن تذمر او تبرم بل انه صوت توجع اليم ليس الا. وعندما رثيت لضعف الباشا، اجابنى عمر آغا من فوره وبصدق واضح قائلا «اؤكد لك يا سيدى بانه ليس كذلك انما هذا شأنه ازائى فقط» وما كان قوله هذا تصنعا بل كان منبعثا من الصميم، وقد قاله حذرا من ان اجور فاظن فى سيده. لقد انحط مستوى عمر آغا المالى لدرجة الفقر المدقع لسوء المعاملة التى يلقاها من جراء عداء عثمان بك له، كما سبق ان ذكرت، وهو لا يخفى سخطه عليه، ومع هذا فهو لا يتشكى بل يبذل اعظم الجهد لكى لا يشعر بضيق ذات يده وحاجته. وبالرغم من مصاحبتى له منذ بضعة اشهر، لم يظهر مثقال ذرة من التلميح او الرغبة فى الحصول على شيء منى، ولو كان اغنى الاتراك فى مكانه لما تردد فى الاستجداء منى بصراحة خلال نصف تلك المدة. وعندما اوفدت قبل بضعة ايام تاتارا الى استانبول تلك العاصمة التى اصبحت الان تحوى كل ما يحتاجه المرء من المواد الكمالية والضرورية التى قد تغرى اى شرقى، وسألت عمر آغا عما يرغب فى جلبه له منها، فاجابنى بانه لا يتذكر احتياجه الى اى شيء، وغير مجرى الحديث فورا. وكان (المصرف) بين الحاضرين فطلب منى ان اجلب

له قطعة كهرمان لمبسم غليونه. وعمر آغا لا يتودد الى عثمان بك، القادر على تحطيمه اذا اراد. وهو يظهر فى حضرته انوفا على الدوام كانه لا يخافه ولا يخشاه. ولما سألته لماذا لا يتقرب الى البك او يذهب اليه الا معى اجابنى «لانه اساء معاملتى وانى لا اوده» وصفوة القول ان عمر آغا هو الشرقى الوحيد الذى عرفته حتى الان خلال اختباراتى الطويلة للعرب والاتراك والايرانيين، الذى استطيع ان القبه بالفتى «جنتلمن» بكل ما فى تلك الكلمة من معنى.

٣٠ ايلول.

وصلتنى هذه الساعة رزمة اخرى من (بومباى) يجب ارسالها الى استانبول. وكان رحمة الله آغا هو التاتار ـ الساعى ـ الذى اتانى بها من بغداد وهو الشخص الذى حاول خلال ثورة سعيد باشا الذهاب الى استانبول بطريق (العمادية) و (وان). وقد بحثت معه بحثا طويلا فى هذا الطريق، وهو طريق غريب جدا، لم يحاول اى تركى آخر سلوكه*.

(*) للوصول الى آسيا الصغرى بهذا الطريق، على المرء ان يمر فى البلاد المنيعة المنقطعة التى تقطنها العشائر الكلدانية المسيحية وهم، على ما اعتقد، المسيحيون الوحيدون فى الشرق الذين حافظوا على استقلالهم ازاء المسلمين، وقد استعدوا لهم استعدادا قويا. وننقل ادناه عن هؤلاء القوم الغريبى الاطوار، ملاحظات وردت فى مذكرات المستر ريج «ان اوحش عشائر (جولەمەرك) او (حەكارى) المنقطعين هم العشائر الكلدانية، وهى اربع وهم لا يعبأون بأمير (حەكارى) ويعيشون عيشة وحشية تامة. فهم يدينون بالديانة المسيحية ومن اتباع نسطوروس ورجالهم مشهورون بقوتهم وضخامة قاماتهم وشجاعتهم، ويقال ان المرور ببلاد هم اكثر خطرا من المرور بين العشائر المسلمة. وهم يسكنون الاصقاع بين (العمادية) و (جولەمەرك) وليس فيها الا عشيرة مسلمة واحدة، ويؤدون احيانا بعض ضرائب الى امير (حەكارى) اذا استرضاهم او استعطفهم، اما كرها فلا. وتمتد منطقة (حەكارى) الى مسيرة ساعتين من (اورمية) تقريبا ويدفع مصطفى خان الامير الحالى «بيشكەش» او هدية الى عباس ميرزا حاكم تبريز.

ويقول (كيبون) فى معارض كلامه عن هؤلاء القوم المتوحشين ان « (الكاليبيين ـ Chalybeans) قد اخذوا اسمهم وخلقهم من طبيعة التربة الحديدية، فهم منذ عهد (سيروز) كانوا مصدر سلسلة لا تنقطع من الحروب والتدمير وان جاء اسمهم تحت اسماء مختلفة كالكلدانيين (Chaldeans) والزانيين (Zanians) وفى عهد جستنيان (Justinian) آمنوا بالاله واعترفوا بامبراطور الرومان» ـ راجع الصفحة ١٣٤ من المجلد السابع من «انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها. لندن ١٨٠٢

وتنفيذا لتوصية حاكم اربيل استصحب معه من (عين كاوه)* مترجما كلدانيا ليعاونه وهو بين عشائر (جوله‌مه‌رك) الكلدانية. وذهب من اربيل الى عقرة او (نائوكور ـ Naoukor) وهى على مسيرة يومين باعتبار مسير اليوم الواحد اثنى عشر ساعة، وكان الطريق مستويا بعض الاستواء حتى بدأ التاتار يرتقى الجبل الى قلعة عقرة، ومن هناك تبعد العمادية مسيرة يومين، يقطعها الراحل فى اثنى عشر ساعة يوميا، والطريق جبلى وعر جدا. وقد بذل زبير باشا حاكم العمادية الجهد لاقناعه بالعدول عن السفر اذ انه محفوف بالمخاطر ان لم يكن مستحيلا ولكن التاتار اصر على رأيه، فاسدى له الباشا عندئذ بعض النصائح منها ان يدفع ثمن كل ما يأخذه منهم، وان لا يبخس قيمة اى طعام يقدم اليه، بل عليه ان يظهر الرضى عنه ويمدحه اذ ان الناس الذين يقطنون البلاد التى سيمر منها وخاصة المسيحيين منهم من اشرس الناس واكثرهم حقدا، ومن المتقلبين فى اهوائهم واطوارهم وهم سريعو الصراخ والانفعال، وان اقل تعريض بهم قد يؤدى الى هلاكه. ثم اعطاه بعض الرسائل وارفق معه شخصين او ثلاثة من المطلعين على المنطقة. ولكن سفرته كانت سلسلة مصاعب مستمرة، فقد سلبوه ماله وسلاحه ومع ذلك فانهم منوا عليه بقولهم انه انما نجا من اى اعتداء اخر بفضل توصية زبير باشا به. وقد استغرق طريقه من العمادية الى (وان) ثلاثة عشر يوما بما فى ذلك تأخره اربعا وعشرين ساعة فى (جوله‌مه‌رك)**. ان منطقة (حه‌كارى) من المناطق

(*) قرية بالقرب من اربيل يقطنها المسيحيون وحدهم.

(**) (جوله‌مه‌رك) عاصمة منطقة (حه‌كارى) الكردية، وتقع فيها ايضا قوچ هانه‌س ـ Kotch Hannes. مقر البطريرك الكلدانى، وهو يقود دوما فرقة من الجيش فى اى حرب تنشب بين امير (حه‌كارى) وايران، التى تقع عاصمته على حدودها بين (جوله‌مه‌رك) و (سالماست)، وهو مشهور ببراعته فى استعمال البندقية والسيف، كما يجيدها اكثر السراق المدربين من اتباعه. وعنوانه بالكلدانية «قاثوليقيا» اى الجاثليق، وهو يقيم فى صومعة كبيرة. ويقال ان هناك بالقرب من (جوله‌مه‌رك) منجم حديد ومنجم رصاص، وهما ملك امير (حه‌كارى) عدا يوم واحد من السنة هو يوم عيد القديس جرجيس حيث يحق لصومعة نسطورية مكرسة لذلك القديس، ان تستخرج من المنجمين ما تستطيع استخراجه من المعدن طيلة النهار. وهذا الدير يقع بين عشيرة

الجبلية المنيعة جدا وتمتد مناعتها طيلة الطريق حتى (وان) وهى فى اغلب اقسامها مكسوة بالاشجار او الغابات الكثيفة. وسكانها اوحش من الاكراد والعرب الذين شاهدهم التاتار، والجبال فيها شامخة شموخا متناهيا لدرجة انك بعد ان تتسلقها احيانا وانت تبارح القرية، تسلقا ملتويا بطيئا مدة اربع او خمس ساعات ترى القرية ثانية وكأنها لا تزال تحت قدميك. اما المراحل اليومية فطويلة جدا تبدأ فى شهر تشرين الاول قبل شروق الشمس وتنتهى بعد غروبها. وبعد مسير خمسين ساعة من العمادية ادرك التاتار قرية مبعثرة يمتد طولها مسيرة ساعة تقريبا. وكانت هذه مضرب عشيرة من العشائر المسيحية، واكواخها مشيدة من قرم الاشجار، وكان سكانها اوحش الناس الذين رآهم فى بلاد المتوحشين هذه. وهؤلاء الكلدانيون على حالتهم هذه يلبسون البرانيط المصنوعة من قش الرز وهى تشبه البرانيط الاوربية. وهم لا يعرفون الحنطة او الشعير، ولا يزرعون الا الرز الذى يصنعون خبزهم منه. وهم يمتازون على غيرهم من الناس بطول قاماتهم وبقوتهم. ولم يستطيعوا إكرام التاتار بغير الجوز والعسل وخبز الرز، وقد استوفوا عن هذا الطعام ثمنا غاليا، وقد اطرى التاتار على هذا القوت اطراء حارا نزولا عند الوصايا التى تلقاها فى العمادية، وان كان التراب والتبن والرماد يساوى مقدار كمية الرز فى ذلك المزيج الردىء الذى سموه خبزا. وهم لا يتكلمون الكردية عدا اثنين او ثلاثة منهم، اما لغتهم فلم تكن مفهومة تقريبا لدى المترجم العينكاوى. ولقد اظهروا الاعجاب الشديد بهيئة التاتار الذى لم ير من الفطنة، او حسن العاقبة ان يبدى نفس الاعجاب بهم. وقد سألوه ما عساه ان يكون من الرجال، ؟ فاجابهم بانه عثمانى، ولكنهم لم يفهموا معنى ذلك، وكان من المثبين له، وان لم يجرأ على اظهار اشمئزازه، لما افادوا بانهم لا يعرفون السلطان ولا يعبأون به على انهم فهموا انه مسلم فقالوا له حينذاك انهم اقاموا فى مكانهم هذا قبل ظهور نبيه (محمد) بكثير، ومع هذا فانهم لم يسلبوه، وقد

النسطوريين المسماة (جوالاخ) وهى على بعد ثلاثة ايام من (جولهمەرك)، وهم يعتقدون ان فى يوم عيد القديس تزداد بركة المنجمين بالمعادن اكثر من الايام الاخر. — من مذاكرات المستر ريج —. الناشرة.

غادرهم وهم معه على اتم ما يكون من الوئام. وقد اخبروه بانهم لم يسبق لهم ان رأوا خيالا يمر من جبالهم. وقد شاهد ايضا الكثير من اليزيديين عبدة الشيطان، ولم ير امير (حه‌كارى) الذى ليس له على ما يظهر الا القليل من السيطرة على رعاياه، وذلك لانهم كلهم من ابناء القبائل. ولم يكن فى (العمادية) و (حه‌كارى) صنف من الناس يصح القول عنهم بانهم قرويون او صنف اخر يقال عنهم فلاحون. وهذا دليل، على ما اعتقد، بان هذه المناطق هى الموطن الاصلى للاكراد والكلدانيين، فى حين ان وجود عنصر (التاجيك) او (التات) فى انحاء كردستان السفلى كافة يدلنا على ان هذه المناطق انما هى بلاد دخلها الفاتحون. وفى الاخير وصل التاتار الى (وان)، ولا ريب ان فرحه بوصوله، لم يكن قليلا. وقال رحمة الله ان (وان) وان كانت امارة كردية ولكنها متمدنة، وقد قال له اميرها درويش باشا بانه لم يسبق له ان عرف غريبا انحدر من هذه الجبال.

١ تشرين الاول.

هطلت الامطار مدرارا صباح اليوم لمدة ساعة تقريبا، وكان هطولها سابقا لاوانه ويعتقد انها ستضر مشاتل الرز، وهو على وشك النضوج.

وفيما يلى، على ما اعتقد، بيان واف عن العشائر او القبائل القاطنة فى ذلك الجزء من كردستان الذى تحكمه حكومة باشا السليمانية.

اولا. القبائل المتوطنة، والساكنة فى مناطق خاصة.

أ. فى منطقة بيشدر :-

عشيرة سه‌ككير، ونورالدينى. وعدد قرى هاتين العشيرتين يقارب المائة قرية، وهم قادرون على حشد الف حامل بندقية تقريبا.

ب. فى المناطق المسماة باسماء عشائرها :-

شينكى	٢٠٠ عائلة	والعشيرتان قبليتان صرفا.
كه‌لالى	١٥٠ عائلة	

ج. سى‌وه‌يل. ان المنشأ الاصلى لهذه العشيرة مشكوك فيه، ومهما كان الامر فانها الان عشيرة. وافرادها لا يختلطون بالقرويين.

اما المناطق الاخرى فسكانها خليط منهم القروى، ومنهم القبلى، اى ليست هناك قرية مسكونة من طبقة واحدة من هاتين الطبقتين.

ثانيا. القبائل او العشائر الرحالة او التى تسكن المضارب.

أ: الجاف: هناك اثنى عشر فخذا لقبيلة الجاف. ولا يوجد اكثر من ستمائة عائلة من الجاف الاقحاح ولكن يوجد تحت حماية الجاف الفلول الكثيرة من جميع عشائر لورستان، وكوردستان الايرانية، وبذلك تصبح قوة القبيلة بمجموعها بضعة الاف من العوائل، ويمكن للقبيلة ان تجند الفا من حملة البندقيات وثلثمائة خيال للدفاع عن نفسها، ولكن عند التجمع لمصلحة الباشا لا يمكن اقناع القبيلة على حشد هذا العدد. والقبيلة بكاملها تدفع للحكومة جزية سنوية مقدارها ثلاثون كيسا وقد تقل عن ذلك احيانا. (وكان الكيس ٥٠٠ قطعة من النقود المتعامل بها، فضة كانت او ذهبا. راجع الملحوظة (١٨) . — المترجم.)

اما القبائل الاخرى فتدفع نسبيا جزية اكبر من هذه بكثير لانها لم تكن قوية قوة الجاف او محمية حماية كالجاف.

عشيرة شيخ اسماعيلي	٥٠٠	عائلة.
عشيرة كەلهور	٢٠٠	عائلة.
عشيرة مەندیمی	٣٠٠	عائلة.
عشيرة كەلو- كەوانى	٢٥٠	عائلة ليست من عشائر الجاف . — المترجم.
عشيرة مەرزینك	٨٠	او ٩٠ عائلة (هذه العشيرة كانت جزءا من البلباسيين).
عشيرة تیلەكو	١٠٠	عائلة.
عشيرة كووسا	٦٠	عائلة (وصحيحها كوستا . — المترجم).
عشيرة هەماداوەند	٢٠٠	عائلة (وهى: هەماوەند . — المترجم).
عشيرة سوفیاوەند	٤٠	او ٥٠ عائلة وهؤلاء قسم من عنصر عشيرة (لەك)
عشيرة كەجەلى	٤٠	عائلة (وهى قرية ايضا، يسكنها قسم من عشيرة شيخ اسماعيلي . — المترجم).
عشيرة جكنى	٤٠	عائلة.
عشيرة زەنكەنە	٤٠٠	عائلة مشتتة فى القرى.
عشيرة زەند	٦٠	عائلة (عشيرة كريم خان، شاه ايران الذى خلعه القاجاريون — عشيرة الشاه الحالى — عن العرش). وعندما جاؤا الى هذه البلاد كانوا رحلا ثم سكنوا القرى والكثير منهم يقطن الان فى (زەنكەباد) كما انخرط الكثير منهم فى جيش باشا بغداد.
عشيرة كروەئى	٦٠	عائلة (وهم الكرويون، اصلهم عرب، وكان هؤلاء يقطنون (قەرەتەبە) . — المترجم).
عشيرة لور	٦٠	عائلة (وهؤلاء من الفەوليين).
عشيرة سەدەئى	١٠٠	عائلة (والصحيح صەدائى . — المترجم).
عشيرة كوورزەئى	١٠٠	عائلة (اصلها من كوى سنجاق، وهنالك قرية بهذا الاسم ايضا . — المترجم).

ولا تعتمد اية عشيرة من هذه العشائر على الجاف، وان كان الكثير من عوائلهم تحت حماية الجاف، ولم تذكر عدد افراد تلك العوائل فى هذه القائمة. ولما كانت قبيلة الجاف قوية ومحمية حماية جيدة، يلتحق يوميا بها عدد من رجال العشائر الاخرى المضطهدين.

وليس من بين العشائر المذكورة اعلاه عشيرة كاملة، بل هى فلول فقط لعشائر لها اقسامها الاخرى فى مناطق (سنه) او (كرمنشاه) او (لورستان). (١٩)

٢ تشرين الاول.

على اثر سماعى بحفلة عرس تقام فى دار ضواحى المدينة، عزمت على ان اكون احد المتفرجين فيها، وتحاشيا من جلب الانظار وضعنا انا والمستر (بهل) عمامتين من الشال على رأسينا، اخفاء لملابسنا وارتدينا عباءتين سوداوين فوقها وذهبنا بعد هذا التنكر ليلا لمشاهدة الحفلة. وبعد مسير طويل وصلنا محل الحفلة وهو دار اعتيادية، فاندمجنا بين جموع المتفرجين الكثيرين فوق سطح الدار وهو لا يعلو عن الارض اكثر من ست اقدام. وكان فناء الدار وهى مسرح «العرس» تضم حشدا من الاكراد من مختلف الطبقات والاعمار، من فتى يلبس عمامة ذات عذبات ملونة الى وحشى مخيف فى فروة من جلد الماعز وكان الكثير منهم يتماسك بالايدى فى رقصة تسمى الدبكة «جوبى» على دائرة غير متصلة المحيط وقد اشغلت ساحة الدار بكاملها تقريبا. والرقص عبارة عن هز الابدان الى الامام والخلف، والمراوحة اولا بقدم واحدة ثم بالاخرى، وضرب الارض احيانا بالاقدام ضربا قويا. وقد ذكرنى هذا الرقص بالاغنية الايرلندية Rising on Gad, and Sinking on Sugan اى انهم يعلون مرة ويهبطون اخرى.

وكانت افراح قلوبهم تعبر عن نفسها بين الفينة والاخرى بصيحات صاخبة، اما الذين لم يرقصوا فقد ملأوا ما بقى من الساحة واحتشدوا فوق السطوح التى تحيط بفناء الدار من جهاته الاربع. وجلس عدد اخر القرفصاء فى وسط دائرة الرقص ومن بينهم الزمار والطبال. وكان المحل مضاء بثلاثة مشاعل ولكن الجموع لم تكن لتهتم بسحب الدخان والشرر المنبعثة من لهيب المشاعل. وكان الراقصون يرقصون منذ اكثر من ساعة قبل وصولنا اليهم. وبعد ان تمتعوا برقصهم مدة نصف ساعة اخرى توقفت الموسيقى وانصرف

الراقصون ليفسحوا المجال لغيرهم، وذلك بهجوم، من صاحب الدار وبعض اصحابه وهم مسلحون، بالعصى عليهم. وعلى اثر انفضاض الجماعة الاولى بهذه الطريقة وفراغ الدائرة منهم قفز الى وسط الساحة كردى ضخم اخذ يضحك الناس لبضع دقائق بقفزاته المتنوعة وبعض العابه التى مارسها مستعينا بمقمعة كبيرة كان يحملها. ثم بدأت الموسيقى تعزف ثانية لحن الدبكة (الجوبى) فتقدم رتل من ثلاثين امرأة تقريبا متماسكات الايدى بخطى وئيدة رشيقة وهن على اتم ما يكون من التزين بالزراكش الذهبية واثواب الحرير الملونة، دون اى حجاب. لقد كان منظرا بديعا حقا، بل كان امرا جديدا بالنسبة لى، اذ لم ار حتى الان النساء فى الشرق — وخاصة السيدات منهن — مختلطات بالرجال بمثل هذه الحرية دون الالتجاء الى التحجب؛ بل ان نساء العشائر العربية اكثر تحجبا بالنسبة اليهن.

تحرك صف السيدات هذا ببطء وتموج حول الساحة، وهن فى رقصهن يتقدمن حينا خطوة نحو مركز دائرة الرقص ويتراجعن حينا اخر، ويهززن قاماتهن ورؤوسهن هزا متزنا، ظريفا كل الظرف. لقد كانت النغمات هادئة متئدة، اما السيدات فلم يقمن بأية حركة نابية فى رقصهن، ولم يبالغن فيه. لقد انشرح صدرى لهذا المنظر الذى دام قرابة نصف ساعة. ثم انقطعت الموسيقى فانسحبت السيدات الى بيوتهن، بعد ان تحجبن من القمة الى الاخمص، وهذا امر يعتبر فى الواقع تدبيرا لا محل له، اذ من شاهد الرقص من الرجال كان اكثر عددا ممن يحتمل ان يقابلنه فى شوارع السليمانية، واغلبهن كن جميلات فاتنات.

قد يكون من العبث ان نقول بعد وصفنا هذا المشهد بان النساء الكرديات فى بيوتهن اقل تحجبا من النساء التركيات بل والعربيات. ويسمح للرجال من الخدم بالدخول الى بيوتهن، وهن لسن متحفظات كثيرا فى التحجب حتى امام الغرباء، وعندما يخرجن الى المدينة يرتدين ازارا ازرق محققا كالذى تلبسه نساء بغداد، ونقابا اسود من شعر الخيل، ومن النادر ان يرخينه فوق وجوههن الا اذا كن من سيدات الطبقة العليا وصادفن اناسا لا يرغبن فى ان يعرفوهن. ان رئيس خدم — حرم اغاسى — حرم الباشا الذى يجب ان يكون نزولا عند

العادات الشرقية من الطواشى، وعدد اخر من خدم الحرم، كانوا اكرادا اقوياء ملتحين. لم تحاول مطلقا سيدات كيخسرو بك التحجب حتى امام جماعتنا، وعندما ذهبت قرينتى لرد الزيارة فى خيامهن، وجدت رجالا بعدد النساء، اما نساء الطبقات الفقيرة، حتى فى السليمانية فيتجولن فى المدينة سافرات. وقد يشاهدن مبكرا، فى أصباح ايام الصيف وهن فى الفراش مع ازواجهن او عند تركهن مضاجعهن نحو اعمالهن، فوق سطوح الدور المنبسطة المشرفة على الازقة الضيقة التى لا تعلو عن الارض اكثر من خمس او ست اقدام، وعلى الرغم من هذه الحرية وما يبدو عليهن من مظاهر عدم الاكتراث فليس هنالك نساء يسلكن سلوك الحشمة والادب اكثر من السيدات الكرديات، وهن يفقن بفضائلهن النساء التركيات تفوقا بعيدا.

ان مقام النساء فى كردستان افضل بكثير من مقامهن فى تركية وايران، واعنى بذلك ان ازواجهن يعاملونهن على قدم المساواة، وانهن يسخرن من خضوع النساء التركيات خضوع العبيد ويحتقرنهن(*). وهناك ما يشبه الاستقرار العائلى فى كردستان، وهو امر معدوم فى تركية تماما. ولكن هنالك نوع من التعسف يقترفه بعض امراء الاكراد الاقوياء المتطرفين مما لا يمكن الخضوع

(*) لم تكن الامثلة نادرة عن شجاعة المرأة بين النساء الكرديات. زارنى فيض الله افندى الذى كان مرة (ديوان افندى) عند باشا بغداد وهو رجل حاذق، ذو ولع شديد بالميكانيكيات. ووصف لى ارغنا صنعه، وتمكن من ان يضرب عليه بعض الانغام التركية والفارسية. وعند مغادرته لى ومجىء خدمه بجواده واجتماعهم حوله التفت الى وخاطبنى قائلا اننى اريد ان اريك شيئا طريفا فى بابه قد لا تكون شاهدته فى حياتك. ثم نادى احد خدمه ليحضر وسألنى فيما اذا كنت الاحظ على الخادم شيئا غير اعتيادى فاجبته بالنفى، وزدت فقلت انى ارى فتى قويا فقال لى على اثر ذلك انه ليس فتى بل فتاة كردية بلباسية، وانها كانت احسن فارس واشجع جندى وافضل خادم يتصوره الانسان. وان سلوكها لا يشوبه شائبة مطلقا، بل انها زادت فى شرف بنات جنسها، كما زادت بشجاعتها شرفا على الرجال. وانها باكر، اراد احد الاتراك فى يوم من الايام بها سوءا فشقت بطنه قائلة، اننى لا اتردد من شق بطن سيدى اذا حاول معى ذلك. وهى تفخر لانها اندفعت بهجومها عدة مرات الى مدفع معبأ دون ان تنكس او تصوب رمحها الا عند وصولها الى قرب جنود المدفع. وكانت ترتدى لباس الرجال الاكراد وعلى رأسها شال حريرى. وهى ذات قامة هيفاء، يتراوح عمرها بين الخامسة والعشرين والثلاثين، ذات ملامح كردية اصيلة وقد لوحتها الشمس.

اليه فى تركية، وهو انه اذا احب رجل من تلك الطبقة فتاة فانه غالبا ما يجبر ابويها على تزويجه منها اذ ان وساوسه الدينية تمنعه من نوالها بطريقة اخرى، واذا ما ملها طلقها وزوجها من احد خدمه. والقرويون المساكين خاصة معرضون الى هذا النوع من الاضطهاد. وعثمان بك هو الامير الوحيد فى هذه العائلة الذى وقع بمثل هذه الجريمة. اما النساء من سبايا الحروب فيتخذن عادة جوارى فى البيوت ـ واغلبهن من اليزيديات، او من نساء الاصقاع الاخرى من كردستان. والرقص عند النساء الكرديات الهواية الكبرى، فكثيرا ما يتطوعن للخدمة فى حفلات الاعراس عندما لا يدعين اليها، وقد يحملن ايضا الهدايا الصغيرة الى العروس ليسمح لهن بالرقص، وهن يظهرن للملأ دائما فى مثل هذه المناسبات سافرات مهما بلغ عدد الرجال الحاضرين. والرقصات الشرقية على اختلافها على اسلوب واحد، وقد تكون موروثة من اقدم العصور. والدبكة (الجوبى) طرز من السيرتو الاغريقية او الروميكا ولكنها اقل انعاشا واقل تنويعا.

ولباس السيدات فى كردستان يشتمل عادة على السراويل التركية العريضة وعلى ثوب فضفاض يحزم من فوقه بحزام ذى عروتين كبيرتين من الفضة او الذهب. ويلبس فوق ذلك المشلح، وهو على نمط مشالح الرجال، ويزرر عند الرقبة ولكنه يترك غير مزرر من الرقبة حتى الاذيال كاشفا عن الثوب والمحزم، ويخاط عادة من الحرير المخطط او المشجر او من النسيج الملون او من القماش الكجرات او من المقصب الاستانبولى وذلك يختلف باختلاف الموسم او ثراء صاحبة اللباس. ومن فوق ذلك، يأتى الـ (بنش)* او الصدرية وهى من (الستن ـ Satin) عادة وتخاط كالمشلح، ولكنها ذات كمين ضيقين لا يصل طولهما المرفقين. ويستعضن عن الصدرية فى الشتاء باللبادة، وهى رداء من نوع الصدرية الا انه مبطن بالقطن. ويلبسن فى الشتاء الجاروقة (جاروكه) ايضا التى تصنع من انواع الحرير المربع الالوان. وهذه الجاروقة نوع من المشالح او اردية التدفئة من غير اكمام تشد فوق الصدر وتتدلى من على الظهر حتى تصل الى تحت الردفين. ولا تعتبر الجاروقة رداء بذاته انما

(*) راجع الحاشية (*) من الصفحة ٢٠٦ . ـ المترجم.

يستعاض عنها بالصدرية فى ايام المراسم والاعياد، وقد اقتبست عادة لبس الصدرية او الـ (بنش) من الاتراك او الايرانيين، ولذلك نرى ان منزلتها ارفع جدا من الجاروقة التى تبدو انها لم تكن الا رداء خاصا بكردستان. والنساء الكرديات لا يلبسن البرانص بل يستعضن فى ايام البرد عنها بمشلح اضافى او مشلحين. ويصعب فى الواقع وصف لباس الرأس عندهن وصفا دقيقا، وهو يتكون من المناديل الحريرية، او بالاحرى الشالات الملونة بالوان القوس قزح كلها، ينظمنها تنظيما فنيا فى الجبهة ويثبتنها بالدبابيس تثبيتا يجعلن منها تاجا او قلنسوة ترتفع الى قرابة القدمين، اما اطرافهـا السائبة فتترك مدلاة من وراء الظهر حتى كعوب الاقدام، والثريات منهن يزين جباه توجهن بسفائف ذهبية عريضة يتدلى من كل منها صف اوراق ذهبية صغيرة، ومن كل جانب من جانبى القلنسوة يتدلى ايضـا خيط من المرجـان. وهن يلبسن تحت هذه العمامة فوطة كبـيرة من الموسلين تلف من الامام وتعقـد فوق الصدر، ويبقى جزؤها الخلفى مسترسلا على الظهر. وعلمت ان هذه الفوطة لا تلبسهـا الا المتزوجـات منهن؛ ولا يظهرن كثيرا من شعورهن على نواصيهن، ولكنهن يعنين بالذوائب ويدلين ذوءآبة على كل من الصدغين. والنساء الفقـيرات من سكان المدن يقلدن السيدات فى طراز لبـاسهن. اما القرويات فى الارياف فلا يلبسن الا الجلاليب والسراويل من النسيج الازرق الخشن، ويحزمن الجلاليب من الوسط بسفائف وجاروقاتهن من قماش ازرق غامق ذى خطوط عديدة بيضاء فى حواشيها السفلى وهن يعقدنها من طرفها على صدورهن، ولباس رؤوسهن طاقية صغيرة.

ولباس رؤوس السيدات ثقيل جدا، يتحملن آلام شديدة حتى يتعودن على ارتدائه، وغالبا ما يسقط الشعر الكثير من قمم رؤوسهن. ومن الامور التى يصعب تصديقها انهن ينمن فعلا وعماماتهن على رؤوسهن وهن يستعملن وسادات صغيرة لاسناد الرأس عليها ولا يمتلكن من المجوهرات الا قليلا، اما حلاهن فتتألف على الاكثر من الذهب والمرجان، واما حلى الطبقة العامة من النساء فمن المسكوكات الفضة، والقطع المعدنية الصغيرة والخرز البلورى.

ولباس الرجال يشبه اللباس التركى فى الشكل والقماش شبها كبيرا

وقليل منهم عدا الباشا وعائلته من يلبس الجوخ او الصدريات (بنش) والجبب المصنوعة من الشال الانقرى.*

اللباس الاعتيادى الخارجى فيخاط كالعنترى** او كالرداء التحتانى، وهو يزرر عند العنق ويبقى مدلى مفتوحا، ويصنع من الاقمشـة الحريرية المطبوع عليها بالورود او الخطوط، ويستعاض عنـه فى الشتاء «باللبـادة». ويتمنطق الرجل من الوسط بنطاق ذى ابزمة ذهبية او فضية، او مرصعة باحجار لازوردية. وفوق كل هذا يلبسون العباءة بشكلها المعروف، والذى يميز الكردى بوجه خاص فى ملبسه هو عمامته وهى تتألف من «غترة» من القماش الحريرى المحقق بالالوان الحمراء والصفراء والزرقاء*** تتخلله خيوط من الذهب او الفضة. وتلف هذه حول الرؤوس على ان تبقى النواصى مكشوفة تماما وللاكراد نواص بديعة تنم عن الرجولة، ويتدلى على الاكتاف والظهر الكثير من الاهداب الملونة المخاطة بحواشى هذه الغترة؛ وذلك مما يخلع على الرجال منظرا غير مألوف لا يمكن وصفه وعلى الاخص عندما يخبون جيادهم. وعندما يلبسون الشال الكشميرى احيانا، والقليل من يلبسه منهم، يضعونه فوق اكتافهم بطريقة تترك اطرافه مدلاة على ظهورهم او جوانبهم ويلبس عامة الناس الاحذية ذات الرباط كالاوربيين تماما، وهى اما سوداء او صفراء مزينة بشلة. وقليل منهم من يستعمـل الاحـذية الصوفية (كلاش) وقد شاهدتها فى ايران؛ واعتقد انهم يجلبونها من تلك البلاد.

اما القرويون والفقراء من رجال العشائر فيلبسون الجلباب «الانتارى» ومن فوقه لباس مصنوع من الشال «شالوون» الخشن مفتوح الزيق، ويحزمونه من الوسط بحزام جلد وبزيم نحاسى، وهم لا يخيطون قماش هذا اللباس

(*) الـ (بنش) مشلح خارجى والجبة مشلح تحتانى، والكلمتان تركيتان. انتهت حاشية المؤلف. البنش تقابلهـا كلمة Riding Coat الانكليزية. وهو لباس رسمى كان يلبسه الاتراك اثناء ركوب الخيل ويعبر ايضا عن الجبة الفضفاضة التى يلبسها علماء الدين فى بعض المراسيم — المترجم.

(**) وهو الجلباب، والكلمة مشتقة من كلمة (آنتارى) التركية، يقابلها في العراق الدشداشة، وفى مصر الجلابية — المترجم.

(***) يفضل الاكراد رجالهم ونساءهم ابهر الالوان واسطعها فى ملبسهم.

الى بعضه البعض من المحزوم فمـا تحت فتبقى اذياله الاربعـة مدلاة كاذيال المعاطف؛ ذيلان من الامام وذيلان من الخلف. ويكون لون هذا الرداء عادة اسمر او ابيض اما اطراف الاكمام والصدر فتزين بخيوط مختلفة الالوان، وعمائمهم من قماش قطنى خشن بلون احمر غامق مخطط الحواشي بالازرق وهم يلبسون العباءة عادة ومن لا يستطيع شراء العباءة او لا يجد فيها التدفئة الكافية يستعيض عنها بفروة من جزة ماعز بكامل شعرها او بعباءة من الصوف الخشن الداكن اللون. اما الدارعات فتصنع من اللباد الاعتيادى الابيض*، وهو لباس لا مهارة فى صنعه، او انها فروات قصيرة من جزات الماعز، وهى من الاردية الفوقانية الشائعة.

ويتسلح الاكراد على اختلاف طبقـاتهم، فقـيرهم وغنيهم، صغـيرهم وكبيرهم، بالخنجر، ويضيف الجاف والعشائر الاخرى الى سلاحهم المقمعة وهو قضيب خشب ينتهى بكرة حديدية، (٢٠) فالخنجر والمقمعة هذه، والسيف وترس صغير ملقى على الكتف، كل هذه تؤلف اسلحة الكردى الماشى، اما الخيال فيضيف الى هذه الاسلحة الرمح ومسدس بحمالته، ومن يتمكن منهم يلبس فى الحرب ثوبا من الزرد وخوذة فولاذية ويتسلح المشاة عادة بالبندقيات الطويلة الثقيلة ذات المساند الملقطية لاسنادها عليها عند الرمى.

تجند عشيرة (الشينكى) اكبر عدد من المشاة ويعتبرون هدافين ممتازين. ويجند الجاف ايضا نصيبهم من المشاة ولكن لا يعتمد كثيرا على خدمات المجندين من ابناء العشائر خـارج مناطقهم، او بالاحرى فى المعـارك التى لا تمس مصالحهم الشخصية.

٤ تشرين الاول.

وصل السليمانية اليوم رجل من (داره‌شمانه). وعمر آغا الذى يعلم باننى اتطلع الى طرائف الامور وارغب فى استقصاءها، ذهب فورا لمقابلته ووعدنى بان يأتينى به غدا واطلع منه فى الوقت ذاته على القضية الغريبة

(*) وفى الكردية (كه‌به‌نه‌ك). انتهت الحاشية. وهذا معطف من اللبد يلبسه الرعيان، اما اذا كان على شكل صدرية لا ردان لها فتسمى (كوله‌بال). والغريب ان الاسم العام الشائع الان فى كردستان الشرقية لهذا النوع من اللباس هو (فرنجى). — المترجم.

الرومانتيكية التى تتعلق باصل العائلة البابانية. وعلينا ان نعلم قبل ذلك ان (دارهشمانه) قرية صغيرة فى بيشدر كانت مركز البابانيين قديما، وسكان القرية الحاليون كلهم من ذلك البيت، او بالاحرى ان البيت البابانى منهم، وهم يفاخرون الاخرين بذلك مفاخرة بينة وقد يأتى البعض منهم بين الفينة والاخرى الى السليمانية، فيكرم عبدالرحمن باشا ابناء عمومته الجبليين هؤلاء وعند رجوعهم منها يحملهم الهدايا التى تتناسب واحتياجاتهم وحالاتهم. وهم يرفعون معه الكلفة بل يتقدمونه فى حضرته بوصفهم الفرع الاقدم فى الاسرة. وقد ترى قرويا انحدر من قريته ومضى الى السليمانية يسوق امامه حمارا فيذهب الى الباشا ويجلس الى جانبه قبل ان يدعوه الباشا الى الجلوس ويسحب غليونا قصيرا قذرا فيملأه ثم يقدح لنفسه نارا يولع غليونه بها ويدخن منه قليلا ثم يقول «والان يا ابن العم، قل لى، كيف حالك ؟». لنرجع الى القصة :ـ

كان هناك اخوان فى (دارهشمانه) هما الفقيه احمد وخضر وقد قاسيا الالام الكثيرة من البلباسيين، الذين كانوا اقوى الناس فى بيشدر. وكان الفقيه احمد، شجاعا انوفا، فهجر القرية غاضبا وقد اقسم الا يرجع اليها الا اذا اصبح فى مركز يستطيع به الانتقام لنفسه. ذهب الى استانبول وانخرط فى خدمة الحكومة. ومن المصادفات العجيبة ان السلطان كان فى حرب مع الافرنج ـ وقال الراوى، ان هؤلاء الافرنج هم الانكليز ـ وكانت الحروب فى تلك الازمنة تشن على هيئة مبارزات فردية، فنزل الميدان بطل من ابطال الافرنج وراح ينازل اشجع فرسان الاتراك مدة اربعة او خمسة ايام وقد تغلب عليهم فرادى وقتلهم. فتطوع الفقيه احمد لمنازلة هذا العدو المغوار فارسل عليه السلطان يسأله عن موطنه. وبعد ان اقتنع بمظاهر الرجل سمح له بان يقدم على المجازفة وقد اعطاه جوادا وزوده بما يحتاج من السلاح. فنزل الى الميدان وتغلب على الفارس الافرنجى، وعند ترجله لقطع رأس الفارس، بوغت بكون عدوه المصروع فتاة راحت تستعطفه وتعده بقبوله زوجا لها اذا منحها الحياة. فاخذها الى معسكر الاتراك رمزا لانتصاره فسأله السلطان عما يرغب فيه من مكافأة على صنيعه فاستعطف ارادته ليمنحه لقب (بك) وينصبه على قريته مع تمليكه القرية واراضى (دارهشمانه) ملكا ابديا.

وقد كان متواضعا فى طلبه كريما، او قصير النظر فى الواقع اذ لو طلب كردستان بكاملها لنالها دون ريب. وقد رجع الى وطنه غانما فخورا بعد ان قنع كل القناعة بما احرزه مع قرينته الجديدة. وقد رزقه الله منها طفلين هما (بابا سليمان) و (بوداخ كيخان) وعلى ان اذكر هنا بان اسم الفتاة الانكليزية كان كيخان، وقد نافس البلباسيين منافسة مستمرة وانتزع منهم السلطة وحط من مكانتهم كثيرا. وفى يوم من الايام عندما كان غائبا غزى دياره الكثير من البلباسيين غزوا ضاريا فامتطت كيخان جوادها ودحرتهم جميعا وكان يتراوح عددهم بين الاربعمائة والخمسمائة، وقتلت الكثير منهم. ثم امتدعت سكان (داره‌شمانه) وخطبت فيهم قائلة «يا رجال داره‌شمانه، لقد منحنى الفقيه احمد حياتى، وانا فى قبضته. وكنت بانتظار اليوم الذى ارد صنيعه اليه، وهذا كل ما اتمناه وكل ما انتظره. والان عليكم ان تخبروا الفقيه احمد بما رأيتم، اذ اننى ذاهبة الى حيث لا يرانى ثانية، وقولوا له باننى اطلب منه ان لا يلحق بى فذلك لا يجديه نفعا، وسألحق به الاذى اذا فعل، ويعلم الله بأننى لا ارغب فى ذلك» قالت هذا ولوت عنان جوادها وهمزته وغابت فورا عن الانظار.

«وعند رجوع الفقيه احمد استغرب مما حدث، وكان استغرابه متوقعا، وقد حزن لفقده زوجه كيخان فقرر اللحاق بها على الرغم من منعها له. وقد لحق بها فى وادى (خردان)* الكائن فى بيشدر، فاستعطفها لتعود معه. فأجابته قائلة «ان هذا لمستحيل، انك مسلم وانا افرنجية. وانى لذاهبة الى موطن آبائى، فوداعا، واياك ان تقترب منى والا اصابك منى الاذى» ولكن الفقيه احمد المتيم اصر فرفعت رمحها وطعنته فى كتفه فسقط وولت هاربة، ولم تبتعد كثيرا حتى شعرت بانها قد قابلته بقسوة ازاء لطفه معها عندما كانت حياتها بين يديه، كما انها رأت ان بعلها وان كان مسلما، فانه كان ابا لاولادها، فرقت له ورجعت اليه فوجدته لا يزال فى قيد الحياة فوضعت على جرحه مرهما قويا دفع عنه الخطر ويسر له الاسعاف، وما كان اسعافه ببعيد، فتركته ثانية الا ان الزوج العاشق الغيور لم يقلق راحته بعد ان التأم جرحه وشفى الا ما قاساه من معاملة زوجه الخشنة غير انه بقى عند رأيه فى ملاحقتها وارجاعها،

(*) لم يتحقق المترجم هذا الاسم.

فطاردها حتى وصل فرنكستان ـ بلاد الافرنج ـ وذات مساء القى عصا الترحـال فى مدينـة كبـيرة، سمع فيها اصوات الطرب والانس، وكانت ـ المهترخانة ـ الموسيقى تعزف والمشاعل موقدة وغير ذلك من الاستعدادات والترتيبات التى تتخذ عادة فى افراح الـ «طوى»*.

«ظل حائرا فى امره يبحث عن مكان يقضى فيه ليلته، واخيرا قرر ان يترك امره للاقدار تفعل ما تريد، وان يرحل الى حيث يقف جواده. فارخى العنان له فوقف الجواد عند باب دار امرأة عجوز فضيفته عندها، وبعد ان تردد سألها عن الافراح التى شهدها فاخبرته ان بنت الملك كانت قد ذهبت لمحاربة المسلمين، وانها رجعت من الحرب اخيرا بعد ان غابت عدة سنوات وانها ستتزوج من ابن عمها. فتوسل الفقيه احمد الى الامرأة العجوز لتدبر امر السماح له بدخول حفلة الزواج كمتفرج، وقد وافقت العجوز اخيرا على ان يتنكر فى لباس النساء. وهكذا استطاع ان يكون بالقرب من كيخان الجميلة وزوجها العتيد فى اثناء مقابلتهما الاولى. تقدمت السيدة، وقد قابلها العريس الفظ من فوره بصفعة على اذنها قائلا لها «انت يا من كنت اسيرة عند المسلمين، انت يا من الثات شرفها، كيف تجرأين على الظهور امامى ؟» اما العروس فقد صرخت من الم الضربة وصاحت بالكردية وقد اصبحت متمكنة منها « اواه يا فقيه احمد، اين انت الان منى ؟» وفى تلك اللحظة اندفع الرجل المستجار به فقتل العريس الفظ وهرب مع العروس الجميلة الى استانبول، وقد اكرمه السلطان زيادة على كرمه السابق له.

«وقد رجع الفقيه احمد وعروسه المتعلقة به الان الى بشدر، فعاش معها عيشة وادعة راضية ما تبقى من ايامه. وقد استولى قبل وفاته على مناطق بشدر، ومهركه وماوەت، وقد خلفه فى منصبه نجله الاكبر بابا سليمان، وهو الجد الاكبر لامراء السليمانية الحاليين. وقد احتل ما تبقى من مناطق كردستان والتى هى تحت سيطرته الان. اما نجله الثانى بوداغ كيخان فمات دون خلف.»

(*) كلمة تركية معناها العرس.

لقد سمعت بعض الشذرات من هذه القصة، وقد قصها لى الباشا بصورة معقدة، وكان يتباهى بانحداره من سلالة كيخان الاوربية، وقد قال لى بانه قد يمت بصلة القرابة الى. ولكنه نسب الحادث الى جد بابا سليمان. وقد قصصن سيدات العائلة القصة نفسها تقريبا للسيدة ريج.

وفى هذه القصة التى دونتها كما سمعتها من الراوى دون اية اضافة او تحوير الشىء الكثير من روح الفروسية والبطولة، الامر الذى لم يعتده الشرقيون، فى الوقت الحاضر على الاقل. والحادث بذاته بعيد كل البعد عن اسلوب مخيلتهم. والظاهر ان القصة مبنية على حوادث واقعية ربما حدثت فى زمن اقدم جدا من الزمن الذى حدده الراوى فى روايته. وقد يكون من الطريف، او المستغرب اذا امكن العثور على علاقة ذلك الحادث باقاصيص البطولة او الفروسية فى عهد الصليبيين، او عهد صلاح الدين الايوبى. وكان صلاح الدين اميرا كردياء ويحتمل ان قد حور فى اسطورتها الرواة الجهلاء من الاكراد الذين لا يمكنهم ان يتصوروا سلطانا مقصودا غير سلطان استانبول، كما انهم يميلون الى ان ينسبوا مثل هذه القصة الجديرة بالاعتبار والشهرة الى الجد الاول لبطلهم المحبوب بابا سليمان، وحياته معلومة لديهم ولها من الشهرة بحيث تتقبل مثل هذه التلفيقات (٢١). واننى على استعداد لذكر الامثلة الكثيرة للتعقيدات المتشابهة فى العهود والتواريخ التى يذكرها او يرجع اليها الرواة الشرقيون.

وعلى اثر ملاحظة الباشا ولعى الشديد واهتمامى بالتاريخ الكردى، تلطف فارسل فى طلب احمد بك احد كرام ابناء عائلته، ويقال انه فى العام المائة من عمره وهو حائز على احترام ابناء جلدته لانه يحفظ عن ظهر قلب الكثير من اساطير تاريخ عائلته. وقد اخذت هذه الاساطير تندثر الان يوما بعد يوم وان كان الكثير منها يستحق فى الحقيقة الاحتفاظ به بجدارة. والشيخ البابانى الجليل هذا يعيش فى مقاطعته فى شهرزور.

الفصل الحادى عشر

كآبة الباشا وحزنه ــ نجله الاكبر يرسل رهينة الى كرمنشاه ــ مرض نجله الاصغر ــ فتنة بين افراد عائلته ــ احمد بك الدارەشمانى ــ عشائر راوندوز ــ مراسيم الجنازة عند الاكراد ــ العائلة البابانية ــ شجرة الامراء البابانيين ــ موت ابن الباشا الصغير بالجدرى ــ تأثر الباشا ــ سليمان بك ــ تجارة السليمانية ــ الحديث مع عثمان بك ــ رغبة الباشا فى التنازل عن منصبه ــ عمر آغا ــ ذكاؤه ودقته ــ المقارنة بين الاكراد والاتراك والايرانيين ــ لقمان ــ زيارة لوداع الباشا ــ محادثات دينية ــ عثمان بك يستدعى لتسنم منصبه ــ رفضه الامتثال ــ ميزات الخلق الكردى ــ هروب خالد الدرويش الكبير ــ زيارة الباشا الاخيرة الى المستر ريج ــ حديث شيق ــ حزن الباشا لفقده ولده ــ خلقه ــ التهيؤ للرحيل من كردستان ــ الحزن على فراق اهل كردستان.

* * *

٧ تشرين الاول.

كنت فى زيارة الباشا صباح اليوم، وقد وجدته كئيبا اشد الكآبة، مهموما، وقد ضاق صدرى لكآبته وهمه، ويحزننى ان ارى الرجل الفاضل حزينا. لقد ارسل ابنه الاكبر عبدالرحمن بك وهو صبى فى السابعة من عمره قبل ثلاثة ايام الى كرمنشاه رهينة، واصيب ابنه الصغير اخيرا بالجدرى كما دبت فتنة كبيرة بين عائلته. لقد ضايقه عثمان بك مضايقة شديدة باجباره على الكلام معى لكن حديثه كان سطحيا لشدة وطأة الحزن عليه. وجاء احمد بك لمقابلتى، وهو الشيخ الكردى العجوز الذى ارسل الباشا فى طلبه من اجلى. انه، وهو لم يتجاوز الثانية والتسعين من عمره، شيخ جميل المحيا، الا ان ذاكرته اصبحت مشوشة بحيث بات من الصعب الحصول على جواب مباشر منه لما تسأله عنه الا اذا بقيت مترقبا الوقت الذى يخطر له فيه خاطر فيبدأ الحديث بنفسه؛ ففى ذلك الوقت وحده تستطيع معرفة ما تريد معرفته منه. وعندما عرف حقيقة امرى قال على الفور «آه، نحن اقرباء وقد كان اجدادنا اقرباء» انه يقصد بكلامه ولا ريب، ذكر قصة كيخان الفتاة الانكليزية والفقيه احمد الزعيم الكردى، تلك القصة الرومانتيكية. ولكننى عندما استوضحته المزيد انتكس وتراجع. وقال لى الباشا انه بانتهازه فرصة جمع اشتات افكاره استطاع

الحصول على المعلومات التالية ـ «ان بابا سليمان كان اصغر اخوته الاثنى عشر، وكان اسم والده مير سليمان* وسمى بابا سليمان بهذا الاسم لوفاة والده قبل ولادته، وقد استولى على جميع هذه البلاد بعد ان طرد الاتراك والايرانيين منها، ولم ينل كل ذلك دون جهد كبير وطالع متباين، واخيرا تواطأ الاتراك والايرانيون عليه فطردوه من كردستان السفلى، فاستقر عندئذ فى راوندز** وترك قرينته واولاده فيها ميمما شطر استانبول. وقد كان ذلك فى عام (١١١١ هـ)***. ـ لقد خلد ذكرى الحادث او تاريخه فى قصيدة قيلت فى الزلزال الكبير الذى وقع فى (تبريز) قبل الحادث ببضع سنين ـ وفى استانبول استرعى انتباه السلطان، فاصبح وزيرا او باشا براية.

(*) مير سليمان، هو النجل الاكبر لمير محمود او محمود بك، بك بيشدر. وعليه فان بابا سليمان حفيد مير محمود الذى يسند البعض مخاطر كيخان الرومانتيكية اليه. والكثيرون يرجعون بذلك الى ما قبل عهد بابا سليمان بمدة بعيدة.

(**) راوندز قلعة احدى العشائر الكردية المستقلة، وكان آمرها مصطفى بك. وهى قائمة فوق جبل مرتفع جدا من جبال زغروس، وقد بتره الزاب (*١) من احد جانبيه، وليس فى الجانب الثانى منه من الطرق التقربية الا المضايق الضيقة، وهى محصنة للدفاع تحصينا قويا. والراوندزيون رماة ماهرون. لقد ارسل (عباس ميرزا) قبل بضعة سنين جيشا لمنازلتهم فاضطر على التراجع تاركا مدافعه وراءه، وهذه المدافع الان فى قلعة راوندز، ورجال هذه العشائر متوحشون الا ان القوافل تمر عادة فى منطقتهم بسلام، ولكنها تدفع باجا او ضريبة فقط. وعشائر راوندز تشبه فى ملابسها اهالى العمادية الا ان لهجتها تقارب لهجة كوى سانجاق.

(*١) لا يمر الزاب بجبل (راوندز)، والواضح ان المستر (ريج) قصد بالبتر مضيق (كه‌لى‌على‌بك) المتكون بزلزال لا نعرف تاريخه فجرى فى واديه المتكون ما نسميه الان بـ (روبارى راوندز)، وهذا يصب فى الزاب عند (بيخمه). ـ المترجم.

(***) اى سنة ١٧٠٠ ميلادية. وعندما نريد ان نقلب السنة المسيحية الى السنة الهجرية علينا ان لا نتذكر فقط بان التقويم الهجرى بدأ فى ١٥ حزيران ٦٢٢ م. بل ان نعلم بان سنتنا هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وست ساعات واحدى عشرة دقيقة، بينما السنة الهجرية او القمرية هى ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وثمانى ساعات وثمان واربعون دقيقة ومن ذلك نعلم بانه ليس هناك سنة هجرية تتقابل على الدوام مع اية سنة ميلادية معينة، كما اننا لا نستطيع معرفة اية سنة ميلادية من تاريخ مر ذكره فى التقويم الهجرى، الا اذا كان يوم السنة معلوما ايضا. وان بدء السنة الهجرية يمكن حسابه ومعرفته بالانتباه الى تلك الشروط. لقد اعلمنى بذلك احد الاصدقاء. ـ الناشرة.

ذات ثلاثة ذيول (٢٢)• وهو اما ان يكون قد فتح (باباداغ)* او كان حاكما فيه وقد سمي باباداغ نسبة اليه؟ ومات في هذه البقاع• وبقيت هذه الاقسام من كردستان تحت حكم الاتراك باسم لواء او ايالة شهرزور، وكانت كركوك عاصمة تلك الايالة• وكان ذلك قبل ان تستعيد العائلة البابانية سيطرتها عليها بعهد قديم•

وقد ايدت ذكريات الكثيرين ما سبق الكلام فيه•

شاهدت عن بعد وانا في طريقي اليوم الى القصر ثلاثة اعلام عسكرية فظننتها قطعة عسكرية كبيرة تسير، الا انني استغربت عندما علمت ان هذه الاعلام تتقدم جنازة، وهذه عادة خاصة بكردستان، اما في كرمنشاه فانهم يشيعون النعش الى مرقده بالموسيقى والغناء•

وعندما بحثنا اليوم مع الباشا في تاريخ كردستان، تجرأت فذكرت استغرابي لقلة اطلاعه على تاريخ عائلته• فاجابني بادب واحتشام بان ذلك التاريخ لا يستحق التدوين ولم يكن تاريخ عائلة مالكة، بل هو تاريخ قبيلة متواضعة• فاجبته ولكن عائلته عريقة شريفة، فاجابني بانها لم تكن موغلة في القدم، ولم يصبح ابناؤها باشوات الا منذ عصر واحد، فقلت له بانني اعرف سلالة عائلته منذ ذلك العهد فوقع قولي في نفسه موقعا حسنا، وتحركت عنده على الفور عصبيته القبلية وعزته العائلية فانجلت ملامح وجهه وداخله انتعاش لم يكن اعتياديا• ولا يخلو مطلقا الرجل الذي نزل بنفسه الى درجة التواضع الديني مثل الباشا من الزهو والافتخار عند طرق هذه المواضيع• وقد قال بعد ذلك بانه غير شغوف بالتاريخ ما خلا تواريخ الاولياء والانبياء وبالقدر الذي يمكنه من الوقوف على احوال عصورهم• اما غير ذلك من التواريخ فانه لا يقرأ منها الا الشاهنامة•

٩ تشرين الاول•

فاجأني عمر آغا في هذا المساء مفاجأة سارة اذ جاءني بلفافة طويلة من الورق كالحمائل او التعاويذ في وعاء من جلد يحمل على الدوام داخل الجيب•

(*) لم يتحقق المترجم هذا المكان واسمه.

وكانت اللفافة تحتوى على سلالات امراء العائلة البابانية، من عهد سليمان باشا حتى يومنا هذا. انه بحث عنها جادا حتى عثر عليها عند احد الاكراد الذين اعتاد اجداده ان يدونوا الوقائع فى تلك اللفافة مع ذكر التواريخ، واقتدى هو ايضا بهم. وكانت الاوراق مكتوبة بالفارسية ولهذه الاوراق قيمتها العظمى التى لا تقدر اذ ان ما فيها من المعلومات ستكون الحلقة المتممة لتاريخ الاكراد فيما لو اسعدنى الحظ وحصلت على نسخة من ذلك السفر المفيد. بادرت حالا الى ترجمة ما تضمنته هذه اللفافة المدهنة.

١٠ تشرين الاول.

جاءنى عمر آغا اليوم بكتاب قديم يحتوى على شذرات فى الشعر الدينى ونبذ فى الحساب والتطبيب، وقد دون فيه صاحبه بعض التواريخ والحوادث. وقد اقتطفت البعض منها*.

١٢ تشرين الاول.

يؤلمنى جدا ان اعلم بان نجل الباشا الثانى احمد بك قد توفى صباح اليوم متأثرا من اصابته بالجدرى. لقد كان طفلا انيسا متعلقا بنا التعلق كله. ولقد بذل المستر (بهل) جهده معه وزار الطفل مرتين . ولكنه لم يستطع اقناع ابويه لاعطائه الدواء، او وضعه فى مكان معتدل البرودة، وان كانوا فى النهاية اتبعوا وصايا المستر (بهل) الاخيرة بعض الشىء واعترفوا بتأثيرها المباشر على حالة الطفل. وكان الباشا فى حالة حزن مؤلمة، والاكراد جميعهم مولعون بزوجاتهم واولادهم، وهم فى الحقيقة اولاد فى غاية اللطف والجمال؛ اما التركى فلا يهتم بالفريقين**.

(*) راجع الملحق

(**) والدليل الذى يمكن ان يؤتى به من جملة الادلة التى تؤيد هذا الزعم هو السطور التالية التى اقتبسناها من مذكرات اخرى للمستر ريج :ـ زارنى قبل بضعة ايام (ديوان افندى) زيارة رسمية، وفى خلال الحديث ذكر لى بهدوء تام بانه قد دفن ولده وكان طفلا محبوبا فى الشهر الثانى عشر من عمره اذ قال «ذهبت صباح اليوم ودفنت ولدى، ثم ذهبت الى المجلس» قال ذلك دون تأثر، او اظهار اية علاقة له فى الامر. ـ الناشرة.

كنت قد عزمت على السياحة فى شهرزور، لمشاهدة تلك المنطقة من البلاد وهى اهم مناطق كردستان من الناحية الاثرية الا اننى اجلت السياحة على اثر مرض نجل الباشا، وقد تحسس لذلك كثيرا، اما الان وقد مر الزمن وبطؤ علينا الامر فيجب ان نتهيأ للسفر الى الموصل.

١٤ تشرين الاول.

ذهبت اليوم لاعزى الباشا. وكان ذلك واجبا صعبا بقدر ما كان ضروريا وديا وقد بدا لى بجلاء ان قلبه كاد يتفطر على الرغم من تجلده ومحاولته اخفاء ما يعانيه بكل رجولة. وقد صعب على جدا ان لا اشاطره احزانه، او ان لا اشعر برهة كاننى فقدت ولدى. لم ار مطلقا فاضلا فياض الشعور والاحساس فى اى بلد كالباشا، انه يحب زوجته واولاده حبا جما لا يضاهيه فى ذلك الا احسن الرجال فى اوربا. وقد بدا عليه نوع من الذهول المخيف اعتراه بغتة، فودعته وروحى مثقلة بالاحزان.

ذهبت لزيارة عثمان بك، فوجدته جالسا فى جوسقه الذى لم يتم بناؤه بعد، وهو يتمتم بالصلوات ويسبح بمسبحة، وعلائم الجد تعلو محياه. ومن الجلى ان بعض الامور كانت تشغل باله، لكنها لم تكن كلها محزنة. كلمنى عن كمنجة كنت اهديتها له قبل مدة، ورجانى ان لا انسى شراء الاوتار له. ان ثمة فرقا كبيرا بينه وبين الباشا.

ذهبت بعد الظهر لتعزية سليمان بك، فوجدته متأثرا تأثرا لا يقل عن تأثر الباشا وان ظهر اهدأ منه واكثر جلدا فقدرته تقديرا زائدا على احساسه، وهو فى الحقيقة فتى يستحق الاحترام الا ان رزانته لا تتناسب مع عمره، وهو متعلق كثيرا برجال الدين والدراويش وليس فى تعلقه هذا مسحة من التقشف او التعصب، وهو يشبه فى سيماه المرحوم عبدالرحمن باشا اكثر من شبهه بأخويه، اذ انه اطول منهما واكثر بدانة وعيناه الزرقاوان الجميلتان تعكسان على ملامحه صور الكرامة المطمئنة. وكلما قابلته ازددت حبا له وتعلقا به. لقد ذكرت له عزمى على الرحيل من كردستان فى القريب العاجل، فشعرت بأسفه واسف غيره من الاكراد جميعا، وقد بذلوا جميعا كل ما فى

وسعهم لاعدهم بالعودة الى بلادهم فى العام المقبل. واننى اشعر بحزن عميق حقا كلما خطرت ببالى مفارقة هؤلاء الناس المخلصين، واحتمال عدم رؤيتى لهم ثانية. واشعر بأننى سأقضى ردحا من الزمن لا يستهان به، قبل ان احظى بالعيش بين اناس يبذلون ما فى وسعهم فى سبيل اعزازى بلطف عميم، وضيافة كريمة اينما ذهبت وحللت.

١٥ تشرين الاول.

لم تكن تجارة السليمانية تجارة واسعة، وهى بوجه عام منحصرة بين السليمانية والاماكن المدونة فى ادناه، وتنقل بواسطة القوافل :ـ

تبريز .ـ تخرج عادة الى تبريز قافلة واحدة فى كل شهر، لكن ذلك لم يكن بانتظام. وتعود القافلة محملة بالقز، والاقمشة الحريرية وغير ذلك، ويصدر اكثر القز الى بغداد اما الاقمشة فتستهلك فى كردستان، وصادرات السليمانية الى تبريز هى التمر والبن وغيرهما من المواد التى تجلب عادة من بغداد.

ارضروم .ـ تخرج سنويا قافلة واحدة على الاقل من السليمانية الى ارضروم، وهى تحمل التمر والقهوة وغير ذلك فترجع بالحديد والنحاس والبغال. وهم يشترون الكثير من هذه الحيوانات ويستوردونها واحسن بغال هذه البلاد من ارضروم.

همدان وسنه .ـ تصل شهريا من هاتين المدينتين قافلة صغيرة محملة بالدهن والفواكه المجففة والعسل والفولاذ الوارد من اطراف بحر قزوين.

كركوك .ـ المتاجرة مع كركوك مستمرة دائمة، وتستورد منها الاحذية وبعض الاقمشة القطنية الخشنة. اما صادرات السليمانية اليها فهى البقول والعسل والعفص والسماق والفواكه والرز والدهن والقطن والاغنام والمواشى. وكركوك فى الحقيقة سوق رائجة لجميع منتوجات كردستان.

الموصل .ـ والمتاجرة مع الموصل مستمرة بعض الاستمرار. وتستورد منها الاحذية والغتر والخام والاقمشة القطنية الملونة، ومنتوجات الشام وديار بكر وغير ذلك. اما الصادرات اليها فالعفص وغيره.

بغداد . ـ المتاجرة بين السليمانية وبغداد دائمة وتستورد السليمانية من بغداد التمر والبن والمنتوجات الهندية والاوروبية والاقمشة. اما الصادرات اليها فهى البقول والتبوغ والجبن والدهن والسماق والصمغ والشحم والصابون الاعتيادى ـ صابون الشحم.

١٦ تشرين الاول.

جاء عثمان بك لزيارتى هذا المساء وجلس عندى مدة ساعتين. ولقد تطرق كثيرا الى شؤون بلاده وخصنى بسر رجانى ان اكتمه وهو ان الباشا يفكر جادا فى التنازل عن منصبه، وانه يبذل قصارى جهده لارجاعه عن عزمه. وهذا ما يقدر عليه ويزيده شرفا اذ لو تم تنازل الباشا عن منصبه لخلفه هو فى منصبه. وفى الواقع اننى عالم ان امير او شهزادة كرمنشاء قد عرض المنصب عليه اكثر من مرة. لقد قال لى عثمان بك بانه سمر مع الباشا ليلة امس حتى بعد منتصف الليل محاولا ان يثنيه عن عزمه، قائلا له ما دام الله من عليه بالمنصب الذى هو فيه فعليه ان يستمر على اداء فرائضه فيه، وليس من حقه ان يتبع هواه وميوله. اما رغبة الباشا فمنحصرة فى العيش بسلام والاعتزال مع زوجته واولاده. وقد اردف عثمان بك قائلا «ما دام فى رمق من الحياة، فلن ادع اخى يتنازل عن منصبه واننى لارجو الله ان يمكننى من ذلك».

ارسل لى الباشا بعد الظهر من يعتذر عنه لعدم تمكنه من زيارتى فى الايام الاخيرة وكان يقول فى اعتذاره الى «ولكنه يعرف الحال التى انا فيها. اننى احببت ذلك الطفل اكثر من حب يعقوب ليوسف».

١٨ تشرين الاول.

اطلعت عمر آغا مساء اليوم على بعض مخططاتى* وقد عجبت كثيرا لادراكه لها. وقد ذكر لى اسماء عدة اماكن واسماء قمم التلال، وبين لى المحلات التى يجب ادخال بعض العوارض الارضية عليها فى تلك المخططات، وكنت قد اهملت رسمها او ذكرها اذ لم اشاهدها، كما صحح لى بعض

(*) كانت هذه المخططات للبلاد الواقعة بين السليمانية و (سنه) و (بانه) حيث ساح المستر ريج اخيرا وبصحبته عمر آغا . ـ الناشرة.

اقسامها، بل انه ادرك اصغر التلال التى مررنا بها فى طريقنا. وهذا دليل واضح على ذكائه وعلى صحة مخططاتى فى الوقت ذاته. لقد قابلت فى بغداد كثيرا من الناس الذين درسوا الرياضيات بوجه خاص ـ كما يسمونها ـ ولكنهم لم يستطيعوا الاحاطة ولو قليلا بالخرائط او المخططات.

اما عمر آغا، فحالما تناول كراسة التخطيط بيده وجه المخططات الواحد بعد الاخر الى استقامة طرقنا وتابعها باصبعه دون اى تردد. وان كونه جبليا مما يزيد فى ذكاؤه الفطرى، وفى اعتياده على اتباع سلاسل التلال، والنظر الى قعور الوديان، ذلك لان جميع سكان البلاد الجبلية يدركون تفاصيل المخططات بسهولة فمثلا ان الذى وضع خريطة الجبل الابيض المجسمة والبلاد المجاورة له كان حلاقا من (شامونيا). وقد رسم خريطة التيرول الجميلة القرويون. وانى اتعهد بتعليم عمر آغا بعد بضعة دروس كيفية استعمال المزولة وكيفية رسم مخططات الميدان. ولم تخطر لى هذه الفكرة من قبل مع الاسف اذ كان فى الوقت مجال متسع لى لاقوم بذلك فى السليمانية قبل مغادرتى لها الى (احمد كلوان). وكان فى امكانى وانا فى سياحتى التى تلت مكوثى فيها ان ادعه يتمرن على رسم المخططات تحت اشرافى. ان الفوائد التى يجنيها العلم من رجل قوى الملاحظة يجوب مجاهل هذه البلاد التى تسترعى الاهتمام لا شك انها عظيمة جدا، وقد يستطيع بدوره ان يعلم غيره فينشر العلم والمعرفة.

وارى بوجه عام، ان الاكراد شغوفون جدا باستقصاء المعلومات ولكنهم قليلو الاعتداد بانفسهم مهملون لشأنهم، وانهم اسهل تعليما من الاتراك، بل اعتقد انهم اسهل تعليما من الايرانيين ايضا، اذ ان هنالك بعض الامور التى يستطيع الايرانى ان يقتبسها بسهولة، الا فى مجال الادب والعلم لانه يحسب نفسه متفوقا على الامم الاخرى فيها تفوقا عظيما. والتركى يعتقد الاعتقاد الراسخ بتفوقه فى جميع الامور وهو يزدرى ازدراء مرا بكل امر يدركه او يفهمه. ان «سنونوا واحدا لا يأتى لنا بالصيف».(*) فرجل او رجلان فى امة

(*) ضرب مثلا انكليزيا، يقابله من الامثال البغدادية: «يد واحدة لا تصفق». ـ المترجم.

متعطشــة الى العلم والرقى ليسـا الا من الشواذ فى كيانهـا العـام. وهكذا فالعزم الطبيعى للفكر البشرى وحيويته، يخترق احيانا الحجاب الذى يقيمه امامه التعجرف والتعصب، وهناك القليل حتى من بين اكثر الاقوام والامم وحشية من لا تستطيع ان تنجب فى مختلف ادوار تاريخها رجلا يسبق عصره وبلاده. لقد كان كتاب (جهان نما) او (جغرافية الحاج خليفة)، سفرا جليلا جدا فى حينه، وكان يضم كل المعلومات الجغرافيــة التى يجـدها المرء فى الكتب الاوربية فى ذلك العهد، وكان الحاج خليفة رجلا مثقفا منورا بالنسبة الى اى تركى اخر، ولكن لم يعقب الحاج خليفة احد، ومن من الاتراك يطالع الان جهان نما ؟ او يكون لديه فكرة قياسية عن العالم بل عن بلاده نفسها ؟ فانه اذا تعلم الرياضيات والجغرافية، فهو يراجع بكل تأكيد كتب اقليدس والمجسطى، وقصة الاقاليم السبعة القديمة، وبحر الظلمات وربع الارض المسكون، وهو قلما يجشم نفسه متاعب التفكير فيما اذا كانت تلك النظريات تتفق مع التطورات والاكتشافات الحديثة.

ان المطابع فى استانبول، لم تقم حتى الان بواجب تثقيف الشعب، الا انها طبعت بعض الكتب الجيدة، وقلما يطلبها احد، بل لا يطالعها حتى الذى يحصل عليها. والاثار الوحيدة التى طبعت ونشرت وتهافت الناس عليها هى القواميس. و (عباس مرزا) معنى الان بتأسيس مطبعة فى تبريز. ترى هل ستفيد هذه المطبعة الايرانيين اكثر مما افادت الاتراك مطابع استانبول ؟ والامة لا تتقدم بالقوة والاكراه او بمجهود فردى، مهما كان تقدميا او قويا ومع ذلك فان للايرانيين كفاية اوسع من كفاية الاتراك، ولو كانت استـانبول عاصمتهم لتمكنوا منذ امـد بعيـد من الوقوف فى صف الامم الاوروبية. والدين الاسلامى هو الذى يحول دون الرقى فلا يمكن لامة ان تتمدن وهى مسلمة. والاسلام دون استثناء، دين يعيق التقدم ويشجع على الجمود وعلى النفاق والزلل. لقد تدخل محمد فى كل شيء، وسمم كل شيء مسه. وقد جعل كل شيء سواء اكان علما او فنا، تاريخا او اخلاقا من الامور الدينية، واقام الموانع ازاء الرقى والتقدم، وازاء اى تفكير او تطور حديث فى اية ناحية من تلك

النواحي*. والتركي يكفر كل من يعتقد باي امر تاريخي قديم سبق ان ابدى محمد رأيه الحاسم فيه. ذكرت مرة تاريخ الاسكندر لمؤلفه (آريەن) فابدى عمر آغا رغبة شديدة في الوقوف على الحوادث الواردة في مثل ذلك المصدر القديم الموثوق به. وعندما سردت عليه القصة، وكان يبدو انني تطرقت الى امر يناقض العقيدة الاسلامية قال احد الاكراد الشنكيين من الحاضرين بان ذلك التاريخ قد يكون قديما كقدم الاسكندر نفسه، لذلك لا يمكن الوثوق به، اذ ان نبينا قال كذا وكذا فيه. وهذا ما اخمد في عمر اغا رغبته في الاطلاع على هذا الكتاب وقد اردف الشنكي قائلا «كان اليهود والنصارى في زمن الرسالة يوجهون الى محمد الاسئلة المتنوعة في حوادث تاريخهم القديم امتحانا له ليروا فيما اذا كان يجيبهم صوابا ام خطأً وليظهر لهم رسالته السماوية. وقد اجابهم على اسئلتهم بكلام الله، وهو محفوظ في القرآن وفي الحديث».

ويعتقد بعض المسلمين ان الاسكندر الكبير كان نبيا، ويعتقد البعض الاخر انه بطل من الابطال، كما يعتقد بعضهم بنبوة لقمان، والاخر بولايته**.

(*) سمعنا هذه النعرة، نعرة بعض المستشرقين، كثيرا وقرأنا عنها كثيرا. وقد علمنا واقع الحال ان هؤلاء احد اثنين: اما انهم من المغرضين المتجاهلين، واما انهم من الجاهلين الضالين في جهلهم. والغرض والجهل كلاهما يبعدان المرء عن الصدق والصواب. وبعد هذا، فالرد على هذا الرأى نافلة، واضاعة وقت، وفي ذلك الكفاية. — المترجم.

(**) انقل الملحوظة التالية من كتاب المكتبة الشرقية Bibiliothéque Orientale لمؤلفه (هەربى‌لوت) «ان السورة ٣١ من القرآن هي سورة لقمان»، ويدعى محمد ان الله قال: وآتينا لقمان الحكمة . . الخ. من الآية — ويدعى بعض العلماء المسلمين بانه كان ابن اخت ايوب، وعليه فهو وارث للنبوة حقا وانه كان نبيا. ويدعى احد المؤرخين بانه احد اولاد باعور ابن ناقور ابن تارح وهكذا يصبح ابن اخ ابراهيم. ويخبرنا مؤرخ اخر بانه ولد في عهد داود وعاش حتى عهد يونس وعلى هذا نستطيع ان نقول انه عاش بضعة قرون بل ان بعض المؤرخين يدعى بانه عاش ثلثمائة عام. هذا وان اكثر العلماء المسلمين يتفقون بان لقمان لم يكن في عداد الانبياء، فقد كان وضيع المولد، وكانت مهنته التجارة او الحياطة، ويقول البعض انه كان راعيا. ويتفق الجميع على انه كان من نوبيا او من الحبشة اى من الزنج، ذوى الشفاه الغليظة الذين يؤتى بهم من هذه البلاد ويباعون في الاسواق وكان لقمان منهم فجيء به وبيع الى الاسرائيليين ←

١٩ تشرين الاول.

زرت الباشا اليوم زيارة الوداع. فوجدته اكثر استقرارا من ذي قبل، ولكنه ما زال مغتما يتنهد باستمرار تنهدا عميقا. وكان معظم حديثه اليوم في مواضيع دينية كعادته. وقد سألني عن عدد الاناجيل سواء السماوية منها او الموضوعة من قبل البشر بوحي من الله، وهل سيظهر المسيح وينشر سلطانه على الارض، او هل انه سيظهر يوم الحساب فقط. ثم تكلم عن الدجال* وعن يأجوج ومأجوج وغير ذلك، وكان لطيفا كعادته، وقد قال لي

على عهد داود وسليمان. وفي يوم من الايام عندما كان في قيلولة دخل بعض الملائكة غرفته فحيوه دون ان يظهروا انفسهم له. فلم يرد التحية عليهم لانه سمع الصوت ولم ير احدا. ولكن الملائكة استمروا بقولهم «نحن رسل الله ربنا وربك ارسلنا اليك لنخبرك بانه سيجعلك ملكا وخليفة له في الارض» فاجاب لقمان «اذا كان هذا امر الله بان اكون ما تقولون فامره نافذ وارجو ان ينعم علي بفضله لاتمم ارادته، واذا خيرني الله بما ارغب فيه من العيش، فاني افضل البقاء على ما انا عليه من الحال وانه سيرضاني ويحميني من ان اكفر بنعمته والا فعظمة الحياة ستكون النقمة بذاتها علي» لقد ارضى لقمان الله بجوابه هذا فانعم عليه على الفور بالحكمة في اعلى درجاتها ومكنه من تعليم النوع البشري ما يقارب العشرة الاف مثلا، وقول كل منهم اثمن من العالم بكامله. جلس لقمان في يوم من الايام بين جماعة كبيرة كانت تستمع اليه، فمر بهم يهودي من اعاظم اليهود فرآه محاطا بالمستمعين، فسأله عما اذا كان هو ذلك العبد الاسود الذي كان يرعى اغنام احد الناس، فرد عليه بالايجاب، فاجابه اليهودي بقوله اذن كيف اصبحت في هذه المنزلة من الحكمة والفضل ؟ فاجابه باتباعي ثلاثة امور اتباعا صادقا وهي «ان اقول الحق على الدوام، وان اوفي بعهدي، وان لا اتدخل بما لا يعنيني.» ويذكر احد المؤرخين بان داود سأل لقمان في احد الايام كيف نهض في ذلك الصبح، فاجابه لقمان «انني نهضت من خلال ترابي» فقدر له داود قوله واحترمه، وعظم فيه حكمته وتواضعه. ويخبرنا مؤرخ اخر باننا نجد ضريح لقمان في (رامه) وهي مدينة صغيرة بالقرب من القدس، وهو نوبي المولد يهودي المذهب، وقد دفن بالقرب من الانبياء السبعين، الذين ماتوا في يوم واحد بالقرب من القدس.

(*) الدجال هو الكذاب او المخادع. وهو يعني ايضا ذو عين واحدة وحاجب واحد وهكذا يسمي المسلمون المسيح الدجال، (اهذا ما توصل اليه ريج ؟ — المترجم). وينعتونه بهذا النعت. ويعتقدون بان عيسى المسيح وقد دخل القدس وهو على ظهر حمار فسيدخل الدجال كذلك القدس، وهم يعتقدون بانه سيظهر في اخر الزمن وان المسيح حي — كما يعتقدون — سيقابله عند هبوطه من السماء ثم يموت بعد ان يتغلب عليه.

بأنه سيرانى قبل مغادرتى المدينة، وانه سيزورنى غدا فى مخيمى.

ذهبت بعد ذلك لزيارة عثمان بك وكان فى مظهر الجد على عادته، الا ان نوعا من مسحة العزم والقسوة كانت تبدو عليه، ومثله مثل الرجل الذى اسند ظهره الى الجدار. ويبدو ان محمود باشا يصر ـ بناء على توصية باشا بغداد ـ اصرارا شديدا على اخيه ليتقبل منصبه وهو حاكمية كوى سنجاق. وهذا ما يرفضه عثمان بك، اذ انه يخشى ان يتغلب الاتراك عليه فيتسلموا ازمة الامور بايديهم حالما يتنحى هو عن طريقهم الامر الذى يعنى خراب بلاده المحقق. ان باشا بغداد لا يرغب فى تضامن العائلة، ولا يحتمل مطلقا وحدتها، وهو الذى كما كنت اظن، وكما تأكد لدى، نجح فى جر الاضطراب على عبدالله باشا وهو الان يسعى لتنحية عثمان بك واحلال التنابذ بينه وبين اخيه. اما تصرف عثمان بك، فقد كان فى جميع الحوادث الاخيرة تصرف الرجل الشريف الذى لا يحمل فى دخيلة نفسه الا الخير للبلاد وضمان منافعها. وخطأ الباشا الكبير هو ضعفه واحترامه للاتراك الاحترام الكلى، المنبعث فى الحقيقة عن الشعور الدينى، وكثيرا ما استغربت ضعف الباشا النفسانى فى هذا الشأن. ومن المؤسف ان يلاحظ المرء شدة انخداعه بباشا بغداد، الذى اعتاد ان يذكره بقوله «افندمز» اى سيدنا. فلو كان يقدر قوته ومصالحه حق قدرها، لكان من المحتمل ان يجعل باشا بغداد منقادا الى ما يريد والى معاملته المعاملة اللائقة به. اما عثمان بك، فلا يذكره او ينعته الا بكلمة «الوزير».

وبعد مكوثى عند عثمان بك مدة، جاء المصرف، فخاطبه عثمان بك بنبرة حازمة قائلا «لا فائدة من الكلام فى الموضوع. فالباشا هو اخى الاكبر واميرى، وله ان يعاقبنى، وان شاء له ان ينتزع منى ما املكه، ولكننى لا اذهب الى كوى سنجاق.

ودعته بعد مدة وجيزة، وسمعت بعد ظهر اليوم بان الباشا ارسل اليه الاوامر الصارمة ليذهب الى كوى سنجاق، والا يحرمه املاكه ويمنع الناس عن زيارته. واخذ يندب على رؤوس الاشهاد ضعفه الذى اضطره الى الانصياع لمقترحات عثمان بك خلال السبع سنوات الماضية من حكمه.

ومهما كانت اغلاط عثمان بك، فمن المؤكد انه تصرف تصرفا شريفا في جميع الامور التي وقعت اخيراً. انه اقنع اخيه بالا يتنازل عن منصبه، ورفض دعوة امير كرمنشاه بالذهاب اليه، وفي كلتا الحالتين كان يعلم العلم اليقين بانه يصبح باشا لو فعل ذلك. ومما يحزنني ان اري مثل هؤلاء المخاليق الاتراك يبذرون بذور الشقاق بين اعضاء مثل هذه العائلة المحترمة.

قررت قبل مغادرتي هذه المدينة ان اوجه بعض الكلمات الطيبة الى صديقي القديم عبدالله باشا. قال لي عثمان بك ان ما حدث انما كان بدس الاتراك وحيلهم، ومما لا ريب فيه ان عبدالله باشا بريء من اكثر الامور التي اسندت اليه. وقال لي ايضا بان الباشا لان في المدة الاخيرة وطلب من باشا بغداد ان يسمح له بالافراج عن عمه، ولكن داود باشا لم يوافق على ذلك. فقلت له انني اعتقد عن يقين بان ليس هناك ما يمكن ان يلحق به شرا اذا ما احجمت شخصيا عن ايقاع الضرر به لمدة قصيرة. فقال لي عثمان بك سوف لا يلحق به الحيف مطلقا، ونحن لسنا كالاتراك، اذ ليس فينا من يمس منه شعرة، وان اعطى الدنيا بكاملها.

كان في خدمتنا رجل همجي يدعى محمد جاووش، وكان هذا من رجال عمر آغا مثلما كان ابوه في خدمة عائلة عمر آغا. وكنا نتمشى خارج الدار قبل بضع ليالي، فوددت ان اتحدث مع عمر آغا الذي كان يتقدمنا بمسافة قليلة ببعض الامور فنادى محمد جاووش سيده بان صفر له، وعمر آغا الذي يبدو انه يدرك تمام الادراك هذا النوع من المناداة، ادار بوجهه على الفور ليرى من المنادي. وقد ارادت قرينتي ان تهدي احد الخدم الذين مرضوا فروة صغيرة فسألت محمد جاووش عن الثمن فاجابها الرجل بالكردية التي يتكلمها بصعوبة، ولم تسألين عن الثمن ؟ انه يتراوح بين الخمسة والعشرة قروش، ولكن اذا كنت تريدين الفروة لك، فاني اوصيك بان تفصلي لك صدرية من اللباد. وهذه الصدريات او الستر تصنع من اللباد الاعتيادي المستعمل في بطانة السروج والسمرات، او في المدات اللبادية، وهي تصنع بقطعة واحدة يلبسها الرعاة والطبقة العامة من الاكراد المعرضين الى تأثيرات الجو؛ ويحتمل ان زوجة محمد جاووش تلبس واحدة منها.

والاكراد لا يلغطون او يتصايحون فيما بينهم عند الكلام كالايرانيين، ولكنهم معتادون على الصياح المفاجىء والصراخ فاذا اراد الكردى ان ينادى آخر، او يجذب انتباهه اليه صاح باعلى صوته «هو حەمەكه هو – بتطويل النداء – حەمەكه هو، هو، هو، وورروا، وورروا» فيجيبه المنادى بالصيحة نفسها. وهكذا يتنادى الجاف ايضا، ويكلمون بعضهم البعض من تل الى تل، والاكراد نادرا ما يقطعون الطريق قطعا مستقيما وبسكون، مهما كانت مسافته او مدته. بل انهم دون اى سابق انذار او سبب تراهم يصرخون ويطاردون على ظهور خيولهم مسرعين ثم يعودون الى اماكنهم وذلك عند مسيرهم او اسفارهم. فعندما كان عمر آغا قائما بمهمة فى كردستان الايرانية، اوفد رجلين من اتباعه ذات ليلة الى قرية لا تبعد كثيرا عن الطريق ليشتريا خبزا، وذلك لطول المسيرة. وكانت الليلة حالكة الظلام، وبعد انقضاء مدة طويلة سمع اصوات الفارسين يعودان باتجاهه وهما يتطاردان بسرعة فائقة فوق الصخور. ولما كانت المنطقة غير مأمونة او كانت بالاحرى على غير وئام مع العائلة البابانية فقد تبادر الى ذهن عمر آغا بان الاعداء يعقبون رسوليه فتهيأ ورجاله الذين معه للقتال واشهروا اسلحتهم ولكن الاصوات انقطعت على الفور، انقطعت مدة من الوقت دون ان يقف على كنه ما حدث، فاضطر الى الاتجاه بحذر نحو مصدر الاصوات حيث بوغت بالعثور على جواد لا راكب عليه، ووجد الخيال مطروحا على الارض، اما الخيال الاخر فقد ترجل الى جانبه وظل حيث هو ممسكا عنان جواده. وقد ظهر ان الرجلين بعد ان اشتريا الخبز رجعا ووضعا مقدارا من الدراهم رهانا للسباق بينهما، وبدأ السباق على الفور وكانت الارض غريبة عنهما وهى صخرية وعرة والليلة حالكة الظلام، مما ادى الى سقوط احدهما وانكسار عظم فخذه.

والاكراد فرسان شجعان لكنهم يجهلون اصول الفروسية، اذ يندفعون بخيلهم على اية ارض وباية سرعة كانت، وهم يستديرون وينعطفون بخيلهم دون رحمة او شفقة. وهم يقومون بكل هذه الحركات بخشونة، وبقوة وبالالتصاق على ظهور الخيل وحسب، وهم لا يحسنون معرفة نسل الجواد المعرفة الجيدة. وان خيولهم جميعها حتى العربية منها، تصاب بعد حين

بالعاهات وتمسي كذلك جفولة شرسة. والكردي يفضل الجواد العزوم الشرس، اذ يعتقد ان ذلك مما يظهر المهارة والشجاعة في فارسه. اما العرب، فعلى خلاف ذلك فهم فرسان ماهرون هادئون. ولك ان تركب جوادا ركوبا مريحا وانت تسير وراء العربي او وراء التركي في بعض الاحيان، اما وراء الكردي فلا. هذا والاكراد يعتنون العناية كلها بخيلهم. وهنالك الكثير من رجال الاكراد الذين يسوسون جيادهم بايديهم. ولا يستبعد ان يعلفوها العلف الكثير، ويدفئوها الدفء الجيد، الامر الذي يجعلها اقل تحملا للمشاق التي يخطر ببال المرء وقوعها بين هؤلاء القوم. لقد تفشت في هذه الايام بينهم الرغبة في اقتناء الجياد العربية وكثيرا ما يدفعون المال الوافر دون مبالاة ثمنا للخيول غير المعروفة الاصل. وهذه الرغبة اخذت تقضي على تشجيع توليد وتربية الخيول الكردية الاصيلة التي يمكن اعتبارها من احسن الجياد واقواها احتمالا للمشاق واقدرها على اداء الخدمات للفروسية الباهرة. اما الان فقد اندرست هذه الجياد تقريبا واستعيض عنها بالجياد الهجينة المستوردة من بغداد ومن البلاد المنخفضة. ولا تتناسل الخيول العربية في كردستان الا نادرا. فمهورهم كلها من النوع الاعتيادي ولا تملك من مزايا الخيول العربية الا القليل.

والاكراد كشافون ماهرون واكفاء في الحصول على المعلومات الكثيرة عن معسكرات العدو، فهم يتسللون الى قلبها بمهارة فائقة، بل الى خيمة آمرها بذاته. وعندما حاربوا باشا بغداد، سهلت القضية سهولة عظمى لوجود عدد كبير على الدوام من جنود الاكراد الاحتياط المضطهدين في الجيش التركي. وقال لي عبدالله باشا ان اخاه عبدالرحمن باشا ارسل في وقعة من الوقائع* كرديا الى معسكر باشا بغداد لكن الرجل لم يستطع الحصول على المعلومات التي كان يريدها فرأى من الافضل ان يقبض على احد جنود المعسكر ويأتي

(*) عندما كان عبدالرحمن باشا على فراش الموت، قاسى اهله واقاربه الصعاب في تهدئة باله واعصابه في النزع الاخير اذ كان في حالة هياج شديد، وهو يكرر القول بانه يموت على فراشه بهدوء وحطة بينما كان يرغب في ان يكون نصيبه من الموت في ميدان الوغى والشرف. وهذا شعور لم يكن مما يظهره الشرقي كثيرا.

به امام عبدالرحمن باشا ليستجوبه كما يريد. والاكراد ميالون الى الموسيقى ميلا شديدا واغلب موسيقاهم حزينة، وبعض قطعهم واغنياتهم كـ (مه‌لكى جان) و (مه‌ن كوزه‌ به‌ناز) ـ الزاء الفارسية ـ و (ئه‌زده‌ نالم) اغنيات رقيقة على بساطتها. وللكثير من اغنياتهم ادوار تتناوب. ونغمات الحصادين وهم يغنون (شيرين وفرهاد) اعادت الى ذاكرتي اغنية اصحاب زوارق الغندول فى البندقية وهم يرددون اغنية تاسسو.

لم اشاهد مطلقا اناسا ذوى اجسام قوية صحيحة من الجنسين النساء والرجال كما شاهدت ذلك فى كردستان، بالرغم من سوء الاحوال الجوية. والاكراد بوجه عام قوم اقوياء اصحاء. والاطفال منهم ايضا ذوو بشرة نقية، ووجوه موردة. اما الطفل البغدادى فتعلو وجهه الصفرة، وبطنه بارزة ناتئة وجسمه مسقوم عليل فكانه مصاب بالكساح، واذا لمسته نفر وانكمش على نفسه. اما الطفل الكردى فمخلوق صغير نشيط مرح، قوى، يتصف بالبشاشة والالفة.

٢٥ تشرين الاول.

هرب صباح اليوم الشيخ خالد الشهير. وعلى الرغم من ان هروبه كان مفاجئا وسريا فانه استطاع ان يصطحب زوجاته الاربع معه، ولم يعرف حتى الان الوجهة التى سار فيها. لقد وضعه الاكراد قبل بضعة ايام فى منزلة ترتفع على منزلة عبدالقادر* وقد اعتاد الباشا ان يقف امامه ليملأ الغليون له، اما اليوم فانهم ينعتونه بالكافر، ويرددون الروايات العديدة عن غطرسته وكفره وزندقته. لقد اضاع الشيخ منزلته اثر وفاة نجل الباشا اذ ادعى انه سيشفيه من مرضه، وانه بحث فى سجل الله عن امره . . وغير ذلك وقد تباينت الروايات عن سبب هروبه، وقال البعض انه صار يبذر بذور السوء بين الباشا واخوانه الذين ارادوا ان يواجههم بالامر فى حضور الباشا. وقال الاخرون انه بدأ بوضع اسس مذهب جديد، واراد ان يجعل نفسه سيد البلاد الدنيوى. ولقد قيل عنه ولا ريب الكثير واتهم بامور اكثر مما يمكن فى الحقيقة اتهامه

(*) ويقصد المستر (ريج) به، الشيخ عبدالقادر الكيلانى ـ بالكاف الفارسية . ـ المترجم

بها فالعلماء والسادة وعلى رأسهم الشيخ معروف* كلهم يكرهون الشيخ خالدا وقد بزهم كلهم عندما كان له سلطانه. (٢٣)

وقد هرب ايضا يوسف بك شقيق الشيخ خالد وحاكم بشدر والتجأ الى عباس مرزاء الذى يقال انه نصبه حاكما على (سەردەشت) علاوة على حاكمية بشدر التى عليه ان يستمر فيها بحماية عباس مرزاء

لقد قطع الباشا علاقاته بعثمان بك وجرده من جميع حاكمياته واملاكه وقد كان هذا دون ريب بتأثير خدع وحيل تركية. وهكذا تقوض هذه العائلة التصة اركانها بنفسها بالشقاق والفتن وتتعرض الى دسائس السلطات المجاورة لها، وليس بين هذه السلطات من يستطيع التدخل فى كردستان بالقوة اذا ارادت.

زارنى الباشا مساء اليوم الزيارة الاخيرة. وقال لى عند دخوله الخيمة انه يشعر كانه زارنى زيارته الاولى امس من حيث المكان والوقت والنمط. وفى فترات الحديث اجبته بانه مهما كان يشعر بقصر الوقت التى قضيته عندهم، فان هذه المدة قد مكنته ليقوم نحوى بامور لن انساها طيلة ما تبقى لى من العمر. لقد وجدته اليوم متأثرا اكثر مما سبق، ويحتمل ان ذلك نتيجة ما قام به من العمل فى خصامه مع اخ كانت له السطوة الكلية عليه، ذلك العمل

(*) تلقى المستر ريج من رئيس علماء الاكراد الرسالة الغريبة التالية، وذلك قبل رحيله من السليمانية بمدة وجيزة.

«الى كبير قومه، باليوزبك.

«السلام على من اتبع الهدى، الذى اباركه وارجو له الله هدايته الى الصراط المستقيم.

«فى بدنى طفح جلدى مستديم منذ عدة اشهر، فاملى ان تكتبوا لى وصفة قد اشفى باستعمالها فادعو لكم بالخير.

«ولدى صديق حميم وهو الان مثقل بالضعف البدنى الحاد، فاذا كان لهذا الداء من دواء فارجو ان تبينوا لنا خصائصه فيعود مريضنا مسرورا الى حالته السابقة. وارجو ان لا تقطع الرجاء للاهتداء الى عبادة الله والى نوال السعادة التامة.

«الفقير»

«معروف»

انتهت الحاشية. والشيخ معروف والد الشيخ كاكه احمد الشهير. والاول مدفون فى (كردى صەيوان) ــ بالكاف الفارسية ــ قرب مدينة السليمانية، اما الثانى فمزاره فى الجامع الكبير منها. ــ المترجم.

الذى اغلى فيه الدم فنسى حزنه بعض النسيان. وقد تحور الحديث تدريجيا الى حالة بلاده والى الانشقاق القائم بين ابناء عائلته. وقد سعيت لاحرك فيه شعوره القومى والعائلى، ولكن دون جدوى. بيد اننى كنت احس بوجود قليل من الحماسة عنده، عندما كنت اتطرق الى تاريخه القديم، والمنزلة التى قد ينالها قومه بين الامم المستقلة، الا ان تلك الحماسة ما كانت الا سرابا. ان اخلاقه تتصف باللين والتواضع الممتزجين بالاوهام والقنوط مما يجعله منقادا كل الانقياد الى ما ترسب فى اعماقه من الخزعبلات المثبطة التى اتردد فى القول بانها من صنع الدين، لقد وجدته متجردا تجردا تاما من كل ما يتعلق بنفسه وببلاده، وذا فطرة عنيدة لا تطاوع الغير. وكان يظهر الصلابة ازاء كل مناقشة لى معه واخيرا قلت له مازحا اذا كان قد عزم على استعمال مهارته فى ايجاد العراقيل لاصلاح بلاده فلم يعد هنـاك ما يمكن عمله ومع ذلك فقـد تضرعت الى الله لينعم بالرفاه والقوة على عائلته وبلاده. فاجابنى بانه لا يمكن ان تصبح بلاده او عائلته يوما ما قوية، ما دام فى العائلة هذا العدد من الاعضاء الاقوياء. فاصررت على رأيى فى ان ذلك ممكن، فاجابنى «نعم هذا ممكن اذا ابتلانا الله بطاعون لم يترك الا واحدا منا.» فقلت له ثانية، ان ذلك ممكن دون الحاجة الى الطاعون، وان الله على كل شىء قدير، فقال لا ريب ان الله قادر على اطفاء نار جهنم ولكنه لا يطفئها، ثم ذكر رغبته فى التخلى عن منصبه فاجبته ان عليه ان يقوم بواجب المنصب الذى اختاره الله له، فقال «لا شك فى ذلك ولكننى اعجب كيف قضت ارادة الله ان تجعلنى حاكما، فقلت له ان ذلك كان لصلاح هذه الالاف من الناس، فاجاب «اواه ما اشد الحساب الذى على تأديته فى الآخرة» فلم اوافقه على رأيه وقلت له فى الحقيقة ان معاملته للناس كانت على الدوام معاملة حسنة، وانه كان رحيما بكل فرد منهم، وانه لا يمكن بصورة من الصور الحيلولة دون طبع البشر الذى سبب وقوع بعض الاضطرابات فى مملكته، مما قد يكون غافلا عنها، او لا طاقة له على اخمادها. فاجابنى والصدق يغمر محياه «اسمعنى يا بك، انما يحكم على المرء باعماله، لا بنواياه، وانا لوحدى المسؤول عن تأدية الحساب يوم الدين عن كل ما يقع من الاضطراب فى حكومتى». لقد انكر داود باشا جميل هذا الباشا

وعامله بالخيانة والغدر، ولكنه الان كسبه كل الكسب ببضع كلمات طيبة، وهو الان فى الحقيقة متعلق بداود باشا كل التعلق، وقد اكد لى محمود باشا بان الباشا سيخدم داود باشا طيلة حياته؛ ولم يكن قول محمود باشا مجرد ادعاء.

وبعد حديث شيق دام ساعة ونصف ساعة، نهض الباشا ليعود. وعندما ودعنى انخفض صوته وارتجفت يده وهو يصافحنى، وكنت شخصيا مكروبا مثله لمفارقتى اياه. لقد رجا ان يرانى ثانية، وانى اخشى ان لا نرى بعضنا مرة اخرى. انه من الصعب ان تفارق المفارقة الاخيرة رجلا عديم الاكتراث، فكيف وانت تفارق رجلا توده وتحترمه، كان محمود باشا رجلا محبوبا جدا فى الحقيقة، واننى سأتذكره على الدوام بشوق، فملامحه النقية لا تنم الا عن الطهر والاخلاص والبساطة. وما كنت اتوقع مقابلة رجل مثله فى الشرق كما اننى اخشى ان لا يجد المرء الكثير من امثال هذا الرجل فى بيئات ارقى. ان المرء ليلمس الحزن والرقة فى خلقه، وذلك مما يجعله رجلا لطيفا جذابا، فهو الاحساس بعينه. انه لم يتغلب حتى الان على ما داهمه من الاحزان لوفاة ولده، واننى ادون رأيى مطمئنا لما اقول فى ان ليس هناك رجل فى الشرق يحب اولاده وزوجته كحبه لهم. دخل على حرمه مساء امس للمرة الاولى بعد المصاب، فناداه طفل من ابناء اخيه بكلمة بابا. لقد كان الاسم وصوت الطفوله الذى ردد به الاسم اكثر مما يحتمله، فصرخ وسقط على الارض مغميا عليه. هذا مع العلم ان الدين الاسلامى يمنع الاحزان وان الافراط فى الشعور ازاء المرأة، او الولد من الامور الشائع نكرانها او الازدراء بها بين اتباع الاسلام، الامر الذى يعزز جمود الشعور وصلابة النفوس. لقد اصبح الباشا من اقوى الناس تمسكا بدينه فى الشرق، الا ان تمسكه هذا لم يعطه التعصب والركود فى الاحساس. ان طبيعته المثلى ارتقت فوق المعتقدات الاسلامية المنحطة*. وربما كان بامكان رجل اسوء منه خلقا ان يكون اكثر ملاءمة لحكم كردستان. وان محمود باشا لم يكن بالزعيم الذى تحتاجه تلك البلاد لان فضائله جديرة برجل يعيش عيشة خاصة، اذ انه كان لين العريكة جدا

(*) عفى الله عن ريج، يظهر لنا انه اراد ان يمدح شخصا ارتقى خلقا بوسيلة، فذم الوسيلة ذاتها، ولا ندرى كيف يوفق بين هذا وذاك. ـ المترجم.

كثير الثقة بغيره ولا يقدر نفسه الا باقل مما تستحق؛ ومع كونه شجاعا فى ميدان القتال فقد كانت تعوزه جرأة المدنى اللازمة. لقد جعله الدين والتفكير قليل الاكتراث بالاخطار كما افقده الحزم والعزم ايضا. لقد كان بميسور اى رجل ان يقوده، فكان يركن الى اى فرد يتقدم لمعاونته حتى فى الامور التى تخالف رأيه الراجح ومع انه كان بشخصه مثالا للصدق والشرف، فقد كان يجهل اساليب ارباب الدهاء الذين كانوا يموهون اسوأ خططهم الجهنمية بالصبغة التى ترضيه. وعلى الرغم من وقوعه مرارا على خدعهم كان يظل على ثقته بهم، ذلك لانه كان بساطة الطفل الصغير ووداعته. فلقد استطاع داود باشا مؤخرا ان يفسد اخيه عليه وحاول تحطيمه. لكنه وجد الان من مصلحته ان يكتسبه الى جانبه واظهر له كثيرا من التودد والاحترام، وقد تناسى محمود باشا كل ما حدث فى الماضى.

جاءنى سليمان بك ليلا ليودعنى. لقد كان شابا طيبا اكثر حيوية وعزما من اخيه، فلم يتكلم عن كردستان بعبارة اليائس وقد قصصت عليه قصة حرب السبع سنوات فأصغى الى حديثى باهتمام زائد.

* * *

بدأ هذا الجزء من سياحتى بوصولى الى السليمانية، وسينتهى برحيلى عنها. وسأسافر غدا الى الموصل بطريق (آلتون كوبرى) و (اربيل).

واننى ابارح كردستان بأسف لا حد له، فما كنت اتوقع مطلقا ان اجد فيها اطيب الناس الذين لاقيتهم فى الشرق كله. فقد عقدت الصداقة فيها، وعوملت باخلاص متناه اينما حللت، وبلطف وبضيافة لا حد لهما؛ واخشى اننى سوف لا انتظر مثل هذه المعاملة خلال سياحتى المضنية، ولسوف تبقى هذه الذكريات عالقة فى قرارة نفسى ما حييت.

انتهى الجزء الاول

هكذا انهى المستر ريج الجزء الاول من كتابه هذا بهذا الفصل. وقد اراد المترجم ان لا ينهى هذا الجزء الا باضافة الفصل الثانى عشر اليه وهو الفصل الاول من الجزء الثانى من الكتاب. وبهذا الفصل يصل (ريج) الى الموصل، تاركا السليمانية ومارا بـ (آلتون كوبرى) و (اربيل) وغيرهما من المدن والقرى عابرا الزابين. ويعتقد المترجم ان صفحة الرحلة الثانية تبدأ بيوميات (ريج) عما شاهده فى الموصل ونواحيها وما كتبه عنها وعن سفره منها بطريق النهر راكبا الرمث ـ الكلك ـ حتى بغداد واتمامه رحلته من بعدها.

الفصل الثانی عشر

(وهو الفصل الاول من الجزء الثانی من الرحلة)

(راجع الصفحة السابقة)

الرحيل من السليمانية ـ وصف البلاد ـ قرية دەرکەزین ـ عمر آغا ـ نجله ـ مضيق (دەربەند) ـ مغادرة كردستان ـ اخبار من السليمانية ـ خيبة عمر آغا ـ سهل جميل ـ قرى ـ طنف اصطناعى ـ نهر كابروس (الباء فارسية) او الزاب الصغير ـ آلتون كوبرى ـ مخيم فارس آغا ـ خسته ـ مشاهدة اربيل للمرة الاولى ـ وصف المدينة ـ سهل اربيل ـ كوكەمەلا (الكافان فارسيتان) ـ جبل مقلوب ـ قرية (كلك) اليزيدية ـ نهر الزاب او (لى كوس) ـ مظهر البلاد ـ نهر الخازر او (بومادوس Bumadus) ـ الحاج جرجيس آغا ـ مدينة كرمليس ـ خرائب نينوى ـ الوصول الى الموصل.

* * *

٢١ تشرين الاول.

ودعنا الكثير من الاخوان بأسف لا مزيد عليه، وامتطينا جيادنا فى السادسة والنصف تقريبا من صباح اليوم فرحلنا من بستان صديقنا الباشا الكريم الحكيم، وسرنا فوق ارض متموجة من سهل السليمانية مارين بقرية آق بولاق ـ آبلاغ ـ الكبيرة وهى عن يسارنا. فالسهل جميعه فى هذه الاماكن مرتفع اكثر الى الجانب الغربى منه، وهو يستمر بالانخفاض الى اكثر من نصف الطريق الى التلال المقابلة. وبعد ميل ونصف الميل تقريبا من السليمانية وصلنا الى (تانجرو) او نهر (سەرچنار) وهو الذى عبرناه فى طريقنا من بغداد وقد اصبح الان ساقية صغيرة، وان كان عرض مجراه لا يقل عن المائة ياردة وكانت قرية (ألیاسه) ـ قلياسان ـ على ضفته اليمنى. وبعد مرورنا من قرية (باوين مرده) ـ باوه مرده، اى الاب الميت ـ فى التاسعة وخمس وعشرين دقيقة جئنا الى قرية (كيله سبى) او (تەبەرەش) وهى تقرب قليلا من اسفل الرابية التى نصبنا خيامنا عليها فى طريقنا الى السليمانية من بغداد. نزلنا هنا لقضاء اليوم بالرغم من رداءة القرية، وكان القرويون جميعهم مشغولين بجمع محصول الاقطان، وقد زاد حالهم فى بهجة المنظر. والارض فى هذه البقعة يرويها جدول صغير يسيل جنوبا مع انحراف الى الشرق، فينصب فى

نهر (تانجرو) وكان جبل (غودرون) - بيره‌مه‌كرووِن - ونحن فى هذا المكان ماثلا امامنا كجدار صخرى يمتد نحو الشمال الغربى والجنوب الشرقى. وكانت السلسلة الغربية من التلال مرئية لنا وهى امامنا على بعد ميل ونصف الميل، يحدها بوجه عام، افق او خط صخرى، يزداد ارتفاعا كلما امتدت التلال الى الجنوب. وكانت الصخور مرئية ايضا فى جوانب التلال باوصال متشققة، وكان التلال هذه كانت تلالا متفتتة. والى مسافة ميلين او ثلاثة اميال الى الشمال تتشعب من هذه التلال سلسلة منخفضة تتصل بجبل (غودرون) وكانها تستر وادى السليمانية من ذلك الاتجاه. ويقع على هذه السلسلة المنخفضة طنف (كه‌رماوه) وبقاياه * والى ابعد من ذلك، فيما وراء (غودرون)، تشمخ صخور (كووركوور) العظيمة الجرداء.

درجة الحرارة - ٨٥ فى الثانية بعد الظهر، و٥٩ فى العاشرة بعد الظهر.

٢٢ تشرين الاول.

ركبنا فى السادسة والثلث من صباح اليوم واضطررنا الى السير فى الاتجاه الشمالى الغربى الى مسافة لا يستهان بها تخلصا من ارض موحلة. وكان الهواء عند طلوع الشمس قارصا، وبعد السابعة بقليل وصلنا الى جبل (طاسلوجه) حيث يتسع خط التلال عندها عرضا وينخفض كثيرا، ولم تكن قنن تلولها صخرية كما كانت تظهر بفترات على قمم التلال الاخرى من السلسلة، وهى تزداد ارتفاعا فوق السهل نحو الجنوب الشرقى، وقد يكون ذلك بسبب انخفاض السهل فى ذلك الاتجاه نحو نهر ديالى، وكذلك الامر فى سهل (بازيان) ذلك السهل الذى انحدرنا اليه بعد ارتقاء متدرج جدا فى نحو الساعة الثامنة. وهذا السهل ينشطر من وسطه بخط تلال اوطأ من تلال (قه‌ره‌داغ) التى يظهر انها تنتهى عند جنوب طريقنا بقليل والمتكونة من الاحجار الرملية وطبقاتها مرتفعة الى الشرق ومنحرفة انحرافا مائلا الى الغرب. وقد صادفنا

(*) يمر احد الطرق بين السليمانية وكوى سنجاق بـ (كه‌ڵه‌وانان)، ويستمر فى منطقة (سورداش) متوازيا مع (غودرون)، والمسافة ١٤ ساعة. انتهت الحاشية. وتسمى القرية عند هذا الطنف فى يومنا هذا بـ (كه‌رمه‌كانى). - المترجم.

فی هذه الاماكن بعض الرجال ومعهم فلو جاؤا به من كركوك لبيعه فی السليمانية. لقد اعجبنی الحيوان وبدأت اتساوم عليه فاشتريته بمائة وخمسين قرشا عينا*. ولم تعقنا هذه المعاملة عن طريقنا، اذ ان الباعة رجعوا من حيث اتوا وصاروا يتساومون معنا ونحن دائبون على المسير**.

وفی العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين انعطفنا الى الجنوب الغربی نحو قرية (دەرگەزين)، والتلال التی تشطر السهل تنعطف نفس الانعطاف ثم تنتهی مباشرة بصورة تدريجية. وتقع (دەرگەزين) تحت سلسلة صغيرة من التلال الآتية من (دەربەند) وتمتد نحو التلال التی تشطر السهل، وهی تنتهی قبل الاتصال بها تاركة فجوة فی القسم الغربی من سهل (بازيان). وصلنا الى القرية قبل الحادية عشرة بعشر دقائق ونصبنا الخيام فی ارض مخيمنا السابق.

كان سكان القرى التی مررنا بها باجمعهم فی حقولهم يجمعون محصول الاقطان، وكان منظرهم مبهجا فرحا، بل منظرا فريدا، اذ ان الطرق فی الشرق كله تكون عادة هادئة خالية، الا فی مثل هذا الموسم. وسكان قرية (دەرگەزين) من اصل تركمانی، وهم لا يزالون متمسكين بلغتهم، ومظاهرهم تميزهم تمييزا كافيا عن القرويين الاكراد. ويسرنی ان اذكر بان عمر آغا، صديقنا العظيم، لا يزال مهماندارنا. اننی راجعت الحكومة فی السليمانية لتعيد اليه بعض القرى التی انتزعت منه بطريقة مزرية. وقد وعدونی بذلك ارضاء لی، فبقی عمر آغا فی السليمانية لاستلام القرى، غير انه ارفق اغلب رجاله معی. ان ما يقارب المائتين من الرجال يعدون من محسوبيه، ويعتمدون عليه فی عيشهم. وفی كردستان تصبح عائلة كعائلة هذه عشيرة آجلا او عاجلا. وقد تعلق بی اثنان من اتباعه وهما «فقی قادر» و «آوره همان» ـ عبدالرحمن

(*) ان قيمة القرش العين فی ذلك الزمن تتراوح بين الشلنين والشلنين ونصف الشلن.

(**) ان الصخرة العمودية التی لاحظت سمتها فی السليمانية كما دونته فی ملحوظاتی الفلكية باسم (آردالان) كانت على يميننا باتجاه شمالی غربی. وهی قمة فوق التلال التی تؤلف الحدود الغربية من سهل او وادی السليمانية.

تعلقا شديدا، فكانا يتبعانني اينما ذهبت ويقتفيان كل حركاتي. فاذا وقفت وقفا بجانبي، واذا نظرت الى شيء اصغيا الى وتفرسا في وجهي اولا ثم وجها نظرهما الى الاتجاه الذي انظر اليه، وقد كانا اتبع لي من الظل.

وصل الليلة «آولا» ــ عبدالله ــ نجل عمر آغا الاصغر، وهو طفل في السابعة من عمره، الى مخيمنا من السليمانية، ومعه صبي آخر لا يتجاوزه في العمر كثيرا. انه استأذن والده بمرافقتنا، وعلى اثر اجابة والده له انسل خفية منه وهو يتناول طعام الافطار، فرزم امتعته القليلة وشد السرج على جواده وجد في السير حتى قطع بمرحلة واحدة المسافة التي لم نقطعها نحن الا بمرحلتين.

درجة الحرارة. ٥٦ في السادسة ق. ظ، و٨٤ في الثانية ب. ظ. و ٦٤ في العاشرة ب. ظ.

٢٣ تشرين الاول.

رحلنا صباح اليوم في السادسة والنصف، وسرنا في واد بين خط صغير من التلال يقع وراء (دەرگەزين) مباشرة وخط اخر يقابله وهو متجه من الشمال الشرقي ايضا من (دەربەند) نحو (بازيان). وفي السابعة والثلث اجتزنا (دەربەند) وكانت طبقات الجبل منحنية في كل جانب من جانبي الجبل كانها تحاول تكوين المضيق. وفي خارج المضيق مباشرة ترتفع عن الارض طبقة من الصخور موازية للجبل كانها قسم من انقاضه؛ وفي خارجها كلها في اسفل الجبل، وهو امتداد جبل (قەرەداغ)* كانت الطبقات منحنية ومتموجة بصورة عجيبة، وفي رأس المضيق خربة مربعة كالحصن في داخلها بئر اكتشفت في الايام الاخيرة، وجدرانها مشيدة باحجار كبيرة.

(*) يمتد (قەرەداغ) حتى (دەربەندی بازيان)، وبعد ان يمتد قليلا مستقيما كجدار، يتجه قليلا ويمتد الى الغرب فيؤلف (جەرمەلا) ثم ينعطف بكثرة الى الغرب فيؤلف هضبة (خال خالان). ويقل ارتفاع (قەرەداغ) طيلة الهضبات من (سەگيرمە) وهي مرتفعة جدا تعلو غيرها من الجبال في المنطقة. اما (جەرمەلا) و (خال‌خالان) فلا يعتد بعلوهما، ويظهر ان تربتهما ترابية فقد كانت سفوحهما مخددة مشققة، وبعد مسافة قليلة مباشرة ينتهي ويتلاشى هـذا الخط من التلال. و (آقجەلەر) منطقة تقـع وراء (جەرمەلا) تمتد حتى نهر (كوی سنجاق) وهي تحتوي على عشر قرى.

ومن مضيق (دەربەند) سرنا باتجاه جنوبى غربى، وقد ارتفع امامنا خط تلال (كيشەخان) و (قەرەحسن) الصغيرة المخددة وهى تمتد الى الشمال الغربى، والجنوب الشرقى. وقد انخفض توا مستوى الارض عن يميننا انخفاضا وعرا خربا، ويبدو ان انخفاضها بلغ عمقا يزيد على المائة قدم، وكانها تغيرت تغيرا عجيبا وخطت فيها نتوءات من احجار رملية خطوطا متوازية بفجوات متساوية، وكلها منبطحة من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى، وكانت شأن غيرها من الطبقات التى مررنا بها، ترتفع نحو الشرق وتنحدر نحو الغرب انحدارا كبيرا جدا. وكان قعر هذا المنخفض متشققا ايضا، خددته مجارى المياه. ويشاهد المرء بوضوح فى الكثير من هذه الشقوق والاخاديد آثار نترات البوتاس، ولون التربة على العموم احمر غامق ضارب الى السواد. وقد انحدرنا اليها فى السابعة والنصف، وبقينا نسير بين طياتها طيلة مرحلتنا لهذا اليوم.

وبعد مدة قليلة جئنا الى قرية (شيخ ويسى) الصغيرة فى منطقة (شوان)، وقد وجدنا هنا انفسنا قد حدنا قليلا عن الطريق فانعطفنا الى الجنوب بخمس واربعين درجة الى الغرب للعودة الى طريقنا الاصلى.

وشاهدنا الكثير من شجر الدفلة على ضفتى جدول ماء صغير، ووصلنا الى طريقنا الاصلى فى التاسعة الا ربعا، وكان للارض المحيطة بنا منظر غريب جدا، فكانها تخططت بسطور مائلة متوازية مكونة من طبقات احجار رملية متشققة، ونشزت عن وجه الارض فبرزت فوق الاديم بروزا قليلا.

وفى العاشرة والنصف وصلنا الى قرية (غزالان) الكبيرة* فرأينا فيها بعض اليهود. والظاهر ان سكنة هذه المنطقة هم من الطائفة المسماة بـ (جراغ سونديرەن) اى مطفئوا الاضواء، وبعد رحيلنا من هذه القرية بقليل بدأت الارض ترتفع ايضا، واصبح طريقنا متكسرا جبليا ووصلنا الى مراحنا هذا

(*) وصحيحها (غزاوان Gazavan) كما جاءت فى الخرائط الحديثة .ـ المترجم.

اليوم فى قرية (غوولووم كووه – Ghulum Kowa) * فى منطقة (شوان) فى الدقيقة العاشرة بعد الزوال، وقد سرنا مدة خمس ساعات واربعين دقيقة، وكانت سفرتنا لهذا اليوم سفرة غير مريحة فى طرق متعبة فى منطقة وعرة، وكنا نشاهد تلال كركوك من موقعنا هذا وكانها نجد منبسط يهبط هبوطا متدرجا متكسرا متخددا الى بقعة الارض الواقعة بين تلك التلال وبين (دەربەند). درجة الحرارة – ٦٢ فى السادسة قبل الظهر، و ٨٤ فى الثانية بعد الظهر، و ٦٤ فى العاشرة بعد الظهر.

٢٤ تشرين الاول.

ركبنا جيادنا كالعادة فى نحو السادسة الا ربعا. فخرجنا صاعدين من الوادى الضيق الذى تقع فيه قرية (كوولوونكەوه) وقد امسى اديم الارض مزيجا من التراب والحصى، يغطى اضلاع الاحجار الرملية التى شاهدناها فى كل منخفض مررنا به يوم الامس، اما لون التربة فلم يعد بمثل الحمرة السابقة. وهذه البقعة من الارض تلية وانى لاعتقد بان جميع البقاع الحصباوية الاخرى تلية ايضا تتخللها اودية وعرة عميقة، تقطعها مجارى المياه التى تبلغ احيانا عمق ستين قدما. والارض فى هذه الاماكن لا يظهر من طبقاتها الا التراب حتى وان كانت مقاطعها بمثل هذا العمق، ولا تظهر فيها الاحجار الرملية، وان الحصو الذى شاهدته كان اما من الاحجار الرملية او من المرمر او الجبسين او احجار النورة. اجتزنا واديين عميقين ببعض الصعوبات وكان الارتقاء منهما نهودا اكثر من انحدار نزولهما وذلك بعد وصولنا بمسافة قليلة الى قرية (كوولوونكەوه). اننا لا نزال فى منطقة (شوان)، والادارة فيها تتبع اصولا لم اتمكن من ادراك كنهه؛ فالمنطقة تابعة الى (كركوك) ولكن القرويين تابعون الى كردستان. وهذه المنطقة تراجع فى شؤونها السليمانية

(*) هذا ما جاء فى النص، وقد جاءت الكلمة فى الخرائط الحديثة (غوولام كاوا – Ghulam Kawa) واقربها الى اللفظ الكردى (كوولوونكەوه) – الكاف الاولى فارسية وقد جاءت فى رحلة المنشى البغدادى بـ (كله كوه)، وذكر المنشىء اسم قرية «كل كبود» – الصفحة ٧٥ من رحلته – ولم يذكرها ريج فى رحلته، كما اننا لم نتحققها ولم نعثر عليها فى الخرائط، والظاهر ان الاسم لم يكن الا ترجمة الى (كوولوونكەوه). – المترجم

تارة و (كوى سنجاق) تارة اخرى • ومن (كوولوونكه‌وه) ينعطف طريقنا نحو مرتفعات هذه المنطقة التلية المتشققة الاركان، وهـذه هى الحقيقـة، لم تكن الا امتدادا الى منطقة (قه‌ره‌حسن) وهى فى حالتها الان جرداء قاحلة تماما، الا من بعض الشجيرات فى الوديان، لا يرى المرء فيها خضرة حيثما وجه نظره • لقد تذكرنا كثيرا وهاد كردستان البهيجة تلك الوهاد الجميلة حتى فى موسم ذبولها فى الخريف • ولا يزال (غودرون) شامخ الرأس من بعيد •

ومجارى المياه التى شاهدناها اليوم وفى الامس، كانت تجرى عن يسارنا • وفى السادسة والنصف تشعب طريقنا الى الجنوب قليلا من طريقنا الى كركوك • وبعد الثامنة بقليل اضطررنا الى الوقوف لمدة قليلة، لاعادة نعال سقط من حافر جوادى • وكانت كل من (خال‌خالان) و (كوى سنجاق) فى تمام الاتجاه الشمالى منا • واستأنفنا المسير فى الثامنة والنصف، وكانت الارض الان اقل تشققا، او ان تشققها اقل عمقا من سابقتها، وفى العاشرة الا عشر دقائق وصلنا الى قرية (قفار) وهى منتهى مرحلتنا اليوم • وكان اغلب القرويين فى خيامهم بجوار القرية؛ والارض والقرويون هنا تابعون الى كركوك • لقد سرنا اليوم مدة ثلاث ساعات وخمس وثلاثين دقيقة •

التحق بنا عمر آغا في الليلة الماضية وقد اخبرنا بان عثمان بك رضى اخيرا بالذهاب الى كوى سنجاق • وعمر آغـا المسكين لم ينجح فى طلبه لاستعادة قراه، وقد جاء بجميع رجاله وافراد عائلته الا النساء منهم؛ انني سأبذل كل ما فى وسعى من اجله •

درجة الحرارة ــ ٥٠ درجة فى السادسة ب • ظ • و ٨٨ درجة فى الثانية ب • ظ •

٢٥ تشرين الاول •

سرنا فى السادسة من هذا الصباح • وكان اتجاهنا شماليا غربيا بثلاثين درجة ونزلنا الى واد يسيل فيه جدول يروى الكثير من القرى، ويدير الكثير من الطواحين التى تعلوها الحصون الصغيرة، وتحيط بهـا عـدد من الاشجار؛ ومظهرها من بعيد اشبه بكنائس القرى • ويأخذ الوادى بعد ذلك

بالانحدار متسعا نحو السهل، والمعتقد انه سهل (كوك‌ده‌ره) والجدول ينصب في (كوبرى صو). لقد مررنا بقرى كثيرة؛ ومن بين القرى الكبيرة التي شاهدناها قرية اسمها (عمر بك). لقد وصلنا الان سهلا واسعا جميلا، وان كان اديمه لا يزال حصباويا فانه غني بالمزارع، واراضيه صالحة لزراعة الحبوب. والقرى الكبيرة متبعثرة، في جميع الاتجاهات فيه. واحدى هذه القرى كانت في اول مدخل السهل، وفي جوارها طنف اصطناعي صغير، وانني لم اتمكن من معرفة اسمها. وكانت تلال (قيزبير ـ Kizbeer) * امامنا وهي تمتد عن يسارنا والسهل يصل حتى سفحها، اما عن يميننا فكانت تمتد الارض المتكسرة التلية التي غادرناها الان.

وفي السابعة اجتزنا قرية (كوك‌ته‌به)** وطنفا كبيرا جدا عن يسارنا، وكان في تمام الاتجاه الغربي وعلى بعد يقل عن الميل من الطريق، وكان الطنف اشبه بهرم ناقص ينشأ من جانبه الشمالي الغربي طنف اوطأ منه، ومنظرهما اشبه بالآثار «البابلية». وبعد نصف ساعة تقريبا اجتزنا طنفا اصغر قريبا من طريقنا ووصلنا في منتصف النهار الى (آلتون كوبرى). كان اليوم شديد الحرارة ومرحلتنا اطول مما كنت اتوقع، وقد قضينا فيها ست ساعات ونصف ساعة.

انحدرنا نحو النهر × من فوق ارض تعلوها الحصى الكبيرة. ان صخور النهر وقاعه كلها حصوية جلمودية. وليس بامكانك مشاهدة المدينة الا عند انحدارك اليها. وشاهدنا على الضفة الجنوبية من النهر معسكرا لقطعة كبيرة من مدفعية الصحراء والمدفعية الثقيلة؛ وقد وصلت الان من استانبول لاغراض باشا

(*) لم يتحقق المترجم هذه التسمية. وقد جاءت في النص تارة (قيزبير) وتارة (كي‌بير) واستنادا الى وصف الكاتب يظهر انه يقصد بها تلال (آوانه‌داغ) وهي السلسلة الممتدة بموازاة طريق (التون كوبرى) ـ (الكوير) الى شرق (قه‌ره‌جوق داغ) مباشرة. ويسميها الاهلون اليوم (زوورگه زه‌را) وهذا وصف اكثر من ان يكون اسما.

(**) علم المترجم انه لم يبق لهذه القرية من اثر الان سوى تل صغير يطلق عليه (كوك ته‌به). والظاهر من وصف الكاتب ان هـذه القرية كانت بالقرب من قرية (كوكجه) القائمة الان.

(×) ان (التون صو) او (كابروس) القديم، سماه ابو الفداء بالزاب الصغير.

بغداد وخدمته. وكانت هذه القطعة مؤلفة من اربعة رعائل، وسرية من المدفعية الثقيلة وخمسة عشر مدفعا صحراويا، وحمولة خمسمائة بعير من الذخيرة. مررنا من فوق الجسر المرتفع المسنم الذى رمم اخيرا ثم اجتزنا المدينة ومنها عبرنا جسرا آخر وخيمنا فوق ارض بطحاء بالقرب من الاحياء اليمنى اى الشمالية الغربية من المدينة.

يبعد دجلة عن التون كوبرى مسيرة ثمانى عشرة ساعة، ويمكن قطع المسافة على رمث (كلك) خلال نهار واحد عندما يفيض النهر، اما فى هذا الموسم من السنة فيستغرق الوصول الى دجلة مدة ثلاثة ايام. لقد عبرت المدفعية المار ذكرها اعلاه النهر خوضا وكان عمق المياه على طوار سد ينحدر فى وسط النهر يتراوح بين الثلاثة والاربعة اقدام* وتبعد (كوى سنجاق) الواقعة على خمس وثلاثين درجة من الشمال الشرقى مسافة اثنى عشرة ساعة بمسيرة جواد سريع، وبمسافة ثمانى عشرة ساعة بمسيرة القافلة. ويوجد طريقان اليها، فالواحد على الضفة اليمنى من النهر الذى يفترق من (كوى سنجاق) بعد ست ساعات منها والطريق بكامله متكسر، تلى، غير انه لا يعترضه جبل يقتضى اجتيازه. وعلى الضفة اليمنى من النهر على بعد قليل من اسفل الجسر شاهدنا بعض المرافىء ومخازن الحبوب وغيرها. وفى هذا المكان تفرغ الارماث الواردة من (كوى سنجاق) احمالها، كما تشد وتحمل الذاهبة منها الى بغداد. والنهر قابل لملاحة الارماث بين (كوى سنجاق) ودجلة. وعرض النهر فى اعالى المدينة يبلغ الميل الواحد تقريبا، وهو يجرى بفرعين يتصلان فى اسفل المدينة بعد ان يستديرا حولها ويجعلاها كالجزيرة والفرعان لا يستهان بهما. وغالبا ما تجرف مياه النهر البيوت الكثيرة فى الربيع وحينذاك تحيط المياه بالمدينة تماما وقد توحد الفرعان. ويسيل النهر فى جانب الجسر الكبير عند جرف صخرى «متحجر» على ارتفاع واحد مع الجسر تقريبا، ثم يرتد الجرف المرتفع الى مسافة ربع الميل وبعد ذلك يبدأ بالعلو تدريجيا. وفى الجانب الشمالى سهل رملى صخرى منخفض تحده تلال متكسرة على مسافة ميل واحد تقريبا. والظاهر ان هذه الفسحة كانت معرضة الى طغيان مياه

(*) وقد خاضت هذه القوة الزاب الكبير ايضا.

النهر فى زمن من الازمنة حتى حدودها التلية. وتلال (كى.بير)* بقممها المسطحة وسفوحها المتكسرة تحيط بنا من اليسار، ويقال انها تنتهى فى منطقة (شه‌مامك) الكردية، والى ما وراء هذه التلال فى الاتجاه الذى يمر النهر من بينها نرى (قه‌ره‌جوق).

درجة الحرارة ــ فى السادسة ق. ظ ٥٩ درجة، و٩٠ درجة ب. ظ و ٦٢ درجة ب. ظ.

٢٦ تشرين الاول.

سرنا فى السادسة صباحا باتجاه غربى فى منطقة تركناها بين النهر وبين التلال المتكسرة، او الارض المرتفعة التى تبدأ فى اعلى المدينة فتمتد مبتعدة من الارض التلية التى رحلنا عنها، والتى تأتى ثانية فى تلال (كى.بير). وفى السادسة والثلث تشعب الطريق الى (شه‌مامك) فابتعد الى اليسار، وبعد مدة قليلة وصلنا الى منتهى المنطقة. وهنا عبرنا تلالا رملية منعزلة، وقد بدأ من بعدها مستوى الارض يرتفع ارتفاعا محسوسا، واخذت الارض عن يسارنا تنخدد وترتفع نحو تلال (كى.بير)، وعلى يميننا على مسافــة كبيرة امتــداد للارض التلية المتكسرة التى رحلنا عنها، وتسمى هنا باسم (هه‌له‌جه وبستانه) وهى ناحية من نواحى (كوى سنجاق)**، وشاهدنا الى وراء هذه امتداد جبل (ازمر) وعلى بعد شاسع من ورائه ترتفع جبال اخرى عالية.

مررنا بقرية (مخزومة) عن يسارنا ونهر صغير يصب فى (آلتون صو)*** ويظهر ان الطريق الذى نسير عليه كان فيما مضى معلما بتلال صغيرة اصطناعية متباعدة عن بعضها بمسافة ساعة او ساعة ونصف الساعة، وقد شاهدنا بعضا منها. والارض وان كانت حصوية قليلا، الا انها كانت سهلا جيدا يمتد الى (كى.بير) والى (هه‌له‌جه وبستانه). وكنا نشاهد عدة قرى فى كلا الجانبين عن اليمين وعن اليسار والزروع كثيرة والقرويون يحرثون الارض.

(*) راجع الحاشية (*) من الصفحة ٢٤٠ .ــ المترجم.

(**) والان تتبعان ناحية (قوش‌ته‌به) التى اصبحت ناحية مركز اربيل .ــ المترجم

(***) اعتقد انه من الغلط ان نسمى النهر بالتون، والكلمة لم تكن الا علما للجسر لان تشييده كلف مالا كثيرا، وآلتون تعنى الذهب، او المال.

وفى العاشرة وصلنا الى مضرب فارس آغا رئيس عشيرة (دزه‌یی) فى قرية (قوش ته‌به) وقد سميت باسم احد التلال الصغيرة التى ذكرناها. وعشيرة (دزه‌یی) كردية كانت تابعة فيما سبق الى (كوى سنجاق)، وقد فصلها باشا بغداد عن كل من (كوى سنجاق) و (اربيل) وجعلها تحت سلطته المباشرة؛ وهذا مما جعل العشيرة لا تبالى باحد. لقد طرد فارس آغا ممونتا قائلا له انه غير تابع الى وزير بغداد، او باشا كردستان او شاه ايران، بل انه سيد نفسه، يعيش فى بلاده، ويرفض قبول الضيوف فالافضل لنا ان نذهب الى (اربيل). وعلى هذا لم يبق لنا امل، وفى الحقيقة كان الافضل لنا والارجح ان نستمر فى طريقنا فنكسب يوما، فاستأنفنا طريقنا بعد توقف بضع دقائق. وفى الحادية والنصف ترجلنا عند جدول ماء صغير لتناول كوب من القهوة وابتعد حملة الاثقال عنا مسافة. ثم ركبنا فى الثانية عشرة وسرنا باتجاه شمالى، وفى الواحدة والنصف بعد الظهر تراءت لنا (اربيل) باتجاه شمالى شرقى بعشر درجات، وبعد مدة قليلة ظهرت معالمها واضحة، وعندها وسمت منظرها*. لقد كان منظر الطنف المسطح الذى، ربما كان مدفنا للارساسيدين، تعلوه القلعة ومن ورائه جبال الكوردوشيين، منظرا قشيبا حقا. لقد إستقبلنا قرب المدينة نائب حاكمها على رأس خمسين او اربعين خيالا تركيا يتقدمهم العرفاء والطبالون. لقد كنت فى غنى عن شرف هذا الاستقبال، اذ كاد الغبار يخنقنا قبل ترجلنا. ووصلنا الى محلنا فى الثالثة والنصف، وقد سرنا اليوم ثمانى ساعات واربعين دقيقة.

اقمنا خيامنا عند (كهريز)، او قناة ماء تعود الى الحاج قاسم بك** على بعد قليل من الجنوب الغربى من المدينة. وقد خيمت قبلنا بالقرب منا جماعة صغيرة من عشيرة حرب العربية. وظهر لى ان العرب، بعد مضى وقت طويل على اخر عهدى بهم، انهم اناس قذرون صفر الوجوه غير محبوبين؛ اما سكان اربيل فاكراد واتراك.

(*) راجع اللوح.

(**) ولا يزال هذا الكهريز ينعت باسم كهريز قاسم آغا وهو والد المرحوم يعقوب آغا كبير وجهاء اربيل واحد شعرائها المبرزين. — المترجم.

وفى طريقنا اليوم مررنا بقافلة ذاهبة الى بغداد تحمل بصلا وبذور البصل. وكان بانتظارى فى (اربيل) مضيفى القديم (حسين) آغا وقد اوفده باشا الموصل لمرافقتى. لقد قررت البقاء فى (اربيل) مدة يوم او يومين لاراحة جماعتى، وكراء بغال اخرى وتوديع عمر آغا*.

درجة الحرارة ٠- ٥٨ درجة فى الخامسة ق. ظ. و ٩٤ درجة فى الثانية والنصف بعد الظهر و ٥٩ درجة فى العاشرة ب. ظ.

٢٧ تشرين الاول.

نهضت مع الفجر، وبدأت اعمالى فورا** فذهبت اولا الى المنارة القديمة، وهى ابرز مظاهر المدينة. اما جامعها فمنهدم خرب***، وقد نبشت اسسه كلها واخرجت انقاضها وآجرها. وارتفاع المنارة مائة وواحد وعشرون قدما، ومحيط قطرها واحد وعشرون قدما وهى قائمة على قاعدة مثمنة طول كل ضلع منها تسعة اقدام واحدى عشرة عقدة ويتراوح ارتفاعها بين الثلاثين والاربعين قدما، وفى داخل قطرها درجان لوليان لا اتصال بينهما حتى الشرفة او الصحن، والصحن متهدم مع ما يعلوه من قمة المنارة التى لم يسلم منها الا بعض ما تبقى من الساق الذى يعلو الصحن عادة. والمنارة مشيدة على طراز منارة (طاووق) ويظهر انها تعود الى عهد الخلفاء، او بالاحرى الى عهد امراء (اربيل). وكانت الخرائب تحيط بها، وهى اكوام من الانقاض كانقاض بغداد القديمة. وكانت بقايا السور والخندق ظاهرة، سيما من جانب مخيمنا الذى ضربناه بالقرب منها. ويبدو ان المدينة كانت فيما مضى جد واسعة؛ وربما كانت بسعة بغداد الحالية. وتقع (اربيل) عند سفح الطنف الاصطناعى، وعلى الجانب الجنوبى منه خاصة؛ وفيها حمام واحد، وخانات واسواق. ويقع

(*) لا نجد ذكرا لهذه الشخصية الشريفة بعد الان. لقد افترق والمستر ريج عن بعضهما فى (اربيل) والاطناب فى ذكره مما يحزن، وسكوت مذكرات المستر ريج عنه دليل على التأثر.

(**) راجع الملحق.

(***) ولا اثر اليوم حتى لهذه الخرائب، وقد تملك ارضها الناس وجعلوها مزارع ٠- المترجم.

قسم من المدينة فوق الطنف ويسمى هذا بالقلعة. وهنالك الى الشرق من المدينة، وبالاحرى الى شمالها قليلا منخفض يدعى وادى (جى كونم) يقال ان تيمور لنك نصب خيمته فيه، عندما حاصر (اربيل)، وان شيخا دينيا من (اربيل) نشر الرعب فى جيشه فاخذ يتفرق فصاح تيمورلنك عند ذاك بالفارسية قائلا «جى كنم» اى «ماذا اعمل ؟» فاصبحت العبارة علما للوادى*.

درجة الحرارة :ــ ٥٢ درجة فى الخامسة ق.ظ. و ٩٠ درجة فى الثانية والنصف و ٦٤ درجة فى العاشرة ب. ظ.

٢٨ تشرين الاول.

استأنفت استطلاعاتى فى فترات من هذا اليوم، وانا محاط بجمع غفير من الاربليين وقفوا على شكل نصف دائرة عن بعد، وغلايينهم فى ايديهم وافواههم وهم يتحدثون فيما بينهم عما اعمله. ولكن لم يضايقنى احد منهم مطلقا. ولم اتمكن من اخفاء ابتساماتى كلما تذكرت ما لاقاه (دى لامير) ـ لو صحت المقارنة ـ فى جوار باريس والتى تختلف عما القاه انا فى هذا الوسط الغريب المتوحش بدون حرس ولا خدم، وانا وحيد. كان تخمينى لارتفاع الطنف الاصطناعى الذى تعلوه قلعة (اربيل)، مائة وخمسين قدما، وقطره اربعمائة باردة، ولا اشك انه كان فيما مضى اكثر ارتفاعا، ويحتمل ان (قاراقللا ـ Caracalla) قد هدم ذروته. فقد حدث قبل مدة بينما كان الحاج عبدالله بك يشيد بناية فوق الطنف، ان اكتشف العمال لحدا فيه جثة لم تغير الايام معالمها، ولكن الجثة لم تلبث ان تفتتت بعد ان تعرضت للهواء قليلا. فاذا صح ظنى ان هذا الطنف كان مدفنا للآرساسيديين، اليس من المحتمل ان تكون تلك الجثة لاحد ملوك البرثيين ؟ ولقد اخبرنى الحاج قاسم بك بان باطن الطنف مقسم الى شقات مبنية بالآجر الكبير الحجم، الخالى من الكتابات. وقد تأكد الحاج من ذلك عند تنقيبه فى سرداب بيت له فى القلعة. وقد يخمن ارتفاع الطنف باربعين ذراعا كبيرا.

(*) هذه اسطورة، لم نسمع عنها قبلا .ــ المترجم.

وهناك اسطورة محلية خاصة باربيل هي ان (داريوس)* هو الذى بنى اربيل، وهذا امر غريب فى بابه اذ لا توجد فى اية قصة شرقية او تاريخ شرقى اية صلة بين دارا واربيل، والشرقيون عموما يجهلون امر معركة (اربيل) او (كوكەمەلا).

وتكثر الارانب والغزلان فى سهل اربيل، مع اسراب لا حصر لها من القطا. وتصاد الصقور البالابانية فى هذا السهل ايضا، وتصدر الى كردستان خاصة.

درجة الحرارة – ٧٠ درجة فى السادسة ق. ظ. و ٨٤ فى الثانية والنصف ب. ظ.و ٧٤ درجة فى العاشرة ب. ظ.، الريح جنوبية شرقية، والجو مغيم.

٢٩ تشرين الاول.

كان الامس يوما مزعجا، فقد كان المناخ يشبه مناخ كرارة** فالارياح تهب عاصفة من الشرق والشرقى الجنوبى، والجو مملوء بالغبار الذى غطى كل شيء وملأ اعيننا وخياشيمنا وافواهنا. وسرنا اليوم فى الخامسة والنصف صباحا باتجاه شمالى شرقى، وبعد ساعة تقريبا مررنا بقرية (رەشكى) × على الجانب الايسر من طريقنا وهنا يتشعب طريق اخر الى اليسار ويتصل بالطريق الرئيسى ثانية عند قرية (كردەشير). والظاهر ان الارض مزروعة بكاملها زرعا جيدا، وهى اكثر تموجا من الارض الواقعة

(*) ان لفظة (داريوس) او (دارا) مثل لفظتى (فرعون) و (قيصر) تعنى لقبا لا اسما وعليه فان هذه الاسطورة تفيد ان المدينة قد بنيت من قبل احد ملوك تلك السلالة.

(**) كرارة موقع على دجلة على بعد بضعة اميال من بغداد، وقد اعتاد المستر (ريج) وقرينته ان يخيما فيه بعد انتهاء موسم الحر الشديد وذلك اعتبارا من اول تشرين الاول حتى نهاية كانون الثانى. وفى خلال هذه المدة كثيرا ما تهب الرياح الشرقية الجنوبية، وقد جاء ذكر هذه الرياح هنا لتأثيرها، سيما فيمن يعيش تحت الخيام. – الناشرة.

(×) وصحيحها (رەشكين). – المترجم.

فی جنوب (اربیل)• وکان القرویون منهمکین بالحرث، وهو خدش بسیط لسطح الارض لیس الا• وقد شاهدنا ثورا صغیرا وحمارا یجران محراثا وقد ربطا الی فدان واحد•

والظاهر ان الجبال فی هذه المنطقة تنعطف نحو الشرق فتشکل قوسا، ثم تعود فتتجه نحو الغرب عند (الزاب)• ولقد اصبح بامکانی ان امیز الان عدة سلاسل، الاولی هی الارض المنکسرة، ولم تکن هذه الا امتدادا لجبال (شوان) والثانیة التلال وهی مرتفعة قلیلا یرتفع علیها تل او تلان، وسلسلة اخری صخریة امام (زغروس) التی تشرف فوق الجمیع، وتظهر انها اکثر ارتفاعا وتکسرا فی قممها من ای مرتفع او قسم منها شاهدناه حتی الان• وتبین خطوط التلال علی ما اعتقد، اکثر تقاربا مما کانت علیه فی کردستان• وقد شاهدنا امامنا جبل مقلوب، والی مسافة من یساره جبل (قەرەجووق) وهو جبل یقال انه یمتد حتی (الجزیرة) و (ماردین)• والی یمین (مقلوب) نری سلسلتین عمودیتین من التلال• وهما تمران من (عقره) وتؤلفان مع (مقلوب) منطقة (ناوکور)* وهی منطقة غنیة جدا فی اقلیم (العمادیة)•

کانت الارض تزداد تموجا کلما تقدمنا، الا انها لم تکن مضرسة تضرسا کبیرا ولم تکن فیها ظواهر خاصة• وبین الفینة والاخری کنا نشاهد ربوة او ربوتین صغیرتین، کان الطریق یتعقب الطریقة نفسها التی شاهدتها فی الجانب الاخر من اربیل• وفی الثامنة والنصف تقریبا اجتزنا موقع (کردەشیر)، وهو حصن صغیر یعلو ربوة وقریة صغیرة فی سفح الربوة، ویقال ان هذا منتصف الطریق الی الزاب• وبعد مدة وجیزة اجتزنا قریة (کردەشیر) الصغیرة، وهی عن یمیننا• لقد اخذ مستوی الارض الان بالانخفاض وکان الزاب الی یمیننا وعلی ضفته قریة (بشیر) وفی الحادیة

(*) (ناوکور) وصف لموضع او حالة المنطقة ـ وهی سهل یقع بین سلسلتین من التلال• فالتلال او السلسلة الواقعة الی شرق (ناوکور) هی امتداد لجبل (ازمر)، وتسمی بجبال (عقره) ثم (ناوکور) و (زعفرانیة) :ـ (زاخو)• وعلی هذا یکون اول جبل اجتازه (زەنیفون) والعشرة الاف• واللغة الکردیة کغیرها من اللغات الجبلیة غنیة جدا بالمصطلحات المتعلقة بوصف العوارض والحالات الطبیعیة•

عشرة وصلنا الى قرية (كلك) على ضفاف الزاب* الحصوية وكانت ضفة النهر المقابلة لهذا المكان ترتد ثم تبرز في اسفل المجرى على حين ترتد الضفة التي نحن عليها، ويتكون من ذلك سهل تتراوح سعته بين الميل ونصف الميل حيث يتشعب الزاب في هذا السهل الى فرعين او ثلاثة فروع. انحدرنا الى هذا السهل، فاجتزنا فرعين من الزاب لا يتجاوز عمق الماء فيهما بضع عقد على اكثر تقدير. وفي الحادية عشرة والنصف وصلنا الفرع الرئيسي منه عند الضفة اليمنى وهي جرف حصوي. فعبرناه برمث. اما جيادنا وخدمنا فعبروه من مخاضة في اسفل المجرى، حيث لا يكاد عمق الماء يزيد على الاربعة اقدام وحيث ينبسط المجرى الى مسافة عريضة، وكان عرض النهر في المكان الذي عبرناه منه لا يتجاوز الاربعمائة قدم في اضيق نقطة منه، ولكنه في عمق يتراوح بين القامتين والثلاث قامات ونصف القامة. وكان التيار يجري بسرعة عقدتين او ثلاث عقد وكان الماء شفافا ولونه بزرقة السماء، ويفيض النهر غالبا في موسم الربيع فيطغى على السهل بكامله. وتقع قرية (اسكي كلك) اليزيدية على الجرف عند المعبر، حيث قضينا ليلتنا، وحيث شاهدنا الكثير من معارفنا اليزيديين** الذين كانوا في حراستنا في سفرتنا السابقة.

كان سيرنا بطيئا في الساعة الاولى من هذا اليوم ثم اصبح جيدا طيلة ساعات النهار الباقية، وتقدر المرحلة الواحدة للقافلة بسبع ساعات، الا اننا قطعناها بخمس ساعات وخمس وخمسين دقيقة.

وتوجد مخاضات عديدة في النهر بين القرية ومصب الزاب بالقرب من (كشاف) عند دجلة، التي تبعد مسيرة خمس ساعات*** ويتلاشى (الخازر) او (بومادوس ــ Bumadus) بالزاب على مسافة ثلاث ساعات من اسفل هذا المكان. و (الخازر) ينبع من صخرة على بعد خمس ساعات وراء (عقره).

(*) يطلق الاكراد واهالي هذه البلاد على نهر الزاب اسم (زەرب) ويظهر ان لفظة الزاب اقتبسها العرب عن اللغة الكلدانية وان اشتقاق هذه اللفظة كما اوردها (بوكارت) صحيح ومقبول.

(**) وينعتهم الاكراد البابانيون بـ (داسني). انتهت الحاشية. (وذلك نسبة الى جبل (داسن) الواقع الى شمال الموصل حيث كانوا يقطنون. ــ المترجم).

(***) فيما يلي مخاضات نهر الزاب ــ (١) عند (سطيح) وهي قرية عربية بعد

والنهران (الزاب) و (الخازر) كثيرا التمعج، وتقع قرية (اوردهك) فى اسفل ملتقاهما مباشرة على الضفة الغربية من الزاب. واننى اقتنعت القناعة التامة بعدم وجود اى واد، او مجرى، او عين ماء عند الزاب بعد ملتقاه بالخازر.

درجة الحرارة - ٦٨ د ، فى السادسة ق. ظ، و ٨٨ د. فى الثانية والنصف ب. ظ. و ٦٨ د. فى العاشرة ب. ظ.

٣٠ تشرين الاول.

سرنا فى السادسة والخامسة والعشرين وكان مستوى الارض بوجه عام يرتفع عن النهر بمقدار قدمين. فكان الارتفاع الاول من مستوى الماء الى القرية عند الجرف الحصوى، ثم يعقب هذا الارتفاع سهل منبسط يتلوه الارتفاع الثانى وهو بمستوى الجروف تقريبا، وهو على نحو خمسة عشر قدما وكانه كان ضفة النهر فى الايام السالفة. سرنا من القرية الى المرتفع الثانى، وبعد ان انحدرنا الى السهل اتجهنا فى الساعة السابعة غربا، وسطح الارض بين نهرى الزاب و (بومادوس - الخازر) متموج لكنه لم يكن وعرا او متكسرا. وكان القرويون يحرثون الارض فى اماكن عديدة. وفى التاسعة والخمسين وصلنا الى نهر (بومادوس) او (نهر الخازر) الذى يشبه الزاب تماما، فان جروفه كجروف الزاب حصوية عالية ترتد هنا وهناك، فتكون سهلا بينها وبين مجرى النهر ذاته. اننا لا نزال نسير فى السهل باتجاه غربى، - وكانت قرية (منكوبه) تعلونا وهى على ضفة النهر - والنهر على يميننا وقد خضناه فى الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة. وكان ماء المخاضة على عمق واحد من اوله الى اخره وهو يتراوح بين القدمين ونصف القدم والثلاثة اقدام، حيث كان يصل تقريبا الى ركابى جوادى، اما عرضه فكان نحو الثلثمائة قدم. وكان النهر الان فى موسم انخفاضه وهو اسرع من الزاب فى جريانه.

(كشاف) مخاض ردىء جدا، عميق، وقعره من احجار كبيرة زلقة. (٢) عند شميسات وهى قرية عربية؛ مخاض ردىء بعد سطيح، قريب من (اوردهك). (٣) مخاض بعد (اوردهك). (٤) عند اسكى كلك - كلك القديمة - وهو احسن المخاضات كلها. (٥) عند ينى كلك - كلك الجديدة -. وهناك ثلاث مخاضات بعد ينى كلك، وهى تقع بين كلك الجديدة وبين الجبل، ولم تكن اى من هذه المخاضات قابلة للعبور الان، فانها تتلاشى عند سقوط الامطار الاولى. (ملحوظة - ويلفظ الاهلون كلمة «اوردهك» بـ «وەردەك» - المترجم) ا.

وفى الربيع يفيض فيضانا يغمر السهل حتى جروف ضفتيه فيصبح خوضه مستحيلا لكنه لا يبقى على ذلك المستوى المرتفع اكثر من يومين ويقال انه ينبع من محل على مسافة قريبة من (عقره) ولم يكن ساحله الغربى الذى وصلناه بعد ان خضنا النهر، مرتفعا كساحله الشرقى، والارض تهبط بعد الساحل الغربى هبوطا تدريجيا ـ اذا صح التعبير ـ فتنقلب الى سهل واسع مستو على امتداد البصر، واغلب انحائه مزروعة. وتقع قرية (سارا خاتون) على بعد قليل من اسفل المخاض* ومن النهر سرنا باتجاه شمالى غربى، وفى الثامنة والنصف (٦٨ د. الى اشمال الغربى) اصبح اتجاه (قەرەجووق) باتجاه واحد مع (مقلوب) الذى اختفى وراءه. وقبل ان يغيب عنا (مقلوب) شاهدنا على جانبه الشاقولى، وفى وسطه تقريبا، دير (مار متى) او (القديس متى) وهو دير له قدسيته العظمى بين نصارى هذه الانحاء. وشاهدنا ايضا على قمة (قەرەجووق) بقايا كنيسة وكان تقدمنا من (بومادوس) اسرع من ذى قبل.

استقبلنى الحاج جرجيس آغا** وهو صديق قديم لى، وموظف التشريفات المعين لمرافقتى، وراء مخاض (بومادوس)، وكان معه جماعة من القاووقليين*** وقد اوفده باشا الموصل ليرافقنى ويرحب بقدومى الى منطقته، فسرنا سوية الى قرية (كرمليس) وهى قرية كلدانية حقيرة، وقد دخلناها فى العاشرة الا ثلثا بعد ان سرنا سيرا حثيثا طيلة اليوم. وتقدر مسيرة القافلة بساعتين ونصف الساعة الى (بومادوس) ومثلها من (بومادوس) الى (كرمليس). وكانت (كرمليس) فيما مضى مدينة مهمة وقد خربها (نادر شاه) وهى الان قرية حقيرة، قذرة جدا شأن غيرها من قرى النصارى فى الشرق، وفى القرية كنيسة واسعة وقديمة جدا يظهر من التاريخ المكتوب عليها انها رممت قبل مائة وثلاثين عاما، وهى اليوم آيلة الى الانهدام. وهناك

(*) يتصل الخازر بالزاب تحت (اسكى كلك) بمسافة ثلاث ساعات قافلة او ساعتى خيال، وقبيل محل التلاقى، تقع قرية (اوردەك) على ضفته الغربية.

(**) ضابط من ضباط باشا الموصل.

(***) او ضباط الحكومة. وهم ينعتون بالقاووقلى نسبة الى العمائم الخاصة التى يرتدونها. (والاصح ان يقال نسبة الى نوع لباس الرأس الذى يرتدونه، وهو قلنسوة محشوة قطنا ومطرقة. وكلمة «قاووق» تركية تعنى التجويف، راجع حاشية الصفحة ١٤٣ . ـ المترجم).

كنيسة اصغر منها، شيدت فى زمن غير بعيد، وهى بناية حقيرة المنظر. ويوجد وراء القرية على بعد نصف الميل من خيمتنا (٨٠ د. الى الشمال غربا) طنف اصطناعى قديم. وقد تسلقته لتثبيت اتجاهات بعض المناظر المحلية بالبوصلة، وقد نجحت فى ذلك بعض النجاح، اذ كانت الشمس مائلة نحو الغروب، وكان هبوب الريح يجعل الاشباح البعيدة غير واضحة كما ان ابرة البوصلة لم تستقر على حال. وكانت القرى تظهر لنا فى كل ناحية من نواحى السهل، وكل شىء منبسط امامنا انبساط سطح البحر.

ويعتقد الميجر (رەنەل) بان (كرمليس) هى (كوكەمەلا)* ولكن يظهر مما كتبه (اريەن ــ Arrian) و (كوينتوس كورتيوس) بان (كوكەمالا) كانت واقعة على ضفة (بومادوس) وعلى هذا لا يمكن القول باى وجه بان (كرمليس) كانت على ذلك النهر. وفى الحقيقة انه يصعب علينا ان نبت فى اى من القرى العديدة القائمة فى هذا السهل، وعلى طول مجرى (بومادوس) كانت (كوكەمالا). واننا نعلم جيدا بان (كوكەمالا) كانت، حتى فى عهد الاسكندر قرية لا شأن لها، الامر الذى جعل الاغريق يطلقون على الموقعة الحاسمة اسم (اربيللا) لانها كانت اقرب موقع مهم من ساحة المعركة. وقد ذكرت (كوكەمالا) دون غيرها بغية تعيين موقع المعركة، اما اليوم فليس لنا اذا اردنا ان نعثر على موقع (كوكەمەلا) الا ان نستمد ذلك من معلوماتنا عن السهل، لكن هذا امر لا طائل منه ان لم نقل انه مستحيل. واننى لا اجد اى سبب يجعلنى ان اختار (كرمليس) دون غيرها من القرى التى تحيط بها باعتبار انها (كوكەمالا)، وقد يكون الجهل بموقع المكان والاشتقاق الغريب لاسمه هما الداعيان لاختيارها. وتقع (كرمليس) فى وسط السهل تقريبا** وليس فى موقعها امر يسترعى الانظار.

(*) راجع الصفحتين ١٥٣، ١٥٤ من كتاب نظرات فى تاريخ حملة كورش لمؤلفه ميجر رەنەل.

(**) ينبع جدول صغير من (تارجەللا ــ ترجلله)، فيمر فى (شاه قولى)، فيؤم (كرمليس). وفى هذه القرية يستغل لارواء زراعة القطن، وعندما لا يستغل كله للزراعة فى (كرمليس)، تمر مياهه من جوار (قەرەقووش) حيث تعلوه قنطرة ذات قوس واحد ثم ينصب فى دجلة.

درجة الحرارة ـ ٥٨ درجة فى السادسة قبل الظهر، و ٨٠ درجة فى الثانية بعد الظهر و ٦٤ درجة فى العاشرة بعد الظهر.

٣١ تشرين الاول.

امتطينا الجياد فى السادسة والربع، والطريق من هنا الى الموصل باتجاه ٧٥ د. شمالى غربى. سرنا فى السهل المنبسط حتى الثامنة ثم اصبح وجه الارض حصويا غير منبسط. اما السهل فلا يزال ممتدا على بعد عن يميننا. وفى الثامنة والنصف جئنا الى ارض اكثر ارتفاعا، وقد اختفى السهل عن اعيننا فى كل الانحاء. ولم تمض برهة الا وانحدرنا الى مجرى نهر اسمه (شورده‌ره) او الوادى المالح وكان يابسا، اما فى الشتاء والربيع فلا يمكن عبوره احيانا لمدة يومين او ثلاثة ايام من جراء المياه والاوحال. ومررنا هنا بقافلة جمال محملة عفصا ونحاسا فى طريقها الى بغداد.

وفى التاسعة والدقيقة الخمسين وصلنا الى سد كبير، ثم الى منخفض يشبه الحفرة ثم الى سد اخر، والاتراك الموصليون يعتبرون هذه اول (نينوى) او مطلعها، وبعد مدة وجيزة وصلنا الى حفرة اخرى وجدار، ويظهر ان ذلك مما يدل على انه كان لنينوى سوران. وفى الاسفل او عند هذا الجدار الثانى توجد عين ماء او بئر يعلوها قوس من بناية قديمة، مؤلف من احجار كبيرة ويسمى هذا البئر بـ (داملاماجه) ويعتقد الاهلون بان فى مياهه شفاء للكثير من الامراض ليس لخصائصها الطبية بل لبعض الامور الخرافية المنسوبة الى البئر وكلهم يعتقدون بانها مسكونة من الجان، ولا يجرؤ احد على التقرب منها بعد حلول الظلام وقد اخبرنى حسين آغا انه مر فى ظلام ليلة من الليالى بالبئر فسمع دقات طبول وضجيجا صاخبا من داخلها فحث جواده هربا ذلك لان الرجل الذى يجرؤ ولو بغير قصد على الوقوف لمشاهدة الجان فانه اما ان يموت لساعته واما ان يفقد صوابه. ولقد ذقت الماء فوجدته عذبا، وكان صافيا ونقيا.

مكثت عند البئر عشر دقائق، واستأنفت المسير مارا بمنطقة نينوى، بمحاذاة قرية (نبى يونس) وهى عن يسارنا. لقد امست اسوار نينوى الشرقية

ركاما حصوية، وكانها طبيعية. ووصلنا الى ضفة دجلة فى الدقيقة الخامسة والعشرين بعد العاشرة. فعبرناه بمعبر الى مسكننا الذى اتخذناه طيلة مكوثنا فى الموصل، وهو جنينة نعمان باشا الواقعة الى جنوب المدينة، والتى هيأها لنا صديقى اللطيف الباشا، وذلك لان الاقامة فيها قد تكون افضل من الاقامة داخل المدينة.

وتقدر المرحلة من كرمليس الى الموصل باربع ساعات. اما نحن فقد سلخناها باربع ساعات وربع الساعة. وقد كانت مسيرتنا جيدة ان لم تكن ممتازة.

درجة الحرارة ـ فى السادسة صباحا ٥٨ وفى الثانية بعد الظهر ٧٨.

الملحق الاول

شذرات من مذكرات السيدة ريج فى رحلتها من بغداد الى السليمانية
(راجع الصفحة ٣)

ملحوظة :ـ لقد طوى المترجم من مذكرات السيدة (ريج) كل ما جاء فى يوميات بعلها ـ الا ما ندر ـ من وصف الرحلة والارض والطرق، واعتنى بوجه خاص ان يثبت ما دونته فى يومياتها عن النسوة، والحياة النسوية.

* * *

١٦ نيسان ١٨٢٠ .

واخيرا، بعد ان اخرتنى زائرات عديدات حتى الساعة الثانية عشرة، ودعت دار المقيمية وذهبت لاداء بعض الزيارات مودعة. ذهبت اولا الى صديقتى الكردية (صالحة خانم) زوجة سليمان باشا، فلم اجدها تغبطنى مطلقا على رحلتى هذه الى جبال موطنها. انها وصفت لى انسحابا او تقهقرا يضاهى تقهقر العشرة آلاف، كانت فيه بصحبة زوجها وهو يتراجع من (كوى سنجاق) الى (كرمنشاه) فوق جبال (رەوەند ـRevend) فى منطقة عشيرة (بلباس) الكردية، وهى من اوحش العشائر المستقلة، وكان قد حرضهم باشا بغداد على مهاجمة زوجها وقتله. وقد استمروا فى قتال دائم حوالي اربعين يوما.

وها انا انقل كلماتها كما هى، قالت : «كثيرا ما كان الرصاص يتطاير من حولى من كل ناحية، وانا ممتطية جوادى، وحينما وليت وجهى لم اكن ارى الا القتلى او الجرحى مجندلين على الارض حولى» انهم نجوا وشعروا بسرور السلامة بشجاعة اتباعهم ومساندة بعض الاصدقاء الاوفياء لهم مساندة جاءت فى حينها. كانت الخانم جميلة حسناء، مكتملة الانوثة، نحيفة القد رشيقته الامر الذى لا يتفق والمخاطرة الفريدة التى انغمرت فيها، فقد كانت تقص على قصتها بهدوء وتؤدة وتواضع. ودعتها ميممة شطر حرم الكهيا لتوديع صديقتى الحميمة الوفية (حنيفة خاتون)، ومن الغريب اننى وجدتها غاضبة كل الغضب لذهابنا الى بلاد وحشية جدا مثل كردستان تاركين راحة بغداد ومباهجها.

فارقتها عند الغروب وانا حزينة، وذهبت الى بستان صالح بك وهى تبعد عن المدينة مسيرة خمس دقائق؛ للمبيت عند والدته وغيرها من السيدات التركيات الصديقات اللاتى اجتمعن هناك لتوديعى.

كان زوجى قد ذهب الى بستان الحاج عبدالله بك التى تبعد عن بغداد مسافة ثلاثة اميال، وقد دعى لقضاء ليلته هناك. ومن هـذا المكان بدأت سياحتنا. لقد كانت الليلة ممطرة عاصفة. وقد استغربنا جميعا لرؤيتنا زوجة الحاج عبدالله بك تدخل علينا فى الساعة العاشرة تقريبا؛ انها امتطت جوادها، وقطعت فى هذا الجو الردىء وفى الظلام ثلاثة اميال بغية قضاء ليلتها الاخيرة بصحبتى. . .

* * *

١٧ نيسان ١٨٢٠.

بعد نوم ساعتين نهضت مع الفجر فودعت صديقاتى الكريمات، وقد اخذ الحزن منا جميعا كل مأخذ. واصرت ضابط خاتون زوجة الحاج عبدالله بك على مرافقتى حتى دار الحديقة فاركبتها وبنت اختها الجميلة الصغيرة فاطمة خانم تخت روانى، كما اركبت خادمى (تقى) على حمار وركبت انا والم ميناس التى رافقتنى فى سفرتى هذه المحفات (الكجوات) واتجهنا الى حديقة البك، وخدمى يحيطون بنا على ظهور جيادهم. هذا ولم يسمح لنا صديقنا بان نمر بداره دون ان ننزل عنده ونتناول بعض المرطبات.

ولما كان زوجى على وشك الشروع بالمسير عند وصولنا، وكانت الاداب الشرقية تعيب المرء اذا اعتنى بزوجته اكثر من اعتنائه بامتعة سفره، او اذا سمح لها بان تصحبه فى موكبه او قافلته قبلت الدعوة وانتهزت الفرصة لتناول فطور جيد قبل الرحيل، وقد قطع زوجى وصحبه فى الوقت نفسه مسافة لا يستهان بها من الطريق.

رحلت عند الساعة العاشرة، وصديقاتى الكريمات وحاشياتهن يبتهلن متمنيات لنا اطيب الامانى. ركبت التخت روان؛ وفى وصف التخت روان اقول انه محفة مثبتة على عمودين متوازيين فى المقدمة وعمودين متوازيين اخرين

فى المؤخرة تحمل على ظهور البغال ويعلوها غطاء من قماش احمر مزوق من الزوايا الاربع بالاكر المذهبة*، اما خادماتى فقد ركبن (الكجوات) وهذه اشبه باقفاص يحمل اثنان منها على البغل الواحد وعلى كل من جانبيه لتعادل الحمل، ولسمنة ام ميناس ونحافة (تقى) المسكين فقد كان من الامور الصعبة المضحكة ان يوضع فى كجاوة (تقى) كمية من الاحجار لتعادل ثقل الجانب الاخر. ومهما كان الامر فالسفر فى الكجوات لم يكن مريحا، اذ على الراكب ان يجلس فيها القرفصاء.

وكان يرافق ركابى ستة فرسان، ما عدا الخدم والمكاريين.

وعند الخامسة وصلنا مخيمنا بالقرب من قرية (دوخله) . . . . . .

* * *

٢١ نيسان.

. . . . بدأت السماء تمطر عند شروعنا بالمسير، وبعد مدة وجيزة هبت ريح جنوبية شرقية شديدة فكنف المطر وصحت السماء صحوا جميلا. وكانت ام ميناس منزعجة انزعاجا شديدا طيلة الطريق، وبالرغم من شعورى بالاشفاق عليها، لم اتمالك نفسى من الضحك اذ كان فى سيمائها وفى ملامح وجهها التى كانت تنم عن اليأس والقنوط ما يثير الضحك، وكذلك فى وضع دابتها المسكينة التى تطوى بها الاوحال وهى على ظهرها غير مطمئنة لراحتها. وصلنا (جوبوق) فى العاشرة.

. . . . بقيت والحق يقال ارتجف حتى انبلاج الصبح، اذ لم اكن اعلم ماذا يخبىء لنا الدهر فى كل لحظة، واقل الاحتمالات شرا هو ان نبتل، او ان تتقوض الخيمة علينا. لقد كانت ليلة من ليالى (بايرون).

٢٣ نيسان.

. . . . . . وفى العاشرة وصلنا (دەلى‌عباس) على قناة (الخالص) وما هى الا بقايا قرية. وكنا نشاهد القرى فى جميع الانحاء المحيطة بنا الا انه لم تقع احداهن على طريقنا مباشرة. اخبرنا بعض القرويين من قرية (آدانه كوى)

(*) راجع الحاشية (*) من الصفحة ٢ .

المجاورة، ان الامطار استمرت عندهم لمدة ثمانية ايام متوالية، وان الارض بكاملها قد غمرتها المياه. وقد قلقوا كثيرا فى ليلة الخميس لمرور ثلاث اكر نارية، او صواعق فوقهم، وكانت آتيـة من الغرب ومتجهـة نحو جبـال حمرين . . .

* * *

٢٤ نيسان.

. . . . . بلغنا نهاية تلال ينعتها الاهلون بجبال (حمرين) وذلك بعد السابعة بقليل، وفى هذه الساعة المت بام ميناس آلام شديدة حتى باتت تعتقد فى الحقيقة ان ساعتها قد اقتربت. لا يستطيع مجازف، يتسلق جبال (تشيم بورازو ـ Chim Borazo) او الجبـال الابيض ـ Mont Blanc) او (هەمەلايا)، ان يقدر جرأته وشجاعته مثلما شعرت ام ميناس عندما رأت نفسها آمنة مطمئنة فوق هذه الروابى الصخرية. امتطيت جوادى تخفيفا عن اتعاب بغال التخت روان، ولتغيير وسيلة السفر، اما حاشيتى فقد تبعتنى على مسافة قصيرة لكى استطيع الركوب سافرة عن وجهى. وما كان بحراستى احد الا ميناس. وهكذا بدأت بالانحدار من التلال . . . .

. . . . والمنظر من اعالى قمة الجبل، وان لم يضاه المنظر من اعالى (زورا) فانه يبعث الرضى فى نفس من يحب المناظر التى تقترب فى جمالها من حد الابداع؛ فى نفس من قد حرم من مثل تلك المشاهدة مدة طويلة. فالمروج الخضراء والقرى البعيـدة ونهر ديالى الفيـاض المتمعج فى السهـل وحتى الجبال النائية كلها كانت بديعة سارة على الرغم من تواضع هذه المناظر التى اثرت فى نفسى التأثير الـكلى. وبعد انحـدارى من التلال وانا على صهوة جوادى، وبعد التمتع بقليل من الراحة، دخلت محملى ثانية قبل العاشرة.

. . . . و (قەرەتەپە) قرية تركمانية، فيها تكية للدراويش القادريين، وقد تكون قديمة جدا؛ دفن فيها احد سلاطين بخارى المشهورين، وكان قد انزوى فى هذه القرية فى عهد الخلفاء العباسيين . . . . .

وفى الجهة المقابلة من القرية، يقوم طنف اخر اتضح انه انقاض حصن قديم . وسكان هذه المناطق مبتلون بامراض العين كسكان بغداد، وكانت النسوة يترددن بالحاح على خادماتى ويضايقنهن بطلب السكر الافرنجى، اى السكر الاوروبى* وهو دواء مهم لامراض العين فى جميع انحاء الشرق .

بلغت درجة الحرارة فى التختروان فى الساعة الثانية بعد الظهر ٩٠ د .

* * *

٢٥ نيسان . . . . . .

نهضنا على عادتنا بعد الرابعة بقليل . وكان صباحا رائقا جميلا، والنسيم شماليا غربيا عليلا، وكنت جالسة على بساطى تحت شجرة بانتظار دعوتى لركوب التختروان، وبعد ان رحل الرجال وجدت كثيرا من النسوة وقد اجتمعن حولى، وكانت احدى النساء المسكينات فى حالة بؤس وشقاء شديدين لما اصاب عائلتها من القسوة المخيفة التى تعرضت اليها . لقد تزوجت ابنتها قبل مدة من ابن عمها الذى طلقها اخيرا برضاء الطرفين ـ والطلاق امر شائع بين الطبقة العامة من المسلمين ـ وتزوج بعد مدة من امرأة اخرى، فاقتدت المطلقة به وتزوجت من رجل اخر . ومن المؤلم ان نذكر بان زوجها السابق قد قتلها اثر زواجها دون يكون لذلك سبب، فارادت الام الشقية الذهاب الى بغداد لترتمى عند اقدام الباشا شاكية، لكنها لم تجسر اذ ان الجانى هددها بتعقيبها وقتلها اذا سارت خطوة واحدة فى تحقيق هذا الغرض . فهى ارملة ولها ولد وحيد لا يزال صبيا وهو يسعى لتسليتها ويعدها بانه سينتقم لاخته عندما يبلغ اشده . . . .

وكاد يسقط التختروان من الضفة فى الاوحال، فارتجفت بل اصابتنى رعدة الا اننى لم انزعج، وسمعت صرخة من آمنة خاتون (ام ميناس) تعبر

(*) المعروف فى العراق بـ (شكر كله) او (قند) ويعلم المترجم ان الاهليين فى بغداد وغيرها كانوا يرغبون فى رأس (الكلة) وهو قمة المخروط من قطعة السكر، ويكون عادة مثقوبا فيميعونه على النار ويصبون المائع فى العين المريضة، وكلمة (كله) ـ بتشديد اللام والهاء الساكنة ـ كلمة تركية معناها الرأس . ـ المترجم .

عن خوفها من ان ترانى وقد تحطمت على الارض اوصالا. ولكن قوة المكارين ونشاطهم انقذانى من التعرض للخطر.

وفى الثانية عشرة وصلنا (كفري) فوجدنا مساكن مريحة قد خصصت لنا فى دار مزارع تركى كريم، كان من الاثرياء سابقا، اما الان فقد انزلته مشاركة الحكومة التركية لثروته الى الدرك الاسفل من الفقر. وقبيل رحيلنا من بغداد كان قد اخرجه المستر (ريج) من الحبس، واقنع الباشا بان يعفيه من دين عليه للحكومة مقداره الف قرش.

قبل مدة تزيد على الخمسة عشر عاما، كانت قرية (قه‌ره‌ته‌به) تشمل على سبعمائة دار اما الان فليس فيها الا خمس وخمسون دارا. فلقد اضطر اكثر الاهلون الى الهجرة الى بغداد تخلصا من مضايقة حكامهم لهم. وهذا ينطبق على جميع القرى فى هذه الباشوية، وغيرها من باشويات الامبراطورية التركية.

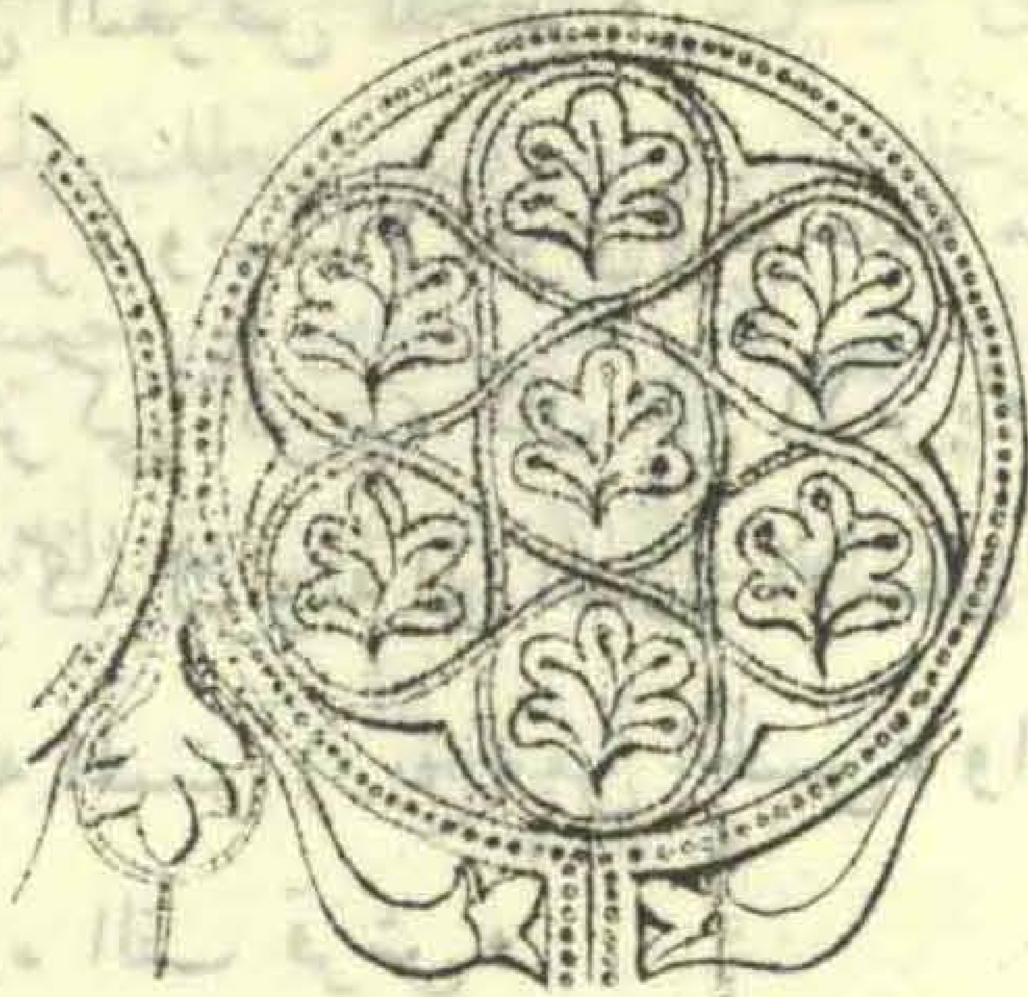
* * *

٢٦ نيسان:

يوم استراحة للحاشية والبغال. امتطينا صهوات جيادنا بعد تناولنا الفطور لمشاهدة بعض الخرائب التى اكتشفها المستر (ريج) يوم امس خلال تنزهه عصرا، وكانت تبعد عن القرية بمسافة عشر دقائق وهى فى مجرى السيل.

وجدنا الشمسية وقد نصبت لنا، وبساطنا وقد فرش، ومحمود جاد فى الحفر، فارسلنا المستر (بەل‌لی‌نو) ليرى بعض الخرائب الاخرى التى لا تبعد كثيرا، وليخبرنا فيما اذا كانت تستحق عناء الذهاب اليها لمشاهدتها. وبعد مدة قصيرة كشفنا عن غرفة صغيرة مبنية جدرانها بناء خشنا بالاحجار السائبة المرصوفة بعضها فوق بعض وقد جصصت جدرانها ونقشت بنقوش متقاطعة، كان بعضها بديعا حقا. ويبدو ان ارض الغرفة كانت مفروشة بالجص البسيط وكذلك السقف الذى صبغ بلون قرمزى غامق ونقش بالازهار او بالريازة العربية. وكانت الخطوط الاساسية لهذه النقوش باللون الاسود، محاطة بلون

احمر لامع الامر الذي حيرنا، اذ لم نتذكر باننا سمعنا ببناء ايرلنى قديم بزخارف اغريقية.



وولجنا مدخل هذه الغرفة وكان سليما، وكشفنا عن قسم من غرفة اخرى كانت اقل جودة من الاولى. ويبدو ان الغرفتين تؤلفان قسما من عدد غرف صغيرة جدا يصح التعبير عنها بالسراديب او الاقبية وهي تمتد نحو الغرب الجنوبي الغربي والى الشرق الشمالي الشرقي، وشاهدنا آثار خمس او ست منها. واتضح لنا ان الجانب الشمالي منها قد دعم او اسند الى دعائم صغيرة مستديرة. وقد كشفنا النقاب في الغرفة الاولى، وهي اكثر الغرف غرابة، عن قطع من مادة سوداء تشبه فحم الخشب. وعبثا حاولنا ان نعثر على كتابة او قطع من المسكوكات . . . . . .

* * *

٢٧ نيسان.

انا اليوم منحرفة الصحة انحرافا استطيع معه ان استأنف السفر او اصحب الرجال، في جولة بقصد البحث في الخرائب في مكان اسمه (اسكي كفري)، على مسيرة ساعتين حيث اسعدهم الحظ باكتشاف انقاض اغلى فائدة واوسع ساحة من انقاض او خرائب امس، وان كانت تختلف عنها من حيث الطراز والنوع. فاينما حفروا عثروا على عظام وانقاض. فاية كثافة من النفوس كانت في هذه البلاد المقفرة من سكانها الان ؟

لقد جاءنا الاهلون اليوم ببعض المسكوكات الارساسية* والساسانية والكوفية وختم روماني واخر ساساني وكانت الكتابة على الاخير واضحة كل الوضوح. وهذا مما قد يكشف عن غموض هذه الخرائب ويلقى ضوءا عليها.

(*) والارساسيون، سلالة انبعثت من الايرانيين الفرثيين — المترجم.

كان اليوم قائضا مزعجا، اذ كانت الرياح جنوبية شرقية. ومن المتوقع وصول والدة محمود، باشا السليمانية غدا الى هنا، فى طريقها الى بغداد، ويقال انها ذاهبة اليها لمفاوضة داود باشا فى امر السلم بين الفريقين. لقد صحبها ابنها الاصغر عثمان بك، حتى الحدود التركية* انهم سلكوا طريق (سه كيرمه) او الطريق المستقيم مخترقين الجبال، ومارين بابراهيم خانجى. وقد علمنا انهم استخدموا ما ينوف على الالف قروى لتمهيد السبيل امامهم، اذ لولا ذلك لما امكن طرقه وهذا ما لا يدعو الى ندمنا على القرار الذى اتخذناه للسير بطريق اسهل ندخل به كردستان، وان كان اطول مدى.

* * *

٢٨ نيسان.

رحلنا من كفرى فى السادسة، واطفال القرية يتبعوننا ويغمروننا بالازهار....

وكان الرجال والنساء جادين فى المزارع الا ان الفتور كان ظاهرا فى عملهم، فقد كانوا يحصدون الزرع بمناجل صغيرة بالية كالمدى التى يستعملها البستانيون فى انكلترا فى تشذيب حدائقهم....

وفى الثانية بعد الظهر وصلنا السيل الذى يمر من جوار (طوزخورماتو) واسمه (آق صو) وهو ينحدر من الجبال الكردية عند (ابراهيم خانجى). وبعد ان استدرنا فى طرق ضيقة جميلة تكتنف الجنائن جانبيها وتتدلى خلالها اشجار الزيتون والاجاص والبرتقال فوق رؤوسنا مثقلة بثمارها وازهارها، ويعلوها الآلاف من اليمام وهى تردد الأغاريد الخلابة، وصلنا دار (عمر بك) الجميلة الجديدة فى الثانية والنصف وقد اخذ السرور منا مأخذه، اذ قد اخذ التعب منى نصيبا كبيرا؛ وقد فرحت كثيرا بما هيأه لى (كلود) بنفسه من فراش وثير وفاكهة طيبة.....

* * *

٢٩ نيسان.

على اثر اعتزامنا البقاء هنا لمدة يوم او يومين لاراحة الدواب، ذهب

(*) تقصد حدود باشويتى بغداد والسليمانية. — المترجم.

الرجال لزيارة بعض المنابع النفطية الكائنة فى الفتحة التى فتحها السيل بين التلال الواقعة الى الجنوب الشرقى من القرية . . .

لقد علمنا بقرب وصول عدد من السعاة (التاتار) من استانبول، وكلنا رجاء ان يصلوا قبل ان نبتعد عن طريق بغداد.

وقد بلغنا من اخبار بغداد، ان من المتوقع ان يقبل كل من العاصيين الفارين جاسم بك، وصادق بك العفو الذى صدر عنهما فيرجعا. اما الاخير فقد الح فى ان يكون المستر (ريج) كفيله، فهو لا يعتمد على غيره ويقول انه يعود الى ولائه على الفور دون شك او خوف، اذا اعطاه الـ (باليوز) بك، المستر (ريج)، وعدا بكفالته. لقد كان هذا امرا خارجا عن نطاق الامكان، اذ ان الحكومة ستطلب ولا شك من المستر (ريج) ان يكون مسؤولا عن حسن سلوك هذا الرجل الشاب الذى وان كان مستعدا لربط نفسه باى يمين يطلبه منه المستر (ريج)، وذلك لان الفتى المسكين لا يركن على وعد ابناء بلاده، كما ان المستر (ريج) لا يعتمد عليه مهما كانت الايمان التى قسمها مغلظة. لقد مرت بنا تجارب محزنة فى هذا الباب، وهى قضية الاخ الاكبر لهـذا الشاب، وهو المرحوم سعيد باشا الذى اضطر المستر (ريج) ان يتعهد بكفالته لصيانة حياته، وقد حلف بالقرآن بحضور الباشا ورئيس الوزراء والمستر ريج وغيرهم بانه لا يتشبث بالهروب من بغداد ولكنه هرب فعلا بعد مدة قصيرة، واتخذ الشقاوة مهنة واصبح باشا وقتل نفس الرجل الذى حفظ له حياته وماله بتوسط من المستر (ريج) . . . . .

* * *

٣٠ نيسان.

كلود منحرف المزاج كثيرا بتأثير حمى صفراوية شديدة اضطرته الى الركون الى الهدوء.

كان صباحا رائقا صحوا، والنسيم شماليا غربيا عليلا، ولكن الغيوم تلبدت بعد الظهر، وامطرت السماء قليلا اعقبها رعد يسمع من بعيد، ويظهر ان الجو فى بغداد لم يستقر بل هو عاصف ايضا مثل جونا. لقد امطرت السماء بلا انقطاع نهارا وليلة فجعلت المرور فى الازقة مستحيلا.

بقى (كلود) مريضا طيلة اليوم، وقد زادت وطأته عند المساء فرجوته ان يتخلى عن فكرة السفر غدا.

* * *

١ ايار.

قضى المستر ريج ليلة هادئة، ولما كان اليوم جميلا جدا فقد رغب كل الرغبة فى عبور سيل (طاووق) قبل هطول امطار اخرى تجعل عبوره مستحيلا، ولذا رأى افضلية الرحيل من (طوز خورماتو).

وجريا على العادة، لم اتحرك انا وحاشيتى الا بعد رحيل الرجال بنصف ساعة، وقد تحركوا فى السادسة. وكان النهار بديعا انعش زوجى العزيز.

وعلى الرغم من لطافة قرية (طوز خورماتو) فقد كنت مرتابة فى كونها صحية لكثرة مشاتل الشلب فيها. و (كلود) لم يمرض هذا المرض الشديد، الا بعد وصولنا هذا المكان. لقد شعرت انا ايضا بالانحراف وشكت حاشيتنا ذلك.

وبعد ان ودعنا (طوز خورماتو) الخادعة اجتزنا جماعة تدعى بالتركية (دەلى دومەن)* وهى جماعة متشردة، مهرجة تحترف الغناء، وكانت جماعة مضحكة جدا، وبظهورهم تعالى الفرح والطرب فى نفوس اتباعنا. لقد كانت الجماعة مؤلفة من سبعة او ثمانية اشخاص ممتطين الحمير الصغيرة الهزيلة، وعليهم الاسمال البالية وهم نحاف هزيلون ايضا. وكان احدهم، ويظهر انه المهرج الاول بينهم، واضعا فوق رأسه قاووقا** قديما قطن بطانته بارز من خروقه. لقد كان يمتطى حمارا قزما حتى ظهر كأنه يمشى على الارض من فوقه اذ ان قدميه لم تكونا تعلوان عن الارض الا عقدتين تقريبا. لكن كل من

(*) (دەلى دومەن) يعبر بهذا التعبير التركى عن الرجل الفظ الطباع، ولكن كما يظهر من النص انها جماعة من الغجر. — المترجم.

(**) الـ (قاووق) لباس رأس تركى قديم. ومعناه اللفظى (الشىء الفارغ الجوف) وقد جاء فى حاشية الكاتبة ما يلى :— «لباس رأس مبطن بالقطن، يلبسه جميع رجال الحكومة التركية وضباطها.» والواقع ان القاووق نوع من البسة الرأس العديدة التى لبسها الاتراك والبسوها. راجع حاشية الصفحة ١٤٣ للاستزادة. — المترجم.

على آغا، ورئيس الخدم جواديهما واغارا عليه ليلعبا معه الجريد، وطاردا حماره وهو عليه واوقعا قاووقه على الارض وصارا يداعبانه قفزا ونطاء لتسلية الناظرين. . . . .

وكنا كلما تقدمنا فى طريقنا نلاحظ قلة الاراضى المزروعة وكثرة المراعى الغنية، ووجدنا جماعات من المسافرين رجالا ونساء واطفالا اكثر مما شاهدناه منذ رحيلنا من بغداد.

واخيرا عند منتصف النهار وصلنا (طاووق جاى) او سيل طاووق العظيم الذى زاد فى مخاوف ام ميناس وكربها، وهى لم تذق الطعام ولم تنم ليلة امس لمخاوفها منه. وهذا النهر ينبع من جبال كردستان القائمة على مسافة قليلة من يمين طريقنا، وتستغل مياهه فى الصيف فى الارواء ولا يزيد فى الخريف عمق مياهه على القدم ونصف القدم، واننا نستند بقولنا هذا على خبرتنا السابقة اذ عبرناه فى شهر تشرين الاول من سنة ١٨١٣ فى طريقنا الى استانبول. اما وقت فيضانه وخطورته فهو الشتاء والربيع حيث تهطل الامطار الغزيرة على الجبال فجأة فيصبح متفرعا، تملأ المياه مجراه كله وهو نصف الميل عرضا فيجرى جريانا سريعا مخيفا جارفا معه الصخور العظيمة. وقد يباغت سيله وفيضانه المسافرين وهم وسط مجراه، ومن هنا نشأت مخاوف آمنة خاتون . .

وقد ذكره بطليموس باسم (كوركووس ـ Gorgus) وزەنيفون باسم (فيسكووس ـ Phiscus) ودانفيل باسم (اودورنه ـ Odorneh)

وفى الثانية وصلنا (طاووق) ولجأنا الى مكان مريح، ولقد استغربت للامر. فان منظر القرية منظر قذر وهى تقع فى سهل خصب، غزير المياه. ومن بقايا الخرائب الكثيرة التى تحيط بالقرية من كل ناحية يبدو لنا انها كانت فيما مضى مدينة واسعة الارجاء. وكل ما بقى منها هو من عهد الخلفاء الذين يبدو والحق يقال، انهم كانوا حكاما مثقفين انسانيين كغيرهم ممن سبقهم من الحكام، وان البلاد كانت غاصة بالنفوس فى عهدهم كما كانت فى عهود سميراميس وخسرو وغيرهما. و (طاووق) او (داقوق) فى العصر الثالث عشر

كانت مركز الابريشيه الكلدانية، وكانت ولا ريب تشتمل على عدد كبير من المسيحيين ولا يزال يشاهد فيها انقاض ما يسمونها بالكنيسة.

* * *

٢ ايار.

قضيت ليلة مزعجة لا راحة فيها، ساورت النوم خلالها الاحلام المزعجة مما جعلني افضل الارق عليه. وغلبني النوم عند الفجر، وعندما استيقظت استغربت اذ لم اسمع صوتا يدل على التهيؤ للرحيل ورأيت الناس اكثر ميلا الى الفتور والكسل لقضاء اليوم هنا بحجة كون السماء ملبدة بالغيوم والمطر محتمل الهطول، الا ان شكيمتنا لم تلن؛ فموسم الصيف آخذ بالتقدم واذا ما تأخرنا كثيرا فقد نجد انفسنا في غمرة الحر قبل ان نقطع السهول. ان السفر بعد الساعة الثامنة صباحا في الضواحي القريبة من بغداد المتأججة يعد من الامور المستحيلة.

يؤسفني ان اقول اننا سنبتعد الان عن طريق البريد كما ستراءى لك اذا كنت تتذكر* شيئا يتعلق بسياحتنا السابقة الى استانبول. واننا الان نضيع اخر فرصة لنا في مقابلة التاتار (ساعي البريد) الذي يقال انه يقترب منا بخطوات حثيثة يحمل رزمة خاصة بنا.

يرغب المستر (ريج) في ان يوصي مأمور البريد في (طاووق) حتى يوفد الساعي الى السليمانية مباشرة من (طاووق) عند وصوله اليها ولكنه علم انه اذا لم تصدر الاوامر السريعة من حكومة بغداد فالقرى لا تعطي الجياد لهذا الغرض. وعدا ذلك قد يظن حاكمنا المتوجس المرتاب داود باشا ان لوصول الساعي من استانبول علاقة بسفرنا الى كردستان، هذا السفر الذي لم يرق له في الواقع وما كان راضيا عنه، فالتركي لا يعتقد بالسفر ترويحا للنفس او طلبا للاستشفاء، وقد يتذرع احيانا بهذه الاسباب لكنه لا يضع على الدوام امام عينيه بعض الدوافع الخفية التي لا يعترف بها وهو لا يصدق اي

(*) يظهر للمترجم ان السيدة ارسلت يومياتها الى اهلها كرسائل وعندما نشرت رحلة زوجها، جمعتها والحقتها بها.

شخص يرغب السفر طلبا للراحة فقط . ومهما كان داود باشا يعتمد مباشرة في شؤونه على قوته او مقدرته في خداع الاخرين فانه لا يرتاح لاية خطوة يتخذها الاخرون، وانه اذا لم يصدق الاسباب المنتحلة لهذا العمل، فانه يعتقد ان وراءها امورا يقصد بها اذاه . فهو يسيء الظن في كل احد ولا يصدق احدا . ويسوءني ان اقول بان الناس جميعا يرتابون منه، ولا يصدقه احد .

انني مضطرة – ويسوءني ان اعترف بذلك – الى الانتظار مكرهة عدة ايام قبل ان ارى علامة بريد (مردنخ) المحبوبة . فاي مكان هذا الذي ساتسلم فيه كتبا خطها اعز الناس واكثرهم كمالا واحبهم الي، كتبا ممن يقطنون الانحاء الجميلة في ابدع واسعد بلاد العالم . اواه لو كان باستطاعتي ان اعطيكم فكرة عن البلاد الوحشية المحرقة التي نحن فيها؛ حقا عليكم ان تحبوا انكلترا وطنكم العزيز .

رحلنا في السادسة والثلث، ومضينا نسير حتى الثامنة في اوحال كثيرة ومزارع حبوب جميلة حتى وصلنا قرية في نهاية سلسلة طويلة من تلال واطئة، تنعت في هذا المكان (مطارا) ولكنني اعتقد انها لم تكن الا امتدادا من من تلال كفري . استدرنا كثيرا في مضيق تكسو ارضه الاحجار الرملية، ويجري فيه جدول ماء لطيف والصخور الكبيرة منتشرة في جميع انحائه . وقد جابهنا المصاعب الكثيرة في سحب التختروان في بعض الممرات الضيقة الزلقة . والبغال المسكينة كانت تنزلق انزلاقا رديئا، ولم تنج من السقوط على الارض احيانا الا ببذل جهد جهيد . وبعد ان جاوزنا الممر جوبهنا ببحر مرعب من تلال الاحجار الرملية الجرداء، ممتد الى ابعد ما يدركه البصر، لا خضرة فيها الا بعض مزارع حبوب قائمة في القليل من انحائها . . . . . .

. . . . وبعد الحادية عشرة بقليل وصلنا قرية (ليلان) وهي على بعد خمس ساعات من كركوك، فوجدنا فيها كوخا اخلي من قاطنيه لسكنانا . تعود هذه القرية الى عبدالله افندي متولي الامام الاعظم، وقد تعرفت على عائلته في بغداد معرفة جيدة . وهو الان هنا، وقد ارسل الينا هدية مؤلفة من خمس قطع من الجبن الطري اللذيذ، وبعض الزبدة الباهرة واللبن الرائب، انني لا استطيع

وصفه، لكنه من اجود مستحضرات الحليب التي عرفتها حتى الان. لقد اكلنا اكلة مترفة قد يعبر عنها بالغذاء في مثل هذه الساعة من النهار بفضل ضيافة الافندي الكريم . . . . .

* * *

٣ ايار.

سررنا كل السرور لتخلصنا من ملجأنا القذر، وسررت كل السرور لركوبي تختروانى ونجاتي من النسوة الصاخبات اللواتي كان لهن مظهر الرجال واللواتي احطن بي في اللحظة التي ركب زوجي العزيز فيها جواده وتركني، فانهن لم يجرأن على الاقتراب مني طالما كان بجواري، لكن يكدن يمتن تلهفا لاستراق نظرة الى . . . . .

. . . . وبعد التاسعة بقليل وصلنا مضرب يوسف اغا في وادي (ليلان)، وهو عبد كرجي من عبيد باشا بغداد وحاكم هذه المنطقة المسماة (قەرەحسن)، وهو صديق قديم للمستر (ريج) وقد اظهر كرما كبيرا عندما اصر على تضيفنا جميعا على وفرة عددنا. لقد نصبت خيمة لنا فوق مرتفع صغير يعلو النهر الذي احببته. . . .

وكان كل ما حولنا منعشا، الامر الذي جعلني عاطفية على حد تعبير (كلود)، على الرغم من انه كان يشاركني هـذا الشعور وان بذل جهـده لاخفائه. ويظهر ان حرماننا منذ امد بعيد من مشاهدة مثل هذه المناظر هو الذي جعلها تسحرنا وتخلب نفوسنا اكثر من غيرها من الاماكن الشهيرة التي رأيناها في انكلترا، او سويسرا او ايطاليا. تمشينا في الوادي بين الانجم وجمعنا الازهار والاوراد البرية ثم فوجئنا بعليقة زهر بري، فنسينا كل شيء غير هذا الزهر. وكدنا نعد منفانا الموحش اذ شعرنا باننا اصبحنا في انكلترا.

وعند المساء زارتني عقيلة يوسف آغا، وكانت متحجبة حجابا متقنا، فدخلت خيمتي زاحفة من تحت سجوف الخيمة لكي لا يشاهدها احد. لقد تملكها هذا الحرص على ما اعتقد، اثر زواجها من التركي، وهي عربية، وليس فعلها ذاك من عادات العرب. وعندما بارحتني زائرتي، قمنا للنزهة

ثانية، واخذ منا الاسف مأخذه عندما اجبرنا الظلام والتعب على العودة الى خيمتنا.

***

٥ ايار.

ترويحا للبغال وتخلصا من رجات التختروان فى سيره فوق الطريق المعروف عنه متعبا، ركبت فى الخامسة والنصف جوادى غير آسفة .....

وبعد الحادية عشرة بقليل وصلنا قرية (دەرکەزين) القائمة عند مدخل سهل جميل جدا، ويقال انه كثير الافاعى. وكانت هذه اخبارا غير سارة بالنسبة لنا، اذ نصبت خيمنا فى وسط عشب مرتفع.

لقد لاحظنا فى هذا المحل، طنفا اخر يشبه الطنف الذى خيمنا فيه امس واسمه (كوبارا)*.

اجفلت جفلة عنيفة مساء اليوم، حين شاهدت ام سبع وسبعين كبيرة تدب بسرعة فوق البساط التى كنا جالسين عليه. ولو كان فراشى مطروحا على الارض لما استطعت النوم بعد الذى رأيت، الا اننى اشكر سريرى السفرى الانكليزى الصغير فقد ارتميت عليه لتعبى الزائد، ونمت نومة هادئة دون ان تزعجنى الافاعى او امهات السبع والسبعين.

***

٦ ايار.

نهضنا فى الرابعة صباحا، واستمتعت ثانية بركوبى حصانى المريح، ركبنا فى الخامسة والنصف وقطرات الطل الوفيرة تبلل الاعشاب، وسرنا فى سهل جميل محاط من جميع الجهات بالتلال الواطئة الجرداء والقرى وبقاع المزارع الصغيرة منتشرة فيه هنا وهناك، مع ما كان يكتنفه من المراعى.

لقد ولجنا الان كردستان بعض الشىء فاحاطت بنا جبالها. اما اللغة المعروفة فيها فهى الكردية فقط. لقد بدأنا توا بملاحظة الفرق فى ملامح الاكراد من ابناء العشائر والقرويين، فالعينان عند ابناء العشائر متباعدتين

(*) والصحيح (كوبالە)، راجع الحاشية (**) من الصفحة ٤٣ . ـ المترجم.

والانف اقنى والجبين واسع والابدان ضخمة، والاعضاء متناسقة وهم ذوو هيئات عسكرية. اما سيماء القرويين، فانها منتظمة، وعيونهم ناعسة، وملامحهم الطف من ملامح ابناء العشائر. لكن القروى لم يكن طويل القامة او حر السلوك والاستقامة كاخيه العشائرى. وهذا الامر ليس من الامور العسيرة الفهم، فابناء العشائر هم الاسياد وابناء القرى هم العبيد . . . .

* * *

٨ ايار.

خيمنا اليوم فى بستان من بساتين الباشا متصلة بالمدينة تماما، اذ ان دخولنا البلدة فى هذا اليوم لم يكن ليتفق والترتيبات التى اتخذها اصدقاؤنا الكورهكيون، ولذلك اضطررت الى التخلى عن الركوب كما اضطررت على اخفاء نفسى اخفاء تاما فى التختروان، اذ كان من المتوقع ان تتجمهر الجماعات المتزاحمة من الناس للتطلع الى وجوه الاوروبيين الذين يدخلون بلادهم لاول مرة، وان ملابسهم الخاصة والجنود والهنود الذين يرافقونهم سيثيرون فضولهم ذلك لانهم اولا شغوفون بكل ما له علاقة بالحرب، وثانيا وبوجه خاص لانتهازهم فرصة مشاهدة جنود يظهر عليهم للوهلة الاولى انهم مسلمون، وكذلك الهنود والاوروبيون . . . .

عندما نزلت من التختروان، عجبت كل العجب حين لم ار غريبا حول مخيمنا على الاطلاق فكان يضاهى سكون مخيمنا على ضفاف دجلة. لقد خرج رجال المدينة البارزين لاستقبال (كلود). انهم شربوا القهوة وجلسوا قليلا دون ان يظهر منهم ما يشير الى تطفلهم فى النفوس او الى اية بادرة مخالفة للسلوك بل كانوا اناسا مهذبين التهذيب العالى؛ وقد انصرفوا بعد ذلك.

لقد صدرت الاوامر المشددة من الباشا بانزال العقاب الصارم فى من يقترب من مخيمنا، مهما كانت منزلته الا اذا اوفده هو، الامر الذى لم يستهدف منه الا تأمين راحتنا، والا كما يقولون، وانني اصدق حقيقة قولهم، لاحاط بنا الرجال والنساء والاولاد طيلة النهار من الصباح حتى المساء ليتطلعوا الى هذا المنظر الجديد عليهم.

بعد وصولنا بقليل، وصل تاتار، من استانبول، قصد بغداد اولا وهو لا يعلم برحيلنا منها فى سفرنا هذا. والرزمة التى اتانا بها الساعى كانت تحوى نعى الملك فى ٢٩ كانون الثانى، ووفاة (دوق كەنت) فى ٢٤ من الشهر ذاته. فتحت البريد وانا ارتجف وقد استولى على، كما هى عادتى شعور الفرح الذى يمازجه الخوف، واننى جابهت الخيبة الكبرى اذ لم اعثر على الكتابات اليدوية المحبوبة، بل حتى ولا على سطر واحد من خط (مردخ). لقد ضاق صدرى للامر الى ان رأيت اسم والدى فى احد الجرائد اليومية الصادرة فى اواسط شباط فارتحت قليلا.

ونظرا لوصول اخبار وفاة الملك، كان يجب اعادة التاتار فورا، كما يجب علينا ان نتخلى عن لذة مطالعة الجرائد. لكن ذلك لم يمنعنا من القاء نظرة خاطفة على حقول اعداد جريدة (ايفنينك مەلس ـ Evening Mails) الصادرة حتى الرابع عشر من شباط، وهذا ولا شك تاريخ متأخر اذا ما لاحظنا وصول البريد الى بغداد، وارساله منها الينا. لقد قطع التاتار المسافة بين بغداد وبين مكاننا الان باربعة ايام بطريق (سەكيرمه) وهو اقصر طريق، وفى بلاد مجهولة تقريبا ووحشية. قرأنا الخطب القيمة التى القاها والدى العزيز فى تأييد لائحة قانون الرقع والطوابع التى نرجو ان يكون قد نجح فيها لتحقيق المصادقة على هـذه الامور الخطيرة، اذ كانت هنالك قوة توقف سيرة وزرائنا الانكليز الحاليين الجائرة عند حدها. يبدو ان قتل (دوق دوبەررى ـ Duc de Berri) كان السبب فى اثارة شعور رهيب فى فرنسة، وهو شعور عدائى لم يسبق له مثيل نحو عائلة (بووربون) التعسة التى تستدعى الاشفـاق بالرغم من الجنايات التى اقترفتها. فما هى الفضيلة التى باستطاعتنا رجاؤها من اوربا اذا كانت انكلترا نفسها التى اعتادت ان تنظر الشعوب اليها نظرة احترام قد انحطت الى الحضيض.

وصلنا مع هـذا البريد متـاع وافر للقراءة من (جورنو ديه سافان ـ Journaux des Savans) و (جورنو ديه دام ـ Journaux des Dames) و (أدنبره اند كورتەرلى رفيو) وقد وصلتنا كل هذه الجرائد والمجلات فى

الوقت الملائم بعد سياحتنا المديدة هذه. انني اخشى ان لا يكون (زەنيفون) ومن كان معه من اليونان عند زحفهم فى (كاردوكيا)، قد ذاقوا لذة تسلم الرسائل من اليونان، او لذة تسلم (مورنينك كرونيكەل) من سبارطة، او اخر عدد من مجلة آثينس رفيو ـ Athen's Review)

وبينما نحن منهمكون فى لذتنا هذه التى جعلتنا ننسى مكاننا وما يحيط بنا كل النسيان، جاءتنا رسالة من محمود باشا حاكم السليمانية الحالى يخبر (كلود) بها انه يرغب فى زيارته بعد صلاة العصر الامر الذى جعلنا فى حاجة الى ترتيب وضعنا والتهيؤ لاستقباله . . . .

وعلى اثر تحية الجنود له ظهر انه ادرك معنى الاحترام الذى قوبل به، اذ انه رد التحية باحناء رأسه الى صدره. وفيما اتذكر وقد كنت اختلس النظرات لمشاهدته عن بعد من وراء سجوف خيمتى انه كان رجلا صغير البدن قصير القامة، لم يكن فيه ما يسترعى الانتباه او يميزه عن غيره فى مظهره. وانه على تناقض غريب مع رجاله الذين كانوا جميعا ذوى ابدان ضخمة وهيئات عسكرية. انه اكبر الانجال الخمسة للمرحوم عبدالرحمن باشا الشهير، وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره تقريبا، ذو طبع رقيق انسانى وان كان يفتقر الى العزم والحزم. وكان على جانب عظيم من التقوى الامر الذى جعله ينقاد الى ارباب الدين والعلماء، وما كان هؤلاء من اثقف الناس فى اى قسم من الامبراطورية الاسلامية؛ والمعروف عن طبقتهم هنا انها طبقة متعصبة عنيدة. لكن الباشا كان ذا حلم ولين ولم يخضع الى تعصبهم، لكونه سوداوى الطبع فقد كان يميل بطبيعة الحال الى النظر الى الامور التى تكتنفه نظرة قاتمة.

وعند المساء تمشينا داخل الجنينة، وكان الهواء معطرا بشذى الاوراد. اننى اشعر بالنفور الشديد من الرحيل من هذا المكان المبهج الى المدينة التى لم تظهر لنا جاذبيتها والتى يقال ان بيوتها خربة. اننى افضل البقاء حيث انا، ولكن قد اظهر الباشا الكريم الطبع، الخلوق، رغبته فى انتقالنا الى المدينة فلم يعد لى الا ان اضحى برغبتى ارضاء له.

***

١٠ ايار.

وكان للموكب عند دخوله المدينة استعراض باهر لكثرة المشتركين فيه وتنوع ازيائهم. لقد تألف الموكب من الاكراد والاوروبيين وهم جميعا فى بزاتهم الرسمية المبهجة، فالجنود الهنود بطبولهم ومزاميرهم والخيالة الروس بابواقهم*، والضباط من الاتراك المسيحيين وحتى اليهود والخدم التابعون لدار المقيمية كل هؤلاء كونوا شارة للعظمة البدائية الخليطة، وكان الاوروبيون فى مظهرهم الموحد المنسق يسترعى الانظار بوجه بارز، والموكب بكامله لم يكن الا رمزا ناطقا عن اوروبا وآسيا.

يبدو ان الباشا قد اظهر رغبته القوية فى سكنانا المدينة، وهو يرى ان رجوع المستر (ريج) الى مخيمه لم يكن فالا حسنا. واخيرا رضخ المستر (ريج) لهذه الرغبة معتقدا انه من الافضل ان ينزعج ولا يرتاح عوضا من ان يمس شعور هؤلاء الناس اللطفاء الكرماء او ان يخالف معتقداتهم. لذلك جمعنا اثقالنا وركبت تختروانى ايضا فاسدلت ستائره القرمزية وشدت شدا محكما من جميع اطرافها لكى لا يرى احد قلامة ظفر منى، بالرغم من ارتدائى المئزر** واسدالى البرقع، وفى مثل هذه الحالات التى انا فيها حيث تضطر حرم رجل له منزلته الى المرور علانية بين حشد من الناس، يجب ان لا يظهر منها حتى اطراف حجابها. هكذا وصلت الدار التى خصصت لاقامتنا، ومن الصعب ان اسميها دارا قبل ان ارى شيئا من السليمانية او من سكانها. وكانت الاصوات المستمرة الواطئة ــ التى كنت اسمعها من حولى وانا امر فى محملى المغلق على، الدليل الوحيد لدخولنا المدينة. وان اعجابى وحبى للعاصمة والبلاد واهلها انقلب الان الى كره ونفور نحوها جميعا لرداءة المكان الذى خصص لاقامتى، ومن الامور التى كانت تتطلب شجاعة عظمى ان اخاطر بدخول

(*) لم يذكر المستر (ريج) فى مذكراته هذه الخيالة. ــ المترجم.

(**) وقد جاءت فى النص (جرجف) وهو قطعة من القماش الحريرى المحقق بمربعات بيضاء وزرقاء وحافاتها موشاة بالقصب المذهب تلف الجسم بكامله الا الوجه الذى يستتر ببرقع مصنوع من شعر ذيول الخيل (وكان يسمى هذا النوع من البرقع ولا يزال فى بعض انحاء العراق بالخيلية. ــ المترجم). وهكذا تتحجب لابستها، وهى تتمكن من الرؤية من خلال البرقع بوضوح.

كومة من الخرائب كانت ماثلة امامى فى ساحة الدار الخارجية. وقد استجمعت قواي وولجت الدار وورائي كل من المستر (بهل‌لى‌نو) والطبيب الايطالى الصغير، واخذ اولهما ينفخ مزيلا الغبار بفطنة واخذ الثانى ينفض ما علق بكتفه منه باستهجان مقلدا ....

ليس لى اية علاقة بالديوان خانه - ولا يحتمل ان يكتب لى نصيب بمشاهدتها، فترتيباتها تضاهي ترتيبات الحرم تماما، اما حالتها فارداً منها، اننى اشفق على المستر (بهل‌لى‌نو) ورجالنا الذين سيمكثون فيها.

* * *

٢٠ ايار.

مرت فترة طويلة لم ادون مذكراتى فيها، ومنذ دخولى السليمانية بلغت حياتى من العزلة بحيث لم ار الا القليل الذى يستحق التدوين، ولكننى كنت كثيرة الكتابة عن طريق الرسائل. فمنذ دخولى الدار لم ابرح الحرم الا مرة واحدة للذهاب الى الحمام .....

* * *

٦ حزيران.

على ان اقضى اليوم بصحبة عائلة الباشا، ولما كانت العادة فى الشرق توجب على الزوار ان يقضوا يومهم - بالمعنى اللفظى - فى الزيارة، اكملت استعدادى فى العاشرة، فجاءتنى امرأة من القصر لتدلنى على الطريق الى الحرم. لقد صحبتنى ام ميناس وخادماتى، وسرنا متحجبات تحجبا كاملا ولم يكن علينا ان نمشي كثيرا لان بيتنا كان قريبا من القصر، ان مدخل الحرم لا يمر من ساحة القصر الخارجية، بل كان من وراء الحرم ذاته وكانت بابه صغيرة جدا اضطررت على الانحناء كثيرا لاستطيع المرور منها.

استقبلتنى هنا الكيوانيات - القهرمانات - ومن ورائهن رهط من الجوارى وقد سارت قهرمانه عن يمينى واخرى عن يسارى وقادتانى الى السلم فصعدناه، وعند باب غرفة واسعة استقبلتنى زوجة الباشا نفسها، ومن ورائها احدى شقيقات الباشا وعدة سيدات من العائلة. اديرت القهوة* والحلوى و (الشرابت)

(*) لم يأت ذكر الشاى حتى الان فى مذكرات الزوجين، ويظهر انه ما كان معروفا فى العراق فى ذلك العهد . - المترجم.

والغلايين كما هو المتبع، وقد ضاق صدرى وانهدت قواى لمراسيم المجاملات المعتادة هذه. ولكننى رأيتهن بعد انتهاء هذا الفصل من المجاملة الضرورية قد تخلين عن كل المراسيم، ورجعن الى دماثة اخلاقهن وبشاشتهن وعدم تكلفهن وهن يسعين سعيا حثيثا لاراحتى.

ان عادلة خانم، زوجة الباشا هى بنت عثمان بك، وعلى هذا فانها من اقرباء زوجها. وفى الحقيقة ان جميع اعضاء هذه العائلة العديدين قد تناسبوا وتزاوجوا فيما بينهم؛ وهم لا يتزاوجون مع الغرباء. وعادلة خانم فى السابعة والعشرين او الثامنة والعشرين من عمرها، وهى اطول من غيرها من نسوة العائلة، حنطاوية اللون سوداء الشعر، ذات عينين ناعستين، ومظهر جميل لا غموض فيه، وملامح رقيقة، جذابة فى سيمائها. وقد دل مظهرها على انها حزنت كثيرا فى ايامها، فقد رأيت فى تصرفها الاستسلام الجليل والتؤدة الرزينة الامر الذى اثر فى التأثير كله. وهى زوجة الباشا الوحيدة وهما مرتبطان ببعضهما كل الارتباط، وقد زادهما حزنهما المشترك لموت الكثير من اولادهما الذين اودى الجدرى بهم، حبا وتعلقا. ولم يكن عندهما الان الا طفل واحد* وهى وان كانت تحن اليه حنانا رقيقا فانها تتحدث عنه وكأنها لا تتوقع بقاءه لها ولزوجها. فكانت اذا نظرت اليه ترقرقت عيناها بالدموع وقالت «انه ليس لى، انه لله، ولا مرد لامره». حدثتها عن ضرورة تلقيحه ضد الجدرى فاصغت بعناية الى ما حدثتها عنه من فوائد التلقيح، لكن اليأس كان لا يزال باديا عليها فى توقع عدم جنى اية فائدة منه.

لقد شجعتنى واحيت املى، فى قبولها العمل بما قلت لها اذا جلبت لها اللقاح، ولكنها انهت قولها بالكلمات التالية «لابد من الانصياع الى ارادة الله، فالله اعلم، وعلينا ان نثق به» لقد عزمت على الكتابة فورا ليرسلوا لنا اللقاح مع

(*) كنت مخطئة فى ذلك، اذ كان لها ولدان، كان اكبرهما رهينة فى كرمنشاه، ويحتمل ان قد اصيب بالجدرى سابقا، وان قلق امه لم يكن كالقلق الذى تشعر به نحو طفلها الاصغر الذى لا يزال معرضا لخطر الاصابة بالجدرى والذى تتكلم عنه وحده.

ساع سريع، وانني سافرح الفرح كله اذا استطعت تخليص هـذا الطفل الصغير الجميل من ذلك المرض القاسي القتال• ان الالاف من البشر يذهبون ضحية هذا المرض في كردستان• ويحتمل ان الناس اذا علموا بان الباشا لقح طفله الوحيد ضد الجدري فانهم سيرغبون بالسماح لنا بتلقيح اطفالهم ايضا، وعندئذ سوف لا تكون سياحتنا الى كردستان بدون فائدة تذكر اذا وفقنا الى تخفيف وطأة الجدري الفتاك؟ وان لم نوفق الى القضاء عليه قضاء كاملا•

لقد قضت مضيفتي السنين الكثيرة في بغداد في عهد طفولتها، وقـد تعلمت التركية ايضا ولكن عدم ممارستها لها جعلها لا تتكلمها الا بصعوبة، وقد بذلت ما تستطيع لمحادثتي• قضيت والحق يقال يوما طيبا معها، ومع جماعتها العـديدات ورجعت الى الدار في الخـامسة وانا اقل تعبا مما كنت اتوقع(*)•

(*) هنا تنتهي مذكرات السيدة (ريج)، ولم تتطرق الى مـا بعـد ذلك من الرحلة •ـ المترجم•

رجـاء

راجع عنوان الملحق الثاني في الصفحة ٢٧٦ •

تكرر اسم (حوش كه‌ره‌ك) الوارد في الملحق الثاني كما تكرر في الفصل الاول من الرحلة، وقد تحققنا انه معروف الان بين الاهلين باسم (حوش كه‌رو) ويقع المكان بجوار قرية بهذا الاسم بين مدينة (خانقين) وقرية (قوراتو) التي كان خط السكة الحديدية الممتد الى (قوراتو) يمر بجوارها، وهي الى جنوب قرية باسم (على آغا)• ويطلق احيانا على هذا الموقع الاثري اسم (قصر حوش كه‌ررو ـ بتشديد الراء)• وجاء اسمه في الخرائط الحديثة، تارة بـ (Kori ـ كوري) وتارة بـ (Kuru ـ كووروو)، وقد اخبرني الاستاذ بشير فرنسيس في مديرية الاثار القـديمة العـامة ان جـاء اسم المكان في (Mannuel Histoire D' Architect) لمؤلفه (فرانسوابه‌نوا) بلفظة (Kauri ـ كوري)، وقد اثبتناه في الملحق الثاني كما يلفظه الاهلون وهو (حوش كه‌رو) •ـ المترجم•

الملحق الثانى

رحلة الى اطلال

(زندان) و (قصر شيرين) و (حوش كه‌ره‌ك)* ٠ ٠ الخ٠

عند حدود كردستان الجنوبية

خلال شهرى اذار ونيسان ١٨٢٠

وهى

نبذ من كتب كتبها المستر (ريج) خلال رحلته هذه، (وجاءت ملحقا للمجلد الثانى من الكتاب فاراد المترجم الحاقها بالمجلد الاول اتماما لفصوله)٠

***

خان السيد فى بعقوبة٠

ليلة ١٨ آذار ١٨٢٠٠

هأنذا هنا، على الرغم من توصياتك الملحة لى بان لا ابتعد عن (اورته خان)* فاننى فى الواقع وجدت النهار من الصفاء، والخان من القذارة، ونفسى من القوة، ما جعلنى افكر فى انه من الحيف ان اقضى وقتى فى كهف مثل هذا، فجازفت بالتقدم ولم اجدنى اسوأ حالا مما كنت فيه، بل اننى لاشعر بتحسن كبير عما كنت اعانيه خلال اليومين الاخيرين٠ فقد فارقتنى اعراض الصداع، واصبحت من النشاط ما يمكننى من السفر فورا اذا اقتضى ذلك، وان كنت سأحتاط لنفسى كثيرا٠ ان الارض الممتدة بين بغداد وهذا المكان من اكثر البرارى التى شاهدتها انبساطا وقحولة٠ اما الاقسام الاخرى من الصحراء بجوار بغداد فتعد (بليون ـ Pelion) و (اوسسا ـ Ossa) و (تامبه Tempe) اذا قورنت بالصحراء التى انا فيها٠ بلغنا فى الساعة الثالثة والنصف قناة (النهروان)** وهى على الاقل بعرض نهر (ديالى) الذى بلغناه فى

(*) خان النص (النصف)، وشهرته فى يومنا (خان بنى سعد) ٠ ـ المترجم٠

(**) «فى عام ٥٩٠ م خرج (كسرى برويز) ملك الفرس من (طيسفون) لقتال (بهرام) القائد الثائر الذى ظهر امام عاصمة الامبراطورية بجيش لجب فنشبت بين الفريقين المعركة التى عرفت بمعركة (النهروان)٠ ويذكر المؤرخ (ديربى‌لو) ان كسرى اندحر فى هذه المعركة٠ ومن غريب ما يذكره المؤرخ ان هذا الملك اضطر الى الفرار

الساعة الرابعة بعد الظهر. وعندما علمت بان صديقنا القديم حاجي عمر كان قد سافر الى بغداد اول الامس، قررت البقاء في هذا الخان، فوجدته جيداً. ويقع هذا الخان على جهة بغداد من نهر (ديالى) قبالة قرية (بعقوبه) مباشرة، وقرية (الهويدر)* التي لا اميل الى مشاهدتها. وسوف ارحل في صباح الغد الى (شهربان). لقد اتيح لي مذ قدمت الى هنا ان ارصد القبة الزرقاء، فرصدت ارتفاع الشمس تسع مرات والشعرى اليمانية ثماني عشرة مرة ورجل الجوزاء اليسرى ثماني مرات، ثم انصرفنا لتناول طعام العشاء.

وقد آن لي ان اغتنم فرصة تدوين رسالتي هذه التي وعد المكاري بان يحملها اليك. وارجو ان تعطيه العطية المعتادة اذا وفى بوعده. انني لم اكتب يومياتي بعد ولعلني سأكتبها قبل النوم.

* * *

شهربان، في ١٩ آذار.

بارحنا الخان بعد شروق الشمس مباشرة، واجتزنا نهر (ديالى) بعبارة قرية (الهويدر) وقد كانت جروف النهر عالية هدود، وهي في بعض الاماكن اشبه بالجدار، والارض عند الشاطىء مشققة، خددتها مياه المطر. وعمق النهر قرابة الثمانية عشر قدما. وقد ازفت الساعة الثامنة قبل ان عبرت جماعتنا النهر مع اننا سرنا عند مطلع النهار. ووجدت اشجار النخيل تكتنف القرى الواقعة في هذه النواحي من كل جانب.

وفي الساعة العاشرة مررنا بما يشبه قناة قديمة على جانبها تل مرتفع فوقه ركام من الطابوق وبعض قطع الرخام. ويسمى هذا على ما اذكر (ليسيه ـ Lissia) اذا صح الاعتماد على الشخص الذي ذكر لي هذا الاسم. لكن تسمية المواقع في هذه الانحاء تختلف احيانا اختلافا بيناً. وفي هذه الاماكن

والالتجاء الى دير قد لا يكون بعيدا عن (طيسفون) و (النهروان) وهناك انضم اليه فريق من انصاره. اما اليوم فان هذه الاراضي جميعها خرائب متواصلة ولا اثر فيها للمؤسسات النصرانية. (راجع الصفحة ٩٩٦) من كتابه المكتبة الشرقية. وراجع الصفحة ١٨٧ من المجلد الثامن من انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية لمؤلفه (غيبين).

(*) وجاءت في الاصل (هويده) غلطا. ـ المترجم.

اضرحة عديدة للائمة منتشرة هنا وهناك، ويقال انها اضرحة اولئك الجنود من المسلمين الذين توفوا من جروحهم بعد عودتهم من معركة (قصر شيرين)، فدفن كل منهم حيثما قضى واصبح من الشهداء. وقد لاحظت على طول الطريق بقايا اطلال من مباني الطابوق كانت احجارها مبعثرة في الانحاء. ومررنا ببعض مروج جميلة وقنوات عديدة تتفرع من صدور الجداول الرئيسية. وقد تركنا (خرنابات) وغيرها من القرى عن يسارنا، وفي الساعة الثانية بلغنا قنطرة ذات قوس واحد فوق قناة (مهروت) التي تصب شمالا في نهر ديالى، فتوقفنا حتى الساعة الثالثة عند مرقد الامام السيد مقداد الكندي.

بلغنا شهربان في الساعة الرابعة، وانا الان متمدد بقامتي فوق الارض لا استطيع ان ارى وان اكتب. فقد كانت سفرتنا جد مزعجة من جراء ريح جنوبية قوية كانت تهب بشدة فتثير بوجهنا سحب الغبار الذي ارهق الانسان والحيوان معا. وارجو ان تخبري ميناس بان البغال هنا رديئة جدا. فقد كانت تكبو في كل ميل من الاميال، ولم نستطع بلوغ نهاية مرحلتنا بها الا بشق الانفس؛ ولقد وعدوني هنا باستبدالها. وتقدر المرحلة بين (بعقوبة) وهذا المكان بتسع ساعات. والارض على طول الطريق جد منبسطة تقاطعها القنوات في كل مكان. ولما شرعنا بالمسير ثارت بوجهنا زوبعة مصحوبة بالرعد والمطر. فما ان هدأت حتى هبت علينا الرياح الجنوبية الشرقية التي ما زالت ترهقنا حتى هذه اللحظة. على انني بتمام الصحة باستثناء عيني اللتين التهبتا بفعل الرياح والغبار.

قابلنا هنا (سعدون آغا) حاكم البلدة الذي كان من قبل يقطن دارنا القديمة، فلم يسمح لي بالاقامة في الخان كما كنت ارغب وانما افرغ لنا احد البيوت واعده لاقامتنا. وقد وجدت هنا سليم بك ايضا، بعد ان عزل من حاكمية خانقين. وحضر الاثنان معا لزيارتي بعد ان تأكدا من ارتياحي الى مقامي، ثم ارسل لي سليم آغا طعاما شهيا اصبح من نصيب جماعتي، لانني كنت قد فرغت توا من تناول وجبة من الدراج «والكاري» ـ البهار، عند وصول ذلك الطعام. وكنت قد رجوت سعدون اغا رجاء خاصا ان لا يكلف نفسه بارسال اي طعام، الامر الذي لم يستحسنه افراد جماعتي. وارجو ان توفدي من يشكر زوجته

على مزيد عناية زوجها بامرنا، مع انني في الغالب سأقدم له هذا الكتاب ليرسل اليك بوساطته. وقد قيل لى انني بعد مبارحتي المكان، سوف لا تتاح لى الفرص المؤاتية للاتصال ببغداد حتى وصولى اليها. لقد كان بالامكان ان تعد سفرتنا مريحة لولا هذه المطايا الرديئة. ففي آسيا الصغرى كلها لا يوجد شيء اردأ من البغال. الحر آخذ بالازدياد، ومن الخير لنا ان نسرع بمغادرة بغداد للشروع في رحلتنا الكبرى الى كردستان.

* * *

شهربان، ٢٠ آذار.

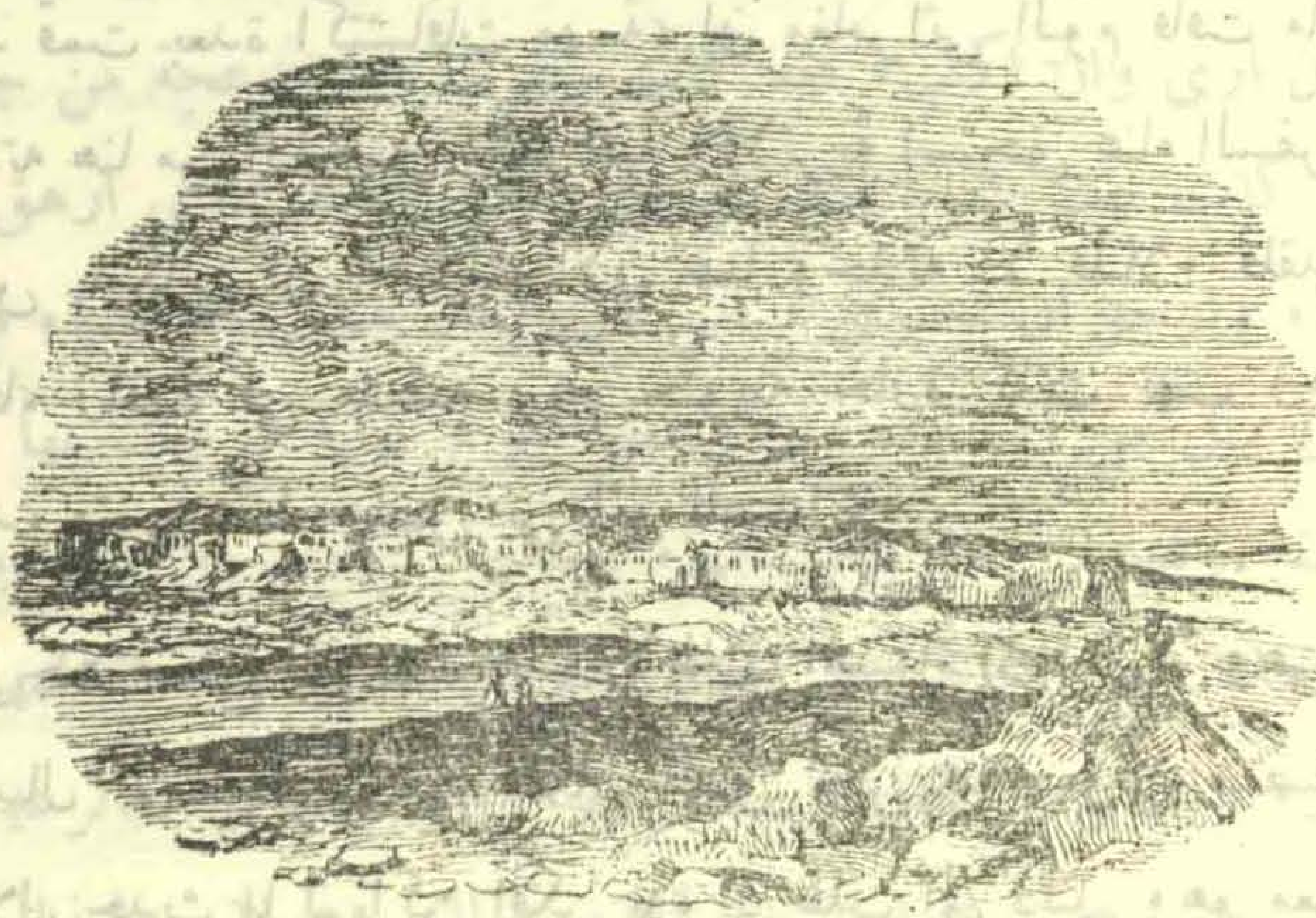
لقد قمت بعدة اكتشافات مهمة، ان مغامراتي اليوم فاقت ما كنت امله، وما شاهدته هنا من الناحيتين الجغرافية والاثرية استحق عناء السفر من بغداد، هذا وليس بامكانى ان احدثك الان عما وجدته الا قليلا. فلقد كان عمل اليوم شاقا، زادت في مشقته ريح جنوبية حارة كانت تهب رهاء. لكنني، ولله الحمد، متعب فقط وليس بى اثر للصداع.

خرجت صباح اليوم لمشاهدة الاطلال المسماة (زندان)* وهي تبعد مسافة خمسة اميال الى الجنوب من المكان الذى نحن فيه. وفي منتصف الطريق الى الاطلال حدث ما لم اكن افكر به، اذ طلب الى دليلى وهو معمار معروف من (شهربان) ان اعرج على جانب من الطريق لمشاهدة حصن قديم. وعلى هذا اجتزت قناة او قناتين، فاذا انا امام اطلال بلدة ساسانية لا تقل اتساعا عن (طيسفون) وكانت اسوارها على نفس النمط والطراز، والمكان مملوء بالانقاض والخرائب. ان هذا الموقع لا يبعد اكثر من مسيرة ربع ساعة عن (شهربان)، بل ان حدود البلدة الشمالية اقرب من ذلك بكثير. وكانت اقسام السور الجنوبية والغربية، وقد دخلنا المكان من هذا القسم الاخير، بحالة جيدة، وهي كبيرة الشبه باسوار (سلوقية) و (طيسفون). ومع ان هذه الاطلال تعرف ببغداد القديمة (اسكى بغداد) فان تاريخها يرجع الى عصور ما قبل الاسلام.

(*) وتعرف بين الاهلين تارة بـ (زندان كسرى)، وتارة بقلعة (خسرو) وجاءت باسم (زندان كسرى) في رحلة المنشى البغدادى لمترجمها الاستاذ عباس العزاوى. — المترجم.

وتتذكرين بانني قد عينت موقع (دستجرد) فى (زندان)، ولم اكن بعيدا عن الصواب فى حدسى. فاننى اصبحت الان اكثر اعتقادا بان (اسكى بغداد) ما هى الا اطلال تلك العاصمة الملكية*.

تقدمنا بالمسير وعثرنا على خرائب ساسانية اخرى. وفى منتصف الطريق الى (زندان) بازاء السيد (سلطان على) لاحظت سورين ساسانيين متوازيين يمتدان الى الشمال الشرقى والجنوب الغربى، وهما على بعد ستمائة قدم من بعضهما، ويبلغ طولهما مثل هذه المسافة تقريبا، مثل اسوار سلوقية تماما، ولاحظت اثار القصب بين كل طبقة من الطابوق.



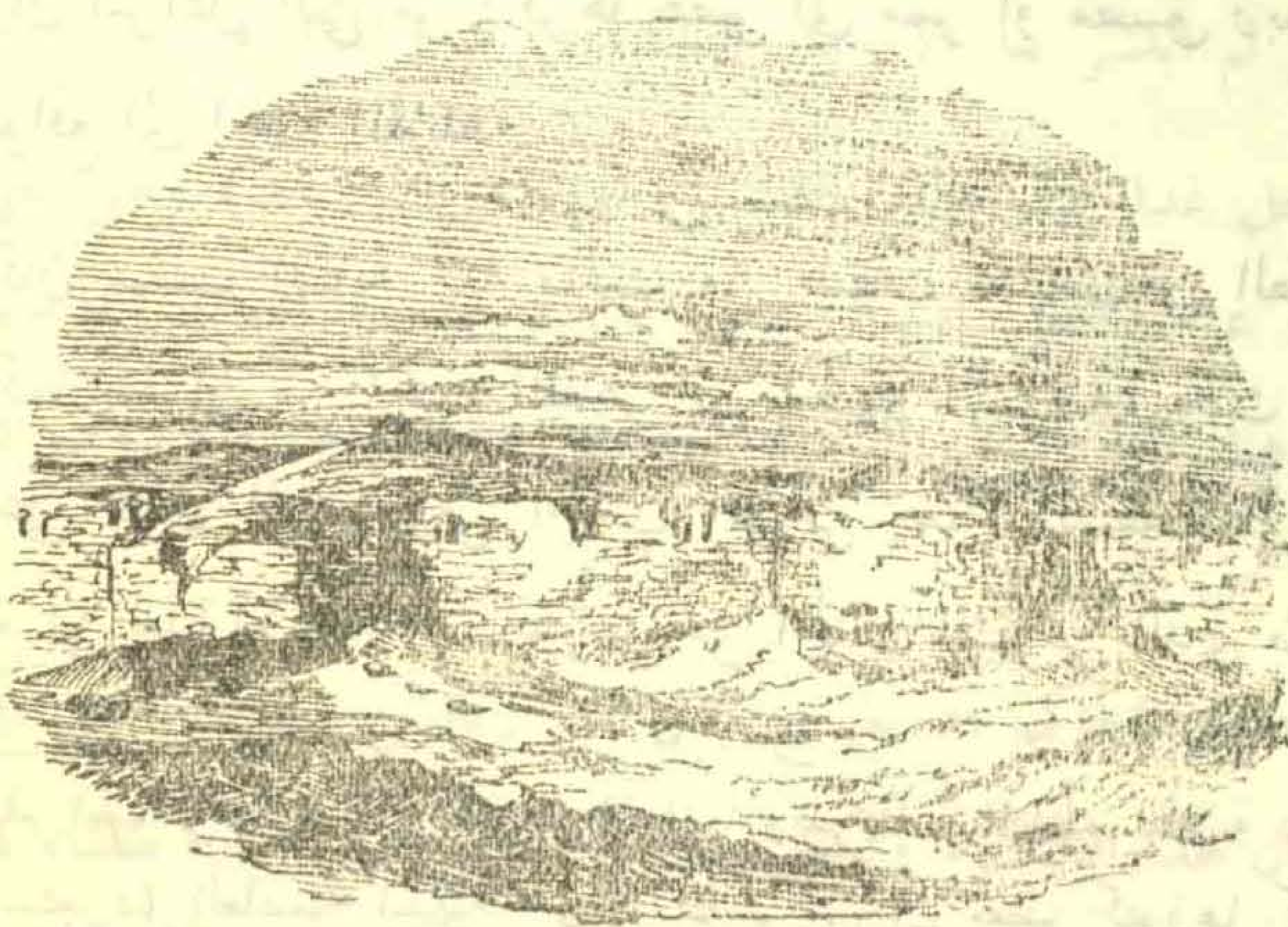
(زندان)

(*) كانت (دستجرد) احب قصور (كسرى برويز) ملك الفرس اليه، اقام بها سنوات عديدة، مؤثرا اياها على (طيسفون) عاصمة امبراطوريته. والمؤرخ غيبن ـ بالكاف الفارسية ـ المعروف بدقة اوصافه الجغرافية التى تفوق احيانا بوضوحها وصحتها رواية شاهد عيان، عندما يأتى على ذكر الحملة الثالثة للامبراطور (هرقل) ضد الدولة الفارسية سنة ٦٢٧ م.، يعين تخمينا موقع (دستجرد) فى هذا المكان فى سياق وصفه زحف الجيوش الرومانية على (طيسفون) بعد معركة (نينوى) اذ يقول: «والى الشرق من دجلة، عند نهاية جسر الموصل، كانت مدينة (نينوى) عامرة فى العصور السالفة. ولما كانت حتى اطلال هذه المدينة اثرا بعد عين منذ عهد طويل، فقد اصبح موقعها ميدانا فسيحا قام فى رحبته الجيشان بحركاتهما الحربية.

وقد صمدت خيالة الفرس حتى السابعة من الليل. وفى حوالى الساعة الثامنة انسحبت الى معسكرها الذى ظل سالما. فحملت امتعتها وتفرقت الى كل جانب، لا لقلة

وبعد ان جاوزنا هذه الاطلال بلغنا (زندان) وهى تبعد مسيرة خمس واربعين دقيقة للراكب عن اسكى بغداد، وهى اطلال على جانب عظيم من الغرابة والاهمية، وتختلف الاختلاف كله عن كل ما شاهدته حتى الان. فقد كانت مبانيها من الطابوق المفخور المتين، واغلب ظنى انهاكانت ضريحا ملكيا. ويبلغ طول هذا الطلل اثنتين وثلاثين سلسلة من السلاسل الصغيرة ذات الخمسين قدما وعرضها عند القمة ستة واربعون قدما وست عقد وارتفاعها ستة عشر قدما وعشر عقد، وفى بعض اطرافها اعلى من ذلك. وللبناية اثنا عشر برجا او دعامة ما زالت قائمة، واربعة اخرى فى الناحية الشمالية متهدمة.

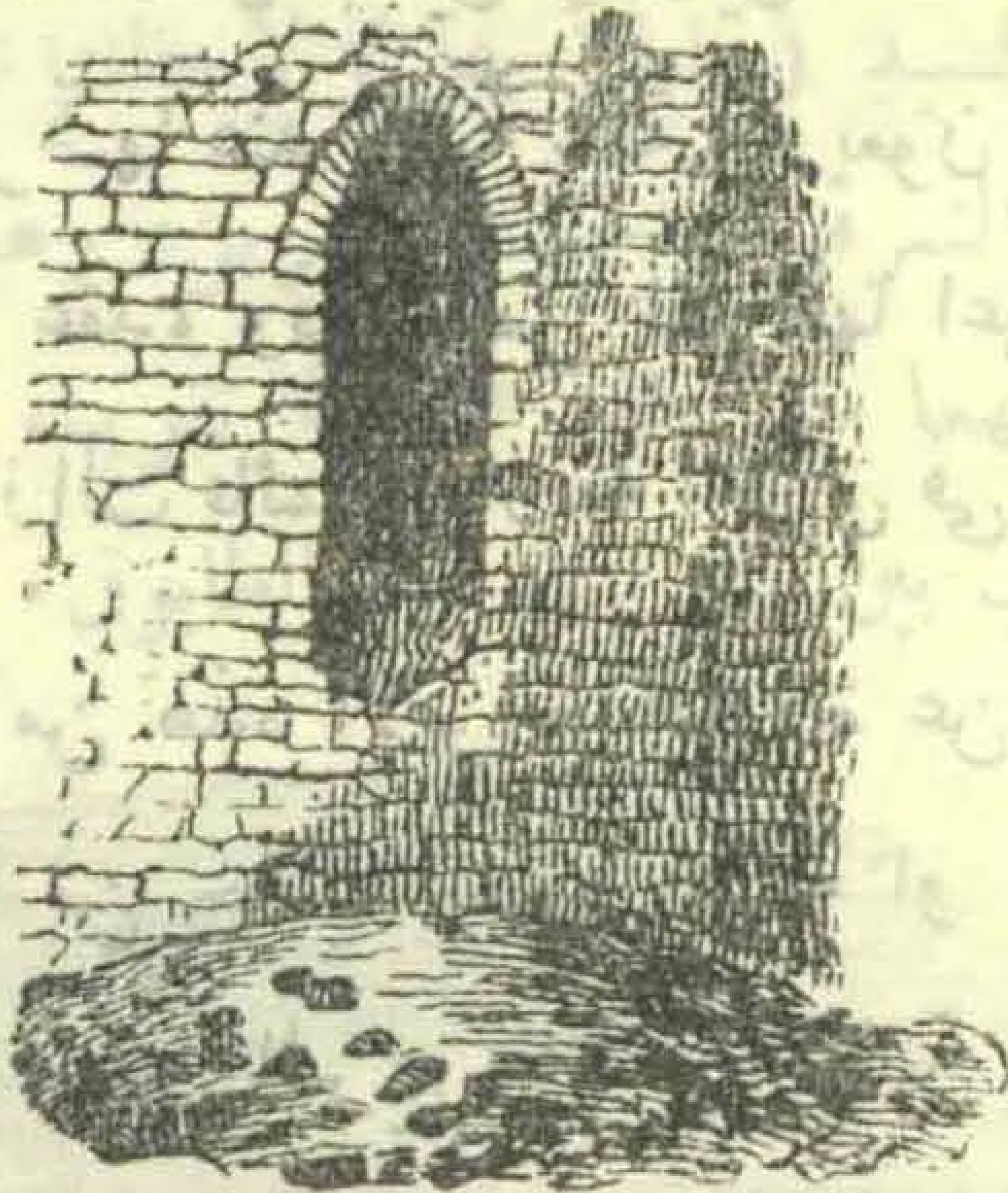
ويبلغ قطر كل من هذه الابراج البارزة عن البناء ثلاثة وثلاثين قدما وخمس عقد وعرضها من جانب السور تسعة او ثلاثين قدما وثمانى عقد، وتبلغ المسافة التى تفصل بين البرج والاخر ثمانية وخمسين قدما وست عقد ويوجد بين البرج والاخر ثلاثة ازواج من المزاغل. هذا فى الواجهة الشرقية من البناء، اما فى الواجهة الغربية فيوجد سور متين لا ابراج فيه، باستثناء كوة تقابل البرج القائم فى الجهة الاخرى. وكانت الكوة الاخيرة منها بحالة



طرف (زندان) الشرقى

ثباتها، وانما لان القيادة كانت تعوزها. على ان (هرقل) بنشاطه المعهود لم يتردد فى استغلال ظفره. فقد احتلت طلائع جيشه بعد ان قطعت ثمانية واربعين ميلا باربع وعشرين ساعة، كافة الجسور الممتدة على الزابين الاعلى والاسفل واصبحت مدن آشور وقصورها

جيدة يعلوها قوس محدودب. ويبلغ ارتفاع الكوة عشرة اقدام وست عقد وعرضها قدمين وعشر عقد، اما عمقها الى الداخل فعلى ما قدرته يبلغ واحدا واربعين قدما ونصف القدم، وتنتهي بممر ضيق يقابله جدار متين؛ اما قمم الابنية الباقية وسقوفها فقد تهدمت جميعها.



كوة فى (زندان)

وقد نقبنا فى داخل البناية الواقعة الى جانب البرج من هذا الطلل، فوجدنا بان المزاغل التى مر ذكرها تفضى الى ممر او مضيق ربما يوصل الى البرج الواقع الى الجهة المقابلة.

وكان سقف البناية كله يتألف من طبقات عديدة من الطابوق بوضع مسطح كما يستبان من الجزء الظاهر فى الجبهة الشرقية، حيث كان محطما ومهدما على طول البناء، وفى الجانب الغربى يصل السقف الى حافة البناء الذى يبلغ فى هذا الاتجاه ارتفاعا اعلى من الجانب الشرقى الذى ضبطنا قياسه.

مفتوحة امام الجيوش الرومانية للمرة الاولى. وقد ظلت المناظر الخلابة تستهويهم حتى دخلوا (دستجرد) العاصمة الملكية. وعلى الرغم من ان معظم كنوزها كانت قد نقلت او انفقت، فان الغنائم التى اصابها الرومان قد فاقت ما كانوا يؤملونه بل انها اشبعت جشعهم. ثم ان (هرقل) واصل زحفه من قصر (دستجرد) حتى اصبح على بعد اميال قليلة من (المدائن) او (طيسفون) حيث اعاقته شواطىء نهر (أربا – Arba) لصعوبة اجتيازها، وقسوة الطقس، وقد وقفت بوجهه حصون العاصمة المنيعة.»

راجع الصفحات ٢٤٨ – ٢٥١ من المجلد ٨ من انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية.

وعند الكوة الخامسة من الجهة الجنوبية الغربية وجدنا بقايا طلل يستند الى السور كانه بقايا دعامة او نتوء ربما كان مرقاة، اما الناحية الشمالية من الاطلال فكانت خربة تماما. وقد بنيت دور عديدة فى (شهربان) وغيرها من الانقاض التى نقلت من (زندان).

وكانت الصحراء من الجهة الغربية تظهر مرتفعة على طول الجبهة الى مسافات قليلة. كان فيها اثار مبان اخرى، لان سطح الارض كان مغطى بكسر الطابوق.

ان هذه البناية العجيبة مشيدة بالطابوق و «المونة» الجيدة، وعلى جانب عظيم من المتانة، ولم اعثر على اية كتابة فى الطابوق الذى شاهدته كما اننى لم اجد هناك لبنا غير مفخور او طينا او قصبا. وفى عدد من الاماكن وجدنا تجاويف عديدة اصبحت الان مملوءة بالتراب والانقاض ومن غريب ما عثرنا عليه فى هذه الاطلال قطعة نقد صينية من نحاس.

على ان هناك امورا اخرى تتعلق بما اكتشفته اليوم سأحتفظ بها حتى نتلاقى لاننى لم اباشر بعد الارصاد الفلكية فى هذا المكان.

سنرحل غدا عند مطلع الشمس الى (قزيل رباط) وهى على مرحلة هينة. ولقد عزمت على ارسال هذا الكتاب صحبة البغالة العائدين، لاننى سأعيد من هنا كافة البغال الرديئة محتفظا بالجيدة منها، وسوف اتزود بما احتاجه منها من القرية.

ان رسول الحاكم قد خرج الان من زيارتى وعرض على ان يضطلع بمهمة ارسال هذا الكتاب. ولكم تمنيت ان اتلقى هنا اخبارا منك، لاننى عازم على ان اضرب فى طول هذه الاماكن وعرضها، وسوف لا يتاح لى ان اتسلم كتابا منك قبل وصولى الى ضواحى بغداد. ولقد استعلمت توا عن وجود طريق اخرى اغلب ظنى اننى سأتبعها، لانها ستمر بى خلال اماكن غريبة الى (كفرى)، وهذا هو الطريق الذى كنت آمل من امد بعيد ان اتاكد منه، والذى ما كنت اظن اننى سأستطيع التأكد منه يوما ما.

لقد اقام لى سليم اغا حفلة لهو وقد كان يبذل قصارى جهده لتسليتى. فاحضر لهذا الغرض الجوق الموسيقى من القرية، الامر الذى ازعج (بەلى‌نو) كثيرا. وقد اخذ الجوق يعزف اغنية «بريازى يازدم» ـ ومعناها :ـ كتبت كتابة ـ ويقول سليم اغا ان سيدات بغداد شغوفات بهذه الاغنية.

تأكدى، واكتبى لى الى (كفرى)، وانى سأكون فيها بعد خمسة ايام بعون الله. فاذا كنت لا تجدين من يسافر الى (كفرى) مباشرة فلا بأس من ايفاد رسول خاص، وعلى كل حال انى ارى ذلك خير طريقة.

درجة الحرارة فى هذا اليوم ٦٦، والجو رائق جميل.

* * *

٢١ آذار.

غادرنا (شهربان) فى حوالى الدقيقة العاشرة قبل الساعة السابعة، وسرعان ما سرنا لبلوغنا اول ارض مرتفعة منذ بارحنا بغداد، فكانت المناظر اشبه بالمروج الانكليزية، وبعد فترة وجيزة بلغنا جدول (بلدروز) الجميل فاجتزناه فوق قنطرة جيدة ذات قوس واحد.

وفى الساعة الثامنة والنصف بلغنا (تلال حمرين) وهى لا ترتفع فى اى مكان اكثر من مائتى قدم. والسلسلة الاولى او الجنوبية منها مؤلفة من احجار رملية جرداء بطبقات منحنية ومن ورائها فجوة ملأى بالاطناف كانها تلال محطمة، ومن بعدها تأتى السلسلة الشمالية وهى من تراب واحجار. وفى اسفل التلال جدول صغير يصب فى نهر ديالى.

انحدرنا من تلال حمرين بمنحدر هين الى سهل يدعى دشته* تنتشر فيه بعض الاكواخ العائدة الى اكراد (سورەمەنى)** الذين يفدون الى هنا فى هذا الموسم لزراعة التبغ. وقد كانت قبائل (الخزرج)*** و (بنى ربيعة)

(*) «دشت» كلمة فارسية ومعناها السهل .ـ المترجم.

(**) جاءت فى الاصل (سورەمەنى) غلطا من (سورەميرى) اى طائفة الرجل الاحمر .ـ المترجم.

(***) الخزرج، قبيلة قديمة كانت سيدة (المدينة) عند هجرة (محمد) اليها وكان (ابو اصيبعة) ينتمى اليها. وقبيلة ربيعة، التى كان لها الحول فى البلاد العربية ما هى الان الا عشيرة لا يعتد بها. وان عرب (عنزه) ينحدرون من هذا الاصل.

و (بني ويس) العربية تقيم هنا قديماً للزراعة، لكنها قد تفرقت فى الايام الاخيرة.

ولقد سألنا مسافرا صادفناه عن بعد (قزيل رباط) عن ديالى، فأعجبنى جوابه «بر جوبوق ايجمه» اى «امد وقت يستغرقه تدخين غليون»*.

وكان مسيرنا فى طريق سبخة موحلة، ولكن وجدنا زرعا كثيرا على كلا جانبيها.

وكانت سلسلة تلال اخرى ظاهرة وراء (قزيل رباط) موازية لتلك التى غادرناها تواً، تلك هى تلال (خانقين) التى تبدأ عند كركوك وتتجه نحو (لورستان).

وعندما كنا نقترب من (قزيل رباط) التى بلغناها وقت الظهيرة شاهدت تلالا صغيرة من الانقاض على يسارنا وهى لا تستحق الذكر. وهناك طنف اصطناعى فى قريه (باراداں) ذو مظهر غريب. وعند مغرب الشمس خرجت الى شرفة الدار التى حللنا بها، ومنها استطعت رؤية نهر ديالى الذى يبعد عنا زهاء الميلين.

وبفضل مساعى محمود جاووش ** علمت بوجود بعض الاطلال بالقرب من (قصر شيرين) وهى خرائب لم يسبق لاوروبى ان زارها. فاستأجرت دليلا يقودنا اليها.

ولقد سمرت ليلا فى حفلة كان القرويون يقيمونها بمناسبة عرس عندهم. وكان منظرا قشيبا لعبت فيه السيوف ودارت حلقات الرقص على ضوء المشاعل.

والناس هنا يتكلمون بالتركية والكردية، واللغة الفارسية شائعة فى هذا المكان اما العربية فلا. ويقال ان دخل خزينة (قزيل رباط) يبلغ حوالى ٧٠،٠٠٠ قرش.

درجة الحرارة بين الساعة الثانية والثالثة ب. ظ. ٧٣، والريح جنوبية، والافق مغبر.

* * *

(*) ويعبر العوام فى يومنا هذا عن ذلك بـ «شربة جكاره» .ـ المترجم

(**) احد خدم المستر ريج ـ الناشرة.

٢٢ آذار.

امتطينا جيادنا في السابعة الا ثلثا هذا الصباح، وفي موقع يدعى (كەرميه) ـ بالكاف الفارسية ـ شاهدت تلين لا اهمية لهما، والظاهر انهما اصطناعيان. وفي الساعة السابعة بلغنا جدول (قزيل رباط)، وكانت الارض صخرية وعشبها قليل يكفي لرعي الاغنام، وقد شاهدنا قطعانا كبيرة من الغنم والماعز.

وفي الثامنة الا ربعا بلغنا التلال، وكانت السلسلة الاولى منها ترابية خددتها الامطار وشققتها كثيرا ثم جاءت سلسلة من الاحجار والحصو مندمجة بتربة خفيفة، وكانت تظهر بعض الاحجار الرملية في انحائها. ومررنا بمضيق قليل العرض يدعى (صاقال طوتان) اي «ماسك اللحية» كناية عن اللصوص العابثين في هذه المنطقة، ومنه انحدرنا الى سهل وبعبارة اخرى الى واد مملوء ببقايا تلال ركمة مغطاة بالتربة التي انحدرت اليها من التلال التي تعلوها.

وفي التاسعة بلغنا (يەنی جەری تەبە ـ تل الينكشاري) الذي يعد منتصف الطريق بين (قزيل رباط) و (خانقين) وقد اخذ طريقنا يتلوى بين التلال، وبعد ان اجتزنا سلسلة ثانية منها شرعنا نتحدر انحدارا تدريجيا باتجاه خانقين، وكانت التلال التي مررنا بها اعلى بقليل من تلك التي اجتزناها نهار الامس، وكلها حصوية ترابية، وكانت الصخور الرملية تظهر هنا وهناك بطبقات مائلة نحو وسط التلال.

وسهل خانقين معشوشب جميل، تقاطعه في الانحاء بعض خطوط التلال، والارض مملوءة بالحجارة. وكانت الحبوب الهندية والتبوغ مزروعة فيها. وفي اعالي (الوان)* يزرع الرز ايضا الامر الذي يجعل الجو في موسم الخريف مزعجا جدا.، وقد قيل لي بان كمية الغلة الاعتيادية في هذه الاراضي تبلغ عشرة اضعاف البذور. وقد وجدنا عشائر كردية منتشرة في كل مكان من هذا السهل المعشوشب لترعى مواشيها.

توقفنا في السهل نصف ساعة اوفدت خلالها مأمور منازلنا (قوناقجي)

(*) يقصد نهر (الوند) ـ حلوان .ـ المترجم.

وكانت الجبال تمتد الى يميننا وهى تشرف على اقليم (كيلان) - الكاف فارسية - وامامنا جبال ايران ظاهرة وراء زهاو الكردية. وبعد ان اجتزنا ربوة صغيرة انحدرنا الى البلدة الصغيرة او قرية (خانقين) فبلغناها فى الثانية عشرة والربع، حيث وجدنا خانا انيقا من بناء الفرس، لكننا بدلا من الوقوف هنا عبرنا نهر (الوند) وهو جدول جبلى سريع يجرى من الجنوب الى الشمال وينصب فى ديالى على بعد قليل من (قزيل رباط) فوق قنطرة جميلة ذات ثلاثة عشر قوسا بناها محمد على مرزا*، واتخذنا مقرنا فى (حاجى‌قه‌ره) على الضفة المقابلة.

* * *

٢٣ آذار.

مرت بنا ليلة عاصفة. ورياح هذا الصباح شمالية غربية. وقد علمت توا بوجود طريق تؤدى من هنا الى (قه‌ره‌ته‌به)، اظننى سأتبعها.

وكنت اليوم اتلهى بالنزهة فى الاماكن المجاورة والجلوس فى بستان حيث استمعت الى موسيقى كردى عجوز من قبيلة (سووزمه‌نى)** التى اشتهر افرادها بالموسيقى والرقص. وكان هذا العجوز يعزف عزفا لا بأس به على «كمان» محلية او رباب ذى وترين بانغام مطربة. وقد عاد مرة اخرى فى المساء ليطربنى فانشد عدة اغانى بدائية باللغة الكردية.

درجة الحرارة فى الثالثة ب. ظ. اليوم ٦٦ .

* * *

كفرى، ٢٧ آذار ١٨٢٠

هأنذا هنا بعد ان قمت برحلة اكثر ما تكون غرابة واهمية. وقد كانت من الغرابة والتوفيق بنتائجها مما تعد من المشروعات التي نصممها احيانا من غير ما تتاح لنا امكانية تطبيقها. فقد غادرنا خانقين فى الرابع والعشرين منه برفقة سليم اغا الذى اصر على مصاحبتى فى سفرتى، ومعه جماعة قوية من حرسه

(*) هو الابن الاكبر لشاه ايران وحاكم كرمنشاه. وقد كلف بناء القنطرة ٢٠٠،٠٠٠ قرش. وكان فى هذا المكان جسران اخران جرفتهما المياه.

(**) وصحيحها (سووره ميرى) راجع الحاشية (**) من الصفحة ٢٨٤ . - المترجم

الخيالة، وذلك تفاديا للخطر الذى قد نتعرض له من مؤخرة حرس جيش امان الله خان* عدا قطاع الطرق الذين يقال بانهم يحتلون المضائق فى هذه المنطقة وان عددهم يبلغ ٥٠٠ خيال. وكنا نبعث بعض الحرس فى الطليعة والجناحين، كما كان (بەل‌لی‌نو) والسيد المعروفين بقوة بصرهما قد انفصلا عنا وسارا امامنا يتطلعان الى الطريق. والاراضى هنا جلية، والركوب لمدة خمس ساعات مريح جدا.

وفى الساعة التاسعة بلغنا (قالای سەلزی)** ـ قلعة سەلز ـ وهى حظيرة تشبه حظائر الغنم شيدها على هيئة «دەربەند» ـ مخفر حرس ـ عبدالله باشا جد فتاح باشا الزهاوى، لكنها هجرت منذ مدة طويلة.

وفى الحادية عشرة والنصف لما بلغنا خان (قصر شيرين) وجدنا الكل فى ارتباك من جراء غزوة امان الله خان الاخيرة. واخذ القرويون المساكين وهم من التركمان الـ (دەرکەزین)، يقصون علينا قصصا محزنة عما اصابهم. وقد علمنا بان الخان اصبح على بعد اربع ساعات منا، فى منطقة الباشوية الكردية بزهاو*** حيث باشر اعماله العدوانية ضدها.

ضربت خيمتى فوق اكمة معشوشبة جميلة تشرف على نهر (الوان). اما المستر (بەل‌لی‌نو) فقد اقام فى خيمة صغيرة اتخذها مرصدا على مقربة منا، واشغل فى مؤخرتنا سليم اغا ورجاله مكانا اقل ملائمة. وقد الف الحرس من بنادقهم نوعا من البطريات، كما اقام السيد × ومحمود والخيالة وغيرهم جماعتين من الحرس. واخذوا يرددون بصوت مرتفع كلمة مرور هى: «كل شىء على ما يرام» وكان البوق ينظم تبديل النوبة للحرس فكان صوته يجلجل بين الجبال، فاخذ معسكرنا هيئة عسكرية مهيبة لكنه لحسن الحظ لم يحدث ما يستوجب اظهار بطولتنا.

(*) هو حاكم ايالة (سه) فى كردستان الايرانية (راجع الصفحة ١٤١).

(**) جاءت فى الخرائط الحديثة (سەبزی) ـ المترجم.

(***) ان باشوية زهاو تابعة لباشوية بغداد وهى تنقسم الى قسمين، (دەرنە) او (زهاو). والجبال فى تلك المنطقة، وسهل (باجەلان).

(×) يقصد به آغا سيد، اى المنشي البغدادى ـ المترجم.

سلخت ثلاث ساعات تجولت خلالها بين اطلال قصر خسرو (كسرى)** وقد خبت فيما كنت اتوقعه. والحقيقة انني منذ قيامي بزيارة طاق كسرى مؤخرا لم اشهد حتى الان بناء يعادله عظمة. فالاطلال التي ازورها الان على جانب كبير من الخشونة، لا روعة في تصميمها او سعتها. وليس من المعقول ان تكون مدينة كانت قائمة في هذا المحل. وعلى كل حال ليست هذه (دستجرد) وانما هي احد قصور الصيد التي كان ملوك ساسان يترددون اليها.

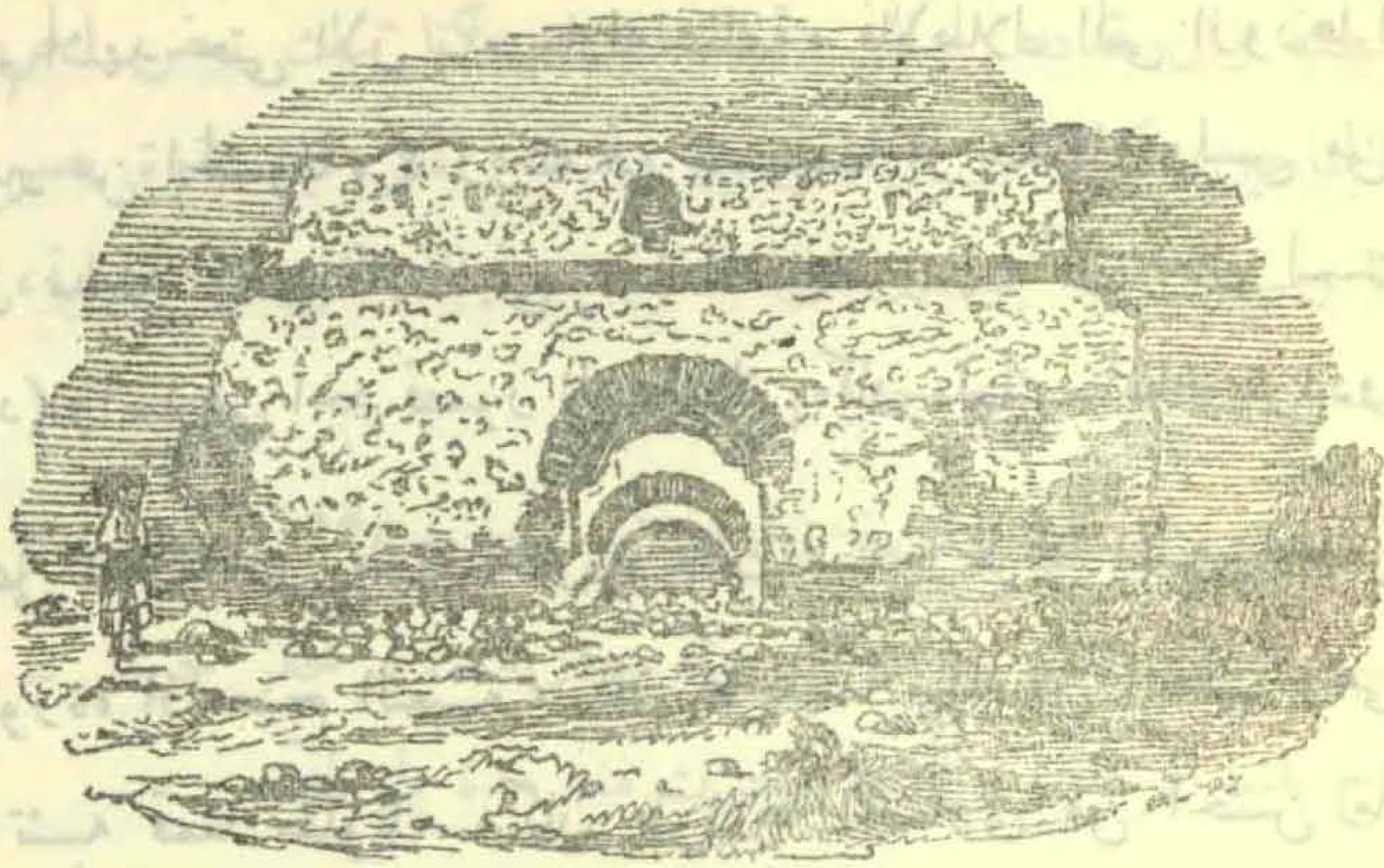
وعلى ناحية التل وراء الخان وجدت سياجا مربعا اشبه بالحصن محاطا بابنية مكورة، اذا صح التعبير، كان داخلها سالما من العطب وهي صغيرة المساحة تشبه قمعا مقلوبا. وكان طرازها المعماري من اخشن ما رأيته. ويظهر ان بناءها مؤلف من حصاة كبيرة مستديرة مكومة فوق بعضها دون اهتمام او ترتيب، فوق طبقة كثيفة من «المونة» الخشنة.

وعند الزاوية الجنوبية الغربية فوق مسيل وجدت بقايا قنطرة من الطراز الخشن نفسه، تقع على مسيرة عشر دقائق مما نسميه المدينة. وقبل بلوغها مررنا بتلال مؤلفة من طبقات عمودية متوازية من الصخور الرملية، وقد حاول رفاقي اقناعي بانها اثار ابنية. ومن الغريب ان هؤلاء كانوا على استعداد للاندهاش من اي شيء يرونه. اذا كانوا يهتفون بكلمة «عجائب ..» كلما

(**) هو (خسرو پەرويز) ملك الفرس (من آل ساسان) وحفيد كسرى انو شيروان، تزوج من ابنة الامبراطور (موريس) التي يغلب الظن بانها بطلة القصة الشرقية المعروفة «خسرو وشيرين» و «فرهاد وشيرين» وهذه البطلة قد تشرفت بان وضع انشودتها باللغة الالمانية جوزيف فون هامەر في قصيدته «شيرين» وان من اراد الاطلاع على تفاصيل اكثر عن حياة هذه البطلة والقصائد التي نظمت فيها ليجدها مسهبة في الكتاب الذي صدر اخيرا بقلم احد المستشرقين البارزين العاملين بعنوان «تاريخ الشعر العثماني».

اما البلدة التي يقال ان (كسرى به رويز) كان قد بناها اكراما لشيرين فاطلق عليها اسمها وصف ان موقعها بين بلدتي (حلوان) و (خانقين) ويروى ان كسرى قال لشيرين «ان الملك امر جليل لو دام الى الابد» فاجابته بقولها «لو كان الملك مما يخلد لما وصل الينا» .. ـ الناشرة.

وقعت ابصارهم على طلل لا اهمية له، وكانوا احيانا يعلقون بقولهم ان من المستحيل ان تقام بناية على هذا الطراز فى الوقت الحاضر.



قصر شيرين

اما البلدة ففى محيط غير منتظم لا تزيد مساحته على الميل الواحد. ولها اربعة مداخل كان الغربى منها افضل حالا. وانا الان اشرع بوصف هذه الاطلال حسب الترتيب التى شاهدتها به، فقد كان اول ما شاهدناه بعد اجتيازنا السور، والى الشمال الغربى مما اسميه القلعة بـ (١٥) درجة، بناء مربع الاركان يتجه الى الجهات الاربع الاصلية، وكان ذرع طول كل ضلع منها ثلاثة وخمسين قدما، اما ارتفاعه فلم اضبط قياسه وقد يكون اربعين قدما. وفى كل ضلع من البناء بوابة مقوسة فوقها نافذة ضيقة. اما السقف، ويظهر انه كان معقودا فقد تهدم. والبناية كما ذكرت خشنة الانشاء يكسوها الطابوق الاحمر الغليظ، وكانت تقسيمات النوافذ والابواب من هذا الطابوق ايضا، وكان قسم منه ظاهرا فى مكانه. ووجدت الى الجانبين الشمالى والجنوبى ساحات صغيرة مربعة على جوانبها حجرات صغيرة منهدمة والى الجانب الشرقى منها اثار بناء طويل يحتوى على شقة ضيقة، يظهر انها كانت معقودة السقف.

اما الخرائب الرئيسية فى واجهة هذا البناء الذى كان يذكرنى باطلال دارا، فقائمة فى قلب المدينة. والظاهر انه كان دكة واسعة تعلوها القباب، مقسمة الى ممرات ضيقة وحجرات. وفى الناحية الغربية من الجهة الجنوبية يقوم شبه مجاز ينتهى بباب عند كلا طرفيه. وكان هذا المجاز مفتوحا من

جهته الشمالية ويفضي الى حجرات وغرف قائمة بمفردها، واغلب ظني انها كانت في السابق جزءا من الدكة او الرصيف. والى الجهتين الشرقية والشمالية والجانب الشرقي من الواجهة الغربية كان البناء كاملا. وعلى كلا جانبيه مرقاة مزدوجة قائمة على العقود التي تسند الرصيف وهي واضحة كل الوضوح. ولا يزيد طول كل واجهة حسب اعتقادي على مائتي قدم وارتفاعها من ثمانية الى عشرة اقدام، وهذا اعلى قسم في بقايا هذه الاطلال. وبناء الاقسام جميعها متشابهة من حيث الطراز.

وهناك امام المدخل الشرقي وعلى امتداده، وجدت سياجا مستطيلا يتألف من احجار مستديرة مكومة فوق بعضها، والساحة التي تتخللها مزروعة في الوقت الحاضر. وقد شعرت ببعض الشك في اول الامر في كون هذه الحظيرة قديمة ام حديثة. لكن جميع الحاضرين في هذا المكان اكدوا لي بانها قديمة فاصبحت اميل الى الاعتقاد بانها لكذلك ولعلها كانت صهريج ماء قائما امام القصر. وكان السور من الجهة الشرقية بحالة جيدة. ولكنني لم اجد اثرا للابراج في اية جهة منه. ويظهر ان هذه كانت حظيرة بسيطة بدون دفاع. اما المدخل الخارجي فكان مؤلفا من بابين مزدوجين فوقهما قبة معقودة في الازمنة السالفة، والى كل من جانبيهما غرفة كانت معقودة ايضا. والسور كله مشيد بالصخور الرملية المستطيلة الشكل. اما اقواسه فمؤلفة من قطع كبيرة من الصخور الرملية. ويبلغ عرض البوابة الواحدة خمسة عشر قدما وثلاث عقد، ولعلها كانت بارتفاع يناهز العشرين قدما في الاقسام التي لا تغطيه الانقاض.

رسمت مخططين لهذه الاطلال. ويقع خط العرض في (قصر شيرين) حسب التخمين الاجمالي ٣٤ درجة و ٣٠ دقيقة و ٣٩ ثانية شمالية.

وفي اليوم التالي بعد ان مرت بنا ليلة قارصة البرد توجهنا نحو اطلال (حوش كه‌رو) التي لا يعرف عنها شيء حتى الان. وهي واقعة في باشوية زهاو الكردية التي سبقت الاشارة اليها في (قزيل رباط). نهضت عند طلوع الشمس على الرغم من البرد؛ واثناء ما كانت الخيام تقوض، ذهبت لالقاء نظرة

على الاطلال التى نسيناها نهار الامس، انها وراء القلعة من ناحية الخان وكانت قائمة فوق اعلى مرتفع فى هذا المكان، فوق جبهة التل المشرف على الخان. وكانت هذه الرابية مستديرة فى اعلاها، وقد بنيت من جميع اطرافها او احيطت بسياج تتخلله الفجوات. وكان بناؤها من الطابوق الاحمر الغليظ. افلا يمكن ان تكون هذه «دخمة فارسية» اى المحل الذى يلقى عليه الموتى ؟. اما التلال المجاورة فكانت من الجبسين؛ والتربة حمراء سبخة فى بعض الاماكن. وقد عثرت عند اسفل الرابية والخان على بقايا اساسات قديمة. لكننى على يقين من انه لم تكن هنا بلدة. وانما قصر للصيد، كما اننى لا اعتقد انه كان بناء داخل السياج عدا القصر الذى مر بنا وصفه.

امتطينا جيادنا فى السابعة فشرعنا نسير فى تلال موحشة بين العشائر الكردية التى كانت من عنصر ارقى من عشائر ماردين* ومررنا بأبل لامير كرمنشاه كانت ترعى، كما صادفنا جماعات عديدة من عشائر (زه‌نكه‌نه) مع عوائلهم. وكنا كلما مررنا بجماعة من الاكراد او مضارب لهم يصر سليم اغا على ان ينفخ جنودنا بابواقهم زاعما ان ذلك «هيبتلى» اى مما يزيد فى هيبتنا. وبالحقيقة اننى استطيع ان اؤكد لك باننى وجدت الابواق تزيد فى هيبتى اكثر مما لو اضيف الى رجالى خمسون جنديا اخرين. وقد صرح الاكراد بانهم عرفوا اننى الـ «ايلجى» اى السفير، من الابواق التى ترافقنى، سيما اولئك الذين سبق ان تعرفوا الى الجنرالين (مالكولم) و (يارمولوف). وعلى ذكر يارمولوف اقول ان كمنجاتيا كرديا عجوزا عزف لى رقصة قوزاقية قال انه تعلمها من الجوقة التى كانت تصحب يارمولوف. اما على ذكر الابواق فاقول انه حدث فى (حوش كه‌رو) ان اهتاج جوادى وانتصب واقفا على رجليه وهاجم جوادا اخر كان بالقرب منه فقابله هذا بالمثل. ومن جراء ذلك سقط حامل البوق الذى كان واقفا بين الجوادين على الارض فوق الاحجار

(*) كان المستر ريج واسرته خلال اقامتهم فى (ماردين) فى رحلة سابقة من بغداد الى استانبول قد تعرضوا الى مصاعب بل اخطار من الاكراد الرحل الضاربين بجوار البلدة. وهم اناس مشاغبون خارجون على القانون غدارون. — الناشرة.

المتبعثرة. فخيل لمن كانوا معى ان قحف رأسه قد تهشم فصاروا يهنئونه على سلامته، وقد قال :ــ «لم اكن خائفا على رأسى وانما كنت افكر بالبوق الذى احمله اشفاقا عليه من الانفعاص»؛ ولكنه لم يتعطب.

وصلنا الى اطلال (حوش كەرو) فى التاسعة والنصف. وكان الطريق اليها يتلوى بين التلال لكن اتجاهنا العام كان شماليا بثمانين درجة الى الغرب من (قصر شيرين). و (حوش كەرو) يشبه (قصر شيرين) الشبه كله ولكنه اقل تداعيا منه، الامر الذى سهل لنا رسم مخطط له. وهنا قابلنا بعض الاكراد الـ (بتارەوەند) من اتباع امير كرمنشاه وهم على جمال يفوق المعتاد ونشاط وادب، فقدموا لنا لبنا رائبا لذيذا وجبنا طريا تمتعنا منه باكلة شهية قبل شروعنا بفحص الاطلال.

وتتألف اطلال (حوش كەرو) اولا من سياج من جدران حجرية ذات شكل غير منتظم يتبع تموج الارض. وهى اقل امتدادا من اسوار قصر شيرين، غير انها لا تضم اية خرائب. وعلى بعد نحو مائة ياردة الى الجنوب توجد البناية التى جئت خصيصا لمشاهدتها وهى التى يطلق عليها (حوش كەرو) ويزعم بعض الاكراد انه المكان الذى كان (كسرى) يربى فيه افراسه، وانه كان يجلب الحليب لتغذية افلائه عن طريق قناة منقورة فى الصخور لا تزال بعض اثارها ظاهرة على بعد نحو ساعة من (قصر شيرين)، لكننا لم نجدها جديرة بالزيارة. اما اكراد الـ (بتارەوەند) الذين كانوا معنا فيزعمون ان (حوش كەرو) كان قصرا او حصنا لشابور. وكان طراز بنائه يشبه طراز (قصر شيرين) ولما كان احسن حالا منه فقد اتاح لنا فرصة دراسته وتفهمه كما فعلنا (بقصر شيرين).

ويحتوى (حوش كەرو) كالبناء الذى سبق لنا وصفه صحنا او رصيفا يستند الى عقود تؤلف قاعات صغيرة معقودة اشبه بالاقبية او السراديب وقد اصبحت اليوم مأوى شهيرا لقطاع الطرق. وكانت احسن هذه الغرف حالا تلك الواقعة الى الجهة الشمالية، وقد علاها السخام من النار التى يوقدها اللاجئون اليها فى فصل الشتاء. وشكل هذا الصحن المحدد من جهاته الاربع

طولانى. وقد قمت بقياس جبهته الشمالية فوجدتها ثلثمائة واربعين قدما من ضمنها البناء الواقع على الواجهة الغربية، اما ارتفاعه فكان خمسة عشر قدما ونصف القدم، وعرضه من الشمال الى الجنوب يقدر بنصف طوله من الشرق الى الغرب. وفى نهاية جبهته الغربية بقايا بناية القصر الذى دخلناه من منحدر يمكن الخيال ان يهبط منه. والى جانبى المنحدر ساحة صغيرة فوقها غرف معقودة. وبناية القصر عبارة عن اكوام من خرائب غرف صغيرة كلها مبنية بالصخور الرملية المستديرة، وهذه الصخور تغطى الارض فى تلك المنطقة بكثرة مدهشة حتى سهل (بين كودره). وعند المنتهى الشرقى من الواجهة الشمالية والجنوبية مرقاة مزدوجة، والساحة من اسفل الواجهة الجنوبية. وقد قال لى آغا سيد ان هذا البناء يذكره بالمبانى التى يشيدها شاه ايران حيثما يعسكر بجيشه. وعلى بعد نحو مائة ياردة الى الجهة الشمالية الغربية يوجد بناء غريب يستند الى جدران السياج من الخارج، وهو مفتوح من اعلاه، ولا يزيد ارتفاع حيطانه على العشرة اقدام. وهذا البناء يحتوى اولا على ساحة مكشوفة فى جانبه الشرقى قياسها نحو سبعين قدما مربعا تحيط بها الاقواس من كل جانب، ثم على ممرات ضيقة جدا يظهر انها كانت معقودة فى اكثر اقسامها، فان قواعد اقواسها ما زالت قائمة؛ ومن بعدها ساحة مكشوفة كالاولى ثم سياج اكبر. ويوجد فى الشمال ممران ضيقان يحدهما سور السياج. ويصعب القول فيما اذا كانت هذه البناية جميعها مسطحة فى الماضى شأن صحن القصر، اذ اننى لم اشاهد فى الساحة اثار انقاض يمكن القول بانها قد تساقطت من السطح لكن الممرات كانت معقودة بلا ريب.

وقد زعمت جماعتى فى الحال ان هذا كان محل الخدم، وفى الحقيقة انهم زعموا امورا اسوأ حدسا من هذا. وكانت البناية كلها من الصخور الرملية وكل ما شاهدته حتى الان من الاثار الساسانية لم يترك لدى فكرة حسنة عن ذوقهم وعظمتهم. واكبر ظنى ان هذه الاطلال وتلك التى شاهدتها فى (قصر شيرين) انما كانت قصورا للصيد وحدائق نعرف ان ملوك الساسانيين كانوا يمتلكونها، ولعل هذه الابنية كانت فخمة المنظر يوم كانت محلاة بالنقوش الكثيرة ومموهة بالذهب ومزينة، اما فى حالتها الخربة الحالية فليس

فيها ما يدهش. ولا توجد فى هذه الانحاء اطلال اخرى غير تلك التى وصفتها.

لم نقض ليلتنا فى (حوش كەرو) وانما غادرناها فى الساعة الحادية عشرة فسرنا فى سهل (باجەللان) من اعمال باشوية زهاو، حيث تمكنت من تسجيل نقاط جغرافية مهمة، وحل بعض الامور المعقدة التى لم يمكن توضيحها بوسائل اخرى، سيما تعقب مجرى نهر (ديالى) بكامله. وقد استأنفنا طريقنا فوق قمم الجبال حتى الساعة الواحدة، حيث انحدرنا الى السهل، فشاهدنا نهر (ديالى) يتلوى بعيدا عن جهتنا اليمنى، وعلى شاطئه تل اصطناعى مرتفع يدعى (شيروانه) وكان السهل على ما يظهر مزروعا جيدا، فهنا اخذت نسبة التراب تزداد على كمية الصخور المدورة التى مر ذكرها.

وفى الساعة الثانية الا عشر دقائق بلغنا (بين كودره) وهى قرية كبيرة يملكها حسن اغا من رؤساء الاكراد فى (باجەللان). وقد هرع لزيارتى فى خيمتى وكان يرتدى حلة قشيبة مقصبة بالذهب عليها عباءة من الفرو الثمين ارتداها لهذه المناسبة، وكان يتكلم التركية بذلاقة وهو مضياف كبير لم يسمح لى بشراء اى شيء من قريته باعتبارى «مسافره» اى ضيفه الخاص. وفى الليل خرجت القرية باجمعها لرقصة الدبكة «الجوبى» على انغام الطبل الكبير والمزمار. ولزيادة انسنا جعلوا سليم اغا ينضم الى حلقتهم. وقبل ان يبدأ الاحتفال قدم حسن اغا لزيارتى وقد تم الاتفاق على ان يعد رمثا «كلكا» نتمكن به من عبور ديالى الذى يبعد نحو نصف ساعة عن هذا المكان*.

امتطينا جيادنا فى الساعة السابعة من الصباح التالى، وهنا ودعت دليلى الكيس سليم اغا فعاد الى خانقين. اما انا فقد سرت مع رئيس هذه المنطقة نحو (ديالى) التى بلغناها بعد ساعة من الزمن. وكان طريقنا اليها مستنقعا كونته مياه النهر الفائضة. وقد شاهدنا كثيرا من اشجار الصفصاف والحور،

(*) ان المسافة بين (بين كودره) وزهاو تسع ساعات، والى خانقين بطريق الجبال مباشرة ثلاث ساعات. و (بين كودره) تقع على الجنوب ٨٠ درجة غربا من (حوش كەرو) وهى معدودة من الاراضى الايرانية.

وبعد مغادرتنا القرية مباشرة مررنا باكوام من الخرائب تدعى (قطار تەبەسى)*
اى تل الحجل، وقد زعموا بان (انوشيروان) كان يضع بغاله هنا؟ وقد شاهدنا
اطلال ابنية كثيرة على طول نهر ديالى.

وحالما بلغنا نهر ديالى عبرته جيادنا سباحة بمساعدة بعض العربان، واعد
رمث «كلك» لعبورنا نحن وامتعتنا. ولما كان الرمث صغيرا فقد اضطررنا
للعبور بالتناوب الامر الذى اخرنا زهاء خمس ساعات. وكان عرض النهر
الرئيسى حوالى اربعمائة ياردة. وقد اعلمنا الزعيم الكردى بانه فى موسم
الفيضان يصبح عرضه ميلا ونصف الميل، عدا ما يصب منه فى المستنقعات التى
مر ذكرها. وقد وجدت القطن والتبغ يزرعان فى الاراضى المجاورة، وكان
العرب من قبائل (بنى عجيل) و (العزة) ضاربين على شواطىء النهر. والرمث
الذى عبرنا النهر عليه كان من عمل افراد العشيرة الاخيرة، ويقبض (حسن
اغا) بدل التزامه مبلغا يتراوح بين المائتين والثلثمائة قرش. وقد تم نقلنا جميعا
بسلامة على الرغم من وهن الرمث وشدة تيار النهر الذى كان اشبه بالماء
المتدفق من فم الخرطوم.

وكان احمد اغا** قد تولاه الذعر لمجرد التفكير فى مهمة عبورنا على
هذه الشاكلة. فلما رأى اننا قد عبرنا بسلام طفق يجهش بالبكاء ويقول.
«آه يا سيدى كنت ارجح انك تسير خمسة ايام على عبورك ـ ولعله كان يقصد
نفسه ـ هذا النهر الرهيب. اما (جيت سنغ)*** فكان يتمتم طيلة مدة عبورنا
البسملة :ـ «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الرحمن الرحيم».

عدنا الى الركوب فى الجانب الايمن من النهر فى الواحدة والنصف
فمررنا اولا فوق تلال ثم انحدرنا الى ارض رسوبية وبعض الاراضى التى

(*) لم يتحقق المترجم تركية هـذه التسمية. ولعل ان تكون كلمة (قطـار)
جاءت غلطا من (القطا) وعندئذ لا يصح ترجمتها بـ (تل الحجل). والقطا فى التركية
«باغر تلاق».

(**) احد خدم المستر ريج.

(***) احد خدم المستر ريج، وكان هندوكيا فأسلم.

كانت قد غمرتها المياه سابقا فبلغنا قرية (زه‌نكه‌باد)* وهى مسقط رأس ابن الكيوانة** لكنه كان غائبا، وكان وكيله رجلا مؤدبا. وعلى بعد ثلاثة اميال من القرية شاهدت على الشاطىء الايسر وتحت سلسلة التلال مباشرة، قرية (ده‌كه) وهى على بعد ساعة من (زه‌نكه‌باد).

كان وصولنا فى الساعة الرابعة والربع، فوجدنا الحاكم قد خرج لسرقة الاغنام حسب العادة المتبعة فى الحدود. ويبلغ بدل التزام (زه‌نكه‌باد) ٥٥،٠٠٠ غرشا سنويا. وهى تقع على بعد ميل واحد بخط مستقيم عن نهر ديالى الذى شهدناه يتلوى على يسارنا على بعد يسير منذ ان عبرناه بجوار (بين كودره)، وهو يجرى باتجاه شرقى على مقربة من قرية (زه‌نكه‌باد). وقرية (زه‌نكه‌باد) قاعدة ذلك الاقليم بلدة حقيرة، تكاد ان تكون مهجورة، واكثر من نصفها خرب، وقد كانت احسن حال فيما مضى كما تدل عليه بقايا حمام ومسجد كان قد بناه سليمان باشا جد عبد الرحمن، باشا السليمانية، وقد اقمنا فى هذا المسجد؛ وقد ذكر فيه اسم المسيح للمرة الاولى*.

والى الشمال، على بعد بضع مائة ياردة عن القرية شاهدنا طنفا مرتفعا مربع الشكل يدعى «قه‌لان ته‌به‌سى» والى جواره طنف اخر اصغر منه يشبه تلال اطلال معبد بابل. ولا يستخرج الطابوق من هذين الطنفين ولكنه يستخرج بكثرة من الجانب الاخر من القرية حيث توجد تلال عديدة كلها اطلال تدعى «خست كه‌ن» والظاهر انها آثار بلدة قديمة.

والجو فى هذه الاراضى المنخفضة مزعج جدا بسبب المستنقعات وكثرة المياه. وعلى بعد ميلين من غربى (زه‌نكه‌باد) توجد قرية مماثلة تدعى (مه‌نايتوه) تكتنفها اشجار النخيل وجوها مزعج بصورة خاصة، وفى هذا

(*) ٣٠ درجة الى الجنوب الغربى.

(**) «كيوانى» لقب رئيسة الخادمات او «دووأننا» فى حرم باشا بغداد. ـ الناشرة. (و «دوأننا ـ Duenna » كلمة افرنسية، تعنى القهرمانة. ـ المترجم).

(*) يظهر لنا ان المستر ريج يتجاهل او انه يجهل منزلة السيد المسيح فى الاسلام وعند المسلمين. ـ المترجم.

الاقليم قرى عديدة اخرى هى عبارة عن مجموعة اكواخ من طين حقيرة مسقوفة بالقصب.

لقد عانينا الامرين طيلة يومنا من شدة الحر. وشعرت بالتعب بعد مسيرة ثلاث ساعات اكثر مما كنت اشعر به بعد مسيرة عشر ساعات.

بارحنا (زەنكەباد) قبيل الساعة السابعة، وفى التاسعة بلغنا (كوشك زەنكى) المنسوبة على ما يظهر الى الاتابكه، وقيل لنا ان فيها بعض الخرائب. ولقد وجدنا هذه عديمة الاهمية وهى مؤلفة من حطام طابوق خشن واساسات من الطابوق فوق قمة طنف مستدير. واخبرنا بوجود اطلال على بعد يسير حيث يوجد كثير من الرخام، لكننا لم نذهب لمشاهدتها. ان رواية الناس فى تاريخ الخرائب الموجودة فى هذه النواحى مما يمكن الركون اليها بوجه عام، وعلى الاقل فيما يتعلق بعهدين من عهود التاريخ هما العهد الذى سبق النبى محمد والعهد الذى خلفه. فهم لا يعرفون سوى عهد الكاوور (الكفار) وعهد المسلمين؛ وعلى هذا فهم قلما يخلطون بين اثار العهد الاول والثانى.

تركنا التلال الى يميننا وتوجهنا نحو (كفرى صو)*، وهو احد مجارى الماء التى تنحدر من هذه الجبال نحو سهل (كفرى)، حيث تستهلك فى ارواء الزروع. فبلغنا النهر فى الساعة الحادية عشرة فوجدنا قعره مجموعة عظيمة من الحصو تخترقها ساقيتان او ثلاث من الماء الرقراق.

وكانت التلال المار ذكرها تعترض طريقنا وشاهدنا مجار عديدة واسعة للجداول المنحدرة منها كانت فى هذا الوقت يابسة، ويبلغ عرض بعضها بضع مئات من الياردات.

استأنفنا طريقنا بين الجبال وشاهدنا الى يميننا (اون ايكى امام) حيث توجد ينابيع للنفط على بعد مسيرة ساعة ونصف من هنا «كفرى» فبلغناها بعد الظهر بقليل وقد برح فينا الحر، ولم اكد اتمتع بقسط من الراحة حتى شرعت اكتب اليك هذه القصة. وقد كانت المرحلتان الاخيرتان اللتان قطعناهما

(*) ٣٠ درجة الى الشمال الغربى.

رهيبتين من شدة الحر مع اننا قد وصلنا الى هنا في الساعة الثانية عشرة والنصف. ان رجالي كلهم منهوكون تعباً، اما انا، فلله الحمد، بصحة جيدة وان كنت شديد العناية بان لا تفوق اتعابي ما تتحمله قوتي.

ولقد حللنا هنا في نفس المكان الذي حللناه عند سفرتنا الى استانبول، وقد كدت ابكي عندما شاهدت الشجرة القائمة الى جانب الجدول الصغير في باحة المكان حيث تناولنا طعام الغذاء معاً في سفرتنا الخالدة تلك**.

وقد اصبحت بلدة (كفري) اكثر تداعيا ونفوسها اقل عددا منذ كنا فيها. وقد استغرب الناس عندما عرفت طنفا لم اره منذ سبع سنوات، وكنت قد شاهدته من طرق مختلفة. وعلى بعد نحو الميل عن البلدة اكتشف الناس مؤخرا ينبوعا للنفط.

يا ترى هل انت على استعداد لرحلتنا المقررة الى كردستان؟ ليس لدينا وقتا نضيعه لان الشمس تكاد تشويني، كما انني لن اوافق على السفر ليلا. ولقد سجل المحرار اليوم في خيمتي ٩٠ درجة في الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر.

سيغادرنا الليلة او صباح الغد محمود بك رئيس خدم القصر وارجو ان يسلمك كتابي هذا. انه يجتاز بعض المصاعب فافهميها منه وانظري اذا كان باستطاعة احد ان يساعده. انه صديق مسكين ذو قلب طيب. درجة الحرارة في خيمتي ٩٠ .

* * *

كفري*، ٢٨ آذار.

اصبحت توا اسعد رجل في العالم عندما تسلمت كتابك المؤرخ في ٢٣ منه، بعد حفلتك المفرحة. وقد كان مرورنا في هذه النواحي من السرعة بدرجة ان رسولك العربي صار يبحث عني حيث لا ادري حتى عثر عليه اخيرا سليم اغا في مكان ما وارسله الى صحبة حارس ورسالة رقيقة، وبذلك اضاف

(**) يشير هنا الى المرحلة التي قطع فيها المستر ريج وزوجته ١٥٠٠ ميل في رحلتهما من بغداد الى استانبول على ظهور الخيل في سنتي ١٨١٤ ـ ١٨١٥ . ـ الناشرة

(*) تقع كفري عند الممر الى كردستان تماما وهي محاطة بسور من طين.

حملاً جديدا الى المعروف الذى سبق ان طوق به عنقى • حقا اننى لم استطع ان اجد اللفظة الانكليزية المناسبة، لذلك استعملت لفظة اقتبستها من لغة اهل الغال • فان افكارى اسرع من ان يلحق بها قلمى • ويظهر من سياق رسالتك انك كنت قد كتبت الى رسالة اخرى قبل هذه جوابا الى كتابى اليك من بعقوبة • فاذا كان الامر كذلك فلا بد ان يكون (اسماعيل كوسيد) قد تسلمها، وانه سيرسلها رأسا الى (ويللوك)، او ان احد العربان ما زال يبحث عنى فى عرض الصحراء، او لعله سقط اسيرا بيد امان الله خان واكراده • اننا كنا نتنقل بسرعة البرق بين الجبال وبين السهول بحيث كان من الصعب اللحاق بى بعد مغادرتى (خانقين) • فكاننى قد غطست فى خانقين وظهرت ثانية فى كفرى •

ان ميناس قد ارفق رسالتك بعلبة كبيرة من البسكويت • وقد ظهرت على وجه (كورد اوغلو) الرزين تقطيبة رهيبة استعاض بها عن ابتسامة استخفاف عندما شاهد محتويات العلبة وهو يفتحها، محتويات تلك العلبة التى ارسلت من بغداد على وجه السرعة •

وفى الليلة نفسها التى ثارت عندكم العواصف، مرت بنا عاصفة مماثلة كانت تهب من الجنوب الشرقى ونحن فى خانقين • لكن الريح انقلبت ريحا شمالية غربية حالما غادرنا حدود باشوية بغداد فى خانقين • على اننا لم نكد ندخل هذه الحدود ثانية فى (زه نكه باد) حتى عادت الرياح تهب جنوبية غربية، ومن ثم اشتد الحر الذى لا يطاق • وقد سجل المحرار اليوم ٨٩ درجة •

قمت اليوم بنزهة جميلة فى الاراضى الاميرية فى (كفرى) • وهى واقعة على بعد بضع مئات من الياردات وراء المدينة حيث تكون روافد (كفرى صو) الرئيسية الممر الذى يؤدى الى كردستان، باختراقها طريقا فى تلال الجبسين المحيطة بكفرى • والى الجهة الشمالية من المضيق يشق النهر تلا عاليا الى شقين عموديين يبلغ ارتفاعهما زهاء مائتى قدم • وهناك نهر اخر يقال ان مياهه اكثر عذوبة تندفع على نفس القعر الحصباوى وان كانت تأتى من ينبوع اخر على بعد نصف ساعة وتتصل بالنهر الاول عند الرابية؛ وهذان النهران فى مثل هذا الموسم من السنة عبارة عن ساقيتين لا شأن لهما • لكن

القعر الحصباوى العظيم الذى يشغل المنخفض الواسع برمته يدل على ان الفيضان المفاجىء يكون عادة شديدا هائلا، بحيث ان سيوله تدحرج من اعالى الجبال قطعا كبيرة من صخور الجبسين قدرت وزن كل منها بطن واحد. والقمة المواجهة لكفرى عمودية تنتهى بالسهل مباشرة لكنها اقل هدودا من جبال كردستان.

والناس هنا يمتدحون ماء كفرى كثيرا ويقولون انه يساعد على الهضم. افلا يمكن ان يكون ذلك ناشئا عن مروره فوق ارض متشعبة بالنترات والجبسين التى تجعل فيه خصائص اسهال خفيف ؟ والحقيقة اننى وجدت الماء خفيفا عذب المذاق ليس فيه الثقل الذى نحسه فى مياه الصخور، فان هذا الماء لا طعم له.

وقد اصر جماعة من مهرجى (دەلی دومەن) على ان يمثلوا ادوارهم امامنا هذه الليلة. وهؤلاء على ما اظن ينتمون الى الغجر ويعرفون فى بعض انحاء ايران باسم (تەت) وهم اشبه بالبازكارية فى الهند. اما تهريجهم فعبارة عن العاب قبيحة يسر لها الاتراك كثيرا؛ على ان بينهم بعض الموسيقيين البارعين.

ان ساعيك العربى ينتظر رسالتى هذه ليشرع فى طريق عودته بعيد حلول الظلام. ولا شك انه اعتاد مثل هذه السفرات غير الاعتيادية. اما خطتى فى الوقت الحاضر فهى مشاهدة كسوف الشمس نهار الغد هنا، وفى اليوم التالى نشرع بعودتنا الى بغداد فنمضى ليلة فى (قەرەتەبە) وهكذا نقسم طريقنا الى مراحل قصيرة تفاديا لحر النهار.

* * *

٢٩ آذار.

خرجت صباح اليوم لمشاهدة الرابية الجبسينية فتسلقتها حتى القمة، وهناك على الرغم من كثافة الافق سجلت مزولتى عدة نقاط.

والجبال التى اخترقناها بطريقنا تمر الى الجنوب من كفرى، والطريق الآتية من بغداد تقاطعها هناك ومن ثم تنخفض فتتلاشى نحو الصحراء فى

نقطة اجتيازنا الطريق خلف موقع (اون ايكى امام)• اما سلسلة كفرى فهى متكسرة نهود فى اتجاه بغداد، وفى نواحيها سلاسل ثانوية من الجانب الاخر طريق (طوز خورماتى)(*)• والجبال فى هذه النواحى جبسينية قليلة التربة وهى مزروعة فى بعض نواحيها• وفى الجهات المقابلة اى الجنوبية الشرقية من المنخفض تتألف القمم من التراب والحصو وقد انحدرت اكوام كبيرة منها الى المنخفض• والحصو هنا انواع عديدة، وهو مسبوك فى التراب على هيئة كتل متراصة، والارض مكسوة بالحصو يمازجه الجبسين• وتنمو مقادير كبيرة من الازهار البرية هنا، بعضها طيب الرائحة، ومن بينها الشقائق وزهر الخشخاش البرى القرمزى البديع؛ وتحوم حولها الحباحب او ذباب الاحراش•

ان اجود الاراضى الزراعية فى منطقة (كفرى) واقعة فى (اسكى كفرى)، لان الاراضى المجاورة للبلد كثيرة الاحجار لا تصلح للزراعة الواسعة• وفى موسم الربيع وحتى يتم الحصاد يخرج اهالى كفرى الى اسكى كفرى فيقيمون فى الخيام السوداء ومعهم نساؤهم واولادهم•

وفى الليلة الماضية هب نسيم عليل من الناحية الجنوبية الشرقية لكنه انقلب اليوم الى عاصفة هوجاء من الناحية نفسها تحمل سحب الغبار الامر الذى اخشى ان يعيقنى عن عملية الرصد هذه الليلة•

وقد سجل المحرار فى خيمتى ٩١ درجة فى اشد ساعات النهار حرارة•

* * *

٣٠ آذار•

غادرنا (كفرى) فى السابعة الا ربعا صباح اليوم فمررنا بجبلين واقعين الى ٢٢ درجة من الجنوب غربا وبعد الثامنة بقليل مررنا بجبلين صغيرين يدعيان (تل – ايشان)، ثم عبرنا (كفرى صو) وهو الان يابس ليس فيه سوى مجراه المملوء بالحصو• وكان السهل هنا ابيض بفعل السبخ الذى يكسوه كانه

(*) تستقى طوز خورماتى من آق صو وهو نهر صغير ينبع من كردستان ويمر بابراهيم خانجى•

الثلج. وقبيل الساعة العاشرة بلغنا (جمن كوبروسى) - جسر جمن - وهى قنطرة جديدة جيدة فوق (جمن) الجدول البطىء البشع المملوء بالقصب الذى يبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر قدما بحيث لا يكاد الماء يرى من خلاله. اما الماء فمملوء بالعلق. ولا شك ان الفيلسوف الوارد ذكره فى قصيدة الشاعر (وردزورث) كان يجد لنفسه هنا عملا متيسرا. والناس هنا يأكلون لب القصب الاخضر من كعوبه. وقد مررنا ببعض مضارب للعرب يرعون اغنامهم فى مراعيها.

توقفنا عند (جمن كوبروسى) زهاء الساعة ونصف الساعة ثم استأنفنا مسيرنا باتجاه شرقى ١٥ غربا نحو (قه‌ره‌ته‌به) فممرنا بسلسلتين من الجبال بينهما واد او قعر. وتقع (قه‌ره‌ته‌به) عند سفح السلسلة الاخيرة فبلغناها فى حوالى الساعة الثانية الا ربعا، وتبلغ هذه المرحلة مسيرة سبع ساعات. وقد شاهدنا اليوم قطيعا كبيرا من الغزلان. وشاهدنا الى يسارنا عند دخولنا البلد مقبرة فيها عدد من القباب الصغيرة كانت تظهر كانها قرية.

وقد بلغ بدل التزام (قه‌ره‌ته‌به) من الحكومة هذه السنة اربعين الف غرش. وهى تستقى من قناة تأتيها من (ديالى) فى اعلى (زه‌نكه‌باد) واهم حاصلاتها القطن والذرة اى الحبوب الهندية ويزرع فيها مقادير قليلة من الرز.

ويدعى اهالى (قه‌ره‌ته‌به) بانهم من التركمان وهم يتفاهمون باللغة التركية وحدها. وبين سكانها عدد من العلى اللهية والاسماعيلية او (جراغ سونديره‌ن).

كان اليوم رائقا باردا والهواء يهب عليلا من الناحية الشمالية الغربية. وقد سجل المحرار ٨٢ درجة.

* * *

٣١ آذار.

ركبنا صباح اليوم فى الساعة السابعة الا ربعا وسرعان ما اختفت اثار الزروع ودخلنا سهلا قاحلا ليس فيه الا بعض الاعشاب المتبعثرة، والباقى ارض سبخة كثيفة كانها مغطاة بالثلوج.

توجهنا نحو الجنوب الى جسر (نارين) فبلغناه في حوالى الساعة الثامنة. وهو جسر جيد قائم على ست عقود من بناء سليمان، باشا بغداد. ومن ثم اتجهنا الى اتجاه جنوبى بـ (١٥) درجة غربا نحو جبال حمرين فكانت هذه الى يمننا و (نارين) الى يسارنا. وبقينا نسير باتجاه جنوبى غربى نحو سفح الجبال فبلغناها في الساعة العشرة والنصف. ووجدنا اقسامها الاولى مؤلفة من الحصاة والتراب وهى تتدرج علوا خفيفا، فبلغنا قمتها في الحادية عشرة الا ثلثا وهى اعلى الاراضى المحيطة بنا، ورصدت بمزولتى نقاطا عديدة. وكان للاراضى المحيطة بنا كما شاهدتها من اعالى القرية منظر فريد. فقد كانت سلاسل التلال تظهر كانها جبال محطمة تتعاقب على شكل موجات بحر جمدت امواجه فجأة. وكان نهر (ديالى) يظهر جليا على بعد قليل من المضيق، وهو يتلوى ويأخذ مياه (نارين). فلما تقدمنا الى الامام اخذت تبدو امامنا الصخور الرملية وهى دائما على طبقات مائلة نحو الجانب الشمالى من الجبال، وكانت قطع هذه الصخور البارزة من التلال، في اماكن عديدة، مستديرة متموجة كان مياه البحر قد نحتتها فصقلتها

ورأيت في مكان اخر طبقة من الطلق حملت معى انموذجا منه. واخيرا اصبحت الارض كلها صخورا رملية وانتهت الجبال بسلاسل كثيرة متوازية. وكان بعضها حديث العهد لا يزيد ارتفاعها عن الارض اكثر من عشرة او اثنى عشر قدما. وفي الجبهة الجنوبية تلال غير منتظمة تنحدر الى الارض نحو الجهة الشمالية وقد شق احد باشوات الترك بين احدى هذه السلاسل طريقا ضيقة قبل زمن بعيد. ويظهر مما لاحظته في الكتابة المنقوشة على الحجر كما اتذكر ان هذا الباشا كان يدعى حسن. هذا والسبخ منتشر هنا في بعض الاماكن.

غادرنا هذه الجبال القبيحة المنظر عند الظهيرة، وكان طريقنا باتجاه جنوبى تقريبا. وقد تركنا واجهة الجبل الجنوبية الى يسارنا واخذنا اتجاه جنوبى شرقى (٤٠) درجة الى (ادنه كوى) فبلغناها في الساعة الواحدة والثلث، وتقدر هذه المرحلة بثمانى ساعات.

و (أده‌نه كوى) قريبة من مجرى الخالص وهى قرية كبيرة على مقربة من (ديالى) كانت فيما مضى اكثر ازدهارا وفيها جامع ومنارة، وبدل التزامها فى هذا العام (٢٠،٠٠٠) غرش.

وقد اعد لنا وكيلنا دارا فى القرية فوجدنا فيه عددا كبيرا من دود القز دائبا على عمله، لكن الرائحة قد اثرت فى رأسى فاضطررت ان اهجر البيت الى الحديقة حيث ضربت لى خيمة فشعرت براحة كبيرة.

واهل هذا المكان من التركمان وهم من السنة والشيعة ومن مطفىء الاضواء؛ وهنا ينتهى التفاهم باللغة التركية. فالاهلون من هنا الى بغداد من الفلاحين والقرويين العرب. وقد صادفنا فى طريقنا اليوم بعض الاعراب من عشيرة المهدويه* كما صادفنا فى سهل (قه‌ره‌ته‌به) مضربا لعشيرة (الكروية) العربية، وقد خرج زعيمها بقصد مرافقتنا كحرس شرف ومعه ستة من رجاله كلهم فرسان مسلحون؛ لكننى صرفتهم بلطف. وقد سجل المحرار ٨٢ درجة.

* * *

١ نيسان.

غادرنا (اده‌نه كوى) فى الساعة السادسة والنصف فلاحظت عن بعد اثار خيالات غريبة تتحرك. فعلمت انها جيوش جرارة من الجراد قد ملأت الارض بلون اصفر لماع. وبعد ان غادرنا القرية بلغنا نهر (ديالى) وصرنا نتعقب شاطئه بمسيرنا. وقد شاهدنا على عرض النهر سدودا مصنوعة من الحطب غايتها رفع مستوى الماء لاسقاء الجداول الكثيرة التى كانت تقاطع طريقنا فى كل ناحية. ودأبنا على المسير باتجاه غربى نحو الخالص وهو اكبر قناة رأيتها، وكانت تجرى الى يسارنا ووراءها نهر ديالى. فمررنا بمرقد (السيد مبارك) وهو مقام للزيارة.

وبعد الساعة الثامنة بقليل وصلنا الى (ده‌لى عباس) حيث توجد قنطرة رديئة على الخالص، واخذت القرى الواقعة فى هذه المنطقة تظهر فى الافق

(*) علمت بان كافة قصابى بغداد ينتمون الى هذه العشيرة. انتهت الحاشية، وصحيحها (المهدية)، وهى من القبائل القيسية كالكروية.

الواحدة تلو الاخرى. كذلك كانت قرى خراسان ظاهرة للعيان على الجانب الاخر من ديالى. وكان طريقنا فى بادىء الامر باتجاه ٥٥ درجة جنوبيا غربيا، ومن ثم ٢٠ درجة جنوبيا غربيا. وفى الساعة العاشرة والنصف بلغنا (جوبوق) وهى قرية عربية حقيرة عندها قنطرة فوق جدول صغير من توابع الخالص ويأتى من ناحية (سراجق). وينصب هذا الجدول فى (ديالى) مقابل (بويوك ابى صيدا) على مقربة من ديالى ولا تبعد عن (جوبوق) الا بضع ياردات. وهذا الجدول عبارة عن مصرف لمياه نهر ديالى عندما تفيض فجأة فيضانا عاليا. وعندئذ يفتح صدره لصد قوة المياه التى لولاها لكانت تحدث بنهر الخالص اضرارا جسيمة ولغرقت الاراضى المجاورة وتلفت الزروع وما يزيد من مياه العظيم(*) ينصب فى هذا الجدول عند (جوبوق).

* * *

٢ نيسان.

لقد اضطررنا طيلة الليل ان نحترس لانفسنـا من اللصوص الذين اشتهرت بهم هذه المنطقة. وعند الصباح هبت النسمات العليلة من النـاحية الشمالية الغربية فتغير الجو ورحلنا فى الساعة الخامسة والنصف ونحن اشد ما نكون نشاطا ومرونه، فوجهنا طريقنا نحو (خان مصبح) الواقع الى الغرب منا، وصرنا نتعقب مجرى (ديالى) الذى كان يتلوى قريبا عن يسارنا.

وفى الساعة الثامنة الا ربعا وصلنا الى (خان مصبح)، حيث ترجلنا لتناول القهوة ورصد بعض النقاط بالمزولة. وفى الساعة الثامنة والنصف غادرنا الخان وبعد الساعة العاشرة بقليل شاهدنا النهروان الرائع يمر باتجاه شمالى غربى بـ (١٠) درجات وكانت (خرنابات) تبعد نحو الميل عن شرقنا. وبعد مسير ساعة بلغنا بعض الاقنية اليابسة الموازية للنهروان ومنها بلغنا مرقد

(*) جاءت فى الاصل « Azemia » فارجعت الى العظيم. واخبرنى الاستاذ عباس العزاوى «بانه لا يفيض نهر (العظيم) الى ما ذكره المؤلف، وانما تتجمع سيول جبل (حمرين) من جهة (العظيم) فى محل يقال له (ابو فراش)، فان كثرت مياه ابى فراش فاضت الى المزارع العديدة واغرقتها. وحينئذ يسد صدر (الخالص) وتوجه المياه الى نفس مجراه بالقرب من جدول (جوبوق) فتصب فى (الخالص) تصريفا للمياه». — المترجم.

(السيد محسن) وهو مزار على جدول صغير يأتي من (الخالص)، وعند الظهيرة وصلنا الى (طوبراق قلعه) وهو طنف مربع قليل الابعاد ويسمى ايضا (مجليبة)• وعلى مسافة قليلة من شماله شاهدنا بعض الاطلال حيث وجدنا بعض الناس منهمكين باقتلاع الطابوق منها وارساله الى بغداد لتعمير بستان يوسف بك* وكانت على بعض هذا الطابوق علامات تشبه وسم الاصابع الخمس وعلى بعضها دائرة مشوهة يظهر انها رسمت عليها بالاصابع عندما كان الطابوق طرياً• وكان الطابوق خشناً ولم يكن بحجم طابوق بابل، ومقاديره في هذا المكان عظيمة• واغلب ظني ان هذه الاطلال ساسانية، فقد وجدت بها شبها بالاطلال التي شاهدناها في (قالان تهبه) في (زهنكهباد) وغيرها من الطنوف الاصطناعية في هذه الانحاء•

وفي الساعة الثانية الا ثلثا بلغنا قرية (الحويش) وقد جئناها من طريق غير مطروقة اغلبها صحراء قاحلة مجدبة لم نجد فيها ما يستحق الاعتبار كثيرا او قليلا سوى خنزيرة برية هائلة الحجم يتبعها ستة خنازير•

كان النهار لطيفا منعشا وقد سجل المحرار ٧٧ درجة•

* * *

٣ نيسان•

غادرنا الحويش في الساعة السادسة والنصف فبلغنا دار المقيمية ببغداد عند الظهيرة•

* * *

(*) هو الابن الاكبر لباشا بغداد•

الملحق الثالث

معلومات مستقاة من الاهلين، عن الجزيرة والبلاد المجاورة لها

(وهو الملحق الثانى من المجلد الاول من الرحلة)

(اشير اليها فى الحاشية (**) من الصفحة ٧٣)

(ملحوظة :ـ قد لا يكون للمعلومات التالية فى زمننا هذا خطورة جغرافية. ولكن رأى المترجم ان يثبتها كما هى).

هنالك قسمان من الاكراد ضمن منطقة حكومة الجزيرة وهما (البوهتانيون) او (البوتانيون) و (الآشيتيون). و (الآشيتيون) يقطنون بوجه عام السهول* جوار (نصيبين) وجبل آغا ـ جيم فارسية ـ ونظرا لما اصاب الحكومة من وهن مؤخرا فقد اصبحوا اقوياء، اشداء المراس.

جوميش كەزەك ـ امارة كردية، تبعد عن (أرغنى) اثنتى عشرة ساعة بالقرب من بحيرة (كول باشى) ـ كاف فارسية ـ فى جبل طوروس.

جەرنەك ـ جيم فارسية ـ امارة كردية اخرى تبعد عن (ارغنى) ثمانى ساعات عند جبل طوروس.

عائلة بايزيد، من عشيرة سيبكى.

فنيك ـ حصن يقوم فى شمال الجزيرة على مسافة اربع ساعات، وعلى الضفة الشرقية من دجلة**.

ايس ـ على مسافة اربع ساعات من شرقى دجلة و (فنيك).

بە شيرو ـ بشيرى ـ تتبع الى ديار بكر وهى على مسافة ست ساعات على طريق (رضوان) حيث يقطن الاكراد البرازيون.

زەركى ـ كاف فارسية ـ تقع بين (بتليس) و (سعرد) و (موش) وهى منطقة، مقرها (دەرزەنى) وتبعد اربع ساعات عن (سعرد).

(*) وهم يسكنون فى الوقت الحاضر جبل (الطور) .ـ المترجم.

(**) يذكر آميانوس فى الصفحات ١٥ و ١٨ و ٢٦ من كتابه العاشر، (بەزابدە) ـ بازبدى ـ (فى نيك).

روزه‌كى ـ بالزاء الفارسية (وصحيحها روسكى •ـ المترجم)، قبيلة كبيرة تقطن حوالى (بتليس)•

وعلى مرحلة واحدة من سيللوك، مزار مسيحى كبير اسمه (جه‌ن‌كه‌دى ـ Chengede) او جه‌ن‌كه‌للى ـ Chengelli) ، وهنا ايضا دير (سوورب قارابت) وهو دير القديس يوحنا المعمدان• وهو يبعد عن (موش) ست ساعات بالقرب من (ميغـاكيـات)، وهو رافـد يصب فى الفرات• وهـذا الدير مزار له شهرته العظمى بين الارمن بعد (جه‌مبازين)، فهم يذهبون اولا الى (قيصرى)، وفيها دير شهير، اعتقادا منهم ان رأس القديس يوحنا مدفون فيه، ثم يأتون الى (جه‌ن‌كه‌دى) ومن بعدها يتجهون الى (جه‌مبازين)، ويروون عن الدير الرئيسى الكثير من القصص الخرافية، فالقديس هناك مشهور بتعليم الناس الفنون والتجارة كلها ـ الا الموسيقى ـ ولا يسمح بدنو النسوة منه اكراما لـ (هروديـاس ـ Herodias)• وفى الدير بئر عميقة تتعالى منهـا اصوات الجان المحبوسين كما يدعى الارمن، وتشاهد حولها الانوار فى كثير من الاوقات، خاصة بعد هطول الامطار القليلة؛ وهذه مظاهر طبيعية ولا شك•

به‌ل‌غين ـ اربع ساعات من (فنيك) شرقى دجلة•

آرزه‌ن ـ واسمها المعروف هه‌رزين •ـ محل بين (ديار بكر) و (سعرد) وهو قريب من الجبال•

باتمان :ـ جسر خرب فوق نهر سعرد، على مسافـة ثلاث ساعـات فوق المدينة، وهنالك خرائب بلدان مهجورة الآن و (باتمان جاى) هو نهر (سعرد)، او نهر دجلة الاصلى•

ويقال ان هنالك انقاضا او بقايا جسر فوق دجلة بالقرب من الجزيرة•

حسن :ـ وهو جبل يؤلف قسما من (طوروس) و (زغروس)، بين ديار بكر و (بالو) ـ باء فارسية ـ و (موش)، ليس ثمة ممرات ولا طرق تؤدى اليه، وسكانه مستقلون استقلالا تاما ويسمى الاكراد سكان تلك النواحى بالـ (زازا)، ويبدو ان هذا لقب تهكمى، ويعنى تلعثما او تلكؤا او كلاما غير مفهوم•

تقوم (رضوان) على بعد ثمانى ساعات من (هەزو) وان عائلة (هەزو) قديمة جدا، ومحترمة ايضا.

كوفرا ـ مدينة تبعد عن (سعرد) بمسافة ست ساعات، وتقع على طريق (بتليس) في منطقة (شيروان) وقلعة (شيروان) تبعد عن (كوفرا) بمسافة ساعة واحدة فقط. ورئيسها «بيكها» قوى ومستقل، وهو ينتمى الى فرع حديث من عائلة (حسن كيف) اى انه ايوبى من سلالة صلاح الدين الايوبى. وهنالك منجم من الذهب فى (شيروان).

(ايروون Iroon) تتصل بـ (سى كوزه) و (جوقور) وهى تبعد عن (كوفرا) بثلاث ساعات وتستورد بغداد الكستنة من هذه الاماكن. والمسافة بين (سعرد) و (شيرين) ثلاث ساعات، وبينها وبين (معدن) ست ساعات وبينها وبين (هيزان) ست ساعات ايضا على وجه التقريب.

(كەرنى) تبعد بمسافة ساعتين عن (هيزان) ويتراوح بعدها عن (شيروان) بين الاربع والخمس ساعات وهى منطقة منقطعة جدا، جبلية وعرة. وبين الاكراد الذين يقطنون هذه الاماكن، عشيرة (عمبرلو) وجنكنى ـ كاف فارسية ـ ويدعى احد رؤسائهم انه من اصل ساسانى.

(كوركيت ـ Koor Keat) نهر تمر منه بعد رحيلك من (طوبراق قلعه) بثمانى ساعات بطريق (طوبراق قلعه) ـ (بايزيد). وهو ينحدر من جبال (قاغزمان) بالقرب من (قارص) وينصب فى الفرات. وكثيرا ما يفيض فيضانا عظيما، لكنه حتى فى تلك الحالة لا يحتوى الا على القليل من المياه ومخاضاته خطيرة لكثرة الحفر الكبيرة فى قاعها ولشدة جريانه، لذلك لا بد من اصطحاب الادلاء على الدوام عند عبوره.

(آوى ماسى) او نهر السمك، ويقال انه نهر كبير كالزاب، ويجرى بين (شوشيك) و (خاموور)، وهو ينبع من جوار (ارجش) بالقرب من بحيرة (وان) ويصب فى الفرات بالقرب من (مەلاز كرد). ويكثر فيه سمك النقط.

(خاموور) موقع سميت باسمه منطقة من مناطق (بايزيد) وهو يقع فى

وسط الطريق بين (بايزيد) و (موش)• و (شوشيك) تبعد عن (خاموور) مسافة ثماني ساعات•

ليس ثمة نهر يصب في بحيرة (وان) ويبدو انها اعلى اقسام نجد (ارمينيا)• وهناك الكثير من الخرائب في (اخلاط)، وهي مهجورة تقريبا الان وتقوم خرائب كثيرة ايضا بالقرب من (آلجاواز) ـ عادل جواز ـ وقد جرفت مياه البحيرة قسما منها، الا انه لا تزال على ضفاف البحيرة انقاض لمدينة تضاهي مدينة بغداد في سعتها، و (بين كول) بحيرة تقوم في وسطها صخرة صعبة المنال ينبع منها (آرراس) او (آراكس)•

ويجري تحت الارض نهر يبعد عن (بايزيد) مسافة اربع ساعات ويصب في (آرراس) ومجراه غير مرئي، الا ان خرير المياه تحت الارض يسمع بوضوح من فوق كل مكان من مجراه، ويرى المرء مياه النهر الخضبة عند تلاقي النهرين بكل وضوح على شكل دوامات(*)• وقد تشبث الناس دون جدوى للحفر في قاع مجراه الذي ظهر انه عميق جداء

وعلى الصخرة التي بنيت عليها قلعة (بايزيد)، رسوم محفورة تمثل ثلاثة رجال يحمل كل منهم عكازا بيديه ومتأبطا كتباء

ان قلعة (مه‌كس) حيث ينبع نهر دجلة الشرقي، تبعد الى ما وراء (جوله‌مه‌رك) مسافة احدى عشرة ساعة• ويتدفق النهر من مغارة في الجبل وهو في بداية مجراه اعظم من رافد (ديار بكر)• كما انه يمر بالقرب من (سعرد)، وعبوره صعب جدا حتى في ايام انخفاضه تلك الايام التي تدعى بالصيهود• ويصب فيه رافد (ديار بكر) عند (ته‌لله نافرو) ـ فاء فارسية ـ بين ديار بكر والجزيرة• والطريق الى مه‌كس من سعرد كما يلي :ـ

من سعرد الى :ـ

		ساعة
(قورماس)، ـ قلعة تعود الى بك شيروان ...	...	٤
ده‌ركه‌ن	... ...	٤
به‌رواري	... ...	٦

(*) تعرف الواحدة منها بين العوام بـ (سويرة) وجمعها (سويرات) (بتشديد الواو) التي تنشأ من التقاء تيارات المياه •ـ المترجم•

وهذه عشيرة تابعة الى الجزيرة وهى عشيرة كبيرة عزيزة الجانب. ان العسل والشمع فى هذه المنطقة يستوردان منها.

مه‌كس	٦
المجموع ...	٢٠

و (مه‌كس) تعود الآن الى (هه‌كارى)، ويحكمها احد اقارب مصطفى خان جوله‌مه‌رك.. ومن (سعرد) الى (ديار بكر) ٣٤ ساعة، بالطريق التالية :ـ

	ساعة
ته‌لله نافرو	٥
رضوان**	٥
ره‌جير خراب	٤
سينه كه‌رى (عشيرة كردية رحالة)	٦
بله‌ى دوون	٨
ديار بكر	٦
المجموع ...	٣٤

ان فرع ديار بكر من نهر دجلة يمر بـ (رضوان) و (حسن كيف)، قبل ان يصب فى نهر دجلة الأصلى ويقطن اكراد (محله‌مى) فى المغارات المتشتتة، والواقعة على ضفاف دجلة وعددها كثير ويقال انها قديمة جدا، وفى داخلها الحجر والغرف.

ينبع نهر (الخابور) الذى يمر بـ (زاخو) من جبال العمادية، وله اربعة منابع. وقد خلط (ماكدونالد كينه‌ر) بينه وبين نهر (سعرد). و (فيشخابور) هو اسم النهر المزدوج من (الهيزل) و (الخابور). و (الهيزل) يبعد بمسافة ساعة اخرى بين (زاخو) و (سلوبى). وهما يلتقيان تحت (زاخو) ويلتقى نهر (شاخ) بهما*.

(**) تبعد رضوان بمسافة اربع ساعات عن (حسن كيف) على الضفة الشمالية من دجلة او نهر (ديار بكر) و (رضوان) على جانب (ديار بكر) و (حسن كيف) على جانب (ماردين) من النهر.

(*) هنالك نهر آخر بهذا الاسم بالقرب من (مه‌كس)، فى منطقة (هه‌كارى).

الطريق من الموصل الى الجزيرة :ـ

	ساعة
تل اسقف	٦
نمير (قرية يزيدية يقطنها رئيس يزيدى) ـ ثم مخاض الهيزل	٦
تل كشان	٦
زاخو	٣
سلوبى، وهى فى المنطقة التى يقع فيها جبل جودى ...	٥
الجزيرة	٥
المجموع ...	٣١

الطريق من (الجزيرة) الى (سعرد) :ـ

	ساعة
فينيك : حصن قديم جدا ومشهور، جاء ذكره فى تاريخ الاكراد	٤
جه‌وليك (جيم فارسية)	٨
ته‌لله نافرو : ملتقى فرعى نهر دجلة	٣
سعرد	٥
المجموع ...	٢٠

الطريق من (سعرد) الى (بتليس) :ـ

	ساعة
سى كووز (شجرات الجوز الثلاث)	٦
بتليس	٦
المجموع ...	١٢

الطريق من (بتليس) الى (ارضروم) :ـ

	ساعة
جاقور	٦
خاص كوى	٨
جه‌ويرمه	٣
صوللوق : (جسر خشبى فوق الفرات)	٥

جارکور	...	...	٥
اروزه	...	...	٧
الی آراس	...	...	٨
دەلی بابا	...	...	٥
قرلجه	...	...	٤
ومن فوق جبل الی			
ارضروم	...	...	٥
		المجموع ...	٥٦

الملحق الرابع

ـ وهو الملحق الثالث من المجلد الاول من الرحلة ـ

(راجع الصفحتان ٢١٤ و ٢١٥)

سلسلة امراء العائلة البابانية من (سليمان بابا) او (سليمان بەبە) حتى باشا (السليمانية) الحالى.

	عام		مدة الحكم شهر	سنة
١ ـ سليمان بك غازى (اى بابا سليمان) نجل مير سليمان. بدء مزاولته الحكم ...	١٠٨٨هـ	١٦٧٧م*	ـــ	٤
٢ ـ تەمير (تيمور) خان بك ...	١١١٠هـ	١٦٩٨م	ـــ	٤
٣ ـ بكر بك ...	١١١٥هـ	١٧٠٣م	ـــ	١٣
وهنا مرت فترة، حكم فيها المتسلمون** الاتراك كردستان ...	١١٢٨هـ	١٧١٥م	ـــ	٤
٤ ـ وبعد اربع سنوات حكم خانه باشا كردستان مدة ثلاث سنوات. ثم حكم (سنه) مدة سبع سنوات بعد ان استولى عليها وبنى جامعا فيها، خربه امان الله خان قبل عام او عامين ...	١١٣٢هـ	١٧١٩م	ـــ	٣
٥ ـ نواب خالد باشا، نجل بكر بك ...	١١٣٥هـ	١٧٢٢م	ـــ	٤
٦ ـ فرهاد باشا ...	١١٣٩هـ	١٧٢٦م	ـــ	٢
٧ ـ خالد باشا (ثانية) ...	١١٤١هـ	١٧٢٨م	ـــ	١٥
٨ ـ نواب سليم باشا ...	١١٥٦هـ	١٧٤٣م	ـــ	٤
٩ ـ نواب سليمان باشا ...	١١٦٠هـ	١٧٤٧م	ـــ	٣
١٠ـ سليم باشا (ثانية) ...	١١٦٣هـ	١٧٤٩م	ـــ	١٤
١١ـ سليمان باشا (ايضا). وقد شنق سليم باشا فى بغداد بمكائده. وبنى سليمان الجامع والحمام فى (زەنگەباد). وكانت كل من (زەنكەباد مندلى). و (بدرة جصان) على عهده جزأ من كردستان ...	١١٦٤هـ	١٧٥٠م	ـــ	١٠
وقد تفشى الطاعون الكبير فى عهده عام ...	١١٧١هـ	١٧٥٧م		

*اضاف المترجم التاريخ الميلادى تسهيلا للرجوع.

**جاءت فى الاصل المسلمون (بتشديد اللام) غلطا. ـ المترجم.

	عـــام		مدة الحكم	
			شهر	سنة
١٢ـ محمود باشا نجل خانه باشا وقد قتل فى معركة دارت بينه وبين سليمان باشا ...	١١٧٤هـ	١٧٦٠م	٥	ـــ
١٣ـ سليمان باشا (ايضا) ...	١١٧٥هـ	١٧٦١م	ـــ	١
١٤ـ احمد باشا نجل خالد باشا ...	١١٧٦هـ	١٧٦٢م	ـــ	١
١٥ـ سليمان باشا (ايضا) ...	١١٧٧هـ	١٧٦٣م	٢	ـــ
١٦ـ احمد باشا (ايضا) ...	١١٧٧هـ	١٧٦٣م	٥	ـــ
١٧ـ سليمان باشا (ايضا) وقـد قتله الفقيه ابراهيم ...	١١٧٧هـ	١٧٦٣م	ـــ	١
١٨ـ محمد باشا نجل خالد باشا ووالد خالد بك	١١٧٨هـ	١٧٦٤م	ـــ	٨
١٩ـ احمد باشا (ايضا) ...	١١٨٦هـ	١٧٧٢م	٣	١
ملحوظـة :ـ هو والد ابراهيم باشـا . وخـالد باشـا الحالى والاخ الاكبر لمحمود باشا .				
٢٠ـ اسر محمود باشا فى احمد كلوان* احمد باشا الحالى والاخ الاكبر لمحمود باشا ...	١١٨٧هـ	١٧٧٣م	ـــ	٢
٢١ـ تغلب احمد باشا ثانية على محمود باشا الذى ساعده على مراد خان فى (سه‌رسير) و (جوراتا) ...	١١٨٩هـ	١٧٧٥م	٣	١
٢٢ـ رجع محمود باشا من ايران ثانية . بمعاونة شفيع خـان القائد الزندى ولكنه تقهقر ورجع اليها ...	١١٩٠هـ	١٧٧٦م	٩	ـــ
٢٣ـ رجع ثانية مع محمود على سردار . وقامت معركة بين محمد باشا وخسرو خان . خان (سنه) بالقرب من (سه رى‌بار) وقـد اندحر الاخير شر اندحار ...	١١٩١هـ	١٧٧٧م	ـــ	١
٢٤ـ جاء كلب على خان القائد الزندى لمساعدة احمد باشا . واجلسه ثانية على دست الحكم وهرب محمد باشا الى (كوى سنجاق)	١١٩١هـ	١٧٧٧م		

(*) هرب احمد باشا بمساعدة القوات التركية بعد ان اسره اخوه محمد باشا واستولى على الحكم مدة ستة اشهر . وهرب محمد باشا بدوره الى ايران . وعاد ثانية مع مراد خان، وقد اندحرا فى (سه رسير) .

٢٥ـ رجع محمد باشا مع تيمور باشا، باشا (كوى سنجاق) فقاتلوا احمد باشا عند (كلي‌زه‌رده) قتالا شديدا استمر لمدة ساعة بالسلاح الابيض والسيوف والخناجر وكانت الخسائر فيه عظيمة. قتل تيمور باشا واسر محمد باشا ففقعت عيناه فورا من قبل اخيه احمد باشا الذى توفى بعد سبعة عشر يوما فى (قه‌ره‌داغ) اثر رجوعه الى (قالاجوالان) ...	١١٩٢هـ	١٧٧٨م		
٢٦ـ نواب محمود باشا والد عبد الرحمن باشا قتل فى معركة (يه‌ل تيمار) بين (ساقز) و (صاووق بولاق) من قبل (بوداق خان) امير (صاووق بولاق) الذى كان يقاتله ...	١١٩٣هـ	١٧٧٩م	ــــ	٥
٢٧ـ نواب ابراهيم باشا. مؤسس السليمانية	١١٩٨هـ	١٧٨٣م	ــــ	٣
القى القبض على حسن خان بك وحسين بك وهما اميران من عائلته وارسلهما اسيرين الى بغداد فنفيا بادىء الامر الى الحلة ثم شنقا ...	١٢٠٠هـ	١٧٨٥م		
٢٨ـ عثمان باشا. الاخ الاكبر لعبد الرحمن باشا ...	١٢٠١هـ	١٧٨٦م	ــــ	٢
٢٩ـ ابراهيم باشا (ايضا) ...	١٢٠٣هـ	١٧٨٧م	ــــ	١
٣٠ـ نواب عبدالرحمن باشا ...	١٢٠٤هـ	١٧٨٩م	ــــ	٨
٣١ـ ابراهيم باشا (ايضا) ...	١٢١٢هـ	١٧٩٧م	ــــ	٥
تفشى فى عهده ما سمى بالطاعون الصغير				
٣٢ـ عبدالرحمن باشا (ايضا) ...	١٢١٧هـ	١٨٠٢م	ــــ	٢
مات ابراهيم باشا فى الموصل خلال حملة على، باشا بغداد على (سنجار) وقد خلفه على باشا وتوفى فى عام ...	١٢١٧هـ	١٠٨٢م		
شق عبدالرحمن باشا عصا الطاعة على على باشا وطعن بيده محمد باشا. باشا السليمانية عند انسحابه من بغداد، وبعد التغلب على خالد باشا فى (كوى سنجاق) مباشرة. وجاء باشا بغداد اثر هذه الحوادث بنفسه، ونصب خالد				

	عـــام		مدة الحكم	
			شهر	سنة
باشا فى السليمانيـــة، فهرب عبـــد الرحمن باشا الى ايران ...	١٢١٨هـ	١٨٠٣م		
٣٣ـ خالد باشا ...	١٢١٩هـ	١٨٠٤م		
٣٤ـ رجع عبدالرحمن باشا من ايران. وتغلب على جنود الاتراك الاحتياط والاكراد فى (زەرى‌بار). واسر سليمان، كهية بغداد ...	١٢٢١هـ	١٨٠٤م		
٣٥ـ اجبر عبدالرحمن باشا على الهروب من السليمانية وقد نصب الاتراك ـ وهم تحت امرة سليمان كهية الذى اصبح الان باشا بغداد ـ سليمان باشا نجل ابراهيم باشا*	١٢٢٣هـ	١٨٠٨م	٣	ــ
٣٦ـ نصب عبدالرحمن باشا نفسه مرة اخرى سيدا على كردستان اتفق شهزاده كرمنشاه مع الاتراك ضده واجبره عـــلى الانسحـــاب الى (كوى سنجاق) التى احاط بها الايرانيون. وقد فكوا الحصار عنها بعـــد شهر واربعة ايام. كان ذلك عام ١٢٢٤ ورجع عبدالرحمن باشا الى السليمانية ...	١٢٢٦هـ	١٨١١م	ـــ	٢
وفاة عبدالرحمن باشا ...	١٢٢٨هـ	١٨١٣م		
٣٧ـ نواب محمود باشا. النجل الاكبر لعبد الرحمن باشا، خلف والده وهو الامـــير الحالى ...	١٢٢٨هـ	١٨١٣م	ـــ	ـــ

***

تواريخ وحوادث لها علاقتها بتاريخ كردستان

(راجع الصفحتان ٢١٤ و ٢١٥)

قهر القوات التركية والايرانية المتحالفة لسليمان بك واضطراره على الهروب من كردستان والالتجاء الى (استانبول) ...	١١١٠هـ	١٦٩٨م
قهر بكر بك	١١٢٠هـ	١٧٠٨م
حصار بغداد	١١٣٠هـ	١٧١٧م

(*) وهذه كانت سنة ١٨٠٨ الميلادية وهى التى وصلت خلالها بغداد.

استيلاء الاتراك على (همدان) ...	...	١١٣٥هـ	١٧٢٢م
قتل خانه باشا، باشا كردستان ...	...	١١٤٥هـ	١٧٣٢م
وقوع معركة طوبال (الاعرج) عثمان باشا	...	١١٤٤هـ	١٧٣١م
حصار الموصل ...	...	١١٥٤هـ	١٧٤١م
هروب خالد باشا، باشا كردستان الى (اورفه)	...	١١٥٥هـ	١٧٤٢م
وفاة خالد باشا فى (اورفه) ...	...	١١٥٦هـ	١٧٤٣م
ثم تغلب على يكن باشا، القائد التركي ...	...	١١٥٦هـ	١٧٤٣م
قتل نادر شاه ...	...	١١٥٨هـ	١٧٤٥م
وفاة عادل باشا ...	...	١١٦١هـ	١٧٤٨م
وفاة ابراهيم باشا ...	...	١١٦٢هـ	١٧٤٨م
بدء حكم سليمان باشا، باشا بغداد وقتل سليمان باشا، باشا (كوى سنجاق)، من قبل سليمان باشا . باشا بغداد	...	١١٦٤هـ	١٧٥٠م
قتل سليم باشا . باشا (قالاجوالان) فى بغداد	...	١١٧١هـ	١٧٥٧م
تفشى الطاعون الكبير ...	...	١١٧١هـ	١٧٥٧م
تغلب باشا بغداد على محمود باشا البابانى فى (نارين)	...	١١٧٦هـ	١٧٢٦م
اغتيال سليمان باشا ...	...	١١٧٨هـ	١٧٦٤م
تفشى الطاعون الثانى (الصغير) ...	...	١١٨٧هـ	١٧٧٣م
قتل سليمان باشا، باشا بغداد ...	...	١١٧١هـ	١٧٥٧م
اسر احمد باشا . فى احمد (كلوان) ...	...	١١٨٧هـ	١٧٧٣م
اسر على مراد خان من قبل احمد باشا ...	...	١١٨٨هـ	١٧٧٤م
مجىء شفيع خان، لمساعدة محمد باشا ...	...	١١٨٨هـ	١٧٧٤م
مجىء كلب على خان ـ وتغلب محمد باشا على خسرو خان ...		١١٩١هـ	١٧٧٧م
وقوع الهزة الارضية فى (تبريز) ...	...	١١٩٤هـ	١٧٨٠م
ذهاب محمد باشا واحمد باشا الى كركوك	...	١١٩١هـ	١٧٧٧م
تغلب احمد باشا على محمد باشا ...	...	١١٩١هـ	١٧٧٧م
وفاة احمد باشا ...	...	١١٩٢هـ	١٧٧٨م
وفاة كريم خان شاه ايران ...	...	١١٩٢هـ	١٧٧٨م
وفاة عبدالله باشا، باشا (زهاو) ...	...	١١٩٣هـ	١٧٧٩م
بداية حكم محمود باشا، جد الباشا الحالى ...	...	١١٩٢هـ	١٧٧٨م
قتل رضا قولى خان ...	...	١١٩٧هـ	١٧٨٢م
هروب محمد باشا المخلوع الى ايران ورجوعه وقتله مع رئيس آخر اسمه عمر باشا من قبل محمود باشا تحت الشجرة الكبيرة فى (قالاجوالان) ...	...	١١٩٤هـ	١٧٨٠م
بداية حكم ابراهيم باشا	...	١١٩٧هـ	١٧٨٢م
انشاء مدينة السليمانية ثانية ...	...	١١٩٩هـ	١٧٨٤م
قتل محمود باشا ...	...	١١٩٨هـ	١٧٨٣م

بداية حكم عثمان باشا	١٢٠١هـ	١٧٨٦م
وفاة عثمان باشا	١٢٠٣هـ	١٧٨٨م
وقوع زلزال فى السليمانية	١٢١٧هـ	١٨٠٢م
وفاة سليمان باشا، باشا بغداد وعقبه على باشا ...	١٢١٧هـ	١٨٠٢م
وفاة ابراهيم باشا	١٢١٨هـ	١٨٠٣م
بداية حكم فتح على شاه، شاه ايران الحالى ...	١٢١١هـ	١٧٩٦م
خرج عبدالرحمن باشا على طاعة على باشا، وقتل محمود باشا، باشا (كوى سنجاق) وتغلبه على خالد باشا، باشا (التون كوبرى) وعلى اثر ذلك سار على باشا من بغداد من فوره فتغلب على عبد الرحمن باشا فى (دەربەند) ...	١٢٢٠هـ	١٨٠٥م
مجى خالد باشا الى السليمانية وتسلمه الحكم ...	سنة واحدة	
وقوع معركة (دەربەند) الثانية تحت امرة سليمان باشا الصغير، باشا بغداد*	١٢٢٣هـ	١٨٠٨م
وقوع معركة (كفرى)	١٢٢٦هـ	١٨١١م
قتل سليمان باشا، باشا بغداد	١٢٢٥هـ	١٨١٠م
رجوع عبدالرحمن باشا الى السليمانية نهائيا ...	١٢٢٦هـ	١٨١١م

(*) هذه هي السنة التى وصلت بها بغداد.

الملحق الخامس

ـ وهو الملحق الرابع للمجلد الاول من الرحلة ـ

معلومات مستقاة فى (احمد كلوان) عن الطرق المؤدية الى اماكن مختلفة

* * *

من (احمد كلوان) فى منطقة (قزلجه) الى (زه‌هاو)

	ساعة	ملحوظات
الى (سووره‌جو) فى (شهرزوور) ويلفظها الاكراد شاره‌زوور	٦ر٥	بلاد ذات تلال، ليس فيها جبال عالية يقتضى اقتحامها.
بانى خيلان ...	٦ر٥	القسم الاول من الطريق يمر بسهل (شهر زوور) وعند اقترابك من (بانى خيلان) تجتاز جبلا تصل من بعده اليها، حيث تصب فى نهر ديالى عدة جداول تسيل من كردستان.
زه‌هاو ...	١٠	سهل (باجه‌لان).
	٢٣	

* * *

من (احمد كلوان) الى (كرمنشاه) بطريق (شاميان)

ملاحظة :ـ ان هذا اقصر الطرق التى تتجه من كردستان الى (كرمنشاه) واحسنها انبساطا وهو يمر بكامله تقريبا فى خانق بين جبلين.

	ساعة	ملحوظات
ساولاوا ...	٦	فى منطقة سنه، فى واد على طوال الطريق
بالينكان (باء وكاف فارسيتان)	٥	على امتداد الوادى.
كرمنشاه ...	١٠	طريق منبسط.
	٢١	

ويصف الاكراد هذا الطريق بانه احسن الطرق الملائمة لمرور العشائر منه، مع عوائلهم واثقالهم وقطعانهم .. الخ.

* * *

المعلومات المستقاة فى (سنه) عن الطريق من (سنه) الى (همدان)

	فرسخ
دەهکەلان	٦
کورروه	٦
حەماقیسی	٦
همدان	٦
	٢٤

الى (كرمنشاه)

	فرسخ
کورووك	٥
کام یاره	٥
کرمنشاه	٧
	١٧

الى (تبريز)

	فرسخ
باقلاباد	٦
کیله کەبوود	٦
ساقز	٩
کوول تەبه	٦
میان دوآو	٨
لووکلەر	٩
آق تەبه	١١
تبریز	١٢
	٦٧

الى (مه راغه)

	فرسخ
هەلەدەره	٥
دیوان دەره	٥
قابلان تو	٥
صفا خانه	٤
صایین قلعة	٧

ديزة	...	...	٦
مه راغه	...	...	٤
			٣٦

* * *

الطريق من (سنه) الى (همدان) كما صحح استنادا الى مذكرات المستر (به‌ل‌لى‌نو)

		كما يقال	فى الحقيقة
ده ككيلان*	...	٧ فراسخ	٩ ساعات و ٥٥ دقيقة
كوورنا**	...	٥ «	٧ « و ١٥ «
حه‌ماقيسى	...	٥ «	٦ « و ٢٠ «
همدان	...	٥ «	٧ « و ٣٠ «
		٢٢ فرسخا	٣١ ساعة

* * *

(*) جاءت فى الصفحة (٣٢٢) ده هكه لان.

(**) جاءت فى الصفحة (٣٢٢) كورو.

الملحق السادس

ـ وهو الملحق الخامس من المجلد الاول من الرحلة ـ

تفاصيل خاصة بطوبوغرافية كردستان وقد جمعت من اوثق المصادر في السليمانية وقورنت باعتناء مع المعلومات التي ادلى بها اشخاص عديدون.

من (احمد كلوان) الى نالباريز ـ باء فارسية ـ مارين

بمضيق (تاريەر) ...	٣	ساعات
الى (جوتان) «جفتان ـ جيم فارسية»		
من اعلى التلال ...	٢	ساعتان
الى كل عمبر ـ خورمال الحالية ـ مركز (شهر زوور) ...		
الى (كل عمبر) في منتهى جبال (اورمان :ـ هەورامان) ...	٨	ساعات بطريق مستو

من (كل عمبر) الى (خواجال ؟) ساعتان بواد يمر في جبال (آوورومان ـ هەورامان).

من (كل عمبر) باتجاه غربي الى (حلبجه) ساعتان بطريق تتسلط عليها الجبال ايضا وهي تنفصل من (جووان روو) بنهر (ديالى) الذي يسمى هناك بنهر (سيروان) ومن (باني خيلان) ـ مضيق ديالى ـ بالجبل او السلسلة التي تؤلف الحدود الغربية لسهل (السليمانية).

ويفصل ديالى (آورامان ـ هەورامان) عن (شاهوو). وتعد جبال (آوورومان) قسما من (شاهوو) الاصلية.

طريق المسافرين في (شهرزوور)

من السليمانية الى :ـ

آربەت «عەربەت» ... ٤ ساعات فيها خرائب كبيرة والخرابة المسماة بـ (قيز قلعەسى) تقع بين (كريزه) ـ كاف فارسية ـ و (آربەت). وتقع كل من (بيستان سوور وياسين تبه*) بالقرب منها.

(*) وجاءتا في الاصل (دەستان زوور) و (يارين تەبه) غلطا . ـ المترجم.

ويتشعب من (باني خيلان) طريقان الاول الى (زەهاو) والاخر الى (زەنكەباد) مارا بـ (ديزي يارەش) ـ (خاني جەبەڵ) ـ جيم فارسية ـ (زەنكەباد) ـ على ضفاف (ديالى).

كريزه ... ٤ ساعات

حصار ... ٢ ساعتان

كل عمبر ... ٢ ساعتان من السليمانية الى (كل عمبر) وهى مركز (شهرزور)٠

١٢

و (كل عمبر) قريبة من جبل (ارمر) او (كويزه – زاء فارسية)٠

ويتصل نهر (كل عمبر) بـ (تانجه‌رو) والاثنان يصبان فى (ديالى)٠

* * *

من السليمانية الى (بانى خيلان)

من السليمانية الى (ده‌ربه‌ند فه‌قه‌ره) ... ٥ ساعات مجتازا (تانجه‌رو)٠

كه‌وره قه‌لا – وهنا بعض الخرائب ... ٤ ساعات٠

بانى خيلان ... ٣ ساعات٠

---

١٢ ساعة٠

من (حلبجه) الى (بانى خيلان) خمس ساعات فى واد او ممر اسمه (ده‌ربه‌ندى خان)٠

من (حلبجه) الى (ده‌ربه‌ند فه‌قه‌ره) ست ساعات٠

* * *

– من بانى خيلان الى (زه‌هاو) –

هه‌رسكه‌ل (؟) ... ... ١ ساعة واحدة٠

هورين ٢ ساعتان٠

سه‌رقه‌لا ٤ ساعات٠

زه‌هاو ٣ ساعات٠

---

١٠ ساعات٠

* * *

من (زه‌هاو) الى (كرمنشاه)

(زه‌هاو) الى (بيشه اوو – باء فارسية) (؟) ... ٣ ساعات٠

سووره دزه ٣ ساعات٠

كرند ٣ ساعات٠

ثم الى (كرمنشاه)٠

* * *

من السليمانية الى (كرمنشاه) بطريق (حلبجه)

من (حلبجه) الى (خانه شوور)		٧ او ٨ ساعات	تقع (حلبجه) بالقرب من جبل يتشعب من (شاهوو) يفصله (ديالى) عن (جووان روو) وهو يجرى بين تلال (حلبجه) و (جووان روو)٠
دشته اوور	...	٣ او ٤ ساعات	
دشته ليل	...	٣ ساعات	
دشته مرده	...	٣ ساعات	
زمكان	...	٢ ساعتان	وهناك معبر فوق ديالى الى (جووان روو) وهو حبل يصل ما بين الضفتين٠

ثم يمضي مارا بواد او ممر الى سهل (ماه دەشت)٠ ومن (زمكان) الى (كرمنشاه) ١٤ ساعة٠

ويسمى هذا الطريق الطريق الاوسط وطريق (زەهاو) هو الطريق الاسفل اما الطريق الاعلى فيدعى كما هو مدون في ادناه ويمر بـ (آورەمان) و (جووان رو)٠ :ـ

		ساعة
من (جەمی خواجایی) الى (طويله)	...	٢
نەوسوود	...	١½
ديشه	...	٦
پاوه ـ باء فارسية	...	٢½
قەلای جووان روو	...	٨ او ٩
ومنها بطريق (ماه دەشت) الى (كرمنشاه)	...	١٢

هذا وهنالك طريق اخر الى (كرمنشاه) ينعطف من الطريق الاسفل على مسافة ساعتين ونصف ساعة من هذا الجانب من (زەهاو) الى (دشته مرده) مارا بـ (بزميراوه)٠

و (بزميراوه) مصيف او مرعى (زەهاو) وهي في (شاهوو)٠ ويأتي من بعدها (رەزاو ـ زاء فارسية) ثم (طاووق)٠ وكل هذه الاماكن هي في (شاهوو) او (زاغروس)٠

و (شاهوو) هو ذلك القسم من (زاغروس) الذي يفصل باشوية (قالا جوالان) في كردستان التركية من كردستان الايرانية٠

هذا ولا يزال هنالك طريق اخر الى (كرمنشاه) يمر بـ (قزلجه) الى (صالياوا) واسمه طريق (شاميان) وقد جاء ذكره في الجدول الثاني من الطرق الى (قزلجه)٠

ويمتد (قەرەداغ) بعد ان يمر من (دەربەند) ليؤلف جبال (خال خالان) في (كوى سنجاق)٠

***

ممرات زاغروس بين كردستان البابانيين وايران

١ـ كاروان ـ ك • فارسية ـ الطريق الى (سنه) وهو الممر الواقع فى النهاية الجنوبية •

٢ـ سوور كيو • يتشعب الطريق الى (سوور كيو) من طريق (كاروان) عند جسر (عصر آباد) •

٣ـ كەلىبا ـ ك • فارسية •

٤ـ ناو خووان •

٥ـ بيشمان (؟) ـ ب • فارسية ـ من (بيستان) الى (بانه) •

٦ـ (كەلى بالين) من (بانه) الى (بايين دەره) ـ ك • فارسية •

٧ـ كەلىخان ـ ك • فارسية •

ثم ينعطف (زاغروس) الى شرقى (سەردەشت) وغربى (صاووق بولاق)* ثم الى (سيكەنه) •

(*) وتلفظ هذه (صاووج بولاق)، اما الأسم الشائع ترخيما بين الأهلين فهو (صابلاغ) •ـ المترجم •

من السليمانية الى (كرمنشاه) بطريق (حلبجة)

من (حلبجة) الى (قلعة جوانرو) ... ٧ او ٨ ساعات تقع (حلبجة) بالقرب من جبل

... ٣ ساعات (ديالى) ... روو)

... ٣ ساعات

... (جوانرو روو)

... ٢ ساعتان وهناك معبر فوق ديالى الى (جوانرو

روو) وهو جبل يطل على ...

... الى سهل ... دشت) ...

... الطريق ... وطريق (زهاو) ... اما

... (اورمان) و (جوانرو) ...

	ساعة
... الى ...	٣
...	٩½
...	٦
...	٤½
...	٨ او ٩
... (كرمنشاه)	١٢

... (كرمنشاه) ... من الطريق الأيسر على مسافة ...

... (زهاو) الى ... (زهراو) ...

... (شاهو) ...

... الاماكن ... (شاهو) او ...

... الذي ... (الا) ...

... الى (كرمنشاه) ... (حلبجة) الى ...

... في الجدول ... من الطرق الى (حلبجة) ...

... (كوي سنجاق) ...

فهرست الاعلام

تنبيـــــه :

(أ) توخينا تثبيت بعض الاعلام الواردة فى هذا الفهرست بالحروف اللاتينية لرفع الالتباس فى تلفظها ·

(ب) واشرنا الى تلفظ بعض الحروف الاعجمية بالاشارة اليها بـ (فا) بعدها وفى داخل قوسين قاصدين بالـ (فا) الفارسية · ومثال ذلك (ج·فا) اى (جيم فارسية) او (ز·فا) اى (زاء فارسية) ·· الخ ··

(ج) واضيف حرف (ح) بعد عدد الصفحة للدلالة على ان الكلمة وردت فى الحاشية ·

ب

ب . فارسیة

ت

ث

ج

ج. فارسية

د

ش

ص

ض

ط

غ

ف

ق

ك

ملحوظة : أشير الى الكاف الفارسية فی أول الكلمة بنجمة (*) ٠ ٠





اللوح الرقم (١)

احد كبار موظفي باشا السليمانية

ـ قبالة الصفحة ٤٨ ـ



اللوح الرقم (٢)

رجل من الجاف

ـ قبالة الصفحة ٧٧ ـ



اللوح الرقم (٣)

جنديان كرديان من (آورومان ـ هەورامان)

ـ راجع الصفحة ١٤٣ وحاشيتها ـ
ـ قبالة الصفحة ١٤٤ ـ



اللوح الرقم (٤)

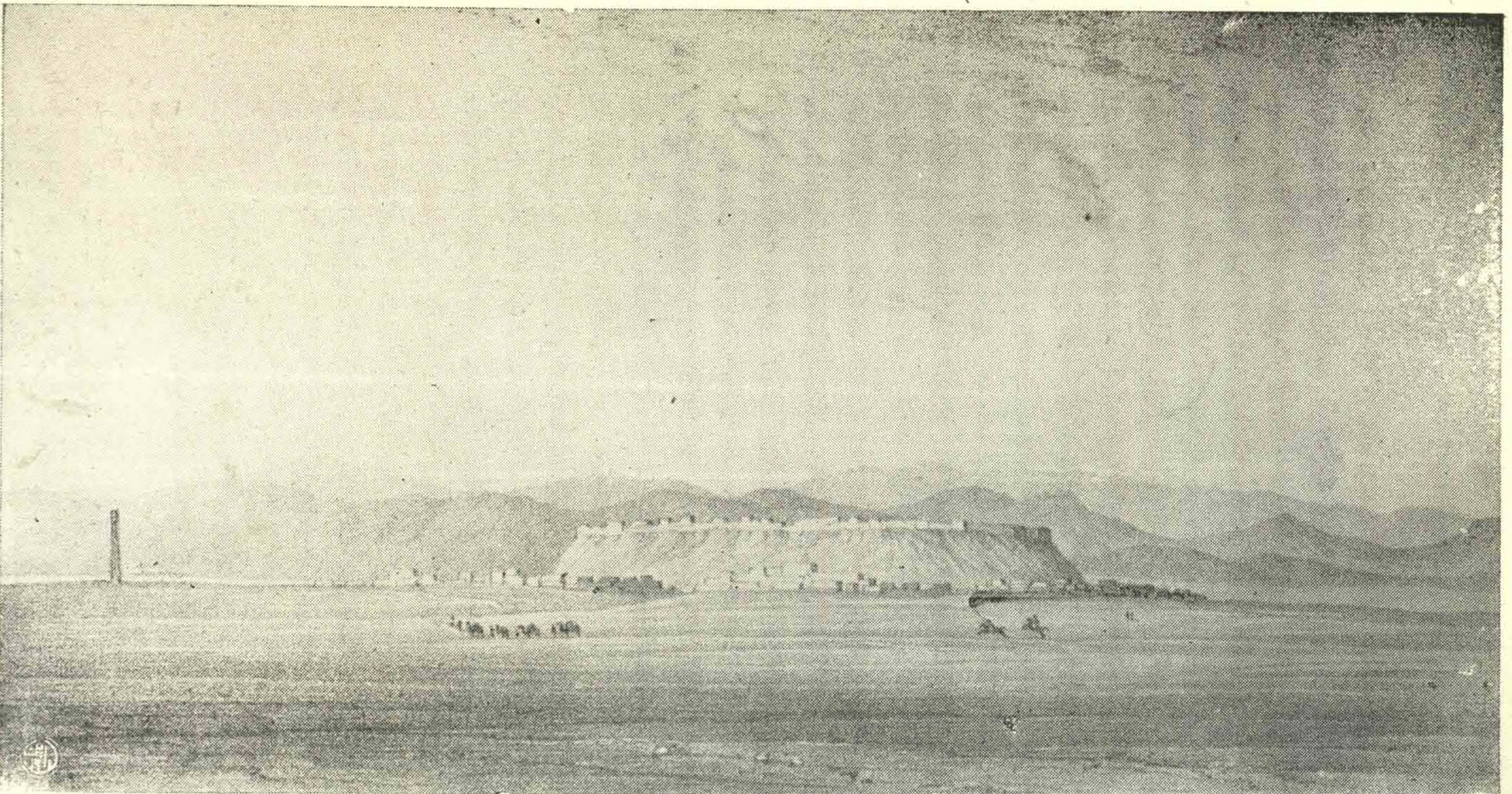
زوجان نسطوريان من (حه‌كارى)

من عشيرة (جه‌لو)



حفلة عرس ـ السيدات الكرديات يرقصن.

ـ قبالة الصفحة ٢٠١ ـ

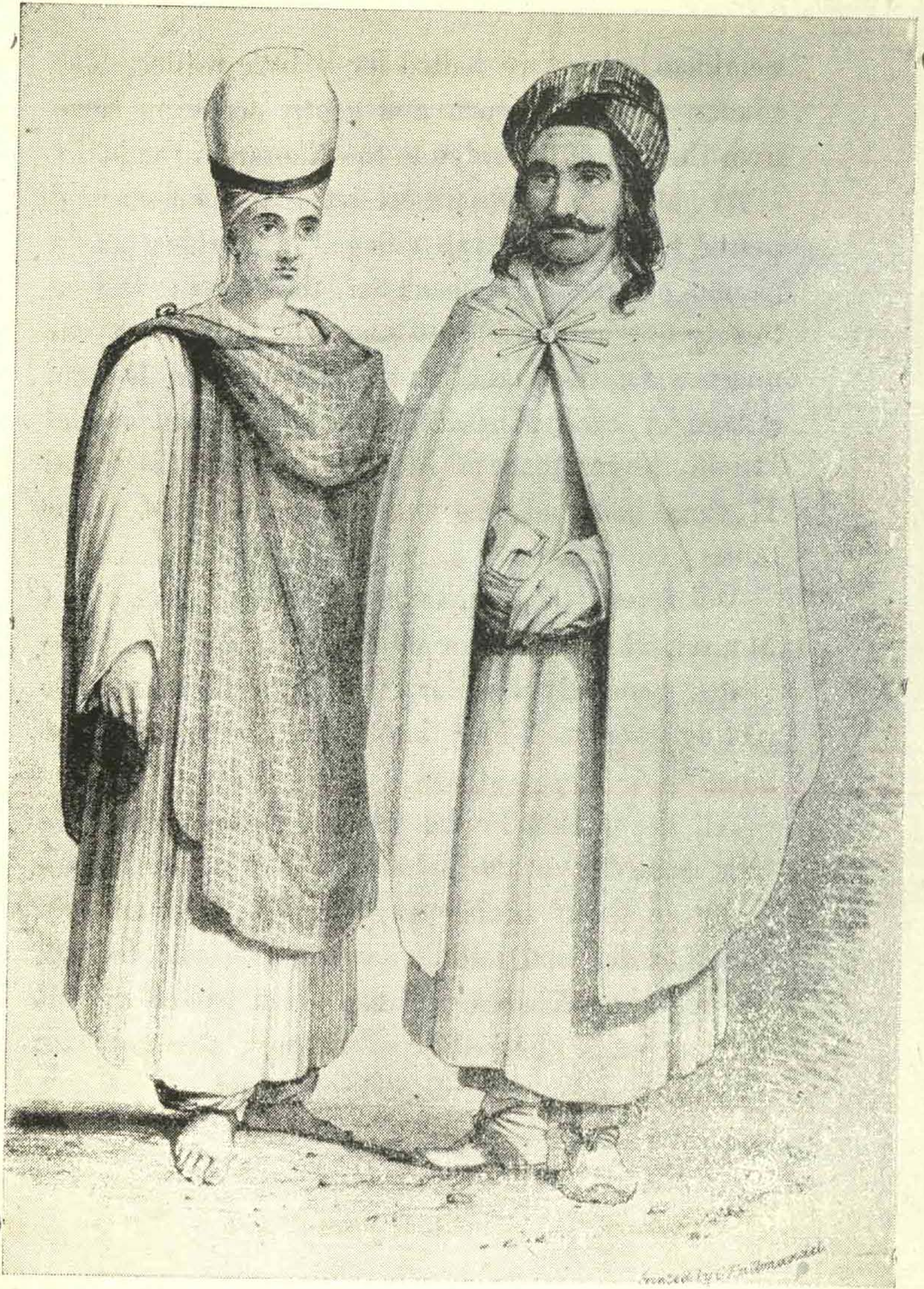


اللوح الرقم (٥)

ـ مدينة أربيل ـ كما رسمها المستر ريج عام ١٨٢٠

ـ راجع الصفحة ٢٣٤ وحاشيتها (*) ـ

ـ قبالة الصفحة ٢٤٤ ـ



اللوح الرقم (٦)

زوجان يزيديان من (سنجار)

ـ راجع الحاشية (**) من الصفحة ٢٤٨ ـ

ـ قبالة الصفحة ٢٤٨ ـ